منبر الإسلام

مع العدد

- كتاب بمناسبة المولد النبوي الشريف
- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم ..

عدد ممتاز

الثمن ١٠ قروش

العدد ٣ • السنة ٣١ • ربيع اول ١٣٩٣ • ابريل ١٩٧٣

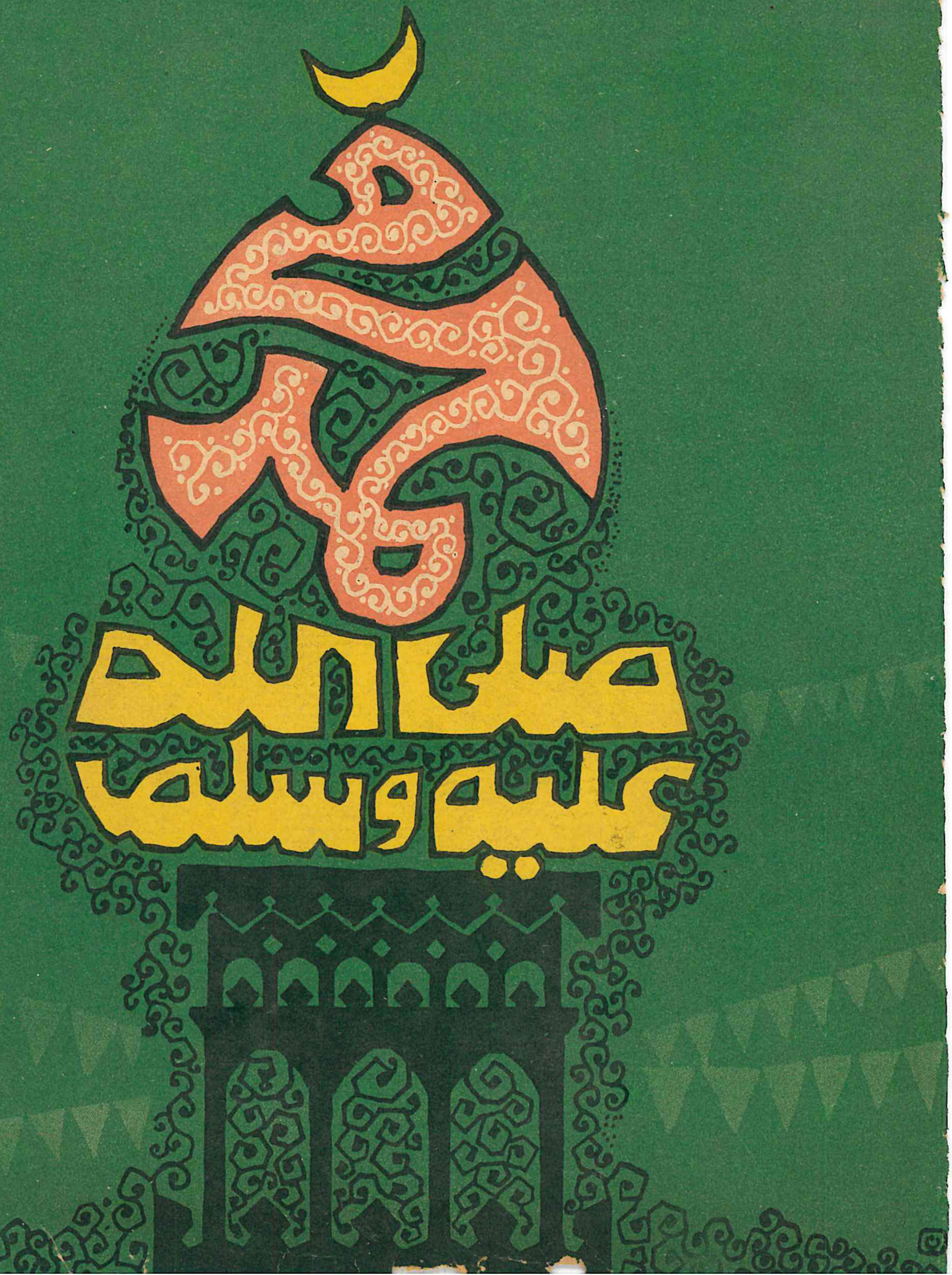

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
فى غرة كل شهر عربى

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العنوان :
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحري القاهرة .
ت : ٢٨١٥٦
تلغرافيا : الاسلام - القاهرة

الاشتراكات

١٠٠ قرش فى جمهورية مصر العربية
٨٠ قرشا للعمال والطلبة

- الاشتراكات تدفع مقدما

يضاف إلى هذا قيمة البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى
تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العدد ٣ - السنة ٣
ربيع أول ١٣٩٣

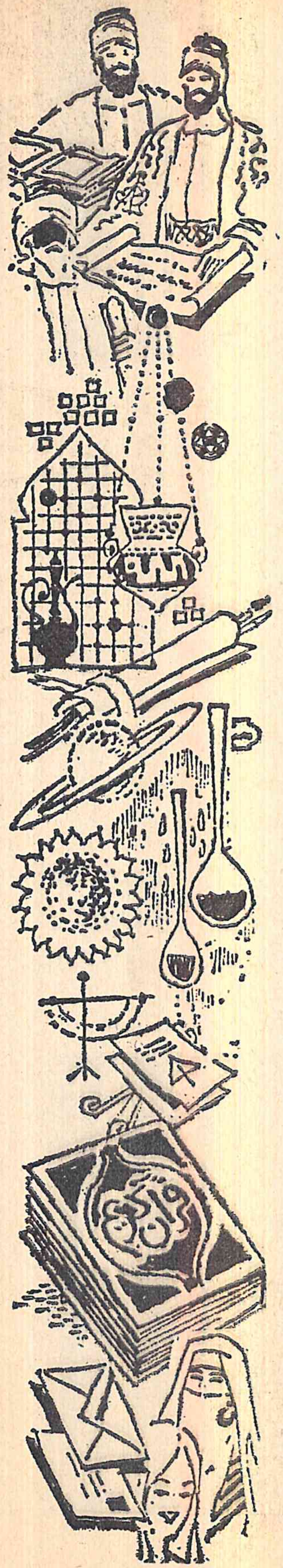

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- نص البيان الذى القاه السيد الرئيس محمد أنور السادات فى الاجتماع المشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية ١٩٧٣/٣/٢٦
- المقربون [أهل القرآن] . فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود
- تفسير سورة الذاريات . الاستاذ احمد حسين
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . . . . فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى
- الغيب . . . . . الاستاذ فتحى رضوان
- لماذا عدد النبى زوجاته ؟ . الدكتور احمد الحوفى
- من معانى القراءات واسرارها فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى
- افريقية قبل الاسلام [غانا] الدكتور احمد شلبى
- عناصر القوة فى الاسلام . الشيخ محمد عبد العزيز البهنسى
- مأساة المسلمين في الفيلبين الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
- فضل العرب على الحضارة الدكتور محمد عبد الحميد عنبر
- اعلام الحضارة الاسلامية . الدكتور احمد سعيد الدمرداش
- الطريق الى الايمان . . الدكتور عبد الحليم كامل
- نقودنا الاسلامية المصورة . الدكتور عبد الرحمن فهمى
- السياسة بين الفلاسفة والفقهاء . . . . . الدكتور حامد ربيع
- بين الفلسفة والتصوف والتشريع الاسلامى . . الاستاذ سعيد زايد
- فلسفة العقوبة فى الشريعة والقانون . . . . الدكتور فكرى احمد عكاز
- من الفقه المقارن . . . الدكتور محمد عبد المنعم القيعى
- وفى عصرنا صديق : اسمه يوسف . . . . . الاستاذ عبد المنعم الصاوى

معالم
الطريق

نص البيان
الذى ألقاه السيد الرئيس

محمد أنور السادات

في الاجتماع المشترك
لمجلس الشعب
واللجنة المركزية

٢١ صفر ١٣٩٣ هـ
٢٦ مارس ١٩٧٣م

أعلن الرئيس أنور السادات اننا دخلنا « مرحلة المواجهة الشاملة مع العدو » ، وأنه سيتولى بنفسه رياسة الوزارة فى هذه المرحلة .

وقد تحدث الرئيس بالتفصيل وعلى مدى ساعتين كاملتين - فى الاجتماع الموسع أمس لاعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب - عن الاتصالات الدولية والتطورات العربية والداخلية التى سبقت مباشرة الدخول فى المرحلة الجديدة - التى تبدأ من الان - وهى مرحلة « المواجهة الشاملة » التى يتحمل كل مصرى مسئوليته فيها .

وضغط الرئيس فى حديثه - مبدأين التزمت بهما حركة مصر فى الاتصالات الدولية ولم تحد عنهما طول الوقت :

الاول : لاتفريط فى شبر من الارض ، والثانى : لا مساومة على حقوق شعب فلسطين . وفى اطار هذين المبدأين يتم الاعداد العسكرى والنشاط الدبلوماسى .

لاتفريط فى شبر من الأرض ولامساومة على حقوق شعب فلسطين

السيد الرئيس محمد انور السادات يقول في الاجتماع المشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية
سنبقى دائما في كل الظروف ممسكين بازمة الحوادث نقودها ولا تقودنا ..

وفيما يلى محضر كامل للبيان الذى القاه الرئيس فى الاجتماع المشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية :

لقد فكرت فى هذا الاجتماع جريا على التقاليد التى أرسيناها معا والتى اثبتت الممارسة صلاحيتها

وكان التزامى أمامكم - وسيبقى هذا الالتزام - ان اجىء اليكم عند كل علامة بارزة على الطريق واضع أمامكم ما عندى ، وأسمع منكم ونديد حوارا نخرج منه عارفين اين تكون خطوتنا التالية ومكانها على خط سيرنا وما ننتظر منها وماذا نتحمل فى سبيلها .

وذلك يحقق لنا ضمانات ، اننا نمارس ديمقراطية ونراجع انفسنا باستمرار ولا نستسلم للمصادفات او المفاجآت ، وانما نبقى فى كل الظروف ممسكين بأزمة الحوادث نقودها ولا تقودنا .

واليوم أشعر أننا أمام علامة بارزة استوجبت الدعوة الى هذا الاجتماع .

تذكرون اننا التقينا هنا فى يوليو الماضى عندما اتخذت قرارات بشأن الخبراء والمستشارين السوفيت كان ذلك علامة بارزة فى عملنا . ويجب ان نتذكر ان هذا القرار لم يكن عملا عدائيا ضد الاتحاد السوفيتى لان موقفنا معه موقف الصديق ، وانما كان قرارا اتخذناه لانفسنا وبأنفسنا ولدواعى مصلحتنا معه [*] ثم عدنا الى الاجتماع فى اكتوبر معا بعد اتصالات مع الاتحاد السوفيتى فى محاولة لاستجلاء الامور .

واليوم ومع تطورات مهمة فى كل الميادين اعتقد اننا امام علامة بارزة اقتضت ان ادعوكم للاجتماع اليوم لان هناك علامة بارزة فى طريق نضالنا .

المعركة .. نقطة انطلاق

تذكرون انه فى أول مايو ١٩٧١ وفى خطابى فى حلوان قلت بالحرف الواحد انه لابد لنا ان نتخذ من هذه المعركة نقطة انطلاق لبناء جديد . وضربت مثلا يومها بمعركة الاتحاد السوفيتى عام ١٩٤١ وكيف اتخذ من هزيمته فى صيف ١٩٤١ عندما وصل الالمان الى ١٥ كيلومترا من موسكو ، اتخذ منها نقطة انطلاق لاعادة البناء الى جانب تحرير الارض .

ضربت هذا المثل وقلت حتى لو انتصرنا فى معركتنا ولم نعد بناء الدولة وبناء الشعب وبناء الفرد على أساس من العلم والايمان حتى لا نتخلف عن العصر الذى نعيش فيه وفى نفس الوقت نتمسك بمقومات أساسية لا يمكن لنا ان ننزعها ولا يمكن أن نحقق اى شىء اذا أهملناها او تخليناعنها .

على اخواننا العرب أن يراجعوا موقف أمريكا ويزنوه بميزانه ..

من هنا يبدأ كلامى معكم اليوم ، انه ما لم نجعل من هذه المعركة نقطة انطلاق لبناء جديد كامل فى كل اتجاه مثل بناء القوات المسلحة وبناء المصانع وبناء الافراد .. اذا لم تكن المعركة نقطة انطلاق لبناء جديد فلن يكتب البقاء لشعبنا ، وسنتعرض لغزوات مماثلة ونظل متخلفين عن مسئولياتنا وعصرنا الذى نعيش فيه ، وهذا معناه الفناء أو الهزيمة الكاملة لهذا الشعب .

مرحلة المواجهة الشاملة

اليوم اريد ان استعرض معكم .. ونحن أمام علامة بارزة من علامات النضال .. واصفها بالوصف الذى يجب ان نلتزم به جميعا .. المرحلة التى نبدأها بقراركم اليوم هى « مرحلة المواجهة الشاملة » .

بعد ان نؤمن جميعا بنتيجة ما أسرده أمامكم من عمل فى الداخل والخارج ، بعد أن ندرس ابعاده علينا ان ندخل مرحلة المواجهة الشاملة ونحن نؤمن بقدرنا لكى لا نضل او نتردد ، كما حدث للبعض فى الفترة الماضية . ان المرحلة الجاية مرحلة المواجهة الشاملة بكل أبعادها .. لماذا ؟

فى الفترة الماضية ومنذ العدوان على مدى خمس سنوات ونصف السنة دخلنا مراحل كثيرة ، مرحلة الصمود .. مرحلة الاستنزاف .. جهد دبلوماسى فى كل اتجاه .. عرضنا مبادرات وقبلنا مبادرات .

كل ما يمكن عمله عملناه . ولكن كان التزامنا دائما من أول يوم بمبدأين :

ـ لا تفريط فى شبر من الارض

ـ لا مساومة على حقوق شعب فلسطين .

فى كل هذه المراحل وحتى هذه اللحظة ، كان التزامنا هذا قائما لانه محدد اتفقنا عليه وقررناه لانه نابع من ضمير شعبنا ومن ارادته .

ما الذى تم فى المرحلة الماضية ؟

الوضع الخارجى : فى الفترة الاخيرة كان لنا ولا يزال نشاط دبلوماسى مكثف مع القوى الخمس الكبرى ومع غرب اوروبا ومع آسيا ومع الدول غير المنحازة .. ومع العالم كله .. ومع الامم المتحدة .

وكنا فى هذه الفترة نسير على خطين متوازيين : الاعداد العسكرى ، والنشاط الدبلوماسى الاشتراكى الذى التزمنا به فى الميثاق وفى بيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى الذى أضفته انا الى بيان ٣٠ مارس .

الموقف العربى

ونجى نستعرض الان نتيجة الجزء الذى تم الى وقتنا هذا من نشاطنا الدبلوماسى :

اولا ـ الموقف العربى : فى الموقف العربى سلبيات كثيرة للاسف ، ولكن ايضا فيه ايجابيات ، صحيح اننا لم نعقد مؤتمر قمة وربما لم يكن هذا الوقت مناسبا الان .. لانه فى تقديرى ويقينى ان عقد مؤتمر

لقد بدأت حملة تشكيك وحرب نفسية شرسة ضدنا منذ يناير ١٩٧٢ وقد نبهت عنها فى ذلك الوقت ، ففى أول يوم من يناير ٧٢ وقف وزير خارجية أمريكا ليعلن انه رغم تفوق اسرائيل فستعطيها أمريكا السلاح حتى تضمن لها التفوق باستمرار ، وظلوا بين وقت وآخر يسربون اخبارا .. مرة عن زوارق حربية .. ومرة اخرى عن اتفاقية التصنيع التى عقدت فى نوفمبر ١٩٧١ لتصنيع الاسلحة الامريكية ، داخل اسرائيل . وكان الهدف من هذه الحرب النفسية هو ضرب جبهتنا الداخلية . لقد انتصرت اسرائيل فى معركة عسكرية سنة ٦٧ ولكنها لم تحقق انتصارا سياسيا وبقيت المشكلة اعقد مما كانت .

لقد كان هدفهم من أول عام ٧٢ هو ضرب الجبهة الداخلية بحرب نفسية شرسة تقول للعرب انه لا فائدة .. اسرائيل متفوقة وسنجعلها متفوقة أكثر ولا سبيل امامكم الا التسليم بشروط امريكا واسرائيل ـ وقد نبهت الى ذلك فى احاديثى عام ٧٢ . نتيجة لهذه الحملة الشرسة اصبحت توجد فى العالم العربى فجوة تصديق .. لم يعد أحد يصدق ان احدا لديه القدرة لخوض معركة نجحت امريكا واسرائيل فى أن يحدثا فجوة تصديق فى العالم العربى . ولهذا لا يمكن الدعوة الى عقد مؤتمر قمة قبل ان تزول فجوة التصديق . وبالرغم من أنه لم يعقد مؤتمر قمة ، الا أن هناك اتصالات ثنائية ، وعلى سبيل المثال فان دولة اتحاد الجمهوريات العربية التى تضم مصر وسوريا وليبيا ، تتقدم بخطوات وئيدة ولكن على أرض صلبة لتكون نواة حقيقية لعمل موحد .

وانتهز هذه الفرصة لاحيى شعب سوريا والقوات السورية المسلحة على الجبهة الشمالية التى تشكل جزءا من الجبهة ومن القيادة الموحدة ، كما احيى الشعب الليبى وقادته الذين يشاركوننا فى معركتنا ويقفون معنا لمواجهة المصير .

وهناك اتصالات ثنائية ولها نتائج ايجابية فعلا ، ولم يحن الاوان للافصاح عنها الان ، ومن الخير أن نجعلها تستمر دون أن يعرف أعداؤنا شيئا عنها . المهم المعركة ، والمعركة قبل كل شىء وفوق كل شىء . هناك اتصالات ثنائية وايجابية بالنسبة للموقف العربى بالرغم من السلبيات التى نراها أخيرا مثل

الموقف بين العراق والكويت والموقف بين الاردن والمقاومة ٠

الاتصالات مع العالم

ثانيا ـ الموقف بالنسبة للدول الخمس الكبرى :

بدأنا حملة اتصالات مكثفة ومستمرة حتى الان ، وقد بدأنا بالخمسة الكبار الذين يملكون حق الفيتو فى مجلس الامن وعليهم التزام نحو السلام ٠٠ سلام العالم ككل بصرف النظر عن الاتجاهات لاى قوة من هذه القوى ٠

وقد بدأ حافظ اسماعيل بزيارة الاتحاد السوفيتى . وهنا يهمنى أن أقرر امامكم اننا وضعنا فى هذه الزيارة ثم فى زيارة الفريق أول أحمد اسماعيل فى فبراير الماضى علاقاتنا الودية مع الاتحاد السوفيتى فى اطارها الصحيح وعلى خطها المستقيم تماما ، وكان ذلك هدفا من أهدافنا ٠ وبعد جلستين طويلتين بين بريجنيف وحافظ اسماعيل وأحمد اسماعيل أستطيع أن أقول أننا وضعنا علاقاتنا فى اطارها الصحيح الذى نرضى عنه جميعا ، وهذا هدف من أهدافنا ٠

بعد ذلك سافر حافظ اسماعيل الى لندن وقابل رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وأمامه قالت بريطانيا أنهم ملتزمون بالموقف الذى اتخذوه فى هاروجيت بالنسبة لقرار مجلس الامن وبالنسبة للقضية ، ولا جديد فى موقف بريطانيا ٠

هذا هو موقف أمريكا

ثم سافر حافظ اسماعيل الى واشنطن وظهر كلام كثير عن هذه الزيارة لان الملك حسين كان قد زار واشنطن ومائير كانت على وشك الزيارة ٠ غير أننا كنا قد أعلنا عن خطتنا قبل ذلك بوقت طويل

ولكى نكون واضحين فان حافظ اسماعيل لم يذهب الى واشنطن بمبادرة من عندنا ولا يسمع مبادرة من عندهم ٠لقد ذهب الى أمريكا بوصفها دولة كبرى ليسمع منهم تفكيرهم ولهم علاقاتهم القوية باسرائيل ٠ وكان لابد أن نستكشف آراء أمريكا لانها طرف أساسى فى القضية حافظ اسماعيل قابل نيكسون وروجرز وكيسنجر ٠ ويهمنى أن أحدد موقفنا الذى سافر به حافظ اسماعيل حتى نكون واضحين ٠ موقفنا كما وصفه أمامهم جميعا ، هو الموقف المبدئى الذى التزمنا به هنا أمام شعبنا ، لانه الموقف الوحيد المقبول منا ومن شعبنا قال لهم ، ليس لدينا مبادرات ٠

واستمعنا للموقف الامريكى ، ويؤسفنى أن أقرر أمامكم ، ان خلاصة الاتصالات مع أمريكا لا تؤشر الا الى مؤشر واحد هو ، ان علينا نحن أن نقدم تنازلات حتى يمكن أن نتحرك القضية ، لا أن تحل ٠ تنازلات فى أشكال كثيرة متعددة ومعلنة ٠

قالت أمريكا أنها لا تستطيع ولا تملك الضغط على اسرائيل ، صحيح كان هناك موقف ايجابى من الرئيس نيكسون عندما قال لحافظ اسماعيل : ان المشكلة هى كيف يمكن أن نوفق بين سيادة مصر الكاملة على

يجب بناء الدولة جنبا إلى جنب مع المعركة والإلك يكتب لنا البقاء

أرض مصر ، وبين مقتضيات الامن الاسرائيلى ٠ هذا الكلام بشكله الظاهرى ايجابى واذا أردنا حله وكشف عقلية المسئولين الامريكيين ، يفسره ما قاله ايبان أخيرا ان أمريكا تنسق مع اسرائيل ولم تنف امريكا هذا الكلام . وتعمدت تسريب أخبار صفقة الفانتوم الاخيرة لردع العرب . كيف يمكن التوفيق بين السيادة المصرية وأمن اسرائيل ؟

لقد قال لهم حافظ اسماعيل أننا لا نفرط فى شبر من الارض ولا نساوم على حقوق شعب فلسطين ولا نقبل حلا جزئيا ولا تسوية منفردة ٠

ويأتى كلام الامريكيين كله متجها الى مقتضيات الامن الاسرائيلى ، وتحت هذه المقتضيات تأتى التنازلات

- **نزع سلاح سيناء مرفوض**
- **اعطاء اسرائيل أى حق على أرضنا تحت غلاف السيادة فى أى صورة مرفوض ٠**
- **لا تنازل على أى صورة من الصور نحن نعنى ما نقول ٠٠ لا تفريط في أى شبر من الارض ، وسيادة مصر على أرضها كاملة ، ولا نقبل حلا منفردا ، ولا نفرط فى أى شبر من الارض العربية ولا تفريط فى حقوق فلسطين ٠**

خلاصة الموقف الامريكى مطلوب تنازلات معلنة لاسرائيل حتى ترضى وتتحرك القضية ٠ وانه ليس لامريكا قوة ولا امكانية للضغط على اسرائيل ٠

وفى حديث روجرز مع حافظ اسماعيل ، لم يكن عند روجرز غير الحل المرحلى وفتح القناة وحل القضية على مراحل ، ونحن نرفض ذلك ٠

خلاصة الموقف الامريكي مع الاسف ، مطلوب منا تنازلات علنية حتى تتحرك القضية لا أن تحل ، مع العلم من جانبنا بأن أمريكا لا يمكنها أن تضغط على اسرائيل ٠

هذا الموقف تفسره زيارة مائير والاعلان عن صفقة السلاح وهذا موضوع يشكل خطورة ستشعر بها أمريكا بعد ذلك ٠ سلوك أمريكا وتزويدها لاسرائيل لنجاحه يمثل صدمة ولا يكون فى صالح المعركة

كل واحد منا
يحمل قدره
على يده
للمرحلة المقبلة

بمزيد من السلاح لاحتلال أرضنا موقف فى غاية الخطورة ، ويزيد من خطورته ما قاله ايبان من أن هذا الموقف ردع للعرب · وهذا موقف خطير وعلى أمريكا أن تتحمل مسئوليته بالكامل ·

فى نفس الوقت على اخواننا العرب أن يراجعوا هذا الموقف ويزنوه بميزانه ·

فى بون حافظ اسماعيل قابل فى طريق عودته برانت مستشار ألمانيا وموقف ألمانيا كما هو وأبلغوه أنهم يريدون أن يلتزموا بنوع من الحياد بين الطرفين ، ومحاولة القيام بدور اذا استطاعوا ذلك ·

أما فرنسا فكانت مشغولة بمعركة الانتخابات وسوف يتم الاتصال بها ، رغم أننا كلنا نعرف موقفها · وسوف نتصل بها بوصفها دولة كبرى لنطلعها على آخر موقفنا ونعرف منها كل ما يجول بخاطرهم ·

ومن الصين تلقيت تقريرا من الدكتور الزيات · وموقف الصين موقف مبدئى فى تأييدنا بالكامل ·

الوضع متفجر جدا

واتصالاتنا لم تتم فقط مع الخمسة الكبار ، انما جرت أيضا مع أقطاب عدم الانحياز ·· يوجوسلافيا والهند ·· وتمت أيضا بالكتلة الشرقية حيث قام المهندس سيد مرعى بزيارة خمس من هذه الدول · والدكتور الزيات يكمل الان رحلته فى آسيا ·

بهذا نكون قد غطينا الموقف العربى وموقف الخمسة الكبار ، والاتصالات المكثفة مستمرة فى كل اتجاه ·

والهدف من هذا النشاط الدبلوماسى المكثف كما قلت ، اننا لا نعرض مبادرات ولا ننتظر مبادرات ، انما نريد أن نطلع العالم كله على ما وصلت اليه المرحلة التى نجتازها وكيف أن الوضع أصبح متفجرا وقابلا للانفجار فى أى لحظة ·

وفى الرسائل التى وجهتها الى الخمسة الكبار قلت لهم ان الموقف على وشك الانفجار وعلى كل مسئول فى العالم أن يتحمل مسئوليته ازاء السلام العالمى ، فالقضية لم تعد تحتمل أكثر من ذلك ·

كنا نسير ولا زلنا نسير فى خطين متوازيين :

- بناء واعداد عسكرى بكل ما نستطيع ·

- ونشاط سياسى مكثف ·

نخرج من هذا الجزء لنتقدم نحو المرحلة القادمة · ولن يتوقف العمل السياسى والدبلوماسى لا قبل المعركة ولا فى أثنائها ولا بعدها - النشاط السياسى والدبلوماسى مستمر قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة ·

المواقف أصبحت واضحة

نخرج من هذه المرحلة بالنتائج التالية :

١ - **الاتحاد السوفيتى** يؤيد موقفنا ويتفهمه ويقف معنا · وقد عادت علاقاتنا معه كما كانت ووضعناها فى اطارها الصحيح الذى كنا نحرص عليه ·

٢ - **أمريكا** ·· بعد كل ما قلته يتضح تماما أنهم يطلبون منا أن نسلم على مراحل أو أن نقبل حلا جزئيا أو منفردا ·· تنازلات تنتهى كلها الى التسليم على مرحلة أو مراحل · وتصر أمريكا على أمر آخر هو المفاوضات بيننا وبين اسرائيل . وهنا يهمنى أن أقرر أمامكم أن ذلك مرفوض ·

أمريكا أعلنت أنها تمد اسرائيل بالسلاح · وأعلنت أنها ستحتفظ بالتفوق لاسرائيل لتردع العرب · وسربت عمدا أنباء عن معونات مستمرة لاسرائيل ·· الشواهد كلها تشير الى أنها عملية حرب نفسية على جبهتنا الداخلية · فقد تعهدت أمريكا لاسرائيل بالتفوق حتى ييأس العرب ·

النقطة الواضحة هو موقف أمريكا · وهو عنصر أساسى من عناصر المعركة · تصعيد الموقف بالاتفاق مع اسرائيل لزلزلة الجبهة الداخلية . يريدون أن يهدموا ارادتنا من الداخل بعد أن استطعنا أن نبنى جبهتنا العسكرية ·حتى ننفجر من الداخل ونختلف على أنفسنا فلا يمكن لقوتنا أن تقوم بمعركتها · واذا حدث انفجار داخلى فلن تكون اسرائيل وأمريكا فى حاجة الى معركة وتنتهى القضية وننتهى كشعب وتتحقق أهداف اسرائيل وأمريكا ·

كيف يحس العالم بنا

أردت أن أخرج بهذا الدرس الى العالم · وعايز أقول لكم حاجة ·

فى غرب أوربا قالوا لنا :

لابد أن يحس العالم بكم ويعرف قضيتكم · وأنتم وحدكم القادرون على أن تجعلوا العالم يحس بكم · لا أمريكا ولا روسيا ·

نريد مدعى اشتراكى يحمى الأموال العامة ويحمى المجتمع من الإنحراف.

خلاصة الموقف: أن نأخذ مسئوليتنا كاملة بتحرك عسكرى جاد وتحرك سياسى جاد • وبدون ذلك لن يحس بنا العالم • وتظل القضية معلقة • وأقصى ما نصل اليه هو حل جزئى أو مرحلى •

هذه المرحلة علامة بارزة •• مرحلة المواجهة الشاملة • وقد كان مقررا أن يعقد هذا الاجتماع فى نوفمبر الماضى بناء على حسابات فى الصيف • وفى افتتاح مجلس الشعب فى نوفمبر الماضى • قلت اننى فى أغسطس دعوت رئيس الوزراء وأمين الاتحاد الاشتراكى ووزير الحربية وأعطيتهم تصورى عن المرحلة • وكان تخطيطى أن تدخل هذه المرحلة فى نوفمبر الماضى • لكن لظروف لم يحن الاوان للكشف عنها تأجلت ـ وكان هذا محسوبا منذ الصيف الماضى ـ وهذا معناه أننا نسير بخطة وليس نتيجة لاحداث أو متغيرات •

الدرس الذى خرجنا منه بوضوح هو أنه لابد أن تدب الحياة فينا ونقول للعالم أننا أحياء ونستطيع أن نغير الموقف عسكريا وسياسيا • ولا يكفى أن ننتصر: بل لابد من البناء ونحن مؤهلون لذلك • يجب بناء الدولة جنبا الى جنب مع المعركة • والا لن يكتب لنا البقاء •

بناء الدولة الجديدة

أنتقل للجزء الداخلى فى المرحلة الماضية •• فى مستهل كلامى قلت لكم انه فى مايو سنة ٧١ وقفت فى حلوان وقلت لابد أن نجعل من هذه المعركة منطلقا لبناء جديد • والا كتب على شعبنا الضياع نهائيا • لا يكفى أن ننتصر فى المعركة، لابد من البناء الجديد القائم على كل ما فى العصر من علم وتكنولوجيا ونحن لا ينقصنا لا العقول ولا القواعد الصناعية ولا الكادرات ولا أى شىء • موجود عندنا كل شىء ومؤهلين أن ندخل هذا العصر بخلاف دول كبيرة مثلنا • نحن مؤهلون تماما بل أجزاء منها موجود •

أقول انه بدون أن نتخذ من المعركة نقطة انطلاق أن تكتب لشعبنا الحياة، وضربت مثلا كما قلت بالاتحاد السوفيتى •• الاتحاد السوفيتى فى عام ٤١ كان التفوق العلمى والفنى الالمانى عليه أضعاف أضعاف تفوق اسرائيل علينا • أضعاف أضعاف • بل ان المانيا أخذت العالم كله بما فيه الدول الصناعية العظمى على غرة . عشرة سنين ظل هتلر يجهز فيها نفسه، تماما كما ظلت اسرائيل تجهز نفسها عشر سنين من ٥٧ •

أخذ هتلر الدول الصناعية الكبرى على غرة •• انجلترا كانت دولة صناعية من الدرجة الاولى •• أمريكا كانت دولة صناعية من الدرجة الاولى •• فرنسا كانت دولة صناعية من الدرجة الاولى •• مع ذلك لان هناك واحدا ظل يجهز نفسه عشر سنوات والثانى نايم، أمكن أن يأخذ فترة زمنية تفوق فيها الالمان ليس فقط على روسيا التى لم تكن دولة صناعية درجة أولى • كانت دولة عادية • فهو تفوق على الدول الصناعية الدرجة الاولى لانهم لم ينتبهوا وكان هو منتبه ويرتب نفسه كما حدث بين اسرائيل وبيننا •

أقول انه ما لم يسر البناء، بناء الدولة الجديدة الى جانب المعركة الاثنين فى وقت واحد لن يكتب لشعبنا البقاء •• الاتحاد السوفيتى ظل ثلاث سنوات يحارب حربا شرسة الى أن أخرج الالمان من أرضه، ولكنه لم يقف أكمل البناء الجديد الذى جعل الاتحاد السوفيتى قوة من قوتين كبيرتين فى العالم اليوم طلعوا القمر وأرسلوا لوناخود على القمر، وعندهم تكنولوجيا، وعندهم صواريخ عابرة، وتذهب أمريكا تتفق معهم ويسافر نيكسون الى موسكو لكى يتفق معهم • لماذا •• أقاموا البناء الى جانب تحرير الارض •

هذا ما قصدته اذا لم تكن المعركة نقطة انطلاق لبناء جديد، فحتى لوكسبنا المعركة عسكريا وحررنا أرضنا بعد ٥ سنين سنكون فى وضع أسوأ ويعتدى علينا مرة أخرى وسيكون أبعاد الاعتداء أمام التقدم العلمى الرهيب الذى يسير فى العالم أكثر من أبعاد ما وقع علينا • وتكون الهزيمة ألعن مما وقع فى سنة ٦٧ •

هذا التفسير لكلامى ما لم نجعل من المعركة نقطة انطلاق لبناء جديد يبقى احنا بنقامر بمصير شعبنا أمام الله وضمائرنا وأمام شعبنا والاجيال القادمة

ماذا حدث فى الداخل أحنا حكينا عن اللى حصل فى الخارج وطلعنا بالدرس المستفاد، ماذا حدث فى الداخل احنا بدأنا مسيرتنا منذ عبد الناصر • بالميثاق وبيان ٣٠ مارس • فى ٢٨ سبتمبر سنة ٧٠ توفى عبد الناصر تحملنا كلنا المسئولية ومضينا الى ان جاء ١٥ مايو فى ١٥ مايو قلنا هنا علامة من علامات الطريق، الميثاق هو دليلنا تماما، بيان ٣٠ مارس هو

الاساس اللى الشعب اعطانى ثقته وانتخبنى على أساسه هذه هى الوثائق الاساسية ما بعد ١٥ مايو وهو استمرار للميثاق ولبيان ٣٠ مارس ولكن بعد ١٥ مايو وبعدما تكشف لنا ما تكشف كشعب ناديت قلت علشان نطبق الميثاق التطبيق السليم ونمارس الممارسة الديمقراطية السليمة الواردة فى بيان ٣٠ مارس · يبقى انه لابد ان نأخذ بدولة المؤسسات وسيادة القانون من هنا بيكتسب ١٥ مايو أهمية مش لانه تاريخ ثورة جديدة أبدا ثورة ٢٣ يوليو ثورة واحدة لا تتجزأ وثائقنا وثائق ثابتة .. الميثاق . بيان ٣٠ مارس · ووضعت انا بعد ١٥ مايو برنامج العمل الوطنى · وثائقنا ثابتة لكن بعد ١٥ مايو لكى نطبق الميثاق ولكى يشترك الشعب كله فى حمل المسئولية قلنا دولة المؤسسات وسيادة القانون ووضع مجلس الشعب القوانين المنفذة للدستور ومنها قانون الحريات حصلت المناقشات فى مجلس الشعب ، وبدأ كل انسان بعد ١٥ مايو يحس تماما بمسئولية فى المرحلةو فى المعركة اللى أحنا عايشنها وعندما أقول المعركة فالمعركة قائمة منذ العدوان ومن قبل العدوان ، انما دخلت فى دورها بعدوان ٦٧ فى الدور النهائى لها · نحن فى معركة من ٦٧ مش جديد الذين يريدون التشكيك فى المعركة ·

أحنا فى المعركة من ٦٧ والمعركة قائمة من ٦٧ قلنا علشان نطبق الميثاق ونطبق الخط الاشتراكى بتاعنا بنعمل دولة المؤسسات وسيادة القانون ونعطى ضوابط للسلوك الديمقراطى ، كيف العلاقة بين المؤسسات وبعضها وبالتالى بين الدولة كلها كدولة وبينها وبين الشعب · لابد ان أكون صريحا معاكم ، آمالى فى هذه الناحية بالقدر الذى كنت أريده لم يتحقق بالنسبة لدولة المؤسسات او سيادة القانون لماذا · بعض الاوضاع والحساسيات القديمة فرضت نفسها ، بعض القوى لم تعرف دورها فى الممارسة الجديدة · قواعد الممارسة نفسها كانت دائما محفوفة بخطر بعد الظروف التى عشناها كلنا واللى انتم عشتوها · قواعد الممارسة التى نبهت عنها فى مجلس الشعب محفوفة بالمخاطر ، كلها يعنى فى مثل هذا الموقف · وأنا قلت فى مجلس الشعب انه لابد ان الانسان يتجاوز ويكون فيه شىء من التجاوز لكى تكمل التجربة · يعنى معناها انه تحصل اخطاء وتصلح الاخطاء لكن المسألة تعدت هذا لانه كما قلت توجد حساسيات وكما قلت هناك ناس لم يقدروا على تحمل الدور المطلوب منهم تماما وكما قلت وهذا اخطر نقطة ، الممارسة فهمت خطأ ، والناس يتكلمون عن الصراع بين الحكومة والاتحاد الاشتراكى ، وبين الاتحاد الاشتراكى والحكومة ، وبين مجلس الشعب والاتحاد الاشتراكى ، وبين مجلس الشعب والحكومة فى دولة مؤسسات ، هذا مش ممكن لان ذلك يعنى دولة متناقضات وليس مؤسسات ·

علما بأنه فى وسط هذا كله يحكمنا ظرف قاهرو هو المعركة · ولا نستطيع ان نؤجل المعركة الى ان نرتب انفسنا ونرتب الممارسة لانه لا مصلحة وطننا ولا المرحلة التاريخية اللى بنمر بيها ولا مرحلة الظروف الدولية التى تحيط بنا والتى تحدثت لكم عنها والتى أسفر عنها اتصالنا بالعالم كله تسمح ان تنتظر المعركة حتى نرتب انفسنا فى الداخل فالمعركة ملحة تماما كما ان الممارسة السليمة ودولة المؤسسات وسيادة القانون ملحة ولابد ان يسير الاثنان معا ماذا حصل ونتيجته الصراعات التى طلعت من داخلنا · اسباب البلبلة فى موقفنا نحن خلقناها من داخلنا وانعكست طبعا على العالم من حولنا وانا نبهت لهذا كانت نتيجة ذلك كانت نتيجة التضارب الذى فى اجتماع عام فى مجلس الشعب ونبهت فى اجتماعى مع اللجنة الدائمة لمجلس الشعب ونبهت فى اجتماعى مع الصحفيين الذين حضروا · نتيجة هذه التناقضات حصلت بلبلة لنا وعكسنا هذه البلبلة من حولنا على العالم بل وهذا ما ساءنى فعلا اننا شوهنا سمعة مصر بدون داعى . بيان يطلع باسم طلبة وانتم كلكم تعرفون أن هناك ٢٥٠ ألف طالب فى الجامعات والمعاهد العليا والذين قبض عليهم فى ديسمبر يبلغ عددهم ٤٨ تقريبا هل هؤلاء يمثلون طلبة مصر · نحن الذين بلبلنا أنفسنا من يريد البلبلة فى وسطنا · كما قلت لكم انه نتيجة للحملة التى ابتدأت فى أول يناير ٧٢ بواسطة المستر وجرز والتصعيد اليوم الذى طلع سنة ٧٣ بعد زيارة جولدا مائير والاعلان بأنه لردع العرب انما يقصد ان يبلبلوا جبهتنا من الداخل وننقسم على أنفسنا وننفجر على أنفسنا من داخلنا هذا هو هدف العدو فى الخارج · الداخل نحن بنعمله ونهيىء له الجو ولحسن الحظ ونحمد الله ان أثر كل هذا كان محدودا جدا وانما أحدثكم عنه لانه يشكل علينا خطورة بالنسبة للمرحلة القادمة مرحلة المواجهة الشاملة فلا نتحمل ابدا ان نمر فى مراحل بلبلة نكون نحن الذين نعملها بأنفسنا ·

قانون حماية المجتمع

ومن ناحية أخرى لاشك أن عندنا فى الجهاز الحكومى أوضاع بيروقراطية . أيضا أوضاع ناشئة فى مصالح الناس الروتين والبيروقراطية اخطبوط رهيب جاثم على صدور الناس كلها وهو ايضا من ضمن العوامل نتيجة لهذا حصل نوع من التسيب السياسى فى البلد للتشكيك فى كل شىء أى قرار يصدر يتعرض للتشكيك · لا توجد خطة · الدولة ليس بها خطة · وهبطوا الى شن الحملات الشخصية على الاشخاص التى ربما وصلت الى اسماعكم نوع غريب من التسيب السياسى أكبر ظاهرة فيه هى التى جرت فى الجامعات والذى وقع فى الجامعات كان من بدء الصيف الماضى وليس من بدء فتح الجامعات · أنا اتكلمت فى مجلس الشعب عن هذا · ده ماشى من الصيف الماضى تكملة لحركة ٧٢ الاولى اللى اتشكلت

فيها ما يسمى بلجنة الطلبة العليا ولما دى مانجحتش وانتهت الحركة واعترف فيها الناس من القائمين بالادوار اللى قاموا بيها • لكن جينا فى المؤتمر القومى وقلنا نسامحهم ونوديها الجامعات راحت الجامعات ولم يحقق فيها •

واستمر النشاط حتى أكتوبر ٧٢ مابقاش عشان يغيروا الاسم لكن الهدف هو • بدل لجنة الطلبة العليا لجنة الدفاع عن الديمقراطية والدفاع عن الحريات • قبلها زى ماحكيت لكم فى مجلس الشعب حصلت فى جامعة عين شمس الندوة اللى اطلقوا عليها ندوة فكرة عبد الناصر اللى ارادوا بيها ان يطلعوا عبد الناصر ماركسى • طيب أمال عمل تحالف قوى الشعب العاملة ليه • ده انا هنا فى ٢٨ سبتمبر هنا فى هذه القاعة واحنا فى ذكراه بأقول ان من عبقريات عبد الناصر حتمية تحالف قوى الشعب العامل . هذه النظرة اللى ابتكرها ليه . لانه زى ما حكيت لكم فى ٢٨ سبتمبر الراجل ما يستلهمش الا من تراب هذا البلد وطينته وطبيعته وتكوينه وأهدافه والمرحلة اللى بيمر بها طيب ما كان ممكن يقول ديكتاتورية حزب أو ديكتاتورية البروليتاريا أو تعود احـــزاب أو أى حاجة • لا قال تحالف قوى الشعب العامل • بنقول ان العمل هو المقدس قال هذا عبد الناصر كل من يتقاضى عن عمله راتب ومعندوش غيـره من أول رئيس الجمهورية الى أصغر واحد كلنا عمال والعمل هو اشرف شىء

فى الندوة دى بيطلعوه انه ماركسى وزى ما قلت لكم راح لهم استاذهم وقال لهم الكلام ده اللى بتقولوه مش فكر عبد الناصر • الكلام الذى تقولونه ماركسية فكر عبد الناصر موجود فى خطبه وفى وثائق الثورة وفى فلسفة الثورة وفى الكلام الذى تركه عبد الناصر • موجود ومطبوع ومكتوب ومسجل • وحتى الكلام كله • ولسنا فى حاجة لاحد يبحث لنا عنه يجيبه لنا موجود عندنا مسجل • بدأت منـذ ذلك يعنى فى الصيف بدأت بهذه وبعدين دخلت على الجامعـات وابتدى احنا بنقول الوثائق الاساسية عندنا بعد ٣١ مايو هى نفسها الوثائق اللى قبل ١٥ مايو • الميثاق وبيان ٣٠ مارس وأنا اضفت عليه برنامج العمـل الوطنى بعد ٥ مايو • ابتدأت قوى لها مصـالح تتحرك • القض سيقراحت للمدعى الاشتراكى الـذى حولت له • والذى ارجوه من مجلس الشعب ان يصدر قانونه •

انا كل ما يهمنى سلامة المجتمع وبأرجو ان يصدر **مجلس الشعب قانون المدعى الاشتراكى لحمـاية المجتمع •• فلا يوجد مجتمع فى الدنيا الا وله حماية**

المدعى العام فى أمريكا وهو وزير العدل بيحمى النظام الرأسمالى • المدعى الاشتراكى فى المعسكر الاشتراكى فى روسيا وفى غيرها بيحمى النظـام الاشتراكى • هنا نريد مدعى اشتراكى يحمى هذا النظام • يحمى الاموال العامة ويحمى المجتمع من الانحراف •• القاضى لا سلطان عليه الا لضميره •• ويجب ان نشجع هذا حتى نعطى ضمانة لشعبنا لكى يثق فى من يقف لحماية مصالح المجتمـع • ولذلك اطالب بأن يصدر قانون المدعى الاشتراكى بجميع اركانه •

الذين أشاعوا البلبلة

نتيجة لقولنا دولة المؤسسات وسيادة القانون • ابتدت عناصر انضرت من التغيير اللى حصل فى ١٥ مايو • كلنا نعرفهم •• بتوع التنظيم الطليعى • جزء كبير من اليسار اللى كان ارتباطه بمراكز القوى لان مراكز القوى كانت شغالة باليسار . ولنتكلم بصراحة وكلكم يعرف هذا . والميثاق لما كان فى المعهد الاشتراكى كان بيتفسر على انه ماركسى علشان كده عاوزين يحولوا عبد الناصر ماركسى هؤلاء أضيروا فى ١٥ مايو •

ولذلك أقول أن ١٥ مايو أصبح له أهمية ولازم نعى ونرجع تانى لهذا التنظيم الطليعى زائد الجزء الكبير من اليسار الذى أعتقد صدقا أو كذبا أو مصلحة أو انتهازية أنه أضير فى ١٥ مايو أبتدى كله يتآمر • وفى ظل سيادة القانون ودولة المؤسسات • ومن خلالها تهيأ لهم أنهم يستطيعون النفاذ الى أى وضع •

من أول أكتوبر حتى الان مازالت بعض عناصر شغالة فى هذا • افتكروا أن ده سبيل للتآمر •• بقت سيادة القانون ودولة المؤسسات وقانون الحـريات سبيل للتآمر •• لا **أنا •• لا أتراجع عن دولة المؤسسات ولا عن قانون الحريات ولا عن سـيادة القانون** •• لكن يجب وضع الضوابط ومن هنا تجىء أهمية ان أقول أنه فى المرحلة المقبلة غير مسموح بهذا على الاطلاق • لقد تركنا أربعة شهور وأتفرجنا واتفضحنا فى العالم كله •

طلبة مصر استنجدوا بطلبة العالم • وهم كلهم ناس أمام القضاء وأمام النيابة ستقول رأيها فيهـم •

هم ٤٠ أو ٤٨ طالب ويصور هذا فى الخارج على أساس أنهم طلبة مصر الربع مليون •• ويشـترك صحفيون من عندنا للاسف •• وناس من عندنا يطلعوا هذا الكلام وتهتز الدنيا كلها •• نقبض على دول رؤوس الفتنة بالقانون العام العادل وليس بقانون الطوارىء ، يقولون أين سيادة القانون والمعتقلات • ليس فى مصر معتقل اليوم لقد مر عام ونصف ليس مصر معتقل ولا معتقلين ولا معتقـلات ، هـذا انتهى ومن يقبض عليه يكون بأمر النيابة وبأذن النيابة وباجراء قانونى

لماذا هذا التصعيد •• قالوا فى الكتابات التى عند المدعى الاشتراكى لابد من العنف الثورى أمام أيـدى السلطة المرتعشة • أنهم يريدون تحويل بـلادنا لمجزرة • هذا الكلام مستورد من الخارج وبلادنا لا

البقيـة ص ١٥١

نص البيان
الذى وجهه السيد الرئيس
محمد أنور السادات
إلى الأمة من إذاعة القاهرة
عقب انتهاء الاجتماع المشترك
لمجلس الشعب واللجنة المركزية

٢١ صفر ١٣٩٣هـ ٢٦ مارس ١٩٧٣م

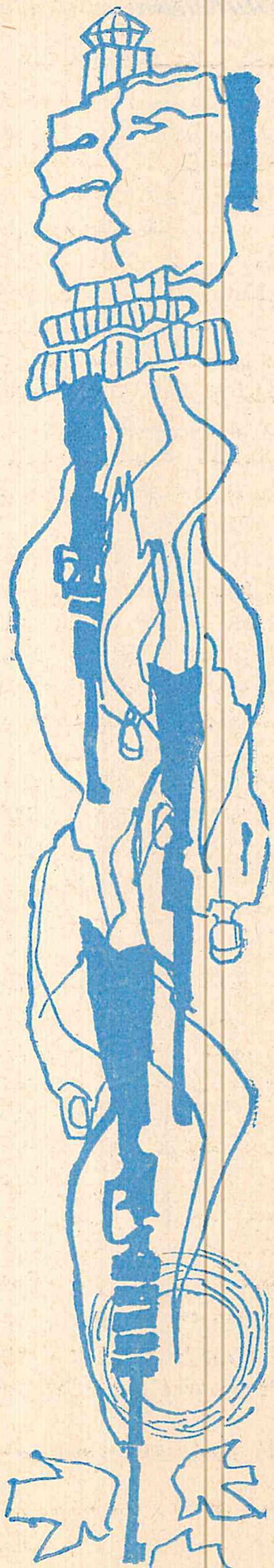

بسم الله .. أيها الاخوة والاخوات يامواطنى شعب مصر :

لقد وجدت أنه يتحتم على أن أجىء اليكم بنفسى لاطلعكم على قرار اتخذناه اليوم بعد مداولات ومناقشات نافعة فى اجتماع مشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب بأن أتولى بنفسى رئاسة الوزارة الى جانب ما أتحمله من مسئوليات تعرفونها .

ولكى تكون أمامكم الخطوط العريضة التى سار عليها تفكيرنا ووصل الهيا قرارنا فلقد وجدت ضروريا أن أطرح عليكم بعض الاعتبارات وأرجوكم أن تفكروا فيها وأن تطيلوا التفكير فيها معى .

أولا - اننى توليت المسئولية الدستورية وأقسمت اليمين أمام مجلس الشعب فى نوفمبر سنة ٧٠ معتبرا أن أمامى ثلاثة التزامات أساسية .

■ **أولها :** الميثاق طريقا للتحول الاجتماعى ومنهاجا للاستمرار .

■ **ثانيها :** بيان ٣٠ مارس تأكيدا للممارسة الديمقراطية وضمانا لمبادئها .

■ **ثالثها :** الاصرار على تحرير الارض العربية المحتلة واصرار على حقنا فى الحرية بل فى الحياة .

على هذه الالتزامات الثلاثة فاننى حملت أمانتى معتمدا على الله وعليكم فى ظروف أنتم أول من يقدر صعوبتها .

●● **ثانيا اننا خضنا معا أنتم وأنا تجربة ١٥ مايو ٧١ وكنا ندرك ان بعض الجوانب السلبية فى تجربتنا العظيمة لم يعد لها الا انتهاز الفرصة لتضرب التجربة ذاتها وتصفى مكاسبها وايجابياتها وكانت** وقفتنا معا فى ذلك اليوم هى التى صانت اطار التجربة العظيمة لثورة ٢٣ يوليو وأزاحت عنه كابوسا كان **يهدده .**

●● **ثالثا - ليس من شك - فى أن عملا كبيرا قد تم انجازه على امتداد قرابة ثلاثين شهرا واجهنا فيها الكثير من المهام والتحديات ولكنى لا أخفى عليكم انه مازالت فى عملنا بعض أسباب القصور كما أن العمل لم يكن فى بعض الاحيان فى مستوى قوة الكلمة .**

وكانت لذلك أسبابه العديدة من بينها أن بعض رواسب الماضى أثرت على الحاضر ولو حتى فى اسلوب التفكير ونتيجة ذلك اننا وجدنا بعض أجهزتنا مشغولة بمعارك جانبية لا علاقة لها بأهداف النضال العام .

من بينها أيضا أن جبهتنا الداخلية تعرضت لمحاولات ضارية من جانب الذين لا يريدون لهذا الشعب أن يمارس حقه ومسئولياته ويسيئهم ويسوء اليهم أن تكون مصر قوية بأمتها العربية وأن تكون أمتنا العربية قوية بمصرها .. مصرها القادرة على شق طريق التقدم الشامل وبلوغ أهدافه الانسانية العظمى .

ومن بينها أيضا أن صعوبة الظروف كانت قاسية على كثير منا ولم يستطع بعضهم أن يفهم حدود أدواره أو الاسلوب الامثل للاداء .

وفوق كل ذلك فلقد كانت عمليات تآمر شرحت ظروفها اليوم أمام اللجنة المركزية ومجلس الشعب . ولقد فشلت هذه العمليات فى تحقيق أهدافها ولكنها أثارت بعض ما كنا فى غنى عنه مما استغل فى الخارج ضد وطننا وصورته .

أيها الاخوة والاخوات : اننى وصلت من ذلك الى موقف وجدت نفسى مضطرا للتوفيق بين اعتبارات متعددة تحقق لنا فى النهاية ما لا نستطيع تحت أى ظرف آخر أن ننساه أو نتناساه .

كنت بين اعتبارين :

■ **أولهما :** ان هناك مهام لابد من انجازها فى الجبهة الداخلية ولابد من انجازها بدون تأخير لانها تشكل أو يمكن أن تشكل خطرا على قوتنا .

وثانيهما : ان هناك مواجهة مستمرة ومتصاعدة بيننا وبين العدو . ولا نستطيع ان نفك اشتباكنا فيها بل علينا ان نزيد هذا الاشتباك .

كان السبيل الوحيد أمامنا هو توحيد المسئولية فى هذه المرحلة توحيدا كاملا ولم أكن أريد أن أصل الى هذا القرار فان من دواعى اعتزازى اننى سعيت وأسعى دائما الى أن تكون السلطة فى وطننا لدولة مؤسسات تمثل قوى الشعب العاملة وتعبر عن ارادته .

وكان أمامى أحد حلين :

اما أن أنتظر ترتيب أوضاعنا الداخلية بالكامل ..

وأما ان نواجه فى ظله أوضاعا لا أجدها كافية .

أولهما بالنسبة لى .. أى أن أنتظر ترتيب أوضاعنا الداخلية بالكامل لا يمكن قبوله والثانى أى أن نواجه فى ظل مثل ما نعيش فيه من أوضاع معركتنا يتضمن مخاطر يستحسن تجنبها . بل يجب تجنبها .

ولقد كان من هنا اننا اتفقنا على ضرورة توحيد المسئولية فى هذه المرحلة دون أن يكون فى ذلك مساس بأسس فلسفة دولة المؤسسات ولاعطاء مزيد من الضمان لذلك فاننا اتفقنا على ما يلى :

أولا : ان ذلك الوضع سوف يستمر لفترة معينة ولمهمة محددة .

ثانيا : انه لتحقيق أكبر قدر من المشاركة فى ادارة المرحلة القادمة من النضال المصيرى فان المؤتمر المشترك من اللجنة المركزية ومجلس الشعب سوف يمارس عملا منظما نتعاون فيه معا طوال الفترة التى اقتضت ما اتخذنا من قرارات وستكون جميع السياسات كلها أمامه كما أن القرارات ومتابعة تنفيذها سوف تتخذ وفق ما تجرى من مناقشات .

بهذا فان فى الوقت الذى قررنا فيه توحيد المسئولية نكون قد اتسعنا بدائرة المشاركة الى أكبر حد ممكن .

أيها الاخوة والاخوات اننى اعرف ما تتطلعون اليه . واذا كان لى من دعاء من الله سبحانه وتعالى فهو أن يوفق كل من يتحمل منا المسئولية فى أى موقع أن يوفقه الى أن يحسن التعبير عن أملكم وأن يخلص فى تحقيق أهدافه .

والله سبحانه وتعالى يوفقكم وهو القوى القادر الحكيم .

وليكن توفيقه هدى لنا جميعا باذن الله نصرا مؤزرا والسلام عليكم ورحمة الله .

المقربون

« أهل القرآن »

فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمود

الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبى الامى وعلى اله وصحبه ومن اتبع هديه وسار على طريقه الى يوم الدين .

وبعـــد :

فان الله سبحانه وتعالى قد قسم الناس من حيث صلتهم به الى طوائف : اسماها وأنفسها وازكاها : **طائفة المقربين .**

ويصف الله سبحانه وتعالى هذه الطائفة فيقول: **« والسابقون السابقون : اولئك المقربون »**

يقول الامام سهل التسترى :

هم الذين سبق لهم من الله الاختيار والولاية قبل كونهم ، المقربون فى منازل القرب وروح الانس ، وهم الذين سبقوا فى الدنيا ، فسبق الانبياء الى الايمان بالله ، وسبق الصديقون والشهداء من الصحابة ، وغيرهم الى الايمان بالانبياء .

وتعريفا للمقربين يقول الحسن وقتادة :

انهم السابقون الى الايمان من كل امة ..

ويقول كعب :

انهم أهل القرآن

ويقول عثمان بن أبى سودة :

« السابقون الى المساجد والى الخروج فى سبيل الله » .

أما صاحب مفردات القرآن فانه يستفيض نوعا ما فى التعريف فيقول : « وقرب العبد من الله فى الحقيقة التخصص بكثير من الصفات التى يصح أن يوصف الله تعالى بها وان لم يكن وصف الانسان بها على الحد الذى يوصف تعالى به ، نحو الحكمة والعلم والحلم والرحمة والغنى ، وذلك يكون بازالة الاوساخ من الجهل والطيش والغضب والحاجات البدنية بقدر طاقة البشر ، وذلك قرب روحانى لابدنى ، وعلى هذا القرب نبه عليه السلام فيما ذكر عن الله تعالى :

« من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا » (١)

وقوله عنه :

---

١ — روى البخارى بسنده عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : (**اذا تقرب العبد الى شبرا تقربت اليه ذراعا** ، واذا تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا أتانى **يمشى أتيته هرولة**) —

« ما تقرب الى عبد بمثل أداء ما افترضت عليه ؟ وانه ليتقرب الى بعد ذلك بالنوافل حتى احبه «الخبر»(١)

والواقع أن هذه ليست تعاريف بمعنى كلمة «التعريف » ، وانما هى تقريب للمعنى بحسب ما يراه أصحابها .

ولعل الكلمة «**اهل القرآن**» تجمع ما تفرق ، وذلك أن القرآن يحث على العبادة بشتى الاساليب ، الى درجة ان يقول الله تعالى :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

أى ليصيروا الحياة، نوما ويقظة ، حركة وسكونا، قولا وصمتا ... الى عبادة فيكون العمل عبادة ، والتجارة عبادة ، والصناعة عبادة ...

وحث القرآن على الجهاد ، وفيه أروع ما كتب فى الجهاد :

« أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

وفى القرآن شرح وتفسير لاسماء الله الجمالية مثل : **الرحمن الرحيم ، الغفور ، الودود ... هذه** الاسماء التى يجب علينا أن نتخلق بها .

وهكذا ، اذا اخذنا تفسيرات العلماء عن المقربين لا نجدها تخرج عن قول كعب :

« انهم أهل القرآن »

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما رواه احمد والنسائى وابن ماجه والحاكم — **« ان لله تعالى أهلين من الناس : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »** .

انهم سابقون فى شعب الايمان ، وشعب الايمان هى مجالاته وميادينه ، وهى تبلغ على وجه التقريب سبعين شعبة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« الايمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا اله الا الله، وادناها اماطة الاذى عن الطريق — والحياء شعبة من الايمان » — رواه مسلم وغيره —

انهم سابقون فى العلم ،والعلم شعبة من الايمان، وسابقون فى الجهاد ، والجهاد شعبة من الايمان .

انهم سابقون فى سبعين صفة كريمة هى أمهات الفضائل ، منها محبة الله ، والخوف منه ، والرجاء فيه ، والتوكل عليه ؟ والايمان بوجوب محبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه، والايمان بوجوب محبة آل بيته ، وتعظيم القرآن المجيد ، والمرابطة فى سبيل الله ، والثبات أمام العدو :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار »

والوفاء بالعقود :

« يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » .

والتورع فى المطعم والمشرب ، وترك الغل والحسد وترك الوقوع فى اعراض الناس ، واخلاص العمل لله وحده ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، وبر الوالدين،وصلة الرحم،وحسن الخلق ، واكرام الجار ، وان يحب لاخيه ما يحب لنفسه .

هذه بعض شعب الايمان التى يتحلى بها المقربون.

وليسوا سابقين فيها اعتباطا او اتفاقا اومصادفة كلا ، ولكنهم سابقون . بمجهودهم وعملهم ، وقد نبه الله سبحانه وتعالى على ذلك بتكرار اللفظ :

« **والسابقون السابقون** » تأكيدا لعظم شأنهم .

هؤلاء السابقون هم المقربون ، يقول سبحانه :

« **والسابقون السابقون ، أولئك المقربون** » .

ويتحدث الله سبحانه وتعالى عن هذا السبق فى الخيرات فى صورة هى غاية فى الجمال : وذلك ان تكرار لفظ السابقين يشير اشارة خفية الى أمر صرح الله به سبحانه وتعالى فى قوله فى سورة « المؤمنون » .

● **«اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون»**

ان هذه الكلمة القرآنية خاتمة آيات كريمة تتحدث عن أوصاف السابقين ، واذا كانت الايات التى بدأنا بها قد تحدثت على الخصوص عن بعض ما أعده الله للمقربين من نعيم ، فان الايات التالية تتحدث عن بعض صفاتهم ، يقول سبحانه :

« ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون »

وخشية الله سبحانه تتأتى عن العلم به تعالى :

● **انما يخشى الله من عباده العلماء !** .

فهم علماء بالله ، بجلاله ، بعظمته ، بنعمه التى لا تحصى والتى تستوجب الشكر ،بل ان الشكر نفسه نعمة تستوجب التوجه الى الله بالشكر على ان وفق واعان على الشكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

---

١ — روى البخارى بسنده عن ابى هريرة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله قال : (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذاأحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بهاوان سألنى لاعطينه، ولئن استعاذنى لاعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن :يكره الموت وانا أكره مساءته ...

« انا أتقاكم لله وأخشاكم منه »

ويقول تعالى فى الاية الثانية :

« والذين هم بآيات ربهم يؤمنون »

وآيات الله فى الانفس وفى الافاق ظاهرة واضحة يعمى عنها من لم يشرح الله صدره لتدبرها ، ويراها من من الله عليه بنعمة الفقه عنه سبحانه ، يقول تعالى :

(سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) .

أما الصفة الثالثة للمقربين او للسابقين فهى ما يعبر الله عنه بقوله :

« والذين هم بربهم لا يشركون »

انهم بعيدون عن الشرك الخفى ، والشرك الخفى هو ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شرك السرائر . يقول صلى الله عليه وسلم :

« **اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر ، قالوا : وما الشرك الاصغر يا رسول الله ؟ . قال : الرياء** يقول الله عز وجل اذا جزى الناس بأعمالهم : **اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء** » رواه احمد باسناد جيد وغيره .

ان الله سبحانه وقد ملا عليهم قلوبهم لا يتأتى ان يكون فيها مكان للشرك الاصغر فضلا عن الشرك الاكبر ، والشرك الاصغر هو الرياء : انهم لا يراءون احدا فليس فى قلوبهم غيره سبحانه .

أما صفة المقربين الرابعة ،فيصفها سبحانه بقوله:

« والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون » .

وفى ذلك اخرج الامام احمد والترمذى والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت: يارسول الله ،قول الله **(والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة)** اهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله تعالى ؟ .. قال : لا ، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلى وهو مع ذلك يخاف الله تعالى ان لا يتقبل منه .

ويقول بعض أسلافنا رضى الله عنهم ان هذه الصفة الرابعة هى نهاية مقامات الصديقين .

ونحن نعرف ان سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال :

« والله لا آمن من مكر الله ولو كانت احدى قدمى فى الجنة » .

ويقول الامام الالوسى معبرا فى ذلك عن رأى اسلافنا :

ثم ان الموصولات الاربع عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر فى حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة ، كأنه قيل : **ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون .. الخ**

وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها ، وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها .

ويختم الله سبحانه هذه الصفات بقوله :

« أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون »

انهم فى سباق مع تحقيق الخير فيسبقونه ، انهم يسبقون الخير .

انهم ليسوا والخير كفرسى رهان ، كلا ، انهم سبقوا فى السباق الخير ..

لقد سبقوا من قبل السباق ، وذلك انهم وطنوا النفس فى مواجهة الحاضر والمستقبل على عمل الخير ، على تحقيق الخير .

والخير الذى وطنوا انفسهم عليه هم على علم به وذلك ان من شعب الايمان العلم ، فهم يسيرون فى عمل الخير على علم سابق وارادة سابقة .

واكثر من ذلك ، ولتوضيح هذا الاكثر ، أحب أن أقص قصتين :

اما اولاهما : فهى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحدث عن الرحمة فى صورة جميلة مؤثرة ، وكان لذلك صدى فى نفس الصحابة ، فقال أحدهم :

يا رسول الله ، انا نرحم أهلنا وذوينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه :

« انما اريد الرحمة العامة »

أى أن يكون طابع الانسان وشعاره : الرحمة ، او بتعبير آخر : ان يكون رحمة ينثرها اينما كان ، وعلى اى وضع كان ، قائما او قاعدا ، او سائرا .. ينثرها بحديثه ، وينثرها بصمته .. ان يكون رحمة

وفى يوم من الايام كان الامام الشاذلى رضى الله عنه جالسا مع استاذه عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، وجال فى ذهن الشاذلى رضى الله عنه ان يسأله عن اسم الله الاعظم ، فقيل له :

ليس المهم معرفة اسم الله الاعظم انما المهم ان تكون انت اسم الله الاعظم

وعلى هذا النمط ، فان المقرب هو من كان خيرا اينما كان .

وبعد : لقد ذكرنا بعض صفات المقربين وذكرنا ما اعد الله سبحانه للمقربين : انهم فى جنة ، انهم فى الدنيا فى جنة من رضوان الله ، وهم فى الاخرة فى جنة من رضوان الله .

انهم فى سعادة فى الدنيا والاخرة :

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »

كيف يسير الانسان الى هذه السعادة ؟

ما هى الخطوات الاولى ؟

ذلك ان شاء الله ــ موضوع حديث تال ..

التشريع
الفقه . الأبحاث
الدراسات الصوفية
في الإسلام

سورة الذاريات

- الأمطار باعتبارها رزقا لا يعرف لها قانون
- الإنفاق على عمل الخير فى المجتمع الإسلامى
- نظام الأزهر فى القديم ونظام الأوقاف.
- بحث فى علاقة القرآن بما سبقه من الكتب السماوية
- جهل العرب كبقية البشر بأن قانون الحياة يقوم على الذكورة والأنوثة ونص القرآن على ذلك
- سر الوجود

الأستاذ
أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا ● فالحاملات وقرا ● فالجاريات يسرا ● فالمقسمات أمرا ● انما توعدون لصادق ● وأن الدين لواقع ● والسماء ذات الحبك ● انكم لفى قول مختلف ● يؤفك عنه من افك ● قتل الخراصون ● الذين هم فى غمرة ساهون ● يسألون ايان يوم الدين ● يوم هم على النار يفتنون ● ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون ● ان المتقين فى جنات وعيون ● آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ● كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ● وبالاسحار هم يستغفرون ● وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ● وفى الارض آيات للموقنين ● وفى أنفسكم أفلا تبصرون ● وفى السماء رزقكم وما توعدون ● فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون ● هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ● اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ●

فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين ● فقربه اليهم قال ألا تأكلون ● فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ● فاقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ● قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ● قال فما خطبكم أيها المرسلون ● قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين ● لنرسل عليهم حجارة من طين ● مسومة عند ربك للمسرفين ●

فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين ● فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ● وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم ● وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين ● فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون ● فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم ● وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ● ما تذر من شىء أتت عليه الا جعلته كالرميم ● وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ● فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ● فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ● وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين ● والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون ● والارض فرشناها فنعم الماهدون ● ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ● ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ● ولاتجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون ● اتواصوا به بل هم قوم طاغون ● فتول عنهم فما أنت بملوم ● وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ● وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ● ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ● ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ● فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ● فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ●

الذى فى المصحف وعليه المعول أنها سورة مكيـــة وهى من السور التى لم يجر أى خلاف حول مكيتها وأحسب ان الذين يتابعون هذا التفسير قد أصبحـــوا يجيدون معرفة خصائص السور المكية لكثـرة مـا رددناها ، ولذلك فهى تلفت الانظار الى الايات الكونية وتشير الى عاقبة المكذبين ممن سبق من الامم ليكـون فى ذلك تحذير لقريش ومواساة للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم يعانون ما عاناه المؤمنون فى كل زمان ومكان علما ان العاقبة دائمـــا للمتقين وفـى السورة آيات كريمة تنطوى علـى كل أسرار الربوبية من ناحية والعبودية من الناحية المقابلة وهى تتضمن الاية التى يمكن أن تقال فيها المجلدات ثم لا توفى على الغاية وهى آية « **وما خلقت الجـــن والانس الا ليعبدون** »

ـ والذاريات ذروا ● فالحاملات وقـرا ● فالجاريات يسرا ● فالمقسمات أمرا ● انما توعدون لصادق ● وان الدين لواقع ●

يقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا اذا طيرته ، وأذرته تذريه بمعناه ، وعلى هذا تكون الذاريات ذروا هى الرياح وقد روى أن سيدنا على رضى الله عنه سئل عن تفسير هذه الايات فقال : الذاريـات ذروا « **الرياح** »فالحاملات وقرا « **السحاب** » فـالجاريات يسرا «السفن »فالمقسمات أمرا «**الملائكة** »

وشبه السحاب بالدواب ذوات الاربع وهى تحمـل الوقر ، أى الاثقال ، وكذلك تحمل السحب الماء ، ثم تقسمها الملائكة على من يشاء الله أن تهطل عليهم انى يشاء بالقدر الذى يشاء ، وليس هناك ما يكشف عن ارادة الله المطلقةو يدحض ادعاء الماديين من أساسـه عندما يزعمون أن الامر كله فى هذه الدنيا لا يعدو أن يكون نواميس طبيعية تعمل عملها بدون ارادة علوية ، من موضوع الامطار بالذات ، فدورة الرياح كما يقولون فى علم الطبيعيات ثابتة لا تتغير ، ونظـام تبخر الماء من المحيطات نظام ثابت أيضا ، فلو أن الامـر مسألة آلية مادية بحتة ، لوجب أن تسقط الامطـــار بنظام ثابت ثبوت اشراق الشمس كل يوم وغروبها ، ولكن الذى يحدث فى الواقع غير ذلك تماما ، اذ تهطل الامطار فى سنة وتمتنع فى سنة ، بل لقد تمر السنة تلو السنة دون ان تسقط الامطار حيث يجب ان تسقط ويسود الجفاف وينتشر الجدب والقحط ، مما جعل مجتمعات كبرى فى وقتنا الحاضر تلجأ الى خصومها التماسا للحصول على الغذاء وذابت الطنطنـة والجعجعة من أنهم يتحكمون فى الطبيعة بعد أن احاطوا بكل شىء علما ، وتأبى عليهم المكابرة الا أن يقولوا ان يوما ما سيكتشفون سر الطبيعة لماذا تسقط الامطار فى سنة ولا تسقط فى سنة أخرى والى أن يكتشفوا فعليهم أن يقروا بأن ما يزعمونه من قوانين ثابتة لسقوط الامطار غير صحيح ، وأنه لا يزال فى الامر سر لم يحيطوا به

وليس فى الامر سر بالنسبة لنا معاشر المؤمنين ، فالامطار باعتبارها أرزاق العباد مقدرة ومقسمـة يقدرها الله ويقسمها على من يشاء بالقدر الذى يشاء ويبقى الخلود والبقاء والثبات لايات القرآن حيث يلفت الله رب الوجود البشر الى عظيم قدرته فهو الذى يسير الرياح ، التى تحرك السحب المثقلة بالامطار يسقطها الله بارادته على من يشاء (**فالجـاريات يسرا**) قدمنا أنه روى عن سيدنا على أنه فسرها بأنها تعنى السفن وعلى هذا القول الجمهور ، على أن البعض فسرها بأنها تعنى الكواكب السابحة فـى السماء وهو ما نميل له نحن فقد تكررت الاشارة فى القرآن للكواكب وجريانها

ـ فلا اقســم بالخنس ● الجـــوار الكنس

والجوارى والجاريات بمعنى واحد والحديث كلـه يتحدث عن ظواهر طبيعية من رياح وسحب وأمطـار فيكون الحديث عن الكواكب أقرب ، ومع ذلـك فالجمهور على أنها السفن والله تعالى أعلم

انما توعدون لصادق ● وان الدين لواقع ●

هذا هو جواب القسم ، وطالما نبهنا الى أن الله عز وجل وقد انزل القرآن عربيا • فقد استخدم أسـلوب العرب ، وكان من أساليبهم القسم لاظهـار أهميـة المقسم عليه ، ولاسترعاء الانتباه ، ومن هنا فقد استخدم القرآن هذا الاسلوب لتحقيق غرضين ، الاول استرعاء الانتباه وتحريك العقول لاستيعاب الاية الكونية المقسم بها وهى هنا الرياح والسحب والامطار والكواكب والارزاق

أما الغرض الثانى فهو عين ما اعتاده الناس من القسم وهو تاكيد المقسم عليه وتثبته وهو هنـــا :

ـ ان ما توعدون لصادق ● وان الدين لواقع

وما كانوا يوعدون به من هول يوم القيـامة والبعث والنشور والحساب ثم الجزاء والثواب والعقاب ، فكل ذلك صادق ، أى صدق وحق

وان الدين لواقع ● (الدين) يوم الجزاء لا شك فيه

ـ والسماء ذات الحبك ● انكم لفى قـول مختلف ● يؤفك عنه من افك ● قتل الخراصون ● الذين هم فى غمرة ساهون ● يسألون ايان يوم الدين ● يوم هم على النار يفتنون ● ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون ●

والسماء ذات الحبك

الحبك : جمع حبيكة والحبيكة تطلق على الطريقة التى تخلفها الرياح الهادئة فى الرمال أو المياه

والحبيكة : أى المحبوكة المتقنة من قولهم ثوب حبيك ومحبوك أى محكم النسيج

ومن هنا فقد اتسع معنى : والسماءذات الحبك ،لكل ما قال به المفسرون فمن قائل ، السماء ذات الحسن والاتقان والانوار والشفافية ،و من قائل : والسماء ذات الطريق والمسارات للكواكب والنجوم ومن قائل : والسماء ذات الزينة

ونحن نؤثر أن لا نحددها بمعنى واحد فالكلمة

كالكثير من ألفاظ القرآن أصبحت تشع معانى لا نهاية لها ، وسيعرض لنا فى آية تالية الحديث عن بناء السماء

– انكم لفى قول مختلف ● يؤفك عنه من أفك ●

هذا جواب القسم بالسماء ذات الحبك ، واذا كان الحديث موجها لقريش فى بادىء الامر فهو كشأن القرآن موجه للبشر فى كل زمان ومكان ، فاذا كان كفار قريش مختلفين فى شأن سيدنا محمد والقرآن ، فمن قائل انه ساحرو من قائل انه مجنون أو كاهن وأن القرآن من صنعه وتأليفه ، فلا يزال بيننا من يكرر هذه التراهات بأسلوب أو بآخر متشدقين بالعلم والتقدم والعلم والتقدم منهم براء وليس أدل على ذلك من أنهم يرددون أقوالا قيلت منذ أربعة عشر قرنا ، ثم أثبت الزمن بطلانها وفسادها ، بغلبة الاسلام وانتصاره وانتشاره

يؤفك عنه من أفك :

أفكه يأفكه افكا : أى قلبه عن الشىء وصرفه ومنه قوله تعالى : « **أجئتنا لتأفكنا** » والمعنى هنا : أى يصرف عن الايمان بسيدنا محمد والقرآن من اختار أن ينصرف ، وعن ابن عباس وآخرين : يضل عنه من ضل ، وقال الحسن البصرى : يصرف عن هذا القرآن من كذب به والمعانى كلها متقاربة من أن كل ميسر لما خلق له فمن اختار أن يكفر بالقرآن أضله الله وصرفه عنه ، وهو ما نراه فى أيامنا رأى العين ، فمن يتشدقون باسم المادة ، لا يلقون نظرة على القرآن فضلا عن أن يدرسوه ذلك لانهم اختاروا الضلال واستحبوا العمى فأعماهم الله وأضلهم

قتل الخراصون :

أى لعن وهلك المكذبون ، والخراصون جمع خارص ، والخرص : الكذب ، والخراص : الكذاب ، والخراصون هنا المكذبون بسيدنا محمد والقرآن الكريم فهذا هو ما يستحقونه وهو اللعنة وعبر عن اللعنة بالقتل لان من لعنه الله فهو ميت وأن ظل يمشى على قدمين

– الذين هم فى غمرة ساهون

الغمرة ما ستر الشىء وغطاه ، ومنه نهر غمر أى **يغمر من دخله : ومنه غمرات الموت**

ساهون ، أى لاهون غافلون عن أمر الاخرة ، وهذه هى صفة الكفرة والملحدين والمكذبين حيث ينكرون يوم الحساب (**يسألون أيان يوم الدين**) وسؤالهم هو سؤال انكار وتجاهل واستهزاء ، لا تساؤل الراغب فى المعرفة ، ومن هنا ينذرهم الله ويتوعدهم ، ان هذا الذى ينكرونه **آت لا ريب فيه يوم هم على النار يفتنون** ٠ أى يوم هم على النار يحرقون وهو من قولهم « فتنت الذهب ، اى احرقته لتختبره وأصل الفتنة الاختبار ، وقال ابن عباس يفتنون : يعذبون ، والمعنى واحد

– ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون

وطالما نبهنا عند أمثال هذه الاية ان أشد ألوان العذاب عندما يواجه الانسان بجريمته ، وهنا يجبه القائل الكفار والمكذبين ، ان ما يعانوه ليس الا ما كانوا يكذبون به ويستعجلونه من فرط تكذيبهم وتحديهم

– ان المتقين فى جنات وعيون ● آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ● كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ● وبالاسحار هم يستغفرون ● وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ● وفى الارض آيات للموقنين ● وفى أنفسكم أفلا تبصرون ● وفى السماء رزقكم وما توعدون ● فورب السماء والارض انه لحق مثل انكم تنطقون ●

بشرى بعد الانذار

وكدأب القرآن لا يكاد يحذر وينذر بويلات النار والجحيم ، حتى يبشر على الفور بالجنة والنعيم الذى اعد للمدفين (**ان المتقين فى جنات وعيون**) أى أن المتقين فى بساتين فيها العيون الجارية وهو أجمل ما تقر به عين الانسان وتسعد

– آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين

أى متمتعين بما أسبغه الله عليهم من الثواب والجزاء والعطايا

– انهم كانوا قبل ذلك محسنين

وتشاء ارادة الله وهو الكريم اللطيف ، أن يصف ما يلقاه المتقون انه جزاء احسانهم السابق مع أن الله هو صاحب الفضل عليهم اذ وفقهم للاحسان ، وهى أعظم ما يسبغه الله من نعم على عبده ، ولكن هكذا شاءت ارادته أن ينسب الاحسان الى الانسان ، فعلى كل مؤمن أن يستزيد من الاحسان ما استطاع الى ذلك سبيلا وما أروع رسول الله وهو يدلنا على أبسط طريق للاحسان وأيسره فيقول لنا « **تصدقوا ولو بكلمة طيبه** » وفى رواية « ولو بشق تمرة »

– كانوا قليلا من الليل ما يهجعون

الهجوع : النوم ليلا

ويشرع القرآن فيحدثنا عن بعض ضروب احسان المحسنين ، فيصور لنا كيف أنهم لا ينامون الا غرارا ، أى لا ينامون الا قليلا ويظلون فى ذكر لله وعبادة وليس وراء ذلك تبتل واحسان ذلك آن للنوم سلطانا لا يقاوم فضلا عن أن يغلب ، فاذا استطاع مؤمن أن يظل ساهرا فى ذكر الله وطاعته فهذه هى الدرجات العلا التى تجعل صاحبها ممن وصفهم الله بالاحسان حيث تظل مشاعرهم وأحاسيسهم مرهفة فاعلة للخير ابدا ، بعكس هؤلاء الذين ينامون ويفرطون فى النوم شريطة أن لا يكون السهر بطبيعة الحال فى معصية

– وبالاسحار هم يستغفرون

الاسحار : أواخر الليل

وهذه هى الاية التى كشفت عن شغل الساهرين من المحسنين وأنه هو اشتغال بذكر الله (**يستغفرون**) وقيل أن الصلاة هى المقصودة ، وان ذلك ايماء الى قيام الليل ، ولكنا نؤثر أن نبقى الاستغفار على عمومه باعتباره لونا من ألوان الذكر والتعبد بكافة ألوانه وأشكاله فمن لا يغمض له جفن وهو ساهر على حماية

الحدود وأمن الجماعة فتلك ضروب من الاحسان .

- وفى أموالهم حق للسائل والمحروم

نصل الان الى الاية التى تصور ذروة الاحسان لمن عنده مال وهو أن يعتبر أن له شركاء فى هذا المال وهم كل سائل ومحروم وقبل أن نحدد من هو السائل والمحروم نريد ان نسجل هذه الملاحظة

التضامن الاجتماعى والعدالة الاجتماعية

نظام الاحسان بمعنى أن يجود الغنى ببعض ماله على الفقراء نظام قديم مذ كان الانسان انسانا نراه فى سائر الاديان وهو معمول بهفى كافة المجتمعات ولكن عظمة الاسلام وتفوقه كانت فى انه منذ اربعة عشر قرنا والحياة تقوم أول ما تقوم على اعلاء سلطان الفرد وحريته شبه المطلقة فى ان يتصرف كما يشاء فى ماله الى ان جاء الاسلام يكشف عنتضامن المجتمع، وان كافة افراده شركاء فى طيباته ، ومن هنا ارتفع بالاحسان كما هو مفهوم فى بقية الاديان الاخرى من أنه فضل يتفضل به الغنى على الفقير ان شاء أعطى وان شاء لم يعط ، الغى هذا التصور وجعل اعطاء الغنى للفقير ليس تبرعا وانما هو حق يجب أن يؤدى وان يتولى السلطان بنفسه استقضاءه ، حتى لقد شن سيدنا ابو بكر حربا طاحنة ضد المرتدين من العرب لمحض تصورهم انه وقد مات سيدنا محمد فقد أصبح فى استطاعتهم أن يتوقفوا عن أداء هذا الحق وقد عجب الصحابة لموقف سيدنا أبى بكر وكيف يفكر فى محاربة كل العرب ، وقال له اعلام الصحابة ، أتحارب قوما يقولون أشهد ألا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ولكن سيدنا أبا بكر لطول صحبته لرسول الله والتصاقه به ، فقد كان أكثرهم فهما للاسلام وروح الاسلام ، فليس لا اله الا الله محمد رسول الله الا المدخل لسلام الفرد والجماعة ببناء المجتمع على تعاليم الاسلام والزكاة هى أحد أركانها التى لا يقوم المجتمع الاسلامى الا على أساسها ، فاذا انهار ركن الزكاة انهار البناء كله ، واصبحت « لا اله الا الله محمد رسول الله » مجرد كلمات شكلية بغير مضمون ومن هنا كان تصدى سيدنا أبى بكر لحرب الذين منعوا الزكاة وعندما تم له النصر كانت الوثبة التالية التى جعلت الاسلام دين العالمين آنذاك اذ وجد فيه البشر التطبيق الحقيقى لفكرة التضامن الاجتماعى ، وحق كل محتاج فى مال القادرين

- أعجوبة المجتمع الاسلامى

ونحن نسمع الكثير من الشقشقة عن هذا النظام أو ذاك وما هيأه من فرص التعليم لهذا او ذاك ولا يعرف هؤلاء المتشدقون أنهم لم يصلوا ولا يمكن ان يصلوا لبعض ما كان مطبقا فى مصر فى ظل الاسلام وبجوهر تعاليمه ، فالازهر باعتباره مصدر العلم لم يكن يصد اى انسان يريد أن يغترف من علمه من اى ركن من أركان العالم الاسلامى وما على أى راغب أن يرغب فى طلب العلم كى يجد الباب مفتوحا على مصارعه ، بل ويجد المأوى والمسكن والمأكل والملبس وما على طالب العلم الا أن يسجل اسمه عند شيخ الرواق (رواق المغاربة او الشوام الخ) كى يصبح (مجاورا اى طالب علم) يتمتع بكل المزايا التى قدمنا الاشارة اليها ، وشبيه بهذا فى عصرنا الحاضر نظام المنح الذى يعطى للمتفوقين ، أما نظام الازهر فقد كان بغير حدود فكل طالب علم له حق التعلم وكل ما يعينه على ذلك من مسكن ومطعم وملبس ما بقى راغبا فى طلب العلم

وليس ذلك الا نموذجا لتطبيق روح الاسلام المتمثله فى هذه الاية

« وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »

ولكى نقرب لشباب اليوم هذه الروح التى كانت تعمر العالم الاسلامى فما علينا الا أن نذكرهم بوزارة الاوقاف التى تسيطر على عشرات الملايين من الجنيهات التى تركها أصحابها « للسائل والمحروم » وانه ليطيب لى أن أطلع ابناء الجيل الحاضر على روعة المجتمع الاسلامى والتى وصل الامر فيه بعد ان غطيت كل الاحتياجات من اعراس وجنائز والانفاق على المرضى وراغبى التعلم ، أقول بعد أن غطيت هذه الاحتياجات كلها وصل الامر ببعض الناس ان يخصص بعض أمواله التى أوقفها على البر لشراء آنية جديدة لكل طفل او صبى ذهب الى السوق ليشترى شيئا فى آنية فكسرت هذه الانية ، فعلى مثل هذا الصبى ان يتوجه للقائم على هذا الوقف لكى يبتاع له آنية جديدة

واحسب ان كل مجتمعات الدنيا قديمها وحديثها لم تشهد مثل هذه الرقة التى غرسها القرآن فى القلوب ونجاحه الفائق فى ان يغرس فى قلوب اتباعه ان ما فى ايديهم من المال ليس ملكا خالصا لهم بل ان له فيه شركاء وهما **السائل والمحروم**

ليس هناك ما يكشف عن حقيقة نظرة الاسلام الى وحدة المجتمع الاسلامى وتضامنه من نوعية المستحقين للمال ، فهو لم يتحدث عن الفقراء الذين لا يملكون او المساكين الضعفاء المغلوبين على أمرهم وانما تحدث عن « **السائل والمحروم** » وقد قال المفسرون الكثير فيمن هو السائل والمحروم ، ولكننا نختار من هذه الاقوال من أطلق الكلمتين الى آخر مداهما فالسائل هو كل من سأل ، ومادام قد ارتضى لنفسه ان يسأل فقد أصبح حقيقا ان يعطى عند القدرة على الاعطاء

روى الامام احمد بسنده عن سيدنا على رضى الله عنه قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «للسائل حق وان جاء على فرس»**، وقد بقى ان تعلم ان الفرس فى تلك الايام كان من أعظم مظاهر القدرة ، ويكون المعنى المقصود أن أى انسان متى سأل فقد وجب أن يعطى عند القدرة على الاعطاء

والمحروم :

وشبيه بذلك المحروم فهو بدوره يتسع لكل الصور التى يمكن أن تطوف بالذهن ومن هنا فقد كان السلاطين والامراء والاغنياء والقادرون أن يطعموا الناس فى شهر رمضان وبعض المناسبات الاخرى

من أفخر وأشهى ما أعتاد القادرون أن يأكلوا ، وذلك تطبيقا لهذه الاية من أن المحرومين شركاء لهم فى بعض ما يطعمون ، وفى كتابنا موسوعة تاريخ مصر وصف لهذه المآدب التى كان يؤديها حكام مصر منذ عهد الفاطميين لكل من يرغب من أبناء الشعب والتى كانت تضم كل ما اعتاد الخليفة أن يأكل منه وهذه هى دعوة الاسلام وهذه هى روحه ان لا يكون فى المجتمع محروم واحد ، بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستحثنا على التنقيب عن المحتاجين والمحرومين الذين تضمهم البيوت والذين يدفعهم الحياء والتعفف عن السؤال

روى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ليس المسكين بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه »

وهذا الذى يقوله سيدنا رسول الله ليس الا بيانا لما قاله الله عز وجل فى محكم تنزيله« **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا »**

وهذا يوضح لنا مدى احتفال الاسلام بكل فرد من أفراد المجتمع ، بغض النظر عن المسميات ، وأن المجتمع الاسلامى لا يطيق وجود محروم فى المجتمع

– وفى الارض آيات للموقنين ● وفى أنفسكم أفلا تبصرون ●

وهاتان آيتان تعتبران من مفاتيح العلم ، والتى وصلت بالعرب من شعب أمى لا يقرأ ولا يكتب الى أن يصبحوا قادة مجتمع حضارى طالما تحدثنا عن مظاهر حضارته والتى وصل فيها علماء المسلمين الى حد النقل من شعوب وثنية كاليونان القديمة والهند وفارس ، والمهم أنهم فعلوا ذلك لا انسلاخا عن الدين كما يفعل البعض فى وقتنا الحاضر بزعم أن العلم والدين لا يتفقان بل فعلوا ذلك وطلبوا العلم حيث وجدوه كلون من ألوان التعبد بالذات وانصياعا لاوامر القرآن الذى طالما طالبهم كما فى هاتين الايتين بالتدبر والتأمل فطاف علماء المسلمين العالم المعروف فى ايامهم وسجلوا كل أمر وقفوا عليه وشاهدوه والفلكيين فى العصور الوسطى من أمثال الطبرى والمسعودى والبيرونى وعشرات غيرهم من العلماء الاعلام والذين صدعوا بقول القرآن « **وفى الارض آيات للموقنين** » كما بزغ نجم عشرات من العلماء الاعلام الذين صدعوا بالاية الثانية « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » فراحوا يدرسون أحوال النفس والانسان بصفة عامة فكان منهم الاطباء والكيميائيون والفلاسفة من أمثال ابن سينا وابن رشد والرازى وابن النفيس وغيرهم وغيرهم

لفت نظر

ويهمنا فى هذا المجال أن نلفت النظر لحقيقة يغفل عنها الكثيرون فتضل بهم السبل ، وهو أن الانسان الراغب فى العلم ليس مضطرا أن يركب الصواريخ يصعد بها الى القمر وكل ما فى السماء من كواكب ونجوم ، كما أنه ليس فى حاجة الى الغوص فى أعماق المحيطات التماسا للمعرفة ، ففى الانسان وفى النفس البشرية ، كل عناصر الطبيعة ونواميسها وسننها واتساعها وقد استطاع أرسطو أن يكون سيد المعرفة واستاذها لالف سنة وأن يفرض نفسه على البشرية باعتباره المعلم الاول وقد كتب أرسطو فى كل فروع المعرفة ، وعرف الطبيعة بهذا التعريف الجامع المانع الذى كان هو آخر ما انتهوا اليه فى المعامل ودور الابحاث بالمجاهر والمناظير ، من أن الطبيعة هى الحركة وغنى عن البيان أن أرسطو لم يتوصل الى ما وصل اليه الا بالتأمل داخل النفس وهو ما يعلمنا اياه القرآن اذ يقول : « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » والبصر هنا ليس فقط بالعين ولكن بالتأمل ولقد كان هذا هو الذى حدا بسيدنا على رضى الله عنه أن يقول اذا صحت نسبة القول اليه ولكن الذى لا شك فيه هو صحة القول فى حد ذاته :

وتحسب نفسك جرما صغيرا
وفيك انطوى العالم الاكبر

وهو قول صحيح فمن أراد أن يعلم ، ومن أراد أن يعرف ، بل من أراد أن يصل الى الله فما عليه الا ان يتأمل ويديم التأمل فى أغوار النفس ، ولنقرأ معا « **وفى الارض آيات للموقنين** » **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** »

وفى السماء رزقكم وما توعدون

يقول بعض المفسرين أن الرزق هنا بمعنى المطر وان السماء بمعنى السحب ولكنا نأخذ بالمعنى الاعم اى ان الرزق مفرد الارزاق والسماء بمعنى ان الارزاق مقدرة منذ الازل

لا يوجد فى الكون الا حقيقة واحدة شاملة وتلك هى وجود الله عز وجل (**أفى الله شك**) أما غير هذه الحقيقة الواحدة المطلقة ، فقد شاء الله عز وجل أن يجعل له أكثر من جانب ، ومن ذلك هذه الاية الكريمة فهى تتحدث عن أن الارزاق كأى شىء آخر نصيب الانسان مقدر منذ الازل ، وان كل انسان سوف يأخذ نصيبه المقدر له حتما ، ومن ناحية أخرى فالقرآن ملىء بالايات التى تحض على السعى وبذل الجهد للحصول على الرزق

– وأن ليس للانسان الا ما سعى
– فامشوا فى مناكبها
– وقل اعملوا

وغير ذلك عشرات من الايات التى تحض على السعى وطلب الرزق وقد جاء فى الاثر « **لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة** (١) »

---

(١) ينسب هذا القول احيانا الى سيدنا عمر رضى الله عنه .

ولطالما عرضنا لهذه القضية ووضحنا السبيل الذى يتعين على المؤمن أن ينتهجه ، وهو أن يسعى دائما وما وسعه الجهد لتحقيق كل ما يعود عليه مستفيدا فى ذلك بتجاربه وتجارب كل من سبقه وآخر معطيات العلم البشرى ، على أن يظل دائما مؤمنا فى أعماق نفسه ان ما هو مقدر له منذ الازل لابد واصل اليه ، غير أنه لما كان ذلك غيبا ومجهولا بالنسبة لنا فليس امامنا الا أن نستخدم حواسنا وعقولنا وكل امكانياتنا للسير فى الطريق الوحيد المفتوح أمامنا طريق العمل والسعى وبذل الجهد وتحرى الاسباب والمسببات على أن نقنع دائما ونرضى بما يصل الينا فى خاتمة المطاف من الرزق ، ويلم بنا من الاحداث باعتبار أن ذلك هو قدرنا ونصيبنا أو كما تنص الاية « **وفى السماء رزقكم وما توعدون** »والسماء فى اللغة هى كل ما علا الانسان ، ونحن نعرف اليوم أن الارض بكل من عليها ليست سوى ذرة فى هذا الكون الذى يحيط بنا ، ويكون المعنى أن قدرنا وحظنا ومصيرنا وكل ما يتصل بنا محقق ومقدر ومسجل من قبل أن نولد على صفحات الكون

– فورب السماء والارض أنه لحق مثل ما انكم تنطقون

نصل الان الى آية طالما اقشعر بدنى أنا شخصيا كلما نطقت بها ، ولذلك فقد أسعدنى وأنا أطالع فى التفاسير أن الاصمعى يقول أنه أسمع اعرابيا هذه الاية « **فورب السماء والارض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** »فصاح الاعرابى وقال : يا سبحان الله من الذى أغضب الجليل حتى حلف ! ألم يصدقوه فى قوله حتى الجأوه لليمين ؟ فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه (**أى فارق الحياة**)

وغنى عن البيان أن ذلك هو مدى تصور الاعرابى ، فما كان الله عز وجل بالذى يقسم كى يصدقه الناس ، وانما هو أسلوب فى الخطاب ولكنى سقت القصة لاظهر قوة الاسلوب القرآنى الذى يجعلنى أهتز كلما تلوت آية معينة وكيف ان نفس الاية بالذات كانت السبب فى موت أعرابى من شدة التأثر وليس وراء ذلك آية على بلاغة القرآن وعميق أثره وبخاصة على النفوس المرهفة

ملاحظة :

وأريد بعد توضيح المعنى المقصود بالاية وان الله سبحانه وتعالى يقسم هذه المرة بذاته على أن كل ما ساقه سيدنا محمد من الاحاديث عن الغيبيات ويوم القيامة بكل مظاهره وحوادثه هو حق والملاحظة التى أريد أن ألاحظها ، هى لماذا اختص النطق من سائر ملكات الانسان وقدراته باعتباره آية على الحق الذى لا يمكن جحوده ، وسرعان ما هدانى التأمل الى أن النطق هو أظهر ملكات الانسان اعتمادا على ارادته ، فالسمع والبصر والذوق والشم واللمس يحتاج الى مؤثر خارجى ، وانما يمارسها الانسان بمحض ارادته ومن ناحية أخرى فالنطق هو الذى يجعل الانسان انسانا وقديما عرفوا الانسان بأنه حيوان ناطق ومن هنا أشار القرآن الى النطق باعتباره الحقيقة التى لا يشك أى انسان فيها

– هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ● اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ● فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين ● فقربه اليهم قال ألا تأكلون ● فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ● فاقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ● قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ● قال فما خطبكم أيها المرسلون ● قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين ● مسومة عند ربك للمسرفين ● فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ● فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ● وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم ●

مفردات

ضيف ابراهيم : هم الملائكة الذين بعثهم الله لاهلاك قوم لوط كما يبين من آيات أخرى •

منكرون : أى أغراب ، وربما كان هذا ما قاله فى نفسه لغرابة صرفاتهم •

فراغ الى أهله : أى ذهب الى أهله فى الخفاء

فأوجس منهم خيفة :

أى انه خاف منهم فى دخيلة نفسه عندماوجدهم لا يأكلون بالفعل وانما يرفعون أيديهم الى حلوقهم متظاهرين بالاكل وهم فى حقيقتهم لا يأكلون لانهم ملائكة وذلك أيضا يبين من آيات أخرى

قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم

فطمأنه الملائكة وبشروه بأنه سيرزق بغلام عليم ، وجمهور المفسرين وسير الوقائع يدل على أن الغلام العليم هو اسحاق ، يقول القرطبى جاء فى القرآن وبشرناه باسحق وهذا نص •

وانفرد مجاهد بقوله أن المبشر به هو اسماعيل •

– فأقبلت امرأته : أى السيدة سارة •

فى صرة : أى فى صيحة استغراب وجلبة •

فصكت ، اى لطمته من فرط التعجب باعتبارها

عجوز عقيم : أى كيف تلد بعد أن أصبحت عجوزا عقيما والعقم هو عدم الولادة وقد كانت سارة عقيمة فى صباها ، فكيف وقد اجتمعت الشيخوخة مع العقم •

وسنرى أن القول هو انها كانت جاوزت التسعين سنة •

قالوا كذلك قال ربك : فقالت الملائكة هكذا شاءت ارادة ربك القادر على كل شىء (١) فلا تشكى •

---

[١] يابى الله عز وجل الا أن يجرى آياته ويظهر قدرته الى ابد الابدين ولكن قليل هم الذين يتعظون • فقد تناقلت شركات الانباء مؤخرا ان امراة عجوز جدا بمقاييس عصرنا « ٧٠ سنة » قد حملت

فما خطبكم أيها المرسلون :
وهنا تنبه ابراهيم ان ضيوفه ليسوا من البشر فبادر يسألهم ما هو شأنهم الذى يبدو خطيرا .

قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين : وهنا كشف الملائكة عن حقيقتهم وانهم رسل العذاب لقوم مجرمين ، وهم قوم لوط الذين شاعت فيهم الفاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين .

لنرسل عليهم حجارة من طين : وان سبيلهم لاهلاك قوم لوط هو أن يمطروهم بحجارة من طين .

مسومة عند ربك للمسرفين : وهى احجار خاصه (معلمة) أعدت لتعذيب من حق عليه العذاب

فأخرجنا من فيها من المؤمنين : ذلك أن سيدنا ابراهيم كما يبين من آيات أخرى من القرآن راح يجادل الملائكة كيف يهلكون قوم لوط عن بكرة أبيهم وفيهم المؤمنون فوعد الله عز وجل سيدنا ابراهيم أن ينجى المؤمنين الصالحين من هذه النهاية المفجعة ، وأمر ملائكته باخراج المؤمنين من المدينة قبل أن يصبوا عليهم العذاب .

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين : وصدع الملائكة بالامر وأخرجوا المؤمنين ، فاذا هم بيت واحد وهو بيت لوط ، وحتى امرأة لوط نفسها كما يبين فى آيات أخرى لم تكن من الناجين لان ايمانها لم يكن كاملا وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم : وتنتهى قصة قوم لوط بما ينتهى به قصص القرآن وهو الاتعاظ والاعتبار بما حدث ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ملخص الواقعة

ومما تقدم يبين أن هذه الايات الكريمة تروى حديثا يجمع بين سيدنا ابراهيم ولوط ، وقد كانا متعاصرين وقد تحدثنا فى سورة القمر عن قوم لوط . وفى هذه الايات التى نحن بصددها حدث أن مر الملائكة الذين بعث بهم الله لاهلاك قوم لوط بسيدنا ابراهيم بتكليف من الله عز وجل بطبيعة الحال ، وهنا حسبهم سيدنا ابراهيم مجرد ضيوف عاديين فالملائكة لا تظهر على الارض الا فى زى البشر ، وقد رأينا فى تفسير سورة القمر كيف أن قوم لوط أنفسهم تصوروهم بشرا عاديين وتجمهروا يريدون الاعتداء عليهم الى أن نفذ الملائكة رسالتهم وأنزلوا العذاب المقرر بقوم لوط .

ونعود الى سياق الايات ، فنروى لنا أن الملائكة بشروا سيدنا ابراهيم بأنه سيرزق بولد ، فلما حاولت زوجته سارة أن تبدى عجبها باعتبارها عجوز عقيم ذكروها بقدرة الله التى لا يحدها حد وهنا تبين ابراهيم أن لضيوفه شأنا خطيرا فمذ وقعت عيناه عليهم وهم يتصرفون على خلاف تصرفات البشر ، فسألهم عن حقيقتهم فأخبروه بما ذكرناه سابقا فراح يستعطفهم ويشفع فى قوم لوط وقد رجعنا الى العهد القديم فوجدنا القصة التى رواها القرآن الكريم :

١ - **استضاف ابراهيم رسل الله الذين كانوا فى طريقهم لاهلاك قوم لوط .**

٢ - **بشر الرسل ابراهيم وزوجته من انهما سيكون لهما ولد .**

٣ - **أبدت سارة دهشتها من آن تلد وهى عجوز عقيم فذكرها الملائكة بقدرة الله .**

٤ - **محاولة ابراهيم الاستشفاع لقوم لوط .**

والسؤال الان

من اين عرف سيدنا محمد تفاصيل هذه الواقعة وما هو جدوى ذكرها اذا لم يكن نبيا مرسلا يصدع بما يؤمر به ويبلغ ما أوحى اليه به وأنا هنا أريد أن أخضع الموضوع للبحث العقلى البحت ، او الاسلوب العلمى كما يقولون .

النقل عن التوراة

أول ما يمكن أن يتخرص به المتخرصون فى أيام سيدنا محمد كما فى عصرنا الحاضر ، هو ان محمدا قد نقل عن التوراة ، وهذا هو ضرب من ضروب القاء القول على عواهنه بدون بحث او ترو فمكة لم تكن مجتمعا يهوديا ، ومنذ اربعة عشر قرنا لم تكن الكتب متداولة ، وخاصة وسط شعب أمى لا يعرف القراءة والكتابة ، وقد لا يعلم الكثيرون أن التوراة كانت تعتبر شيئا مقدسا سريا لا يطلع عليه الا رئيس الكهنة ويلقى الشعب اليهودى على النسخة الوحيدة المتوارثة نظرة من العام الى العام .

وبقى بعد ذلك انها لم تكن مكتوبة باللغة العربيـــة وانما بلغة اخرى (الارامية او العبرية او ترجمة بالاغريقية) .

وسيدنا محمد بنص القرآن لم يكن يعرف القراءة باللغة العربية فضلا عن أن يعرف القراءة بلغات أخرى (١) .

بقى أن يقال انه سمعه يوما ما من حبر يهودى فوعاه وما أحسب الا أن يكون أبلها هذا الذى يتصور أن سيدنا محمدا يسمع قصة من شخص مافيرددها باعتبارها كلام الله فما يدريه بصدق القصة ، واذا تصورنا انه يرددها فما الذى يجعله يهذبها ويصححها لتستقيم مع ما يليق بذات النبى من التنزيه والاجلال .

واخيرا ماهو جدوى ان يتحدث عن لوط ومعتقدات اليهود لقريش عبدة الاصنام وهم الذين يجهلون كل شىء عن هذه الاحاديث ، الحق انه لا يفسر حقيقة الامر الا ان سيدنا محمدا لم يكن من الامر شىء ، وانما هو وحى يوحى علمه شديد القوى ، فكان الوحى اذ هبط على سيدنا محمد نطق سيدنا محمد بما أنزل اليه « **آمن الرسول بما أنزل اليه** » .

ويكون سر التطابق هو وحدة المصدر وهو الله عز وجل ويكون القرآن هو المهيمن على ما سبقه من الكتب التى حرفت وزيفت حتى امتلات بما لا يطابق التوحيد الصافى والتنزيه اللائق بمقام الربوبية .

---

[١] ومن هنا تظهر غفلة من انساقوا خلف بعض المستشرقين المغرضين الذين أرادوا ان يهدموا المعجزة المحمدية فزعموا أن كلمة الامى لا تعنى الجهل بالقراءة ولكنها تعنى الامى اى من غير اليهود مع ان القرآن يفسر بصراحـــة « ما كنت تدرى ما الكتاب » « ولا تخطه بيمينك » .

ـ وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين ● فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون ● فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم ● .

مفردات :

بسلطان مبين : اى بقوة الهية تتمثل فى معجزات سيدنا موسى

فتولى بركنه : أعرض (اى فرعون) واستطال بقوته وجنوده واتباعه وسلطانه المطلق .

فنبذناهم : أى طرحناهم .

اليم : البحر **وهو مليم :** اى وهو مرتكب ما يلام عليه .

قصه سيدنا موسى :

تشير هذه الايات الى قصة سيدنا موسى مع فرعون مصر ، وسترد علينا القصة مفصلة فى سور قادمة باذن الله ، حيث تتحدث هذه الايات التى نحن بصددها عن عناصر القصة الاساسية بهذا الاسلوب القرانى المعجز .

فهى تتحدث عن تكليف موسى بالذهاب الى فرعون وهدايته بعد أن زود الله موسى بالمعجزات وعلى راسها تحويل العصا الى ثعبان مما جعل فرعون يتصور انه ساحر ، كما تصور انه مجنون اذ كان يدعو الى عبادة اله غير فرعون ، وتتحدث الايات عن خاتمة فرعون عندماأغرقه الله هووجيوشه فىالبحر وطالما اشرنا الى أن قصة فرعون وموسى لابد أن تكون اصداؤها معروفة فى شبه جزيرة العرب يتوارثها الخلف عن السلف اذ دار الجزء الاخير من احداثها فى الصحراء التى تصل مصر بشبه جزيرة العرب .

ومن هنا نجد الاشارة لها فى أول ما نزل من السور لاستخلاص ما تنطوى عليه من عبرة .

وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ● ما تذر من شىء آتت عليه الا جعلته كالرميم ● وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ● فعتوا عن أمر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ● فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ● وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين ●

مفردات :

الريح العقيم : يقول عنها بعض المفسرين ، انها الريح المهلكة لهم القاطعة لنسلهم ، وعندنا ان هذا تفسير على ضوء ما احدثته الريح بعاد ، ونحن نرجح قول من قال انها الريح الخالية من كل بركة او منفعة أسوة بالمرأة العقيم .

وقد جاء فى الصحيح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور** » .

كالرميم : اى أن الريح جعلت كل شىء أتت عليه ، اى مرت به كالهشيم ، كالشىء الهالك البالى .

تمتعوا حتى حين : انذر صالح بنى ثمود قومه ان العذاب سيحل بهم بعد ثلاثة أيام

جاء فى القرآن الكريم : « **تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام !**

عتوا عن أمر ربهم : أى خالفوا أمر الله .

قصة عاد وثمود وقوم نوح

وتشير الايات الى ما أصاب عاد وثمود وقوم نوح وكيف اجتثوا من فوق ظهر الارض والعرب تطلق على عاد وثمود العرب البائدة اى الذين أبيدوا ، وليس يعرف من تاريخهم الا أن عادا كانت تقيم بالاحقاف فى جنوب الجزيرة بالقرب من حضرموت وان ثمود كانت تقيم فى شمال الجزيرة فى الطريق بين المدينة والشام فيما يعرف الان بمدائن صالح ، وقد فصلنا القول من قبل وسنعود الى تفصيله فى سور مقبلة ان شاء الله ، اما الان فنقف عند حدود الايات ان الله قد سلط على عاد ريحا صرصرا عاتية ، واما ثمود فقدأرسل عليهم الصاعقة ، وأحيانا يسميها القرآن بالصيحة (**وهم ينظرون**) اى نهارا (**فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين**) أى ما استطاعوا أن ينهضوا ويتحركوا مجرد حركة لينجوا بأنفسهم (**وماكانوا منتصرين**) أى ما كان لهم ناصر ؟ **وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين** » وكما هلكت عاد وثمود فكذلك هلك قوم نوح بالطوفان .

ـ والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون ● والارض فرشناها فنعم الماهدون ● ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ●

مفردات :

بأيد : بقوة

وانا لموسعون : أى قادرون : وانا لذو سعة لا تضيق عن خلق مثلها الى ابد الابدين .

الماهدون : مهد الامر : أى سواه وأصلحه ، ومهد الفراش سواه وبسطه

السماء والارض والحياة :

وتتحدث هذه الايات عن عناصر الكون الثلاثة التى تشمل الانسان وتحيط به ونعنى بها السماء والارض والحياة ويتجلى اعجاز القرآن على أشده عندما تراه يصف كل عنصر من هذه العناصر التى تؤلف هذا الكون من اخص ما يتميز به ، فخاصية السماء هذه الابعاد غير المتصورة بين اجرامها وكواكبها ومن هنا اشار الى قدرة الله اللا نهائية التى لا يحدها حد (**بنيناها بأيد وانا لموسعون**) وقد طالعنا لبعض علمائنا الافاضل ، محاولة للربط بين كلمة « **لموسعون** » وبين ما تقوله به بعض نظريات العلم الحديث ، من ان الكون فى حالة « **تمدد مستمر** »

ولكنا لا نميل الى هذا الرأى ونؤثر ان نقف عند حد تفسير ، **لموسعون** : أى القادرون

ظاهرة الارض الكبرى

واذا كانت ظاهرة السماء الكبرى هى السعة وابعادها (الخرافية) فان ظاهرة الارض الكبرى هو وجود الانسان على ظهرها وتهيئتها لسكناه ببسطها (رغم كرويتها) « **والارض فرشناها فنعم الماهدون !**

ظاهرة الحياة :

أما أعظم ظواهر الكون على الاطلاق فهى ظاهرة الحياة ، واليها يشير القرآن الكريم بقوله « **ومن كل شىء خلقنا زوجين** »

والمفسرون القدامى على أن زوجين بمعنى صنفين أما نحن فنفسر هذه الاية على ضوء آية سورة

النجم : « خلق الزوجين الذكر والانثى » فعندما يطلق القرآن ويقول : « ومن كل شىء خلقنا زوجين » فان ذلك يعنى انه ما من شىء فى هذا الكون الا ذكر وانثى الانسان والحيوان والنبات ، بل وحتى الجماد (الموجب والسالب) وهذه الحقيقة من انه حتى النبات فيه ذكورة وأنوثة حقيقة كان يجهلها العالم حتى وقت قريب جدا وبطبيعة الحال لم يكن العرب يعلمونها ، فعلى أيام سيدنا محمد كان الزراع

(يؤبرون النخل) أى يلقحونه دون أن يعرفوا ماذا يفعلون فيقتطعون بعض اجزاء من نخل معين ليضعوها فى نخل آخر ، وحدث ذات مرة ان شاهد سيدنا محمد المزارعين يقومون بهذه العملية فسألهم عنها فأجابوه أنهم هكذا يفعلون (دون أن يدروا السبب ، وهو عملية التلقيح بين الذكوره والانوثه) ولما كانت معارف سيدنا محمد الانسان لا تزيد عن معارف معاصريه فقد قال لهم ما معناه أنهم لو كفوا عن هذه العملية فلن يتغير شىء ، وقد كانت هذه الملاحظة العابرة كافية لان يتوقف المزارعون عن « تأبير النخل » فلم يجد البلح فى هذه السنة بما اعتاد ان يجود به ، فلما ذكروا ذلك لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قولته التى أصبحت أحد الاصول « أيها الناس أنتم أعرف بشئون دنياكم » . أى أعرف بشئون فنونكم واسرار حرفكم وصناعتكم ،

ولقد ذكرنا هذه الحادثة لندلل على ان سيدنا محمدا الانسان لا يعلم ان فى النبات كما فى الانسان ذكورة وانوثة وأنه لابد من عملية تلقيح بينها ليقع الانتاج ، فعندما يقول لنا القرآن « ومن كل شىء خلقنا زوجين» فيجب ان تقطع ألسنة المتخرصين ، وأن يقروا ويعترفوا قبل فوات الاوان ، ان ذلك وحى من رب العالمين من خلق السموات والارض والحياة ويعرف كل أسرارها (لعلكم تذكرون)

وهو وحده المنفرد بالوحدانية :

وبقى ان نذكر ونحن نختم هذه الفقرة ان الله عز وجل هو وحده المنفرد بالوحدانية سبحانه وتعالى ، وأما من عداه ففيه الذكورة والانوثة وفيه السالب والموجب .

« ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »

ـ ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ● ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين ● كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون ● اتواصوا به بل هم قوم طاغون ● فتول عنهم فما أنت بملوم ● وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

مفردات :

فروا الى الله : أى الجأوا اليه بعبادته واطاعة أوامره وتجنب معاصيه .

والنذير هو سيدنا محمد يحذر الناس من عصيان ربهم الى أبد الابدين .

انى لكم منه نذير مبين :

ولا تجعلوا مع الله الها آخر :

وعلى رأس الجرائم التى يمكن أن يرتكبها الانسان نحو ربه هو أن يشرك معه معبودا آخر ، ويخطىء بعض الناس فيتصورون ان هذا المعبود الاخر لا يكون الا صنما من الحجارة ، ولكن المعبود الاخر قد يكون المال ، وقد يكون ملكا أوسلطانا ، وقد يكون مجرد هوى الشخص فيعبد الانسان نفسه .

ضد كل هذه المخاطر التى يمكن أن يتردى فيها الانسان ، جاء سيدنا محمد لينذر ويحذر (**انى لكم منه نذير مبين**) .

ـ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون .

رأينا فى سورة الطور ومن قبلها فى سورة ن كيف تخرص مشركو قريش على سيدنا محمد فوصفوه بالجنون وبأنه ساحر أو كاهن أو شاعر ، والقرآن هنا يسرى عن سيدنا محمد ويفهمه أن هذه الاتهامات والاوصاف قد انصبت على رأس كل من سبقه من الرسل .

اتواصوا به : ويتساءل القرآن تساؤل العارف يجيئون بعدهم بأن يكذبوا الرسل .

بل هم قوم طاغون :

أى لم يوص بعضهم بعضا ، وانما جمع بينهم الطغيان ، فالكافرون فى كل زمان ومكان تجمعهم سمة واحدة وهى تجاوز الحدود فى كل شىء .

فتول عنهم :

أى اعرض عنهم ولا تعبأ بقولهم .

فما أنت بملوم

اى عند الله ما دمت قد أديت الرسالة فليس عليك هداهم .

وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين :

ولكن ليس معنى ذلك أن تكف يا محمد (والكلام لكل مجاهد وواعظ الى أبد الابدين) عن الوعظ والارشاد فسيظل المؤمنون أنفسهم فى حاجة للوعظ والتذكير ، فلا يقولن قائل (وخاصة فى مثل وقتنا الحاضر) لقد بح صوتنا من كثرة التذكير ولا نرى جدوى من وراء مواصلة ما نحن فيه ، فلمثل هؤلاء يوجه القرآن الامر الخالد الابدى « **فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين** » ودعوة الحق لا تذهب فى هباء أبدا ، وان جاء عليها وقت تبدو كما لو كانت صرخة فى واد فلا تلبث أن تذهب بعد حين بالاوتاد أى تقتلع الباطل من أصوله .

ـ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ● ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ● ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ●

سر الوجود :

نصل الان الى الاية التى تشير الى سر الوجود ، وهى ككل المسائل الغيبية تكتفى بالاشارة والرمز ، تاركة حقيقة المراد والمقصود الى الله عز وجل ، وقدامى المفسرين لم يواجهوا الاية من هذه الزاوية ، وانما واجهوها من أعقد ما تثيره من مشاكل وصعوبات ولاثبت لك على سبيل المثال بعض ما جاء فى القرطبى :

قيل (أى الاية) خاص لمن سبق فى علم الله أنه يعبده فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص .

المعنى وما خلقت أهل السعادة من الجن والانس الا ليوحدون .

قال القشيرى والاية دخلها التخصيص على القطع ، لان المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال اراد منهم العبادة ..

وقال على رضى الله عنه : أى وما خلقت الجن والانس الا لامرهم بالعبادة واعتمد الزجاج على هذا القول ويدل عليه قوله « **وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا** » .

فان قيل : كيف كفروا وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لامره ومشيئته ؟ قيل وقد تذللوا لقضائه عليهم، لان قضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه .

وقيل الا « **ليعبدون** » أى ليقروا لى بالعبادة طوعا أو كرها .

قال مجاهد : الا ليعرفونى .

ويعلق الثعلبى على قول مجاهد فيقول : وهذا رأى حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده (١) .

ونكتفى بهذا القدر من النقل عن القرطبى .

أما الشيخ السلفى المحدث ابن كثير فلم يشأ أن يتوسع وقال : **أى انما خلقتهم لامرهم بالعبادة .**

واستعرض ابن جرير العديد من الاراء التى نقلت اليه ، ثم اختار قول من قال : أى ليقروا بعبادتى طوعا أو كرها .

رأينا الخاص :

وبعد ان ادينا لك أيها القارىء الكريم ، ما لك فى عنقنا من الامانة بنقل المأثور فى التفسير عن أشياخ المفسرين ، نسمح لانفسنا أن نذكر ما استقر فى ذهننا عن معنى هذه الاية ، فقد كان أول خطاب عام دخلت به الحياة العامة منذ أربعين سنة ، يدور حول هذه الاية وهى أن الغرض والحكمة من الوجود الانسانى هو عبادة الله فى الارض أى « خلافته »

وتكون العبادة هى خلافة الله فى الارض ، بمعنى البناء والانشاء والتعمين والاحسان وعمل الخير ، فاذا وجد على ظهر الارض من شذ وانحرف واتبع العصاة ، هكذا شاءت ارادة الله لحكمة يعرفها ، فلا يجب أن نشقى أنفسنا بمحاولة الغوص فى حكمة الله ، ولماذا خلق العصاة والمنحرفين ، فهذا شأنه و « **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** » وعلينا أن نقنع بظاهر القول من أن الله قد خلقنا لنعبده على أن تفسر العبادة بمدلولها الواسع ، أى خلافة الله فى الارض بالانشاء والتعمير والاحسان بعمل الخير بكل فروعه ومشتقاته ، ونقف عند هذا القدر ولا نخوض فيما وراءه مما اضطر الخائضين لصرف ظاهر الاية التى تجزم وتقطع بأن سر وجود الانسان وغير الانسان من الكائنات التى نعلمها او التى لا نعلمها هو عبادة الله « **وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** » والله تعالى أعلم بمراده .

— ما أريد منهم من رزق ● وما أريد أن يطعمون ● ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ●

وهذا هو ما يجب أن يفهمه كل مؤمن وأن يتعمق فى فهمه ، فالله فى غنى عن العالمين ، وما الدنيا بكل ما ومن عليها لاتساوى عند الله جناح بعوضة، فنحن عندما نحسن انما نحسن لانفسنا ، والعبادة اصدق العبادة هى لخيرنا نحن ولفائدتنا ونفعنا ، فالله هو الرزاق ذو القوة المتين ، أى الشديد القوة .

— فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ●فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ●

فويل للذين ظلموا : قيل كفروا من أهل مكة ، ونراها عامة للكفار فى كل زمان ومكان (**ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم**) أى نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الامم السابقة .

واصل الذنوب فى اللغة « **الدلو العظيمة** وكانوا يستقون به الماء ثم يقسمونه بعد ذلك على الانصباء ، **ومن هنا قيل للذنوب نصيبا قال الشاعر :**

لعمرك والمنايا طارقات

لكل بنى أب منها ذنوب

فلا يستعجلون : أى فلا يتعجل كل من كفر وعصى وانحرف نزول العذاب به ، فيوم الكافرين حيث يقتص منهم آت لا ريب فيه ،وعندها فالويل لهم ، أى العذاب والهلاك لهم « **فويل للذين كفروا من يومهم الذى** يوعدون » .

صدق الله العظيم

تم بعون الله تفسير سورة والذريات ، وتليها سورة ق .

---

(١) فى النفس أشياء من هذا القول

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ
عبد الجليل عيسى

مرحبا بمقدمك يا هلال ربيع النور مبشرا بطلعة من قال فيه ربه : [وما أرسلناك الا رحمة للعالمين] صدق الله العظيم .

(٧٥)

لم يأت التشريف الالهى لنبى من الانبياء مثل ما أتى لخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ضرورة ان كل نبى جاء لامة من الامم زمنا معينا ثم يأتى بعده نبى آخر يبلغ رسالة ربه لامته .

أما محمد ، خاتم الرسل ، فانه جاء للعالم اجمع ، يبلغ أنسه وجنه ، رسالة ربه ، ويكون ارساله رحمة لهذين الثقلين [الانس والجن] ثم بعد ذلك رحمة حتى للحيوان . والاحاديث الصحيحة التى وردت عنه صلى الله عليه وسلم ، تحذر من ايذاء الحيوان بالكى فى مواضع بارزة منه ، او تجويعه ، أو تحميله ما لا يطيق ، هذه الاحاديث تجل عن الحصر ، وما حديث المرأة التى دخلت النار فى هرة حبستها ، لا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض ، حتى ماتت .. !! هذا الحديث ليس مجهولا لمسلم .

أما رحمته صلى الله عليه وسلم للانس والجن فبديهية ، يدركها كل من تتبع ما جاء فى شريعته ، عليه الصلاة والسلام ، من تعاليم لو عمل الناس بها لكانت حياتهم كلها سعادة لا شقاء فيها ، وكيف لا يسعد العالم بالعمل بشريعة لم تترك فضيلة ولا بابا من أبواب الخير الا ورغبت فيه ، ولا نقيصة ولا بابا من أبواب الشر الا حذرت منه .

ومما جاء فى هذه الشريعة الخالدة من مبادىء الخير والسعادة ، التى أمر الله تعالى بها ، كثير جدا ، لا يحتويها الا أسفار ضخام .. منها صفة الرحمة التى اختص الله سبحانه بها خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بأن تكون للمؤمنين به فى الدنيا والاخرة كما قال سبحانه « **هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما** » ٤٣ الاحزاب .
وبالرحمة العامة أيضا لكل موجود حتى الحيوانات

روى الامام احمد بن حنبل ، عن عمرو بن أبى قرة الكندى ، قال : كان حذيفة بن اليمان العبسى واليا بالمدائن فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وحذيفة هو صاحب السر فى حادثة غزوة العسرة الذى لم يخبر به صلى الله عليه وسلم غيره ، وأمره بكتمه ، راجع تفسير قوله تعالى [وهموا بما لم ينالوا] آية ٧٤ من سورة التوبة . فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حذيفة الى سلمان الفارسى زائرا ، وكان سلمان مقيما بالمدائن ، فقال : يا حذيفة : ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم خطب يوما فقال : « **أيما رجل سببته فى غضبى ، أو لعنته ، فانما أنا رجل من ولد آدم ، أغضب كما يغضبون ، وانما بعثنى الله رحمة للعالمين ، وقد رجوت ربى أن يجعل ما صدر منى فى حال غضبى صلاة ورحمة لمن دعوت عليه ، يوم القيامة** » وروى هذا الحديث أبو داود عن أحمد ابن يونس .

وفى رواية ذكرها القاضى عياض فى كتابه الشفاء ، أنه صلى الله عليه وسلم دعا ربه وعاهده فقال : « **انما أنا بشر اغضب كما يغضب البشر ، فايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك يارب له زكاة ورحمة وطهورا يوم القيامة** » .

ثم قال ابن كثير : **فان قيل فأى رحمة تحصل لمن كفر به صلى الله عليه وسلم** ، والله يقول انه رحمة للعالمين ، **فالجواب** ما رواه أبو جعفر بن جرير ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، فى تفسير كونه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . قال : **من آمن بالله واليوم الاخر ثبتت له الرحمة فى الدنيا والاخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله نجا مما أصاب الامم السابقة من الخسف والقذف الى آخر ما ذكره الله تعالى فى سورة العنكبوت** فانه سبحانه بعدما ذكر ما حصل من الامم التى كذبت رسلها قال : [**فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا [1] ومنهم من أخذته الصيحة [2] ومنهم من خسفنا به الارض [3] ومنهم من أغرقنا (٤) وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .**] آية ٤٠ من سورة العنكبوت .

وقال الالوسى فى تفسيره لهذه الاية [**وما ارسلناك الا رحمة العالمين**] والظاهر أن المراد بالعالمين مايشمل الكفار ، ووجه ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أرسل بما هو سبب لسعادة الدارين الا أن الكافر فوت على نفسه الانتفاع بشرعه صلى الله عليه وسلم ، واعرض لفساد استعداده ، وعناده ، وكون الكافر كذلك لا ينافى كونه صلى الله عليه وسلم رحمة بالنسبة اليه ، كما لا يضر كون عين الماء العذب نافعة مع عدم انتفاع الكسلان بها لكسله عن اخراج الماء منها .

وقال الالوسى ايضا فى تفسير قوله تعالى [**ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون**] آية ١٥٦ من سورة الاعراف قال [**وسعت كل شىء**] أى من شأنها أنها واسعة تبلغ كل موجود ، فما من مسلم ، ولا كافر ، ولا مطيع ، ولا عاص ، الا وهو متمتع فى الدنيا بنعمة الرحمة .

وقوله سبحانه [فساكتبها .. الخ] أى اذا كان الامر كما ذكر ، فساكتب رحمتى **الخاصة** وهى ما كانت عامة ، فى الدنيا والاخرة للذين يتقون الكفر والمعاصى ، ويؤتون الزكاة .. الخ قال تعالى [**فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق**] البقرة . وقال [**ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**] آيتى ٢٠٠ ، ٢٠١ من سورة البقرة .

وقال الحسن البصرى ، وقتادة ، وسعت رحمته سبحانه فى الدنيا البار والفاجر ، وهى فى الاخرة للمتقين **بخاصة** .

فجاءت جملة [فساكتبها .. الخ] على أسلوب ما يسميه علماء البلاغة **الاستخدام** : وهو أن يذكر المتكلم لفظا يصلح لمعنيين ، فيذكره أولا مرادا به احدهما ، ثم يذكر ضميره ثانيا مرادا به المعنى الاخر . ومن ذلك فى كلام العرب قول الشاعر :

اذا نزل السماء بارض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا

أراد بالسماء أولا المطر الذى ينزل من جهتها ، وأراد بضمير الغائب العائد عليه النبات الناتج عنه .

وكقول الاخر :

وسقى الغضا والساكنيه وأن هموا
شبوه بين جوانحى وضلوعى

[**والغضا**] شجر من نوع الاثل ، خشبه من أصلب أنواع الخشب ، وجمره يبقى زمنا طويلا لا ينطفىء . [والساكنيه] يريد أحبابه الساكنين بجواره ، وأراد بضمير الغائب العائد على الغضا فى قوله [شبوه] **ناره** . يقول العربى شب النار ، والحرب ، أو قدها .

---

١ — الحاصب ريح عاصفة فيها حجارة صغيرة مهلكة لقوة اصابتها والذين أرسل عليهم هذا الحاصب هم عاد قوم هود لما فى آيات ٢١ وما بعدها من سورة الاحقاف و ٦ وما بعدها من سورة الحاقة .

٢ — هم ثمود قوم صالح كما فى آيتى ٦٧ ، ٦٨ من سورة هود .

٣ — كقارون ومن معه وقوم لوط انظر آية ٨٢ من سورة هود وآيتى ٨١ ، ٨٢ من سورة القصص .

٤ — هم فرعون وجنوده كما فى آيات ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ من سورة يونس . وقوم نوح كما فى آيات من ٢١ الى ٢٧ من سورة نوح .

وقال صاحب المنار فى تفسير قوله تعالى [**واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها .. الخ**] آية ٨٦ من سورة النساء ،فقال : فى زيادة (ورحمةالله) فى رد السلام على غير المسلم قال المرحوم الشيخ محمد عبده : قد روى ابن جرير عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، أنه قال من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا ، فان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها .. الخ .

قال صاحب المنار تعليقا على هذا الاثر [وقد نزلت هذه الاية فى سياق أحكام الحرب ومعاملة المحاربين من أول آية ٧٤ النساء ، قال : ومن قال لخصمه [السلام عليك] فقد أمنه على نفسه .

ثم قال : ومما ينبغى بيانه هنا أن بعض المسلمين يتبرمون أن يحييهم غيرهم بلفظ السلام ، ويرون أنه لا ينبغى لغير المسلم أن يتادب بشىء من آداب الاسلام ، وفات هؤلاء أن الاداب الاسلامية اذاسرت فى قوم ، فانهم يألفون المسلمين ، ويعرفون فضلهم، وفضل دينهم ، وقد يكون ذلك مرغبا لهم فى الاسلام، وقد روى عن بعض الصحابة كابن عباس انهم كانوا يقولون للذمى : السلام عليك .

وروى عن الشعبى ، وهو من أئمة السلف ، أنه لما سلم عليه نصرانى رد عليه بقوله : وعليك السلام ورحمة الله تعالى . ولما سئل كيف تقول له [ورحمة اله] قال : اليس فى رحمة الله يعيش !!

وفى حديث البخارى قوله صلى الله عليه وسلم فى المطلوب من المسلم : « أن [**تقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف**] » .

وقد روى الطبرانى ، والبيهقى من حديث أمامة أن الله سبحانه جعل السلام تحية لامتنا ، وأمنا لأهل ذمتنا ، أى من الغدر به ، أو ايذائه ، وكل ما يسىء .

وقد أطلعت فى هذا المقام على قصيدة من عيون الشعر لاديب معاصر ، نفس بها عن نفسه عندما قرأ كلمة خاطئة ، جرى بها قلم طائش ، مست مقام الرسوم الاكرم صلى الله عليه وسلم ، فما امتطى قلمه أصابع يمناه حتى سالت منه على القرطاس عصارة فؤاد مكلوم ، ولم تكف حتى بلغت نحو مائتى بيت ؟ وسيقرؤها الملا عما قريب كاملة . ونقتطف منها الان هذه الابيات لهذه المناسبة الكريمة .

هو الرحمة العظمى تطلق [١] غيثها
ففى كل قطر من سحائبه قطر

له المجد لا يبلى على الدهر ذكره
وان جحد المفتون أو جهل الغمر[٢]

تقاس الى الاميال آفاق مجده
اذا قاس أمجادا سوى مجده الشبر

جواد — تعالى الله باسط كفه
يكاد الندى فيها يضوع له نشر

كأن به بحرا تطارح زاخرا
وعن كفه تجرى جداوله الكثر

يجود كما جاد الغمام فلا هوى
ولا منة يذوى على شرها الخير

وفى وجهه لالاء [٣] نفس رضية
كريمة نجر زاد طيبا بها النجر [٤]

أطل ودنيا الناس بغى واحنة (*)
ووحر صدور بات يغلى بها الوحر[٥]

وللعقل منها مزجر الكلب راجفا
تطارده البغضاء والنظر الشذر

فليس له كالاسد ظل عرينه
وليس له كالطير عش ولا وكر

وذو الرشد مطوى طوى البأس رشده
وذو الغى منشور له الطى والنشر

وعدل ميزان المفاخر فاستوى
وفى كفتيه الحق والخير لا غير

وخفت به الانساب الا حوافزا
لخير فلا قربى لديه ولا صهر

فعز به ذل العبيد ولم يكن
بغير دروب الهون يجرى لهم ذكر

وقام بلال يثقل الارض هيبة
وكان على الميزان يعدله الذر

---

(١) انساب : يجرى لا يحجزه شىء
(٢) الغمر : بكسر الغين وسكون الميم هو الجاهل الاحمق .
(٣) لالاء : أى ضوء متموج متوهج (*) الاحنة : الحقد .
(٤) النجر : اى الاصل .
(٥) الوحر : الغيظ

موازين من عدل النبوة عدلها
سواء عليها السود والسمر والشقر

بها بدأت دنيا العزازة خطوها
وان رسول الله خطوتها البكر

تجلى لدنيا الشر والشر مخصب
مخلى له فى كل ناحية هدر

وفى الناس طغيان تطارح [٦] بحره
يموج اجاجا لا يلوح له عبر (*)

فأذن فى القوم استبد بهم عمى
وصرفهم بغى واثقلهم اصر [٧]

فخفوا اليه ـ خف كهل[٨] ويافع[٩]
وشيخ.وذات الخدر خف بها الخدر (١٠)

فهز بهم دنيا الطواغيت مسلما
الى الله وجها جال فى مائه البدر

وما خير دنيا عبد الهون أهلها
يصبحهم قسر ويمسى بهم قسر [١١]

تدر لاهل الشر فيها حلائب [١٢]
وليس لاهل الخير من درها در

وللجهل فيها الحكم جور قضاؤه
وفى أمره أمر وفى زجره زجر

بنفسى أبر الناس بالناس داعيا
الى البر والدنيا شحيح ومعتر

فديت الثرى فى الارض مس جبينه
ببدر وقد قامت على ساقها بدر

يناجى وقد طابت به الارض ساجدا
عليما سواء عنده السر والجهر

ومن حوله الايمان صفا جنوده
وقد صبروا للضيم حتى انقضى الصبر

دعاهم لنصر الحق والحق حجة
تقوم اذا قامت به البيض [١٣]والسمر

فطاروا اليه قلة عز نصرها
ولله فى شتى مناقبهم سر

فمد بهم ظلا من الامن سابغا
يطيب به للسالك الراشد السير

وارسى بناء العدل دينا وشرعة
فعدل الورى المرموق من عدله سؤر

وليس له فى عيشه عيش رافه
هو التمر معدودا على كفه التمر

وليس له قصر تالق حسنه
ومن ضاق بالاوهام ضاق به القصر

ينام على الحصباء ملء جفونه
وليس له فرش تمهد بل حصر

أقام على الدنيا وزالت ركابه
سواء لدى أبياته الترب والتبر

الا أيها المفتون ضل خياله
وللشيخ احيانا خيالاته الغثر [١٤]

خف الله ان الله مر عقابه
وخف منك اطماعا يلج بها الخسر

لددتك [١٥] نصحى والاخاء نصيحة
يموج بها صدر ويعنولها صدر

---

(٦) اى تدافع ماؤه مسرعا واتسع
(*) العبر شاطىء البحر .
(٧) الاصر : الحمل الثقيل
(٨) الكهل : الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب
(٩) اليافع : هو الغلام دون الكهل .
(١٠) اسرعت الى اجابة دعوته حتى كان الخدر هو الذى اسرع بها كقول العربى يصف عودته هو ورفاقه بعد اداء فريضة الحج قال :

فلما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطى الاباطح

(١١) القسر : الظلم والجبر
(١٢) الحلائب : هى النعم التى فى اثدائها الالبان
(١٣) يريد السيوف والرماح
(١٤) الغثر : اى الغبر المنحطة
(١٥) اللدوذ هو دواء يوضع فى احد شدقى الفم ، ويقال : لددت الرجل لدا اذا تسقيته هذا الدواء .

الغيب

الأستاذ فتحي رضوان

وصف الله تعالى فى أولى آيات سورة البقرة ، المتقين ، فقال انهم « الذين يؤمنون بالغيب » فماذا يكون هذا الغيب ؟

قال القرطبى فى شرح الاية : الغيب فى كلام العرب ، كل ما غاب عنك » .

ثم قال : واختلف المفسرون فى تاويل الغيب هنا ، فقالت فرقة : الغيب فى هذه الاية ، الله سبحانه ، وضعفه ابن العربى ، وقال آخرون القضاء والقدر ، وقال آخرون : القرآن وما فيه من الغيوب ،وقال آخرون ، الغيب كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدى اليه العقول من أشراط الساعة ، وعذاب القبر والحشر والنشر ، والصراط والميزان والجنة والنار . قال ابن عطية ، وهذه الاقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها » .

ثم قال القرطبى : وهذا هو الايمان الشرعي المشار اليه فى حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، فاخبرنى عن الايمان قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ، ثم قرأ : الذين يؤمنون بالغيب » ثم قال القرطبى : وفى التنزيل وما كنا غائبين » وقال الذين يخشون ربهم بالغيب فهو سبحانه غائب عن الابصار ، غير مرئى فى هذه الدار ، غير غائب بالنظر والاستدلال فهم يؤمنون بأن لهم ربا قادرا يجازى على الاعمال ، فهم يخشونه فى سرائرهم وخلوهم التى يغيبون فيها عن الناس ، لعلمهم باطلاعه عليهم ، وعلى هذا تتفق الاى ولا تتعارض والحمد لله » .

وقال ابن جرير الطبرى فى تفسير الاية . عن ابن عباس « بالغيب » قال بما جاءمنه يعنى من الله جل ثناؤه ، وعن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : أما الغيب مما غاب عن العباد من أمر الجنة وامر النار ، وما ذكر الله تبارك وتعالى فى القرآن ، لم يكن تصديقهم بذلك ، يعنى المؤمنين من العرب ـ من قبل اصل كتاب او علم كان عندهم » .

وعن زر : قال الغيب القرآن ، وعن قتادة « آمنا بالجنة والنار ، والبعث بعد الموت ، وبيوم القيامة ، وكل هذا غيب » وعن الربيع بن انس « الذين يؤمنون بالغيب » : آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر ، وجنته وناره ولقائه ، وآمنوا بالحياة بعد الموت ، فهذا كله غيب وأصل الغيب : كل ما غاب عنك من شىء ، وهو من قولك : غاب فلان يغيب غيبا » .

وجاء فى تفسير المنار ، ان الايمان بالغيب هو الاعتقاد بموجود وراء المحسوس ، وجاء فى التفسير ان الشيخ محمد عبده قال : وصاحب هذا الاعتقاد واقف على طريق الرشاد ، وقائم على أول المنهج ، لا يحتاج الا لمن يدله على المسلك ، ويأخذ بيده الى الغاية ، فان من يعتقد بأن وراء المحسوسات موجودات يصدق بها العقل ، وان كانت لا يأتى عليها الحس ، اذا أقمت له الدليل على وجود فاطر السموات والارض المستعلى عن المادة ولواحقها ، المتصف بما

وصف به نفسه على السنة رسله ، سهل عليه التصديق وخف عليه النظر فى جلى المقدمات وخفيها ، واذا جاء الرسول بوصف اليوم الاخر ، او بذكر عالم من العوالم التى استأثر الله بعلمها ـ كعلم الملائكة ـ مثلا ـ لم يشق على نفسه تصديق ماجاء به الخبر ، بعد ثبوت النبوة لهذا جعل الله سبحانه وتعالى هذا الوصف ، فى مقدمة أوصاف المتقين الذين يجدون فى القرآن هدى لهم » .

ثم قال :

« ولما كان الايمان بالغيب يطلق عند الناس على ذلك الاستسلام التقليدى الذى لم يأخذ من النفس الا ما أخذ اللفظ من اللسان ، وليس له أثر فى الافعال ، لانه لم يقع تحت نظر العقل : ولم يلحظه وجدان القلب : بل أغلقت عليه خزانة الوهم ومثل هذا الذى يسمونه ايمانا لا يفيد فى اعداد القلب للاهتداء بالقرآن » .

ولقد ورد لفظ (الغيب) كمصطلح قرآنى ، بالمعنى الذى سلف به القول ، مرة واحدة ، اى فى الاية الاولى من سورة البقرة ، ولكنه ورد بمعنى « المجهول » بصيغة المفرد وصيغة الجمع ، فى نحو بضعة وأربعين موضعا من ذلك ما وصف به الله تعالى ذاته من أنه عالم الغيب والشهادة « عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » المؤمنون « ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم » السجدة . « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » الرعد . وجاء هذا الوصف بصيغ الجمع فى سورة المائدة « قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب » وفى سورة التوبة : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب » وفى سورة سبأ « قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب » .

وعن الماضى المجهول وردت فى أكثر من موضع عبارة « أنباء الغيب » ففى سورة آل عمران « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك » وفى سورة يوسف « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك » وفى سورة هود : « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك » » .

أما المجهول المضمر ، عند الله فقد ورد عنه فى سورة الانعام : « لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب » وفى الاعراف « ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير » وفى سبأ « لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين » .

ويستعمل القرآن لفظ الغيب ، بمعنى ما يجرى فى غيبة انسان ما ، أو ما يجرى ولا يرى بالعين ، وانما يعرف وجوده بالعقل ، ويحس بالوجدان ، فبالمعنى الاول ما جاء فى سورة يوسف « ليعلم أنى لم اخنه بالغيب » وما جاء فى سورة النساء « حافظات للغيب » .

وبالمعنى الثانى ما جاء فى سورة الانبياء ، الذين يخشون ربهم بالغيب » وفى سورة يس : « انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب » .

فالغيب الذى يكون الايمان به ، من خصائص المؤمن المسلم المتقى ، هو فى رأى بعض أصحاب الرسول هو « الله » سبحانه وتعالى ، وهو فى رأى فريق آخر من هؤلاء الرجال ، الذى قام الاسلام على قواعد من ايمانهم الخالص ، بالله ورسوله ، هو القرآن ، وعند فريق ثالث ، هو كل ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ، مما لا تهتدى اليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر ، والصراط والميزان .

والمتفق عليه ان للمسلم ، أن يختار من هذه الاراء ما يطمئن اليه قلبه ، وتهدأ عنده نفسه ، اذ ليس هناك مذهب رسمى ، يحمل عليه المسلمون ، فيم تختلف فى تحصيله وادراكه الافهام ، وتتفرق فى استنباطه واستخراجه العقول ، ما دام يخلص الى رأى ، له سند من الكتاب أو السنة ، أو منهما معا ، بعد اجتهاد صادق ، وكان مؤهلا للاجتهاد بحكم علمه باللغة والقرآن والسنة ، وبحكم تجرده من الهوى والغرض .

فليس الغيب ، مرادفا للغيبوبة ، عند المسلمين ، وليس هو رخصة ممنوحة بلا مقابل ، للدجاجلة والمشعوذين ، والراغبين فى الاستغراق فى الاحلام والاوهام ، ولا هى منحة للكسالى عقليا ونفسيا ، الذين يؤثرون أن يتلقوا من الاباء والاجداد ، أو من القادة والرؤساء ، أو من الاساتذة والمربين ، ايمانا معدا لهم ، يتجرعونه ، كالدواء ، دفعة واحدة ، ثم يريحون عقولهم من أن تفكر ، ونفوسهم من أن تتدبر وتتأمل ، وعزائمهم من أن تجاهد وتعانى ، فاذا صادفتهم صعوبة ، أو اعترض سبيلهم مجهول ، أو استعصت عليهم مشكلة ، اعتبروها جزءا من الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، والذى يجب على المؤمن أن يفوض فيه أمره الى الله ، لا يبحث ولا يتساءل ، ولا يدرس ولا يناقش ، فيصبح فريسة سهلة ، للذين يتخذون من عقول الناس ونفوسهم أنعاما ، ليقودوهم من خطامهم الى حيث يريدون ، ليكسبوا من تكتلهم وراءهم ، جاها ، ومالا .

فالغيب عند المسلمين ، هو صنو العلم ومرادفه ، وباب المعرفة وسبيلها ، وليس حجرا على العقول ، ولا قيدا على الافهام ، فالعالم ، هو أولى الناس بأن يقول لا أعرف ، ولا أعلم ، لان ادعاء العلم ،والاجتراء على المعرفة ، هو داء ، أقتل من الجهل ، وأسوأ من العجز .

ومن هنا ، جاء فى القرآن ، آيتان ، تكمل احداهما الاخرى : « وقل ربى زدنى علما » ، « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

ولقد درج تلامذة ودعاة العلم المادى ، على الهزء والسخرية من الدين والمتدينين ، لان الدين ، يدعو الاخذين به ، والسائرين فى طريقه ، الى الايمان « بالغيب » ، ويحسبون أن عدم ايمانهم بالغيب ، وعدم تسليمهم بوجوده ، هو لان العلم الذى أتيح لهم ، هو علم كامل ، وأنهم نجحوا فى تنقيته من شوائب الجهالة ، والخرافات ، والاوهام ، وأنهم تحصنوا ضد الدجل والاكاذيب والخزعبلات . والحق أنهم بذلك يسجلون على أنفسهم ، الجهل مرتين .

المرة الاولى ، لانهم لم يكلفوا أنفسهم عناء معرفة ما يقصده الدين ، والدين الاسلامى ، بصفة خاصة ،

« بالغيب » ، وبأثر هذا الاعتقاد ، فى علماء المسلمين » ونصيبه فى انشاء الحضارة الباهرة التى لانزال ننعم بها الى اليوم ، باعتبار أن العرب هم الممهدون والرواد السابقون مباشرة على عصر النهضة الحديثة فى أوروبا التى أفضت الى عصر الثورة العلمية ، ثورة البخار فالحديد والصلب ، فالكهرباء فالطاقة الذرية .

أما المرة الثانية ، فهى حينما يحسبون أن العلم نجح ، أو سينجح ، فى أن يحيط بكل قوى العالم ، وقوى الانسان معا ، وأن يستغنى بهذا العلم ، عن الاحاطة بجوانب الكون غير المرئية ، وبمصير الانسانية الكلى ، بعد كل ما تجمع للانسان من أسباب السيطرة على المادة التى حوله .

والحق أننى أحب أن ادع الكلام هنا الى عالم وطبيب ، وحاصل على جائزة « نوبل سنة ١٩١٢ لابحاثه الطبية » ذلك هو الكسيس كيريل فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » قال :

« ان العلم الذى حول العالم المادى يمد الانسان بالقوة على تحويل نفسه ، فقد كشف له عن بعض ميكانيكيات الحياة السرية ، وأراه كيف يعدل حركته ، وكيف يصوغ جسمه وروحه فى قوالب ونماذج ولدتها رغباته ، فلاول مرة فى التاريخ أصبحت الانسانية ، بمساعدة العلم ، سيدة مصيرها ، ولكن هل سنصبح قادرين على استخدام هذه المعرفة بأنفسنا لمصلحتنا الحقيقية ؟ يجب أن يعيد الانسان صياغة نفسه حتى يستطيع التقدم ثانية ..

« ومن حسن الحظ أن حادثا لم يخطر على بال المهندسين والاقتصاديين والسياسيين قد حدث .. ذلك أن صرح المالية الامريكية قد انهار فجأة ، وفى بادىء الامر لم يصدق الجمهور وقوع الكارثة فعلا .. ولكن الانسان أصغى الى شروح الاقتصاديين فى استسلام مؤملا فى عودة الرخاء . الا أن الرخاء لم يعد ، ولهذا بدأ أكثر رؤساء القطيع ذكاء ، يرتابون ويتساءلون ، هل أسباب الازمة اقتصادية ومالية فقط ؟ الا يجب أن نتهم أيضا فساد وغباء الساسة ورجال المال ، وجهل وأوهام الاقتصاديين ؟ ألم تهبط الحياة العصرية بمستوى ذكاء الشعب كله واخلاقه ؟ لماذا يجب أن ندفع ملايين الملايين من الدولارات كل عام لنطارد المجرمين ؟ لماذا يستمر رجال العصابات فى مهاجمة المصارف بنجاح ، وقتل رجال الشرطة ، واختطاف الناس وارتهانهم ، أو قتل الاطفال بالرغم من المبالغ الضخمة ، التى تنفق فى مقاومتهم ؟ لماذا يوجد هذا العدد الكبير من المجانين ، وضعاف العقول بين القوم المتحضرين ؟ ألا تتوقف الازمة العالمية على الفرد والعوامل الاجتماعية الاكثر أهمية من العوامل الاقتصادية ؟ » .

و « كاريل » يتحدث هنا عن الازمة الاقتصادية التى نشبت فى ١٩٣٠ واستمرت حتى منتصف العقد الرابع فى القرن العشرين ، لا عن أزمة النقد المستحكمة التى وقعت سنة ١٩٧٢ ثم عادت الى الظهور ، على نطاق أوسع ، وبصورة أكثر تعقدا فى سنة ١٩٧٣ ، والتى لم تجد لها حلا الى الآن . فما أشبه الليلة بالبارحة !

وقال كاريل :

« يجب ان نحطم الحواجز التى انشئت بين اجزاء المواد الصلبة وبين الجوانب المختلفة لانفسنا ، فان الغلطة المسئولة عما نعانيه انما جاءت من فكرة نطيفة « لجاليليو » فقد فصل « جاليليو » كما هو معروف جيدا ، الصفات الاولية للاشياء وهى الابعاد والوزن التى يمكن قياسها بسهولة عن صفاتها الثانوية وهى الشكل واللون والرائحة التى لا يمكن قياسها .. ففصل الكم عن النوع (الكيف) ولقد جلب (الكم) المعبر عنه باللغة الحسابية العلم بينما اهمل الكيف .. لقد كان تجريد الاشياء عن صفاتها الاولية امرا مشروعا ، ولكن التغاضى عن الصفات الثانوية لم يكن كذلك .. فالاشياء غير القابلة للقياس فى الانسان أكثر أهمية من تلك التى يمكن قياسها .. فوجود التفكير هام جدا مثل التعادل الطبيعى ـ الكيميائى لمصل الدم ..

ثم قال :

« لما اتخذت التركيبات العضوية ، والاليات الفسيولوجية حقيقة أكبر كثيرا من التفكير والسرور والحزن والجمال ، لقد دفعت هذه الغلطة الحضارة الى سلوك طريق أدى الى فوز العلم وانحلال الانسان .

« واذا كان على الحضارة العلمية ان تتخلى عن الطريق الذى سارت فيه منذ عصر النهضة وتعود الى ملاحظة المادة الجامدة ببساطة ، فسوف تقع احداث عجيبة على الفور ستفقد المادة سيادتها ، ويصبح النشاط العقلى هاما كالنشاط الفسيولوجى ، وسيبدو الا مفر من دراسة الوظائف الادبية . والجمالية والدينية ، كدراسات الرياضة والطبيعة والكيمياء .. وسوف تبدو وسائل التعليم الحالية سخيفة ، وتضطر المدارس والجامعات الى تعديل برامجها ، وسيسأل علماء الصحة عن السبب الذى يحدوهم الى الاهتمام فقط بمنع الامراض العضوية دون الامراض العقلية والاضطرابات العصبية كما سيسألون عما يجعلهم لا يبذلون اهتماما بالصحة الروحية » .

« ولسوف يدرك الاقتصاديون ان بنى الانسان يفكرون ويشعرون ويتألمون ، ومن ثم يجب ان تقدم اليهم اليهم اشياء أخرى غير العمل والطعام والفراغ ، وان لهم احتياجات روحية مثل الاحتياجات الفسيولوجية .

وختم كلامه بقوله :

« ولما كان من الواضح ان تحرير الانسان من مذهب المادية سوف يقلب أغلبجوانب حياتنا ، فان المجتمع المصرى ، سوف يعارض بكل قوته هذا التقدم فى آرائنا » .

وخلاصة كلام كاريل ، الطبيب الباحث العلمى ، ان مصائب الانسانية التى تترى على رأسها ، والتى تمزق شعوبها ، وتلقى بها فى أتون الحروب العالمية حينا ، وسعير من الحروب الداخلية حينا آخر ، وفى أزمات المال والاقتصاد مرة وأزمات السياسة

والاحزاب مرة اخرى ، مردها أن الحضارة الحالية تقوم على دراسة الجانب المحسوس ، من الكون ، واهمال ما لا يحس ، ولا يقاس ، ولا يوزن ٠٠ اى ان المعرفة الانسانية بها خلل أدى الى خلل الحياة الانسانية ، وظهر هذا الخلل فيما تظهره الاحصائيات العلمية واحصاءات أجهزة الامن من أن الامراض العقلية والعصبية والنفسية فى تزايد مستمر ، فى أرقى المجتمعات الاوربية والامريكية ، وكلما زاد الرخاء المادى ، وبدأ العلم متفوقا ومحققا المعجزات فى دولة ، كما زاد فيها عدد الجرائم ، وعدد المعتوهين ، والشواذ ، والمنحرفين ، والمصابين بامراض النفس والعقل ٠ مثال ذلك ،ما أورده(اريك جون ونج وول) الكاتب الامريكى فى كتابه : « المرأة الامريكية » من أن فى الولايات المتحدة نحو عشرين مليونا ممن يعانون من الامراض النفسية ٠ والعصبية أى نحو عشر سكان الولايات المتحدة ، وفى احصائية حديثة نشرتها وزارة الشئون الاجتماعية عن نسبة الامراض العصبية والنفسية فى السويد ثبت ان ٢٥ فى المائة من السويديين مصابون بأمراض عصبية ونفسية ، وأن ٣٠ فى المائة من مجموع النفقات الطبية فى السويد تنفق فى علاج الامراض العصبية والنفسية وأن نسبة حالات الانتحار بين الشابات تزداد وعقب المراقبون على هذه الاحصائية بقولهم انها تدعو الى الذهول ، لان السويد تعتبر من أغنى أربع دول فى العالم ٠

ومن قبل ، أعلن رمزى كلارك النائب العام فى **الولايات المتحدة احصائية عن الجرائم فى الولايات المتحدة** ، علقنا عليها فى أكثر من حديث ، أو مقال وهى فى رأينا تدعو الى ذهول أكبر ، اذ يظهر منها انه لا تنقضى الا بضعة ثوان فى الولايات المتحدة لتقع جريمة قتل أو خطف أو اغتصاب اناث ، أو سطو مسلح ، أو حريق عمدى ، دع عنك جرائم التزييف وتهريب المخدرات والنصب والاحتيال وابتزاز المال بالتهديد أو العنف ٠

أليس كل ذلك قاطعا فى أن مجمع العلم المادى مجتمع فاسد ، ضار ، فينحدر الى هاوية الجنون والانتحار ، والجريمة ؟

فالعلم الذى لا يرفع عينه عن جانب من حياة الانسان ، ويتعالى عن جوانبه الاخرى: ويتجاهلها ، ويرمى بالنقص والعته ، من يلتفت اليها ، أو يقف أمامها ٠

ولكن الدين لا يفعل فعل هؤلاء ، خذ مثلا موقف الدين ، من الروح التى هى احدى عناصر الغيب ٠ ان المتدين لا يزعم أنه قادر على أن يجوس خلال مجاهلها ، ولا أن يعرف شيئا من عناصرها ، أو يزعم أن لها عناصر ٠ ولكن لا ينكر وجودها ٠ لان علماء الفسيولوجيا والبيولوجيا ، لا يقولون ان الانسان هو مجموع ظواهره الحيوية فحسب ، ويقررون انه الى جانب الحياة شيئا آخر ، يجعل من الانسان انسانا ، يضحى بحياته ، من أجل مثل أعلى ، كما يضحيها من أجل أولاده وعائلته ، وأحيانا من أجل لقمة العيش ٠ فالى جانب أجهزة الانسان الهضمية والتنفسية والتناسلية والعصبية يوجد نشاط لا تفسير له الا أن الانسان ليس جسدا فحسب ، وانما هو جسد وروح ٠ **ولكن ماذا تكون الروح ؟ لا أحد يعرف ، ولا أحد يقوى على الانكار ، الا على سبيل المكابرة ٠ الدين يقول ان الروح من أمر ربى ، فهو يؤكد وجودها** ٠ أما العلم ، فيسقطها من حسابه ، ويتجاهل وجودها ، وبوده ان يثبت أنها وهم ٠ ومن هنا يحدث هذا الخلل المروع فى هذا البناء الرائع ٠ بناء الحضارة الحديثة القائمة على الرياضيات و (الميكانيكيات) ، والمؤدى الى اطلاق الطاقة الهائلة المنبعثة من تفتيت المادة والكشف الهائل لعالم الالكترونات والليترونات ٠

فالانسان بعد كل هذا النجاح الذى حققه فى تسخير المادة ، واطلاق الطاقة ،لايزال كالعهد به فى عهد الغابة ٠ لا ينفك عن القتل والتدمير : يقتل أقرب الناس اليه ، وأحبهم لديه : أهل وطنه ، وأهل دينه ٠ وليس ثمة شهادة بالفشل ، أكبر من هذه الشهادة ، ولا أوضح منها ٠ انها شهادة دامغة ، لا ترد ٠

واذا كان أمثال (كيريل) بعد أن شبعوا من البحث العلمى ، وحققوا بفضله ما حققوا من المكانة ، ينادون بأن الانسان لابد أن يعيد صياغة نفسه ، وأن الخطأ الذى بدأ به الانسان ، هو اعلاؤه من شأن الكم عن النوع أو الكيف ، والاحتفال بالوزن والبعد ،دون الاحتفال بالشكل والرائحة ، أى بما يقاس ويوزن ويكال ، دون الاحتفال بما يحس ويتذوق ٠

يجب أن يفهم علماء علم الطبيعة والكيمياء ، وعلم الحياة وعلم وظائف الاعضاء ، لا على علماء الرياضة والميكانيكا ، وعلوم الاقتصاد والاجتماع ، أن يسلموا بأن الحياة الانسانية لا تفسير لها ، الا بأن هناك غيبا . وان الاقرار بهذا الغيب ، هو واجب علمى ، لا مجرد مهادنة للدين ، ولا خضوعا لموروثهم الوجدانى ، الذى آل اليهم عن الاباء والاجداد ٠ وعليهم أن يدركوا أن الدين فى معناه السامى ، حينما يؤكد الغيب ، انما يستكمل دراسة هذا الكون ، دراسة علمية ، لا أن يفتح بابا للاوهام ، ولا لدجل الدجاجلة ، وشعوذة المشعوذين ٠

وان الدين فى ذاته لايزال أكبر ما قام به الانسان من نشاط علمى ، وأنه لايزال رائد العلم ، وهاديه وحاميه ٠ واذا كان دين الانسان البدائى ، خليطا من الحقائق والاوهام ، فذلك لان العلم فى أعلى مراتبه ، هو خليط من الحقائق والاغلاط ، وان العلم نفسه ، يكشف كل يوم ، أن ما اعتبره الحقيقة الكاملة ، فى يوم من الايام كان بعض الحقيقة : نصفها أو ربعها أو أقل من ذلك بل انه يعثر كل يوم على الدليل على خطئه الكامل ، فى أمور بعضها ثانوى جزئى ، وبعضها أساسى وجوهرى ٠

واذا كان الاسلام قد قرر فى كتابه الكريم : ان الله لا يغفر ان يشرك به ، **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ،

فقد كان هذا المبدأ هو حجر الزاوية فى اطلاق عقل الانسان من ربقة أكبر الاوهام ، واكثرها فتكا به ، واهدارا لقوته . فالشرك لم يكن انكارا لوحدانية الله ، ولا عجزا عن الاهتداء الى القوة الخالقة للاكوان والمسيرة لها ، والمدبرة لها ، وانما كان عجزا عن اعمال الفكر ، وقعودا عن استنباط الحقيقة ، وخضوعا لاعداء العقل الانسانى وكرامة بنى الانسان ، المستغلين لسلطة الوهم عليه ، المثيرين فى نفسه الخوف من كل ما يحيط به من ظواهر الطبيعة وقواها . ولم يكد الاسلام يفرغ من تحرير عقل الانسان من هذا القيد الرهيب ، حتى أخذ يستحثه بكل وسيلة ، ويدفعه بكل أسلوب ، لان يتفكر ويتدبر ، ويتعقل ، وينظر فى نفسه ، وفى الافاق ، وفى النجوم ، وفى الكواكب ، وفى دلالات توالى الليل والنهار فى انتظام ، وأقبال الفصول ، وادبارها فى استقرار وعجائب الخلق ، واتساع الكون ، وجمال الحياة ، ولذائذها ، وأسباب انبعاث الشرور فيها ، وطرائق التضييق على معكرى صفوها ، ومقوضى نظامها . وبالجملة فتح الاسلام ، أمام العقل الانسانى ، أبواب العلم بمختلف دروبه ، وفروعه ، وثبت أقدامه على طريق المعرفة وأكد له بأنها السبيل الى العزة ، والى المنعة ، ثم الى الجنة .

واذا كانت محاربة الشرك ، ركن الزاوية فى بناء العلم ، فقد ضمن الاسلام ، للعقل الانسانى ، الحماية والحصانة ، حينما أكد بشرية الرسل ، الذين هم حملة العلم الى الناس ، وأكد الى جانب ذلك أنهم لا يعلمون الغيب ، وأنهم فى هذا ، كسائر بنى آدم ، ففى سورة الانعام : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب » وفى السورة ذاتها « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » وفى الاعراف « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » وفى يونس « انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين » واذا كان الرسل لا يعلمون الغيب ، واذا كان علم الغيب عند الله وحده ، فقد قفل باب الاتجار بهذا الغيب ، فى وجه كل من ينسب نفسه الى الانبياء من أتباع ، وخلفاء ، وأوصياء ، ومفسرى علمهم ، وشارحى دينهم . ولو بقى هذا الباب مفتوحا ، لولجه آلاف من المضللين ليطلعوا على الناس بدعاوى لا اول لها ولا آخر .

وامتلأ القرآن بعد ذلك بمئات من قواعد العلم القائم على التجربة والتمحيص ، والمقابلة والاستقراء ، من ذلك ما جاء فى سورة النجم « وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » وما جاء فى سورة الفرقان ، بيانا لصفات المؤمنين من أنهم من « الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » اى انهم يتدبرون الايات ولا يصدقون بها الا بعد تفكر وتأمل ، وفى سورة الحجرات « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » .

ويرفع القرآن قدر الدليل والحجة ويسميها « سلطانا » ويسأل الرسول عليه الصلاة والسلام المشركين عن الدليل دائما ، ويطالبهم به ويقول القرآن ، « أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين » . وتمتلىء آيات القرآن بلفظ (البينة) ، و (البينات) وهى الادلة والبراهين ، ويؤكد أن الرسل حين أرسلوا جاءوا بالبينات ، لا بمحض دعوة : « وجاءتهم رسلهم بالبينات » . يونس « جاءتهم رسلهم بالبينات ، فردوا أيديهم فى أفواههم » ابراهيم .

ولاعجب بعد ذلك أن يقرر القرآن الكريم : « انما يخشى الله من عباده العلماء » لان معرفة الله ، هى أصل المعرفة ، والمعرفة ، لا تتأتى الا لمن يسعى اليها ، فان دانت له كان من العلماء .

فاذا سولت لاحد نفسه – بعد ذلك – ان يعتبر الغيب عند المسلمين استسلاما للوهم ، أو ركونا للجهل ، أو اخذا عن السلف دون فهم ، أو كرها للعلم ، أو زهدا فى البحث ، أو عجزا عن النظر ، او تضييقا فى حرية الفرد ، أو ارهابا لصاحب راى ، فانه لا يعرف الاسلام ولم يقرأ القرآن ، ولم يستفت التاريخ ، ليفتيه كم للاسلام والمسلمين من أياد على العلم ، لولاها لما حقق العلم ما حقق ، واذا كان العلم قد ضل عن غايته ، والتوى عن قبلته ، فلان المسلمين تقاعسوا اليوم عن أداء رسالتهم ، فأصبح علم الناس ، علما بلا روح ، أو غلبته المادة ، واستأثرت به ، فأصبح شأنه شأن كل سجين ، لايرى من الدنيا ، الا ما تسمح به طاقة السجن ، مع احساسه بمرارة القيد ، وقسوة الاسر ، ومن يدرى فقد يستأنفون جهادهم ، ليعيدوا للعلم حريته ، وبالتالى للانسان كرامته .

لماذا عدّد النبي زوجاته ..؟

الدكتور أحمد الحوفي

فلنشرع فى تفصيل زواجه صلى الله عليه وسلم مقرونا ببيان الاسباب والملابسات والاهداف من كل زواج .

١ - السيدة خديجة (١)

ينطق تاريخ النبى بأنه قضى أنضر سنوات شبابه وأشدها اغراء بالمتعة التى كانت ميسورة فى مكة ، وعاش أعظم ايامه هدوءا أوفراغا لنفسه ،نزيها عنيفا ولم يخطب ولم يتزوج الى أن بلغ الخامسة والعشرين .

فلو أنه كان من رواد الاستمتاع كما يزعم المبطلون لانحرف قبل زواجه . ولو أنه كان ظامئا الى النساء لتعجل الزواج فى سن مبكرة على عادة الشبان من قومه ومن أترابه .

لكنه بقى الى الخامسة والعشرين حتى تاجر للسيدة خديجة بنت خويلد فى مالها ، فأعجبتها أمانته وسيرته .

وكانت السيدة خديجة من ذوات الحسب والثراء ، وكانت قد تزوجت مرتين فى بنى مخزوم ، ثم خطبها كثير من كبار قريش ، فرفضتهم ، لانها أيقنت انهم يريدونها لثرائها .

فماذا كان الصدى لاعجابها بأمانة محمد وسيرته ؟

لقد أرسلت هى اليه أختها أو صديقتها ، فقالت له : ما الذى يمنعك أن تتزوج ؟

قال : لست أملك ما أتزوج به .

قالت : فان كفيت ذلك ، ودعيت الى الجمال والمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟

قال : فمن هى ؟

قالت : خديجة بنت خويلد .

قال : فكيف لى بذلك ؟

قالت : على ذلك .

فاعلن لها رسول الله رضاه ، وهو يعلم أن خديجة تكبره بخمسة عشر عاما أو أكثر ، ويعلم أنها تزوجت قبله مرتين .

ثم تم زواج النبى بالسيدة خديجة ، فتوارى فارق السن أمام السعادة والوفاء وطيب العشرة والبهجة بالبنين والبنات ، اذ ولدت له السيدة خديجة القاسم وعبد الله (وهو الملقب بالطاهر والطيب) وزينب وأم كلثوم وفاطمة ورقية .

وتوارى فارق السن أمام ما نهضت به السيدة الجليلة من تصديقها برسالة محمد ، وتثبيتها له ، ومشاركتها اياه بنفسها وبمالها فى البأساء والضراء ، الى أن اختارها الله تعالى .

وقد كانت أول من آمن به من النساء ، وكان لايجد من المشركين ما يكره الا خففت عنه ، وايدته ، وهونت عليه .

ولقد عاش النبى معها وحدها خمسا وعشرين سنة ، لم يشرك معها ضرة ، وقومه يعددون الزوجات .

فلما افتقدها وعمرها أربع وستون سنة أو خمس وستون (٢) حزن عليها حزنا يليق بجلال النبوة وعظيم الوفاء .

ولم يزل طيلة حياته وفيا لها ، يعطر ذكراها بالثناء عليها فى غير كتمان لاعجابه بها وحدبه على طيب ذكرها ، على مسمع من زوجاته فيما بعد ، حتى ان السيدة عائشة قالت : ماغرت من امرأة مثلما غرت من خديجة ، لكثرة ذكر رسول الله اياها ، حتى انه كان يذبح الشاة فيتتبع صديقات خديجة يهديها اليهن .

وقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ، فيحسن الثناء عليها ، فذكرها يوما من الايام ، فأدركتنى الغيرة ، فقلت : هل كانت الا عجوزا أبدلك الله خيرا منها ؟

فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا والله ، ما أبدلنى الله خيرا منها ، آمنت بى اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى فى مالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها أولادا اذ حرمنى أولاد النساء .

قالت السيدة عائشة : فقلت فى نفسى : لا أذكرها بسوء أبدا .

وقد توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات .

٢ - سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس (٣)

كانت من أسبق النساء الى الاسلام ، أسلمت هى وزوجها ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس ، وخالفت باسلامها بنى عمها وأقاربها ، ثم هاجرت مع زوجها الى الحبشة الهجرة الثانية فرارا من ايذاء المشركين لهما ، فلما عادا الى مكة توفى زوجها .

كانت السيدة سودة كبيرة السن ، لا تستطيع أن تجد الكفء الذى يرضاها زوجة له ، وكانت حسيبة لا ترضى أن يتزوجها من لا يكافئها ولا يعادلها .

ولم تكن تستطيع أن ترجع الى أهلها الذين أسلمت على كره منهم ، لئلا يؤذوها ويردوها عن الاسلام .

فماذا فعل النبى عليه الصلاة والسلام ؟

لقد كرمها اذ تزوجها قبل الهجرة بسنتين ، ولكنه لم يبن بها الا فى المدينة ، أى بعد موت السيدة خديجة

---

[١] الاستيعاب ٤-١٨١٧ ، ١٨٠٤ ، ١٨٢٥ ، ١٨٨٢ واسد الغابة ٥-٤٣٨ وفتح البارى ٩-٢٨٥ وتاريخ الطبرى ٢-١٩٦ . [٢] الاستيعاب ٤-١٨١٨ ، ١٨٤٥ . [٣] الاصابة ٤-١٨٦٧ والاستيعاب ٤-١٨٦٧ وسيرة ابن هشام ٤-١١ ، ٢٨٣ .

بثلاث سنوات . كان هذا الزواج حماية لسودة من أذى قومها الغلاظ ، وكان تكريما لمبادرتها الى الاسلام ، وفرارها بدينها ، وصبرها على الاستمساك بعقيدتها ، وكان مواساة لها عن زوجها ، ولم يخل هذا الزواج من استمالة قومها وتأليف قلوبهم .

ولا يصح أن ننسى انها كانت الى كبرة سنها ثقيلة الحركة وبها حدة ، ولهذا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : **أنت فى حل من شأنى ، وانما أود أن أحشر فى زمرة أزواجك ، وقد وهبت يومى لعائشة .**

وقد أمسكها رسول الله حتى توفى عنها مع سائر من توفى عنهن من زوجاته .

٣ ـ عائشة بنت أبى بكر : (١)

هى ابنة صديق النبى الاول ، وحبيبه الاثير المقرب ، ورفيقه فى هجرته ، وظهيره فى جهاده ، رفيقه الذى طالما بذل من نفسه ومن ماله لنصرة الاسلام ومؤازرة رسول الله ، حتى استحق أن يكون أقرب الناس الى نفسه ، وأن يكون بمثابة وزيره الاول .

فبماذا يكرم النبى حبيبه أعظم من أن يزيده قربا الى قربه وشرفا الى شرفه ؟

لم يكن ثمة أولى من أن يصهر اليه ، فيتزوج كريمته السيدة عائشة .

تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى حاجة الى زوجة بعد وفاة السيدة خديجة بثلاث سنوات ، لان السيدة سودة بنت زمعة كانت ـ كما سبق ـ زوجة اسما لا فعلا ، اذ تزوجها النبى تكريما لها ، وتألفا لقومها ، وهى كبيرة السن ، عالة بحالها ، ولهذا أعلنت النبى بأنه فى حل من شأنها ، وأنها لا تبتغى غير تشريفها بأنها احدى زوجاته .

واذ كان النبى بشرا كامل البشرية ـ وان يكن قمتها ـ يجوع ويشبع ، ويظمأ ويروى ، ويصحو وينام ، ويصح ويمرض ، ويرضى ويغضب ، فانه فى حاجة الى زوجة ، لانه لم يدع لنفسه انه ملك ، ولم يصفه القرآن الكريم الا بما وصف به سابقيه من الرسل انهم اناسى اختارهم الله تعالى لتبليغ شرائعه ، وكان لكل منهم زوجات وأبناء .

ولم تجىء شريعة من هذه الشرائع ، ولم يجىء الاسلام ليحبب الى البشر الرهبانية ، بل جاء ليكفل صلاح أمور الناس فى دنياهم وفى أخراهم .

وقد تزوج النبى السيدة خديجة من قبل ، وكان له منها أولاد ، وصبر بعد موتها ثلاث سنوات ، فلا غضاضة فى أن يتزوج بعدها .

على أنه صلى الله عليه وسلم صاحب بيت ، ولابد للبيت من زوجة تدبر شئونه ، وترعى مصالحه ، وتعده ليأوى اليه النبى وهو صالح لمأواه ، وتزيده أنسا الى أنسه ، وتعطر بيت النبوة العظيم بشذى من رقة الانوثة وحنانها ، وتحقق قوله تعالى فى بيان بعض نعمه على عباده : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة أن فى ذلك لايات لقوم يتفكرون** » (سورة الروم) .

واذا كان آلاف من المسلمين والمسلمات ـ يودون أن ينهضوا بخدمة بيت النبى فانهم لا يكفلون طمأنينة البيت وهدوءه وراحته ووقاره كما تكفله الزوجة ، ولا يستطيعون أن يحققوا ما جاء فى الاية الكريمة من معانى السكن والمودة والرحمة .

ثم أن معاشرة النبى لزوجة ولزوجات تتيح لهن أن يعرفن كثيرا من التشريع والاحكام والحلال والحرام والمباح ، وتتيح لهن سماع كثير من أحاديثه ورواياتها ، كما يتبين لمن يقرأ كتب الحديث المفصلة ، وكتب الفقه المبسوطة .

على أن وجود زوجة فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم كان مشجعا للنساء على أن يفدن الى بيته كما يفد الرجال ، ليسألن عن شئون دينهن كما يسأل الرجال عن شئون دينهم ، ويسألن السيدة عائشة عما يتحرجن من سؤال النبى مما يختص بالنساء .

لهذا كله كان زواج النبى عليه الصلاة والسلام بالسيدة عائشة ضروريا ، وكان فيه خير للاسلام والمسلمين ، وبخاصة أنها كانت فتاة ذكية سريعة الحفظ مشهورة برواية الشعر ، فهى قديرة على حفظ الاحاديث النبوية واستيعابها وفهمها ، فلا غرابة فى أن سجل الرواة كثيرا من الاحاديث التى روتها ، وسجلوا كثيرا من الاخبار الخاصة بحياة المصطفى فى بيته وفى خلواته ، واستند الفقهاء الى آراء كثيرة نقلت عنها .

٤ ـ حفصة (٢) وزيره الثانى

كان زوجها الاول خنيس بن حذافة السهمى قد توفى جريحا فى غزوة بدر ، فذكرها عمر لصديقه أبى بكر لعله أن يتزوجها ، فسكت أبو بكر فاستاء عمر .

ثم عرضها على صديقه عثمان بن عفان ـ وكانت زوجته رقية بنت رسول الله قد توفيت ـ فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم ، لانه كان يريد أم كلثوم بنت رسول الله ، فعز على عمر اعراض صديقيه أبى بكر وعثمان .

فماذا يفعل ؟

ذهب الى رسول الله ملاذهم جميعا ، فشكا اليه أبا بكر وعثمان ، فتدارك الرسول بقلبه الكبير ما داخل نفس عمر من صديقيه ، ونوله خيرا مما كان يريد ، اذ قال له : **يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة .**

ثم خطبها النبى الى عمر ، وتزوجها سنة ثلاث من الهجرة ، وتزوج عثمان أم كلثوم .

فهذا الزواج اذن ضرب من المجاملة والاضطرار والحفاظ الشديد على صفاء الصلات التى بين الاخوة المقربين الى النبى الذين يؤازرونه فى نشر الدعوة وحمايتها من العدوان . هو تكريم لعمر كما كان زواج عائشة تكريما لابى بكر ، لهذا لما علم عمر أن رسول الله طلق حفصة حثا التراب على رأسه : وقال : ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا ، ولم يهدأ الا بعد أن علم أن رسول الله ارتجعها .

---

[١] الاستيعاب ٤ـ١٨٨١ [٢] الاستيعاب ٤ـ١٨١١

من معانى القراءات وأسرارها

فضيلة الشيخ
عبد الفتاح القاضى

« فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فى قوله تعالى فلا خوف عليهم « حيث ورد فى القرآن الكريم قراءتان » الاولى برفع الفاء منونة ، الثانية بفتحها غير منونة

ولنقراءة الاولى توجيهان ، الاول أن « لا » أعملت عمل ليس . فيكون خوف مرفوعا على أنه اسمها . ويكون الجار والمجرور وهو عليهم متعلقا بمحذوف على انه خبرها . والتقدير : فلا خوف كائنا عليهم .

التوجيه الثانى أن تكون « لا مهملة » ويكون خوف مرفوعا على الابتداء . وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة افادته العموم . اذ النكرة فى سياق النفى تعم . وعليهم متعلق بمحذوف خبر المبتدأ . ورجح العلماء هذا التوجيه على الاول لامرين ، الاول : أن اعمال لا عمل ليس قليل ، الثانى أن الجملة التى بعدها وهى « ولا هم يحزنون » يتعين أن تكون « لا » فيها غير عاملة لانها لا تعمل فى المعارف ، فقوله : « هم » مبتدأ والجملة بعده خبره . فاذا جعلت لا غير عاملة فى الاولى يكون بين الجملتين تعادل وتتناسق وتشاكل ، وهو أولى ، اذ أن كلمة لا فى كلتا الجملتين تكون قد دخلت على مبتدأ لا عمل لها فيه . وكلمة « لا » ـ على هذه القراءة تدل على الاستغراق بحسب الظاهر ، لان نفى فرد لا بعينه يساوى نفى الحقيقة ، ولا تدل على الاستغراق نصا لاحتمال أن يكون المقصود نفى الجنس المتصف بقيد الوحدة فيقال حينئذ .. لا رجل فى الدار بل رجلان . أو رجال .

وأما القراءة الثانية فوجهت بأن « لا » فيها لنفى الجنس ، وتسمى « لا التبرئة » وقد تقرر أن اسمها اذا كان نكرة مفردا ـ أى غير مضاف ولا مشابه له يكون مبنيا على ماينصب به ، ولان « لا » ـ على هذه القراءة تدل على الاستغراق نصا .

من حيث ان نفى الجنس يستلزم منفى جميع افراده ، فينفى كل فرد من افراد الخوف ، اذلو ثبت فرد من افراده لثبت الجنس فى ضمن هذا الفرد ، وحينئذ لا تكون نافية الجنس وقد أجمع النحاة على انها لنفى الجنس فتكون نصا فى استغراق نفى الافراد .

« ولا يقبل منها شفاعة » فى قوله تعالى « يقبل » قراءتان ، احدهما بياء التذكير ، والاخرى بتاء التأنيث ، وجه الاولى : أن الفاعل وهو شفاعة ليس مؤنثا حقيقيا ، والفاعل اذا لم يكن مؤنثا حقيقيا يجوز تذكير فعله ، كقوله تعالى : قد جاءكم بينة من ربكم ، وقوله تعالى : وان كان طائفة منكم ، وقوله تعالى « لولا أن تداركه نعمة من ربه » .

وانه قد فصل بين الفعل والفاعل بفاصل وهو الجار والمجرور وهو « منها » لان الفصل يجيز تذكير الفعل ولو كان الفاعل مؤنثا حقيقيا نحو : حضر القاضى اليوم امرأة ، وكقول الشاعر :

وان امرأ غره منكن واحدة
بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور

ووجه الثانية الايذان بان الفاعل الذى أسند اليه الفعل ـ وهو شفاعة ـ مؤنث ، وان كان تأنيثه لفظيا ، والقاعدة العامة أن الفاعل اذا كان تأنيثه فى اللفظ فقط يجوز تذكير فعله وتأنيثه .

« واذ واعدنا موسى أربعين ليلة » وقع لفظ « واعدنا فى القرآن فى ثلاثة مواضع ، موضع بالبقرة ، وهو هذا ، وآخر فى الاعراف ، وهو « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » وثالث فى طه وهو « وواعدناكم جانب الطور الايمن » وفيه فى مواضعه الثلاثة قراءتان ، الاولى بحذف الالف التى بين الواو والعين ، والثانية باثباتها بينهما .

وجه القراءة الاولى أن « وعدنا » مأخوذ من الوعد لان الله عز وجل قد وعد موسى باعطائه التوراة بعد مضى أربعين ليلة ، فالوعد قد صدر من الله تعالى وحده .

وللقراءة الثانية توجيهان ، الاول أن « واعدنا » مأخوذ من المواعدة بمعنى الوعد ، قال الامام على بن أبى طالب : أصل المواعدة أن تكون من اثنين ، وقد تأتى صيغة المفاعلة فى كلام العرب من واحد بدون اشتراك بين اثنين ، فيكون فاعل بمعنى فعل ، كقوله تعالى « وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » وقوله تعالى « فحاسبناها حسابا شديدا » وكما يقال : داويت المريض . وعاقبت المجرم . وسافرت الى كذا ، فواعدنا ـ على هذا ـ بمعنى وعدنا ، وعلى هذا تتحد القراءتان معا . ويكون الوعد صادرا من الله وحده لموسى عليه السلام .

الثانى : أن « واعدنا » مأخوذ من المواعدة التى تقتضى الاشتراك بين اثنين فى أصل الفعل . وتكون من كل من المتواعدين . وذلك أنه سبحانه وعد موسى ان ينزل عليه التوراة . وضرب له ميقاتا اى أمره ان يجىء الى الطور ، ويصوم فيه ذا القعدة والعشر الاوائل من ذى الحجة ، فوعد موسى ربه المجىء فى

الموعد المحدد ، فمكث في الطور أربعين ليلة ثم انزلت عليه التوراة . فحينئذ تحققت المواعدة بين اثنين : وعد من جانب الحق سبحانه لموسى بالوحى وانزال التوراة عليه ، ووعد من جانب موسى بالمجيء الى الطور والاستماع والقبول .

ونقل العلامة القرطبى عن الزجاج انه وجه قراءة الالف بقوله : واعدنا بالالف جيد ، لان الطاعة فى القبول بمنزلة المواعدة ، فمن الله عز وجل وعد ، ومن موسى قبول واتباع يجرى مجرى المواعدة .

والخلاصة ان موسى لا يخلو من أحد أمرين ، ان يكون صدر منه وعد صريح لربه بالمجيء للميقات ، او لا يكون ، فان كان صدر منه وعد فالامر ظاهر ، وان لم يكن فحرصه على قبول الوعد ، وعمله على انجازه والوفاء به بمنزلة الوعد الصريح .

فالقراءة بالالف دلت على أمرين ، وعد الله لموسى ، وقبول موسى هذا الوعد اما قولا واما فعلا .

« واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم » فى لفظ « بارئكم » فى الموضعين ثلاث قراءات، الاولى بكسر الهمزة كسرا خالصا مشبعا . الثانية : بسكون الهمزة ، الثالثة باختلاس كسرتها ، أى الاتيان ببعض حركتها ، وهذه القراءات الثلاث قد وردت فى لفظ « يأمركم » مرفوع الراء فى جميع مواضعه نحو « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » ، ولفظ « يامرهم » فى قوله تعالى « ام تامرهم أحلامهم ولفظ « تأمرهم » فى قوله تعالى « أم تامرهم احلامهم بهذا ! ولفظ « ينصركم » حيث أتى مرفوع الراء نحو « فمن ذا الذى ينصركم من بعده » ولفظ « يشعركم » فى قوله تعالى « وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون » أما لفظ ينصركم فساكن الراء فلا خلاف بين القراء العشرة فى اسكان رائه نحو « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » « ان تنصروا الله ينصركم » .

وجه القراءة الاولى فى الالفاظ الستة ورودها على الاصل ، وفيها المحافظة على علامة الاعراب نصا . ووجه القراءة الثانية التخفيف لان الكلمة اجتمع فيها ثلاث حركات ثقال من نوع واحد وهو الضمة نحو يأمركم ، أو من نوعين وهما الكسرة والضمة فى بارئكم ، فخففت بسكون الراء والهمزة .

أما اذا اجتمع فى الكلمة حركتان ثقيلتان وحركة خفيفة نحو تأمرنا ، ينصرنا ، فلا خلاف بين القراء فى ضم رائها لخفة الفتحة فى الكلمة وقد ورد عن العرب تسكين بعض الحروف المتحركة طلبا للتخفيف ، كتسكينهم الخاء فى فخذ ، والتاء فى كتف ، والباء فى ابل ، وسبع .

ولم يقتصروا على اسكان ماكان فى كلمة واحدة ، كالامثلة المذكورة ، بل تجاوزوا ذلك الى ماكان فى كلمتين تشبيه المنفصل فى كلمتين بالمتصل فى كلمة ،

قال امرؤ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب
اثما من الله ولا واغل

مستحقب : مكتسب ، واغل : دخيل على مجلس الشراب دون أن ادعى اليه ، حلف لا يشرب الخمر حتى يثار لابيه فلما ثار له هاد للشرب وقال هذا البيت .

اتفق الرواة على سكون الباء فى أشرب .

وقال آخر :

رحت وفى رجليك ما فيهما
وقد بدا هنك من المئزر

هنك : بسكون النون والاصل ضمها والهن الفرج .

وقال آخر : قالت سليمى اشتر لنا سويقا « الرواية بسكون الراء والاصل اشتر بكسرها .

وقال العجاج : فبات منتصبا وما تكردسا « أى تجمع وانقبض » .

قال صاحب الاتحاف : واذا جاز اسكان حرف الاعراب واذهابه حال الادغام للتخفيف فاسكانه وابقاؤه هنا أولى ، والاسكان لغة بنى أسد وتميم .

ووجه القراءة الثالثة التخفيف أيضا اذ الاتيان ببعض الحركة أخف من الاتيان بجميعها .

وبعد ثبوت القراءة بطريق التواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون ثم مجال لانكارها ، أو التردد فيها . وانما سقنا هذه الشواهد لنثبت أن هذه القراءة لم تخرج عن اللسان العربى وان كان يتوهم فيها ذلك .

« نغفر لكم خطاياكم » فى نغفر ثلاث قراءات ، الاولى بنون العظمة مفتوحة مع كسر الفاء ، على البناء للفاعل . الثانية بياء التذكير المثناة التحتية المضمومة ، مع فتح الفاء على البناء للمفعول ، الثالثة بتاء التأنيث المثناة الفوقية المضمومة مع فتح الفاء على البناء المفعول أيضا . ونائب الفاعل على كلتا القراءتين كلمة « خطاياكم » وانما ذكر الفعل على القراءة الثانية — وان كان نائب الفاعل مؤنثا — لان تأنيثه غير حقيقى ، ولوجود الفصل بين الفعل ونائب الفاعل بالجار والمجرور وهو « لكم » وأنث الفعل على القراءة الثالثة لكون الفاعل مؤنثا وان كان تأنيثه لفظيا .

ومعنى القراءات الثلاث واحد ، لان الخطيئة انما يغفرها الله تعالى . واذا غفرها الله تعالى فانها تغفر .

قال العلامة القارى : وجه النون بناء الفعل للفاعل على وجه التعظيم ، ووجه الضم بناؤه للمفعول اما للعلم بالفاعل . اذ قد تعين سبحانه لغفران الذنوب ، أو تعظيما له كما تقرر فى النحو ، ووجه التذكير والتانيث أن الفعل المسند الى جمع تكسير مذكر أو مؤنث حقيقى أو مجازى يجوز تذكيره باعتبار تقديره جمعا، ويجوز تأنيثه باعتبار تقديرجماعة انتهى .

مدة الرضاع المحرم

فضيلة الدكتور محمد سعاد جلال

تقدير المدة بحولين كاملين :

القول الثامن : وهو أن مدة الرضاع مقدرة بحولين كاملين ،فان وجد الرضاع بعد الحولين ولو بلحظه لم يحرم . وهذا قول الشافعى وأبى يوسف ومحمد من اصحاب ابى حنيفة ، والمروى عن عمر وابنه وابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ، والشعبى وابن شبرمة ، واسحق وأبى عبيد ، وابن المنذر . واليك دليله من الكتاب والسنة :

اما الكتاب فقوله تعالى : « **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعه** » .

قال الشافعى فى الام فى توجيهه . **جعل الله عز وجل تمام الرضاع حولين كاملين . وقال : فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما)** يعنى والله أعلم : قبل الحولين . فدل على ارخاصه عز وجل فى فصال الحولين على أن يكون ذلك باجتماعهما على فصاله قبل الحولين ،و ذلك لا يكون والله أعلم ، الا بالنظر للمولود من والديه أن يكون يريان أن فصاله قبل الحولين خير له من الرضاع ، لعلة تكون به أو بمرضعته ، وأنه لا يقبل رضاع غيرها وما أشبه هذا .وماجعل الله له تعالى غاية . فالحكم بعد مضى الغاية مخالف لما قبلها ، لان ما حد فى الشارع بغاية يجب أن يكون حكمه بعدها مخالف لحكمة قبلها » .

وقوله تعالى : (**وفصاله فى عامين**) وهو نص فى المطلوب .

وقوله تعالى : (**وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**) .

ووجه الدلالة فيه : أن المرا دبالحمل هنا ، حمل البطن ، لا حمل اليدين ، كما فهم ذلك الصحابة على وابن عباس - رضى الله عنهم - ومدة الحمل ادناها ستة أشهر ، فيبقى للفصال سنتان . وتكون الاية قد جمعت بين تمام مدة الفصال وأقل مدة الحمل . وهذه طريقة أصحاب هذا القول من الحنفية .

وأما السنة : فمنها حديث ابن عباس (**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا رضاع بعد حولين**) . قال الكمال فى تخريجه ، رواه الدارقطنى عن ابن عباس برفعه هكذا الارضاع الا ما كان فى حولين . وقال لم يسنده عن ابن عيينة الا الهيثم بن جميل وهو ثقة حافظ . وكذا وثقه أحمد رحمه الله والعجلى وابن حيان وغير واحد .

عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : (**لا رضاع بعد فصال ولا يتم بعد الاحتلام**) . قال صاحب منتقى الاخبار ، رواه ابو داود الطيالسى فى مسنده .ونقل الشوكانى عن المنذرى تضعيف هذا الحديث ولم يوافقه ورأى أنه نقل عن ابن عباس وعن على رضى الله عنهم . ما يشهد لهذا الحديث ويشد ازره ونوقشت هذه الادلة بما لا غناء فيه .

قال الجصاص وصاحب البدائع وابن حزم ما ملخصه :

أولا : أن ذكر التمام لا يدل على عدم الزيادة عن الموصوف به . الا ترى أن الله جعل مدة الحمل ستة أشهر فى قوله (**وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**) وقوله (**وفصاله فى عامين**) فجعل مجموع الايتين ستة أشهر ، ثم لم تمنع الزيادة عليهما . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (**من أدرك عرفة فقد تم حجه**) ولم يمتنع زيادة الفرض عليه .

ثانيا : أن الاية وردت فى بيان المدة المقدرة التى تستوجب فيها الام المرضعة على الرجل نفقة الرضاع ، وأن الحولين الكاملين أمد لانقطاع هذه

النفقة . فليس مورد الاية فى بيان المدة التى يتعلق بها التحريم من الرضاع .

ثالثا : المشهور فى رواية جابر ، لا رضاع بعد فصال . فمن روى عن جابر لا رضاع بعد الحولين فيكون قد روى بالمعنى .

والجواب عن هذه الاعتراضات الثلاث :

أما عن الاول فقد نص أهل اللغة على معنى التمام ، وأنه يفيد عدم الزيادة على الموصوف به . قال فى المصباح (تم الشىء يتم بالكسر تماما اذا تكملت أجزاؤه . وتم الشهر كملت عدة أيامه ثلاثين فهو تام) فلا نزاع فى معنى التمام وانه يفيد عدم الزيادة على الموصوف به .

ويبقى تأويل اللفظ اذ ورد على غير هذا المعنى . ويكون قوله - صلى الله عليه وسلم - (**من أدرك عرفه فقد تم حجه**) محمولا على المجاز بالدليل المثبت لطواف الزيارة . ثم كون مدة الحمل المستفادة من مجموع الايتين المذكورتين ستة أشهر مع حصول الزيادة عليهما فى الواقع لا ينهض دليلا لانها لم توصف بالتمام .

وأما عن الثانى ، فلا نجد سببا يخصص دلالة الاية بتحديد المدة التى تستوجب فيها الام المرضعة النفقة على الاب دون تحديد مدة التحريم بالرضاع ، فان وجوب النفقة حكم من أحكام الرضاع . والتحريم أيضا حكم من أحكام الرضاع ، فتخصيص الاية بأحد الحكمين دون الاخر بغير برهان تحكم مرفوض .

والذى نراه أن الاية وردت فى بيان الحكمين جميعا ، وهى واردة فى بيان مدة الرضاع أولا ، وبيان قصر استحقاق النفقة على هذه المدة دون الزيادة عليها مادامت قد ضربت للرضاع تماما .

وأما عن الثالث فقد اقتصر الحنفية فى كتبهم - البدائع والجصاص - على ذكر حديث جابر هذا وذكروا أن له رواية مشهورة وهى لا رضاع بعد فصال . وأخرى مغمورة وهى لا رضاع بعد الحولين . فقالوا بموجب الاولى «ومدوا الفصال الى ثلاثين شهرا » وتشككوا فى الرواية الثانية من قبل أن الراوى روى بالمعنى وكل ذلك غير صحيح . لان للحديث رواية أخرى صحيحة من طريق ابن عباس تنص على اعتبار الحولين - كما ذكرنا - والتوفيق بين رواية جابر بحمل رواية « لا رضاع بعد فصال » على رواية « لا رضاع بعد الحولين » واعتبار الثانية مفسرة للاولى . أقرب وأولى للفقه من افتراض التعارض بين الروايتين . ثم الاخذ برواية التشكيك فى أخرى بما لا يصلح أن يكون سببا مشككا لان المفروض فى الراوى المعرفة وعدم المجازفة . وليس كل ما لا يعجب الحنفية من الحديث يتهمون فيه الراوى بالغفلة وعدم الدقة فى أداء الرواية .

وكل ما أفادته أدلة هذا القول على ثباتها هو أنه لا يتجاوز الرضاع المحرم مدى سنتين وكل اجل يضاف لهذه المدة فاعتباره باطل لا دليل عليه . ولكن ما هو الحكم فيما اذا فطم الرضيع قبل سنتين واستمر فطامه واكتفى بالطعام عن اللبن ثم أصاب رضاعا قبل انقضاء السنتين هل يتعلق بهذا الرضاع تحريم ؟ ذلك جوابه فى القول التاسع .

اعتبار الفطام قبل سنتين :

القول التاسع : وهو ان المحرم من الرضاع ما كان قبل الفطام بشرط الا يتجاوز أمد الفطام سنتين فاذا فطم الطفل وأنحسمت حاجته الى اللبن ولو كان ذلك قبل سنتين لم يتعلق التحريم الا بما كان من رضاعة قبل فطام .

وهو قول الاوزاعى ورواية عند ابى حنيفة وقول ابن القاسم من أصحاب مالك .

قال الجصاص (وقال الاوزاعى اذا فطم لسنة واستمر فطامه فليس بعده رضاع ولو أرضع ثلاث سنين لم يفطم لم يكن رضاعا بعد الحولين) .

مضى المدة واستغنى بالطعام لم يكن رضاعا تثبت به الحرمة وهو رواية عن ابى حنيفة وعليه الفتوى) .

وقال الزيلعى (وذكر الخصاف أنه ان فطم قبل مضى المدة واستغنى بالطعام لم يكن رضاعا تثبت به الحرمة وهو رواية عن ابى حنيفة وعليه الفتوى

قلت ولكن فى الفتوى عليه نزاع نص عليه ابن عابدين . قال فى المغنى لابن قدامة) وقال ابن القاسم صاحب مالك لو ارتضع بعد الفطام قبل الحولين لم يحرم عليه لقوله ، وكان قبل الفطام ، وهذا أصح الاقوال عندنا وأعدلها وأكثرها توافقا مع كافة الادلة النقلية والعقلية .

فأما عدم الزيادة فى مدة التحريم عن السنتين فقد أقمنا عليه الدليل مبسوطا فى القول السابق .

وأما جواز التحريم قبلهما بالفطام فلما ذكره ابن القاسم من نص الحديث وكان قبل الفطام . واذا كان هذا النص عاما فيما كان قبل سنتين أو بعدهما الا أن الادلة الاخرى المانعة من الزيادة على سنتين خصصته بما كان قبلهما .

وأما من حيث المعنى فان الطفل اذا استغنى بالطعام عن اللبن لم يعد اللبن غذاءا خاصا فى سد جرعته ولا انبات لحمه وانشاز عظمه .

ثم انه على كثرة الادلة فى هذا الباب لم يرد دليل واحد يمنع اعتبار هذا القول فالقول يمنعه قول بلا دليل .

واقصى ما يمكن أن يقال هنا - هو أن السنتين مظنة الا يستغنى الرضيع بالطعام وأن يكون اللبن بحيث ينشىء له جزئية .

ونحن نجيب على هذا الافتراض بذلك المبدأ اللطيف الذى يستعمله الكمال رضى الله عنه - فى بعض استدلالاته وهو أن المظنة لا عبرة بها عند تحقق خلو المحل من المؤنة - وفرض المسألة اننا تحققنا بالفعل استغناء الطفل عن الرضاع وهذا ليس فى مجارى العادات أمرا بعيدا - والله أعلم .

العدل من صفات الله

الأستاذ عبد المنعم مغربي

العدل من صفات الله ، ولهذا أهاب القرآن بنا أن نعدل فيما بيننا بل حتم علينا أن نأخذ أنفسنا بالعدل ولو مع عدونا ، وحذرنا أن نميل عن العدل طواعية لعاطفة أو تشفيا من ذى خصومة .

« ولا يجرمنكم شنآن قوم - بغضهم - على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى » .

فالاسلام يأبى أن يكون فى ظله شىء من الجور لان المدنية الصحيحة لا تستقيم الى جانب الظلم .

وليس العدل خاصا بالحكام مع المحكومين بل ان نطاق وجوبه اكثر اتساعا فهو واجب على كل من يؤخذ رأيه فى خصومة أويحتكم اليه فى رأى أو يتولى رعاية فى جماعة ولو فى أهله وولده .

فالعدل وشيجة بين الناس ومدعاة للاطمئنان ولهذا ترى النفوس مرهفة لالتماسه فى شهادة الشاهد وفى قضاء القاضى وفيما يعرض للناس من معاملات .

وترى من وراء ذلك حبا يتمكن فى القلوب اذا ساد العدل بين الناس وكراهية تطيح بالروابط اذا لمسوا حيفا ولو ضئيلا ذلك لان العدل لغة الضمائر وله سلطان على الافئدة والارواح .

ولقد احتكم يهودى مع على بن أبى طالب رضى الله عنه أمام شريح قاضى المسلمين ، وكان اليهودى قد اخذ درعا لعلى وادعاها لنفسه وهو يعلم بكذب نفسه ولما وجد من عدل قاضى المسلمين أنه لم يتعصب لامير المؤمنين وسوى بينه وبين اليهودى فى مواقف القضاء ولم يسمع شهادة الحسن بن على لابيه واكتفى بيمين حلفها اليهودى وحكم له بالدرع ، اهتزت نفس اليهودى اعجابا بعدالة الاسلام وذهبت حفيظته على المسلمين وأعلن اسلامه وهو فى غبطة وسرور .

وتلك روحانية الاسلام فى قضائه العادل .. وفى هذا المجال تقف الاقلام دون استيعاب الامثلة فى سياسة الرسول وصحبه مع من أخضعهم الاسلام لحكمه وخفقت على أوطانهم راية الاسلام حتى انضووا تحتها راغبين فرحين .

ونلاحظ أن القرآن الكريم بعد أن ذكر العدل نوه الى ما فيه من نفع لديننا ودنيانا فقال « ان الله نعما

يعظكم به أى نعم الشىء الذى يعظكم به الله وهو العدل .

ومن العدل المنشود الا يتمرد محكوم على حاكم ولا صغير على كبير .

ولايختلف انسان على من لهحق الطاعة من ذوى العلم وذوى الاختصاص فى عملهم وفيما يكون من شئون الدولة واذا كانت لله فيما شرع وللرسول فيما بلغ وبين حقا مفروضا على المؤمنين : فالطاعات فيما يكفل نظام الدولة وفيما يجدى على الناس ويجمع شملهم من أقوى التكاليف الدينية اذ الاسلام دين ودنيا معا ...

وليس من مظاهر الاسلام أن يكون شقاق أوتكون فتنة وتنازع ما دامت الطاعة فيما لا يجافى تعاليم الدين وحسبك أن كلمة الاسلام معناها الطاعة لله سبحانه وتعالى « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

ومن طاعة الله واسلام الوجه اليه تعالى تنفيذ أمره فى تبادل الطاعة بيننا حتى لا تكون فتنة .

فالعالم يطاع فى علمه ، والطبيب الحاذق يطاع فى طبه والقائد يطاع فى جيشه والحاكم يطاع فى حكمه وهكذا ليستقر النظام العام وتتجه الجهود الى الغايات الكبرى ويعود الخير على الجميع « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » .

لذلكيعتبر القرآن أن الخروج عن الجماعة شذوذ وضلال وتعرض للعذاب فى جهنم ويعلمنا القرآن ان اثارة الخلاف يعتبر ايقاظا للفتنة ويصرح بأن الفتنة أشد من القتل والنبى صلى الله عليه وسلم يلعن من ايقظ فتنة بين الناس .

ولذلك أيضا ينصح القرآن باجتناب اسباب الفرقة ويتهددنا بالوبال اذا خالفنا واختلفنا « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

« ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »

ولكن اختلاف الرأى أمر فطرى ولعله وسيلة الى الفلاح اذا كان غير مشوب بالعناد ولا ناجم عن الهوى فحينئذ يكشف عن وجوه الصواب ويبصرنا بمواطن الزلل .

ولقد دعا الاسلام الى المشورة وفتح باب الاجتهاد وعاب على المهملين لعقولهم الرشيدة والمتكاسلين وراء التقاليد العمياء . وكل ذلك حفز على تبادل الرأى والاجتهاد فى التماس المصلحة العامة .

غير ان الرأى قد تخالطه حمية او تشويه عصبية فيكون مؤذنا بالفتنة وقاضيا على الوحدة لذلك حتم القرآن علينا الا نركب الرءوس ونطاوع الهوى وأن نرجع عن هذا التطاحن الى كتاب الله وسنة رسوله .

والرجوع اليهما حين الاحتدام يحتاج الى يقين وايمان بما فيهما مما شرع الله وفيهما الهداية والتبصرة « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

وهذه عدة من الله لعباده اذا رجعوا الى كتابه وسنة نبيه بأن يهديهم الى الخير .

وهذه توجيهات ترتضيها الانفس المطمئنة بالله وتضبط بها المخلصون لامتهم فانهم يرون فيها دعائم قوية ينهض عليها المجتمع المرغوب فيه ولا ينفر من تلك التوجيهات الا خصوم الحق ومصطنعو الوطنية .

والحق أن أمجاد المسلمين ومجتمعهم الذى بهر الزمن لم يقم الا على تلك الدعائم الكريمة :

عدل للجميع

طاعة لله ولرسوله

رأى سليم منزه عن الهوى للصالح العام .

وبهذه الدعائم صح لهم ان كانوا خير أمة أخرجت للناس ، ثم غلبتهم الانانية وتسربت الى حقوقهم الدسائس وشجر بينهم خلاف وخلاف فانحلت وحدتهم وهان على التاريخ مجدهم .

ولكي نعود ونقول « ان الله قد رضى لنا الاسلام دينا ينبغى ان نستجيب لدعوة الحق ونستضىء بهدى ديننا لندرك ما فات ونجدد ما وهن من قوميتنا ونجمع ماتفرق من صفوفنا .

وعندئذ يكتب الله النصر لنا . آمين .

من قصص السنة

موح المال

فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم

عن الاحنف بن قيس قال : قدمت المدينة ، فبينا أنا فى حلقة فيها ملا من قريش ، اذ جاء رجل أخشن الثياب ، أخشن الجسد ، أخشن الوجه ، فقام عليهم فقال : بشر الكانزين برضف يحمى عليه فى نار جهنم ، فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه قال : فوضع القوم رؤوسهم فما رأيت احدا منهم رجع اليه شيئا ، قال : فأدبر ، واتبعته ، حتى جلس الى سارية ، فقلت ، ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم ، قال : ان هؤلاء لا يعقلون شيئا ، ان خليلى ابا القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعانى فأجبته ، فقال : « أترى أحدا » فنظرت ما على من الشمس ، وانا أظن انه يبعثنى فى حاجة له ، فقلت : أراه فقال : « ما يسرنى أن لى مثله ذهبا انفقه كله الا ثلاثة دنانير ثم هؤلاء يجمعون الدنيا لا يعقلون شيئا ، قلت له : مالك ولاخوتك لا تعتريهم وتطلب منهم ؟ قال : لا وربك لا أسألهم عن دنيا ولا استفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله : أخرجه البخارى ومسلم .

واذا نظرنا الى هذا الرجل نرى أنه قد تتابعت عليه فى الحديث صفات ، هى أنه أخشن الثياب ، أخشن الجسد ، اخشن الوجه ، وفى هذه الصفات اشارة الى أنه قد أعرض عن الادهان والتنعم ، وكان مظهره عنوانا لباطنه ، من حيث الزهد فى الدنيا ، وعدم الحاح زخارفها عليه .

كما أنه عزف عن أن يسأل القوم شيئا من طيبات الحياة الدنيا ، لانه غنى عما عندهم ، يرى فى غنى النفس قناعة تكفيه ان يسأل مخلوقا ، وانما يسأل

الخالق المعطى ، الذى بيده مقاليد السماوات والارض وهو على كل شىء قدير .

والعفة التى يعنيها الحديث النبوى ، ليست مجرد السكوت عن طلب الناس ، أو ترك سؤالهم فحسب ، وانما هى مع ذلك ، محاولة التعفف ، والسمو بانسانيته ، وهذا هو منطق الشريعة الحكيم ، الذى يتسم برفعة الانسان المسلم ، وعدم الهوان ،ودفع كل اسباب المذلة ، التى تريق ماء الوجه « **فاليد العليا خير من اليد السفلى** » .. وفى ذلك حث على العمل والكفاح ، واتخاذ الاسباب فى كسب مايعيش به الانسان ويحيا به دون ما حاجة الى مخلوق ، وانما الحاجة كلها لله : **اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله** » .

ان الاستعانة ببشر مخلوق غير مستمرة ،وغير مأمونة النتائج ، والثمرات ، ولكن الاستعانة بالله رب كل شىء وراءها الخير لله باذنه سبحانه وتعالى .

ولقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى حديثه طليعة أهل الجنة دخولا ، وأول أهل النار ، فكان من طليعة اهل الجنة ، العفيف المتعفف ذو العيال :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة ، وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد ، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ، ونصح لسيده ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأما أول ثلاثة يدخلون النار ، فأمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله فى ماله ،وفقيه فخور وفى رواية « وفقير فخور » أخرجه الامام أحمد والحاكم وابن حبان .

ان سمو المبادىء الاسلامية ترقى بالمسلم الى معارج الخير الاوفى وتجعل منه انسانا ، لا ينطوى الا على بر ، ولايذل ولايخضع الا الى رب الارباب سبحانه وتعالى .

والشريعة الاسلامية اذ تسمو بانسانية الانسان ، حيث تحثه على العفة والقناعة ، تكفل للمحتاجين فى نفس الوقت وسائل هذا السمو .. بحيث يكون حقالهم معلوما فى أموال الاغنياء .

ينبغى ان يسعى الغنى لاعطاء الفقير حقه بحيث لا محتاج معها لان يسأل أو يريق ماء وجهه .

وما كفله الاسلام من حقوق فى أموال الاغنياء وثرواتهم ،من زكاة تدفع للمحتاجين ، انما ذلك بالقدر الذى يسع الفقراء بحيث لا يحتاجون معه الى سؤال ، وبحيث لا يستشعرون معه الفاقة ..

وتوعد القرآن اولئك الذين يكنزون أموالهم ولا ينفقونها فى سبيل الله بعذاب ، يحمى عليها فى نار جهنم ، وتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لقاء ما كنزوا ، وحرموا عباد الله ، وبخلوا عليهم بما ساقه الله فى أموالهم من حقوق .. ولو أنهم ادوا هذه الحقوق لوسعت جميع الفقراء ولما احتاجوا فى يوم من الايام الى مسألة :

عن على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا ، الا بما يصنع اغنياؤهم ،الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما » .

والناس أمام أموالهم وانفاقها صنفان :

الصنف الاول : قوم توكلوا على خالقهم والتجأوا اليه ، وعلموا ان ما عنده خير وابقى فهؤلاء لا يكترثون بالدنيا بل ويفرحون بانفاق كل ما لديهم حتى وان لم يبق لهم منه شىء ، كما صنع أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عندما تصدق بماله كله ،وقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « **ما تركت لعيالك ؟** قال : « **تركت لهم الله ورسوله** » .

وتلك هى مكانة كبار المتوكلين على الله ربهم سبحانه وتعالى ، ويصدقها الحديث الذى أخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

مايسرنى ان لى احدا ذهبا تأتى على ثلاثة وعندى منه دينار الا دينار أرصده لدين على .

الصنف الثانى : وهم من لم يبلغوا تلك المرتبة السامقة فى التوكل على الله ، وهؤلاء كان لهم ان يبقوا لانفسهم وعيالهم من المال ما يكفيهم .

كما قال عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبى وقاص : « **انك ان تذر ورثتك اغنياء خير لك من ان تذرهم فقراء عالة يتكففون الناس بالمسألة** » .

أرأيتم الى أى مدى بلغ تعاطف الشريعة السمحاء مع اتباعها ؟ والى أى مدى بلغت هذه المبادىء الاسلامية فى تكريمها للانسانية ؟

وأنا لنهيب بالمجتمع الاسلامى اليوم ان ينهض بهذه المبادىء ، ويسد كل ثغرات الحاجة فى بنائه حتى تظهر ملامحه المشرقة بتعاليم الدين ، وحتى يمضى الى سبل الخير فى أمان !!

نواقض الوضوء

من الفقه المقارن

الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

قال تعالى : « أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة بغير وضوء » وفى رواية أخرى : « لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ »

وقد اتفقوا على أن الطهارة من الحدث الاصغر والاكبر - شرط من شروط صحة الصلاة . وتتحقق الطهارة اما بالماء أو التراب عند عدم القدرة على استعمال الماء . فاذا توضأ الانسان - كان له أن يقف بين يدى الله يناجيه بالصلاة ، مادام على وضوئه . فاذا انتقض - كان عليه أن يعيد الوضوء حتى يحظى بشرف مناجاة ربه .

وينتقض الوضوء بكل ما خرج من السبيلين من بول أو غائط أو منى أو مذى أو ودى أو ريح .. وهذه الامور لا خلاف بين الفقهاء فى أنها تنقض الوضوء . وانما اختلفوا فيما يأتى :

١ - النجاسة الخارجة من اى مكان فى الجسد - مثل الدم والقيح .. فقال قوم : كل نجاسة تسيل من الجسد وتخرج منه يجب منها الوضوء .. وقال آخرون المعول عليه فى نقض الوضوء هو مكان الخروج لانفس الخارج . فاذا كان مكان الخروج السبيلين - انتقض الوضوء ، سواء كان الخارج بسبب المرض أو بسبب الصحة .

فأنت ترى أن الفريق الاول ينظرون الى الخارج ، وأن الفريق الثانى ينظرون الى مكان الخروج . وقال فريق ثالث : المعول عليه فى نقض الوضوء هو الخارج ومكان الخروج وصفة الخروج . فكل ما خرج من السبيلين مما هو معتاد خروجه وهو البول والغائط والمذى والودى والريح اذا كان خروجه على وجه الصحة لا بسبب المرض - فهو ينقض الوضوء . فلم يروا فى خورج الدم والحصاة والدود وضوءا ، لان هذا غير معتاد خروجه . ولم يروا كذلك فى سلس البول وضوءا لانه بسبب المرض .

والسبب فى اختلاف العلماء فى ذلك راجع الى الاحتمالات التى استنبطوها من الادلة . وبيان ذلك أنه لما أجمع المسلمون على انتقاض الوضوء مما يخرج من السبيلين من غائط وبول وريح ومذى لظاهر الكتاب ولتظاهر الاثار بذلك - تطرق الى ذلك ثلاث احتمالات :

ا - أن يكون الحكم قد علق بأعيان هذه الاشياء فقط .

ب - أن يكون الحكم قد علق بهذه الاشياء من جهة أنها أنجاس خارجة من البدن . ولذا أمر الشارع بالطهارة . ولا طهارة تعتبر الا اذا أثرت ، ولا تؤثر الا فى النجس . فسبب الوضوء هو الخارج النجس ، بصرف النظر عن مكان الخروج .

جـ - أن يكون الحكم قد علق بهذه الانجاس ، من جهة كونها خارجة من القبل والدبر .

وبناء على ما تقدم - فان الذى ينفلت منه الريح أو ينزل منه الرعاف - يؤمر بالوضوء عند الناظرين لمكان الخروج وعند الناظرين للخارج النجس . أما عند الناظرين لصفة الخروج فلا يؤمر بوضوء ، لانه غير معتاد ولانه بسبب المرض . ويقول هؤلاء : ان المستحاضة فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم أمرت بالغسل فقط . وأما ما نقل من أمرها بالوضوء وأنها تتوضأ لكل صلاة - فتلك الزيادة لم تصح عندهم . وأما غير هذا الفريق فانهم يصححون تلك الزيادة التى صححها ابن عبد البر .

٢ ـ **النوم** : فقيل انه ينقض الوضوء سواء كان قليلا أو كثيرا . وقال آخرون : انه لا ينقض الا اذا تيقن النائم بأنه خرج منه حدث . وقال جماعة : ان كان النوم قليلا لم ينقض ، وان كان كثيرا انتقض الوضوء بسببه . وسبب هذا هل النوم يعتبر حدثا أو لا ، أو أنه لا يعتبر حدثا الا اذا كان النوم كثيرا ؟..

ولما كانت بعض الهيئات يمرض فيها الاستثقال من النوم أكثر من بعض ، وكذلك خروج الحدث ـ اختلف الفقهاء في ذلك . فقيل مادامت المقعدة متمكنة من الارض ـ فلا وضوء على النائم في هذه الحالة . وقيل المعول عليه هو طول المدة وقصرها ومدى تنبه النائم لما يخرج منه . وقد وردت أحاديث تدل بظاهرها على انه لا وضوء على النائم . **فعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل الى ميمونة فنام عندها حتى سمعنا غطيطه ثم صلى ولم يتوضأ وما روى أن** أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا ينامون فى المسجد حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضئون . وهناك أحاديث أخرى تدل على أن النوم حدث ينقض الوضوء . فمنها حديث صفوان بن عسال « **كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فامرنا أن لا ننزع خفافنا من غائط وبول ونوم ولا ننزعها الا من جنابة . فسوى النبى صلى الله عليه وسلم بين البول والغائط والنوم** » ولا خلاف فى ان البول والغائط حدثان فيكون النوم حدثا مثلهما . ومنها حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **اذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها فى وضوئه** » . فان ظاهره أن النوم يوجب الوضوء قليله وكثيره .

وقد اختلفت أنظار العلماء الى هذه الاحاديث المتعارضة . فمنهم من رجح ما يدل على أن النوم حدث . ومنهم من عكس ورجح ما يدل على أن النوم ليس بحدث . ومنهم من جمع فعمل بكل هذه الاحاديث والآثار ، وحمل ما يدل منها على أن النوم حدث حمله على النوم الكثير ، وحمل الاحاديث الاخرى التى تدل على أن النوم لا ينقض الوضوء فى النوم القليل .

٣ ـ **لمس المرأة** : ذهب قوم الى أن من لمس امرأة بيده مفضيا اليها ليس بينها وبينه حجاب ولا ستر ـ فعليه الوضوء . سواء كانت المرأة ممن تحل له أو تحرم عليه . وقبل لمس المحارم لا ينقض . كما قيل ان الوضوء ينتقض بالنسبة للامس والملموس .. وقال فريق ثانى : ينتقض الوضوء باللمس ان صحبته لذة أو كانت اللذة مقصودة ، الا فى القبلة فلا يشترط فى نقضها الوضوء وجود اللذة أو قصدها .. وقال فريق ثالث : لا يجب الوضوء من اللمس مطلقا . وسبب اختلافهم فى هذه المسألة اشتراك اسم اللمس فى كلام العرب ، فان العرب تطلقه مرة على اللمس الذى هو باليد ، ومرة تكنى به عن الجماع . وقد قال تعالى : **(أو لامستم النساء)**

فمن العلماء من حمل النص الكريم على الجماع . ومنهم من حمله على مطلق اللمس . ومنهم من قيده فى نقض الوضوء بوجود اللذة أو بقصدها لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى وكانت يده تلمس عائشة حين يسجد ولم يعد الوضوء .

واذا كان اللمس حقيقة فى اللمس باليد مجاز فى الجماع ، فانه مجاز غالب والحمل عليه أولا من الحمل على الحقيقة المهجورة كما تقرر فى أصول الفقه .

٤ ـ **مس الذكر** : قيل ينقض الوضوء . وقيل لا ينقضه . وفرق قوم بين مسه بحائل ومسه بغير حائل وبين المس بباطن الكف أو الاصابع وبين المس بظهرها وبين وجود اللذة وعدم وجودها وبين التعمد والنسيان . فينتقض الوضوء بالمس المباشر بباطن الكف وبالتعمد ووجود اللذة .. وسبب اختلافهم فى ذلك حديثان متعارضان :

الحديث الاول ما رواه مالك فى الموطا عن طريق بسرة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ » .

الحديث الثانى حديث طلق بن على قال : **قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل كأنه بدوى ، فقال : يارسول الله ما ترى فى مس الرجل ذكره بعد أن يتوضأ ؟ فقال : « وهل هو الا بضعة منك » أخرجه أبو داود والترمذى ..**

فمن العلماء من رجح حديثا على حديث ، أو قال بنسخ حديث وبقاء الاخر . ومنهم من جمع فاعتبر حديث النقض بمس الذكر فى حال دون حال . ومنهم من جمع بينهما فى الحكم . فالامر بالوضوء من المس للندب .

وأنت ترى من هذا العرض مدى المرونة الفائقة فى نفس الادلة وفى أفهام الفقهاء ومدى سعة اضطلاعهم رضوان الله عليهم .. والذى أميل اليه وتطمئن نفسى له وقد يختلف الغير معى هو أن النجاسة الخارجة من القبل والدبر بطريقة اعتيادية لا بسبب المرض ـ هى الناقضة للوضوء . وأن المعول فى نقض الوضوء بالنوم هو استغراق النائم وعدم تنبهه . وأن لمس المرأة الاجنبية التى تحل للانسان ـ لا ينقض الا ان وجدت أو قصدت لذة . فعلى من وجدت فيه لذة الوضوء ـ سواء كان لامسا أو ملموسا . وكذا الحال فى لمس الذكر يدور نقض الوضوء على وجود اللذة أو قصدها ولا وضوء على من أكل لحم الجمل أو ضحك فى الصلاة أو حمل ميتا .

وأما المريض الذى به سلس البول واستطلاق البطن أو المستحاضة فهؤلاء يتوضئون لوقت كل صلاة ويصلون بذلك الوضوء ما شاءوا من الفرائض والنوافل . وينتقض وضوؤهم بخروج الوقت الذى كانوا قد توضئوا فيه . كما ينتقض أيضا بخروج أى ناقض للوضوء بالنسبة للاصحاء كخروج الريح ممن عنده سلس بول أو البول ممن عنده نزيف دم ..

وصلى الله على سيدنا محمد ، معلم الناس الخير . والله أعلم .

الدعوة إلى الله تعالى

فضيلة الشيخ
عبد الوهاب محمد الساكت

تكلمنا فى مقالنا السابق عن الدعوة الى الله تعالى ، وعن أدلة وجوبها من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، وعن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه ، وأنها كانت على بصيرة : بالحجة الواضحة النيرة : فهم كانوا على بصيرة بالدين واليقين ، يدعون الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وسنتكلم ان شاء الله تعالى فى هذا المقال على مراتب الدعوة ، وعن الشروط التى يجب توافرها فى الداعى الى الله تعالى فنقول .. ان للدعوة مرتبتين : **الاولى** : هى دعوة هذه الامة وسائر الامم الى التوحيد والاسلام : وأن يشاركونا فيما جاء به الرسول من النور والهدى : لان الاسلام دين الانسانية قاطبة قال تعالى « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » وقال تعالى « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » وقوله عليه الصلاة والسلام« بعثت الى الاحمر والاسود » ولان أحكام الاسلام موضوعة لمصالح العباد باطلاق : وأنها التى ختم الله بها الرسالات وهذه الدعوة مطلوبة منا أيضا بحكم كوننا أمة وسطا . وكوننا شهداء على الناس كما قال تعالى « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** »

والوسط العدل روى الترمذى عن أبى سعيد الحذرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى الاية قال وسطا أى عدلا وقال هذا حديث حسن وفى التنزيل « **قال أوسطهم** » أعدلهم وخيرهم وبحكم كوننا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله كما قال تعالى (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) وهذا مدح لهذه الامة ما أقاموا ذلك واتصفوا به ، فاذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح : لانه علل الخيرية بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله وأيضا بحكم قوله تعالى فى وصف المؤمنين (**الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر** » فالواجب دعوة الناس الى الاسلام فان أجابوا : فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر : ولقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة السادسة فبعث رسله الى الملوك بكتبه : الى المقوقس بمصر ارسل حاطب بن ابى بلتعه وأرسل شجاع بن وهب الى الحارث بن أبى شمر الغسانى : وارسل دحية الكلبى الى قيصر الروم وبعث عبد الله بن حذافة الى كسرى ملك فارس : وعمرو بن أميه الى النجاشى وبعث الى غيرهم وبهذا رسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الطريق للدعوة العامة الى الشعوب كلها كما أمره الله تعالى .

والمرتبة الثانية : هى دعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير ، وتأمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر كما قال تعالى « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » ولهذه المرتبة صورتان ـ الصورة الاولى : الدعوة العامة الكلية وانما يقوم بها خواص الامة العارفون بأسرار الاحكام ، وحكمة الدين وفقهه ، وهم المشار اليهم فى قوله تعالى « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** »

والصورة الثانية : الدعوة الخاصة الجزئية : وهى ما تكون بين الافراد بعضهم مع بعض ويستوى فى ذلك العالم والجاهل ، وتكون بين المتعارفين فيدل كل منهم اخاه على الخير ويحثه عليه عند عروضه ، وينهاه عن الشر ويحذره منه اذا وجدت أسبابه وهذا من التواصى بالحق والتواصى بالصبر الذى هو شرط النجاة من الخسران ولا يكون ذلك الا بأن يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ويمكنوه من قلوبهم ثم يحمل الناس بعضهم بعضا عليه فيدعو كل صاحبه الى **الاعتقاد** بالحقائق الثابتة التى لا ينازع فيها العقل ولا يختلف فيها النقل ، وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الاوهام والخيالات التى لا دليل يهدى اليها ، ويحث

بعضهم بعضا على اعمال الفكر : واجادة النظر فى الاكوان مع التدقيق فى النظر حتى تستطيع النفس رد ما يرد عليها من الاوهام ، ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد معرفته فهو من الخاسرين قال تعالى « **والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** » فشرط النجاة التواصى بالحق **وبالصبر ونعمل جميعا على تكميل انفسنا بهذه الفضائل وكل واحد يأخذ من هذه الفريضة فريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بقدر ما يستطيع وقد جاء فى الحديث الشريف ؟ المؤمن مرآة المؤمن ! رواه الطبرانى فى الاوسط والضياء · من حديث أنس ورواه البخارى فى الادب المفرد وأبو داود عن أبى هريرة بزيادة « والمؤمن أخو المؤمن يكف عن ضيعته ويحوطه من ورائه ! وفى الحديث لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم :** فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم »

صفات الداعى الى الله تعالى

أولا : العلم التام الواضح بما يدعو اليه وهو العلم بالقرآن والسنة والسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين، ، وسلف الامة الصالح ، ومعانى الايات المتعلقة بالنصارى والمسيح وأمه والحواريين ، والايات التاريخية التى لها علاقة باليهود ، ولهذا نجد سيدنا يوسف عليه السلام قبل ان يقول لصاحبيه فى السجن كما حكى القرآن « **أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** » قال « **ذلكما مما علمنى ربى** » لهذا يجب على الداعى أن يكون متحققا مما يدعو اليه لكى ينتفع بارشاده ودعوته : وللعالم المتحقق أمارات وعلامات منها : العمل بما علم حتى يكون فعله مطابقا لقوله وثانيا : ان يكون ممن رباه الشيوخ فأخذعنهم ولازمهم واتصف بما اتصفوا وهكذا كان السلف الصالح ، فأول ذلك ملازمة الصحابة رضى الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واخذهم بأقواله وأفعاله واعتمادهم على ما يرد منه كائنا ما كان ، وعلى اى وجه صدر فهم قد فهموا مغزى ما اراد به أولا حتى علموا وتيقنوا أنه الحق الذى لا يعارض والحكمة التى لا ينكسر قانونها ، ولايحوم النقص حول حمى كمالها ، وذلك بكثرة الملازمة ، وشدة المثابرة فأخذ العلم عن المتحققين به واجب وقد قالوا ان العلم كان فى صدور الرجال ثم انتقل الى الكتب وصارت مفاتيحه بأيدى الرجال وهذا الكلام يقتضى بأن لابد فى تحصيله من الرجال وأصل هذا فى الصحيح » ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء الحديث » فاذا كان ذلك فالرجال مفاتيحه بلاشك والذى يقرأ قصة صلح الحديبية واعتراض سيدنا عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجوعه الى رسول الله وقد طابت نفسه بعد ما نزل القرآن بالفتح وقرأ على عمر ما نزل فهذه فوائد الملازمة والانقياد للعلماء والصبر عليهم فى مواطن الاشتباه والاشكال حتى لاح البرهان للعيان وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالما اشتهر فى الناس الاخذ عنه الا وله قدوة اشتهروا بمثل ذلك فعلى كل من يريد العلم يتصدى للدعوة الى الله تعالى أن يراعى ذلك ·

وثالثا : العلم بحال من توجه اليهم الدعوة فيعلم شئونهم واستعدادهم وطبائع بلادهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم الاجتماعية ، فالعالم الذى لا يعرف أحوال عصره لا تسمع فتواه ·

ورابعا : معرفة الملل والنحل ومذاهب الامة ليتيسر للداعى بيان ما فيها من الباطل ·

وخامسا : يجب على الداعى أن يكون نزيها من السباب والشتائم والصخب ، دمث الاخلاق ، وديعا حمولا ، حريصا على مراعاة العواطف ، واحترام من يناظره او يدعوه الى الحق ، لاينطق ببنت شفهتمس كرامة مدعو أو تجرح عاطفته وكما قال تعالى « **أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** » وأحسن شىء يربى فى الداعى هذه الملكة ، مراجعته للايات الحاوية على الجدل المتبادل بين الانبياء وأممهم ، والتأمل فى ذلك تأملا عميقا لكى يتخلق بأخلاقهم ويتأدب بآدابهم ، ويتحمل كما تحملوا ، ويتلطف كما تلطفوا ، فان فى القرآن من ذلك العجب العجاب والكنز الثمين الذى لا يقدر بثمن ·

وسادسا : ان الرجل المصلح المرشد ينبغى ان لا يفتر عن تعليم الناس وارشادهم فى كل حين وفى اى مكان وعلى اى حال ، من عسر او يسر من ضيق أو فرج ، من سرور أو حزن قياما بحق الانسانية ،ووفاء بواجب الدين ، فيوسف عليه السلام نصح ولم تعقه ضيقة السجن ولا زور التهمة عن أن يقشع عن الناس سحب الضلال ، ويصقل عقول العامة بصقال العلم ويجلوها بجلاء المنطق والحكمة فكان بذلك من المحسنين ، فليقم العلماء والمرشدون بواجبهم لينتشلوا الاميين من وهدة الجهل ، وليرفعوهم الى سماء الفضيلة ، وألا يبخل أحد بارشاده وهدايته على احد حتى ولو كان غريبا عن الجنس والوطن اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم والانبياء الكرام فقد عمموا العلم للجميع ـ هذا واننا لنرجو الله تعالى أن يحقق لامتنا دعاة علماء متحققين صابرين محتسبين يوجهون الامة نحو الخير وجمع الكلمة ووحدة الصف فنحن أحوج ما نكون فى ظروفنا الراهنة الى دعاة يحبون الله ويحبهم الله يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم حتى تستطيع الامة بايمانها وحسن بلائها أن تقهر عدوها والله غالب على أمره وهو ولينا وناصرنا وهو نعم المولى ونعم النصير ·

الحضانة فى الفقه والقانون

الدكتور أحمد فراج حسين

تناولنا فى بحثنا السابق شروط ثبوت الحضانة عند الفقهاء ، وقلنا أن هذه الشروط بعضها عام يجب توافره فى الحاضن رجلا أو امرأة ، وبعضها خاص بمن يتولاها من النساء ، وانتهينا فيه من الشروط العامة ، وفى هذا البحث نتناول الشروط الخاصة بالنساء عند الفقهاء أيضا .

الشرط الاول ـ ألا تكون الزوجة ناشزا ، فلا حضانة لمن نشزت وخرجت عن طاعة زوجها ، وتركت منزل الزوجية بغير حق أو مبرر شرعى ، لان الحضانة حال قيام الزوجية حق للزوجين معا ، كل فيما يخصه ويصلح له ، ثم جعلها الشارع بعد انقضاء الزوجية اليهما أو الى غيرهما تبعا لمقتضيات الاحوال بشروط خاصة .

والزوجة التى أعلنت التمرد والعصيان على الزوجية وعلى حقوقها التى أوجبها الشارع ، بغير مقتضى لا تكون أمينة على الولد ، لانها كانت غير أمينة على الزوجية نفسها ، فلا تكون أمينة على حقوقها من باب أولى .

الشرط الثانى ـ زواج الحاضنة : ـ

اتفق الفقهاء على أنه اذا تزوجت الحاضنة بذى رحم محرم من الصغير ، لا يسقط حقها من الحضانة ، لان ذا الرحم المحرم من اصحاب الحق فى الحضانة، وشفقته تحمله على رعاية الولد ، فيتعاون وأمه على كفالته وتربيته على أحسن الوجوه .

والعبرة فى الرحم المحرم ان يكون من جهة النسب ، **فلو كان من جهة الرضاع كالعم رضاعا فلا عبرة به .**

بيد ان جمهور الفقهاء عمم فى ذى الرحم المحرم فلم يخصه بشخص بعينه ، وخص الشافعية ذا الرحم المحرم بالجدلاب فقط ، لانه وحده كالاب فى تمام شفقته على الولد اما زواج الحاضنة بغير الجد لاب ، فانه يسقط حقها فى الحضانة .

ويتصور زواج الحاضنة بالجد لاب ، فى أن يتزوج الجد امرأة ، ويتزوج ابنه بنتها ، فيأتى للابن ولد منها ، ثم تنتقل حضانة هذا الولد لسبب أو لاخر لام الام التى هى فى الواقع زوجة جد الولد ، وفى هذه الحالة تكون الحاضنة قد تزوجت بجد الطفل لابيه .

غير أن ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من الاطلاق هو الارجح ، لما قالوه ، ولان ذا الرحم المحرم له حق الضم وحق التخيير وغير ذلك من سائر حقوق الحضانة كما سنوضحه فى حينه ، ولانه قائم مقام الاب ، وقد أخرج عبد الرازق فى مصنفه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن : أن امرأة جاءت الى النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فقالت : **« ان أبى أنكحنى رجلا لا أريده وترك عم ولدى فأخذ منى ولدى ، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أباها ثم قال لها : « اذهبى فانكحى عم ولدك »** .

وفى هذا دليل على أن الزواج من العم لا يسقط حق الحاضنة .

بعد اتفاق الفقهاء على أن زواج الحاضنة بذى الرحم المحرم على ما فصلنا ، لا يسقط حقها فى الحضانة ، اختلفوا فيمن تزوجت بأجنبى على قولين : ـ

القول الاول ـ أن زواج الحاضنة بأجنبى عن الولد لا يسقط حقها فى الحضانة ذهب الى ذلك الظاهرية .

القول الثانى ـ أن زواج الحاضنة بأجنبى عن الولد ، يسقط حقها فى الحضانة . ذهب الى ذلك الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والامامية والاباضية .

استدل الظاهرية على أنه لا يسقط حق الام فى الحضانة ولو تزوجت بأجنبى عن الولد بالسنة وبالمعقول .

أما السنة : فأولا ـ بما رواه ابن حزم عن طريق البخارى عن أنس بن مالك قال : « قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة وليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة بيدى فانطلق بى الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يارسول الله : ان أنسا غلام كيس فليخدمك ، قال : فخدمته فى السفر والحضر » .

وجه الدلالة فى الحديث ، أن أنسا فى حضانة أمه ولها زوج أجنبى هو أبو طلحة ، بعلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذلك دليل على أن زواج الحاضنة بأجنبى عن الولد لا يسقط حقها فى الحضانة .

وثانيا : بما روى ان ام سلمه تزوجت بالنبى (صلى الله عليه وسلم) وبقى ولدها فى حضانتها .
أعترض على ما استدل به ابن حزم ، بأن مجرد البقاء مع عدم المنازع لا يصح الاستدلال به على محل النزاع ، لاحتمال أنه لم يبق له قريب غيرها ، ولم يذكر فى كلا الخبرين أنه حصل نزاع فى ذلك .

وأما المعقول ، فبأنه لا فرق فى النظر والحياطة للولد بين الربيب زوج الام ، والربيبة زوجة الاب ، فكما لزوجة أبى المحضون ان تحضن ولده اذا كانت الحضانة له ، فكذلك يكون لزوج الام أن يحضن ولدها ، والأغلب فى زوج الام انه أشفق على المحضون وأقل ضررا من زوجة الاب .

اعترض على المعقول أيضا ، بأن زوجة الاب لا تجب لها أو عليها حضانة ولد زوجها من غيرها باتفاق الفقهاء ، وأنه متى انتقلت الحضانة للاب لاى سبب كان له أن يضع المحضون عند زوجته أو عند غيرها ممن يراها أصلح وأشفق لان الحق له ، وليس كذلك الام اذا تزوجت بأجنبى ، لان الاجنبى لا حق له أصلا وهى مشغولة بخدمته ومغلوبة على كل أمرها فلا تفرغ لحضانته .

واستدل أصحاب القول الثانى على أن زواج الحاضنة بأجنبى عن المحضون يسقط حقها فى الحضانة بالسنة وبالاجماع وبالمعقول : ـ

أما السنة ـ فيما رواه أحمد وأبو داود والبيهقى والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص « أن امرأة قالت يا رسول الله ، ان ابنى هذا كان بطنى له وعاء وحجرى له حواء وثدى له سقاء وزعم أبوه أن ينزعه منى فقال : أنت أحق به ما لم تنكحى » .

وجه الدلالة فى الحديث ، أن قوله صلى الله عليه وسلم « أنت أحق به ما لم تنكحى » صريح فى الدلالة على أن الام أحق بحضانة الولد من الاب اذا لم تنكح فاذا نكحت سقطت حضانتها .

أعترض على هذا الحديث ، بأنه ضعيف لا يصح الاستدلال به ، لانه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ، وهو متروك .

وأجيب عن هذا الاعتراض ، بأن حديث عمرو بن شعيب قبله الائمة أخرجه البخارى وأحمد وابن المدينى والحميدى واسحاق بن راهويه وأمثالهم ، ومن ثم فلا يلتفت الى القدح فيه .

وأما الاجماع ـ فيما رواه عبد الرازق فى مصنفه عن سفيان الثورى عن عاصم عن عكرمة قال : خاصمت امرأة عمر الى أبى بكر ، وكان قد طلقها ، فى ابن كان لها منه ، فقال أبو بكر هى أعطف وألطف وأرحم وأجنى ، وهى أحق بولدها مالم تتزوج ، وقد وافق عمر أبا بكر على قضائه ، ولم ينازعه فيه ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر أحد منهم ، فكان اجماعا .

يقول ابن المنذر : أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم ، أن الام اذا تزوجت بأجنبى سقطت حضانتها ، وبه قضى شريح .

وأما المعقول ، فبأن حق الحضانة ثبت نظرا للصغير ، وقد فات بزواج الحاضنة بأجنبى عنه ، لان شأن الاجنبى أن يبغضه ويتمنى موته ، لانه يراه غريمه فى حب زوجته ، فيعطيه لذلك نذرا ، وينظر اليه شذرا ، وفى ذلك من الضرر بالصغير ما لا يخفى .

بخلاف ما اذا تزوجت بذى رحم محرم منه ، لانه لما له من الشفقة الباعثة على نفع المحضون ، سوف يتعاون مع أمه على تنشئته تنشئة سوية ، لان الزوج القريب يشاركها فى القرابة والشفقة عليه ، فأشبه الام اذا كانت مزوجة بالاب ، ومن ثم لا يشعر الولد فى كفالته بأنه غريب عنه .

هذا والناظر فى هذه الادلة يتبين له أن القول الراجح هو القائل : بأن زواج الحاضنة بأجنبى عن الصغير يسقط حقها من الحضانة ، لقوة دليله ولان بقاء الولد فى يدها رغم زواجها بأجنبى سوف تكون له آثاره الخطيرة . على مستقبل أيامه ، لانه فضلا عما لزوجها من القوامة عليها ، التى تجعلها فى خدمته ورعاية أمره وأمن بيته ، الامر الذى يجعلها غير قادرة على القيام بواجب الحضانة ، فان الولد سوف يجد نفسه فى بيت رجل غريب عنه غير حريص على تربية ورعاية أمره ، بل سوف تكون بسببه المشاكل المستمرة بين الزوجين ، وذلك يلحقه الجفاء والمذلة ، ويربى فيه الخنوع والاستكانة ، وبذلك يخرج الى الحياة وهو يحس بأنه منبوذ منذ نعومة أظافره ، فلا تربطه بالجماعة التى يعيش فيها مودة لانها ظلمته وضيعته ، ولانه لم يجد فيها عاطفا يعطف عليه ، ولا رحيما يرحمه ، ومن ثم فلا ينتظر منه أن يؤدى للمجتمع عملا صالحا ، بل انه يقوم بأعمال الافساد فيه . هذه هى شروط ثبوت الحضانة كما يراها الفقهاء على اختلاف بينهم فى اعتبارها كلا أو بعضا ، وتبعا لما رجحناه منها فانه يشترط فى الحاضن ، أن يكون بالغا عاقلا ، قادرا ، أمينا ، سليما من الامراض الضارة والمعدية ، متحدا مع المحضون فى الديانة ، وأن يكون مسكن الحضانة مأمونا على نفس المحضون وماله ، وأن لا تكون الزوجة ناشزا ، وأخيرا الا تكون الحاضنة متزوجة بغير ذى رحم محرم من المحضون .

وبهذا العرض الموجز نكون قد انتهينا من شروط ثبوت الحضانة عند الفقهاء ، وفى العدد القادم ان شاء الله تعالى ، نذكر شروط ثبوت الحضانة فى القانون ، ثم عودة الحضانة . لمن سقطت عنه ، والله أعلم .

أضواء من كتاب الله

طه • ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى • الا تذكرة لمن يخشى • تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى • الرحمن على العرش استوى • له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ».

قد يعلم العلماء وأولوا البصر بأساليب التعبير فى اللغة العربية أن فواتح السور التى افتتح الحق تبارك وتعالى بها بعض سور الكتاب العزيز من حروف المعجم وانها أربعة عشر حرفا مفرقة فى أوائل تسع وعشرين سورة آحاد ومثنى وثلاث ورباع وخماس فالاحاد ص ، ق ،ن والمثنى : طه ، طس ، يس ، حم • والثلاث : ألم ألر ، وطسم ، والاربع : ألمص ، ألمر • والخمس : كهيعص ، حم عسق •

وقد أنزلها الله كذلك • وهم أعلم بما أنزل ـ استرعاء للسمع واستجماعا للقلب والعقل وتنبيها الى أن القرآن العظيم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وانه ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، وانه كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به ، وانه كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ،وانه ماانزلنا عليك القرآنلتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا من خلق الارض والسموات العلى ، رحمة للعالمين من الرحمن مالك الامر كله والكون كله يخلق ما يشاء من خلقه جنا واناسى كثيرا وملائك لا تحصى ولم يترك العرش وهو ملكه سدى ولا خلقه عبثا بل يدبر الامر من السماء الى الارض ويحيى الارض بعد موتها ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويرزق من يشاء بغير حساب يرسل الرياح مبشرات وينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات يعز من يشاء ويذل من يشاء ، يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل • يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا •

. وقد تحدى الله به الورى والعرب بالذات وهو بلغتهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة بلغوا منهما الاوج وتمكنوا من التعبير عن أدق المعاني وأعمق المشاعر وأجمع الوصف وبلغوا من البيان السحر وما يأخذ بلب السامعين ان يأتوا بمثله او بعشر سور او سورة من مثله فما استطاعوا ولن يستطيع الورى (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) •

لا . والقران المجيد ، والقرآن الحكيم . انك لمن المرسلين • على صراط مستقيم • تنزيل العزيز الرحيم • لا • والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق باعراضهم عنه وتجافيهم له ولغوهم فيه لعلهم يغلبون . (**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**) وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (**أئت بقرآن غير هذا او بدله**) حينما عجزوا عن محاكاته فى سخف من القول وركيك فى التركيب وهراء من المعانى •

ومن تتبع الايات واستقراء ما يتلو تلك الحروف مباشرة او بعد قليل ندرك انها ليست اسماء للسور ولا علما على أحد ولا رموزا لما ظن شيئا عند من ظنه او تخيلة وتكاد الايات كلها تنطق فى فصيح بيان وبلاغة تعنى ان المولى جل وعلا أرسل جبريل لرسول

فضيلة الشيخ حسن صالح حسن

الله عليهما السلام يلفظ بها أولا ثم يخاطبه بعدها كعهده فى بدء الوحى حين يكرر عليه الامر بالقراءة ثم أتبعه بما أوحى به اليه من سورة العلق وكأدوات الاستفتاح والتنبيه فى اللغة وهى كما نعلم ليست الا للتنبيه والاستفتاح .

بقى أن نقرر ما قرره علماء اللغة من أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض فيستعمل أحدها مكان الاخر كقوله سبحانه فى سياق الحكاية عما قال فرعون للسحرة **(ولاصلبنكم فى جذوع النخل)** أى عليها وكقوله : **(ولا تكن للخائنين خصيما)** أى عنهم **(فاسأل به خبيرا)** أى عنه **(وأنزلنا اليك الكتاب)** **(وأنزلنا عليك الكتاب)** **(ثم استوى الى السماء)** وهى دخان **ثم استوى على العرش يدبر الامر)** لافادة التمكن وتمام الهيمنة فى الخلق والتدبير وقد تنزه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا عن الجسمية والجهة والشريك والولد وكيف يتصور عاقل أن فلانا يجلس عن يمين الرب فى السماء فوق العرش أو هو الى جواره كما تحكى الاقاصيص الموضوعه عمدا للبلبلة أو بناء على الخيال اليهودى السقيم فيما تصور الخالق كما ذكرت لك فيما سبق وانما السماء قبلة الدعاء وليست اتجاها لمكان الخالق جل جلاله ولا سدة ملك وعرش ملك وكرسيه وانما جرى أسلوب الذكر الحكيم فى تصوير المعانى وتوضيح الصورة بالمحسات والالفاظ الكريمة القوية فى التبيان كقوله تعالى **(ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعهـا فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها)** وكقوله جل وعلا : **(وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى)** وقوله ، (وهو القاهر فوق عباده) وبعث الحياة فى التعبير عن الجمادات والايحاء بنطقها وحركتها وتنفسهـا كقـولـه **(والليـل اذا عسعس والصبح اذا تنفس)** **(وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب)** — **(اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا)** — **(تكاد تميز من الغيظ)** — **(وأشربوا فـى قلـوبهم العجـل بكفرهم)** — **(وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم)** **(والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)** وكتعبير الحق تبارك وتعالى باللسان العربى المبين عما دار بين الرسل عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم بلغاتهم فى أرقى درجات البلاغة حتى لتكاد صور الحوار والاقناع ومناظرهم فى المنافحة عن الحق ودعائهم اياهم للايمان والتلقى عن ربهم ومحاجة هؤلاء بالباطل ليدحضوا به الحق أن تكون صورا حية مرئية حاضرة فى اطار من الحقيقة والحق واليقين وعندئذ الجواهر من آيات الله البينات تسطع بالاضواء التى تملأ جوانب العقل وتنير القلب وتذكى الروح وتنطق المعانى **(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون)** — **(يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد)** — **فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتـا أتينا طائعين)** — **(انا عرضنا الامانة عـلى السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها)** ولديك كنوز المعرفة الربانية وبحار الفيض من كتاب الهدى فاغترف ما شئت منهـا واطلب المزيد من ربك يعطك الوفير من درره ويضيء جوانب نفسك بحقائق الوجود العليا واليقين الذى لا يخالطه شائبة من كدر الخرافة أو وهم الخيال والتصور الذى يجانى الحق وصريح كتابه ثم لا تلق بالا ولا تلتفت الى ريف دس فى تأويله مهما وشى أو استند الى مصدر الحق من الكتاب والمشاهد الواقع والتاريخ الموثق بالاثار والحفريات والحقائق العلمية والسنه المتواترة وقضايا العقل البدهية . واليقين مطلوب فى العقيدة فلاشراقها واطمئنان القلب اليها واقتناع العقل بها لابد من الايمان وهو التصديق الجازم المطابق للواقع والاذعان له . ثم انها القوة الدافعة والجذوة المتقدة التى تدفع أصحابها والمؤمنين بها الى التجمع والانطلاق بها ولها والتوحيد تحت رايتها توحيد الله وتوحيد الصف والهدف والعمل فى ثورية وحمية فى الحق ونكران ذات .

ولكن الثورة المضادة بقيادة الفكر اليهـودى وروافده وعملائه وركائزه فيما اعتمد عليه من غرائز الجماهير وجنوحها الى الاندفاع والتأثر الوقتى بما يقال لها ويذاع فى خبث وبتكرار الكذب والالحاح فى المين والعرض المستمر للفرى توشك ان تستقر فى أعماق اللاشعور ثم تحدث أثرها فى السلوك الفردى والجماعى وهو ما حدث فعلا فى حقيقة الامر منذ ثورة السماء على جحافل الخرافة وأضاليل هؤلاء حيث ركزوا هجومهم منذ أن نبتت غراس الفكر اليهودى من قبل موسى وبعده على رسالات السماء والعقيدة الطاهرة فوضعوا ما شاء لهم الهوى وكان واقع العالم الذى نعيشه حصادا ونتاجا لفراسـه فتفرق أهل الهوى ولم يعيروا التفاتا الى الاسباب والوسـائل المسمومة والاسلحة الفتاكة التى استعملها من آماد بعيدة ودأب على شحذها كلما هم أهل الحق الى التخلص من أخطبوطه والتجمع تحت راية الحق وعلم الهدى .

فيـاويل أهـل الحـق ان غفلوا لحظـة أو تهاونوا وتقاعسـوا عن نصرة دينهم والـدفاع عن أوطانهم ومهابط رسـالاتهم ، وبعـد أفى حتميـة المعـركة شـك ؟ وهـل منا من هو بعيد عنهـا أو قريب منها ؟ أنها أيها المسلم والعربى أيا كان مذهبه ودينه ووطنه معركة مصـير وعزة وكرامة ومستقبل آمال وأجيال فهل وعيت وهلا صرخت دماؤك فى عروقك تطالبك بالثأر لشهدائك واسترداد كرامتك ودينك ومحو الخزى والعار واجلاء غاصبى ديارك وشرفك ؟ فهيا يأخى أسرع الخطى وادفع فى صدر عدوك بما فى مكنتك من سلاح ومال وعتاد **(ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)**

الاجتهاد بالرأى فى الإسلام

نشأته وتطوره

الدكتور
محمد عبد الستار نصار

● لعلى أكون صادق الاحساس حين أستشعر أن القارىء الكريم يعتمل فى نفسه سؤال مؤداه : كيف يستقيم وضع النشاط العقلى فى اطار محدد مع الاعتراف بما له من قيمة فى بيان الاحكام الشرعية فيما لم يرد فيه نص ، وهو ما يسمى « بالاجتهاد » ؟ . وأبادر بالاجابة على هذا السؤال فأقرر ان تحديد نشاط العقل لا يعنى الغاءه وانما يكشف عن المجال الذى يمكن أن ينتج فيه ، حتى يصل الى الصواب ، وهو مجال الاستنتاج والتطبيق ، القائم على ادراك العلة فى الحكم الذى ورد فيه النص . لا محاولة الوصول الى ماهيات الاشياء المغيبة وكنهها .

● ومن هذا ندرك لماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده يتوقفون فيما لا مجال للبحث فيه ، مخافة الضلال والهلاك . أما اذا أعوزهم بيان الحكم فى المسائل العملية كانوا يجتهدون بالرأى ، فاذا نزل القرآن الكريم مؤيدا ، حل الدليل القرآنى محل الرأى ، أو قل انه رأى أصبح مؤيدا بالدليل .. فكأن الرأى بهذا الاعتبار يكون مستندا فى حقيقته الى النص ، ولم يكن له الاستقلال الحقيقى . ذلك الاستقلال الذى قد يجنح به الى وجهة غير صحيحة .

● وقد أومأنا من قبل ، الى ان الدين الاسلامى قد جاء بحقيقتين : احداهما اعتقادية ايمانية ، وقلنا ان العقل عاجز عن ادراك الحق فيها ، وعلمها عند الله وحده ، وغاية ما يطلب من المسلم هو الايمان بها ، دون التنازع فى حقيقتها وكنهها . لان ادراكها ادراكا حقيقيا طور فوق مقاييس العقل ومعطياته ، بل تدرك بمنهج آخر . اما الالهام واما التأمل بالتجرد عن الماديات أو تقذف فى القلب من قبل الله ، على اختلاف الوسائل فى الوصول اليها كما قرر جمهور الباحثين .

● والحقيقة الثانية التى جاء بها الدين الاسلامى حقيقة « توفيقية — أى هى ما يمكن أن يوفق العقل فى الوصول الى ادراك الحق فيها ، وهذه هى محور الحديث الذى عقدنا هنا الكلام فى شأنه . ولقد كان النص — قرآنا أو سنة صحيحة — هو محورها ومركز دائرتها .

● وقد انقسم المسلمون فى الصدر الاول بازائها قسمين : فريق راعى منطوق النص وحرفيته ، وغاية هؤلاء تطبيق ما يوحى به ظاهر النص ، بالقدر الذى يستطيعونه .. ومدى هذا التطبيق هو معيار التمسك بما جاء به صاحب الرسالة ، عضا عليها بالنواجذ أو تهاونا فيها (١) . والفريق الثانى راعى مفهوم النص لا منطوقه . وفى هذا اعمال للعقل بالقدر الذى لا يخرج

عن اطار الدين ، من ذلك ما يحدثنا به ابن قيم الجوزية فى كتابه « اعلام الموقعين » من أن الصحابة قد اجتهدوا فى زمن النبى فى كثير من الاحكام ، ولم يعنفهم ، كما أمرهم يوم الاحزاب ألا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة ، فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق ، وقال : لم يرد منا التأخير ، وانما أراد سرعة النهوض - فنظروا الى مفهوم الامر ومعناه - واجتهد آخرون وأخروها الى بنى قريظة فصلوها ليلا - نظروا الى منطوق الامر وظاهره - وهؤلاء سلف أهل الظاهر ، وأولئك سلف أهل المعانى والقياس .

● وقد روى ابن عبد البر هذه الواقعة ، وعقب عليها بقوله « هذه سبيل الاجتهاد على الاصول عند جماعة الفقهاء »

● ولاشك أن الفريق الاول قد آمن بأنه لا مجال للاجتهاد اذا كان الامر محددا من قبل صاحب الرسالة . وهذا شأن كل طائفة ترى أن ذوبان ذاتها فى ذات من تأتمر بأمره ، شىء فوق مستوى التعقل والتفكير ، وهذا أمر نفسى لا يمكن القول فيه بأكثر من هذا .

● على انه ينبغى أن ننبه الى أن أصحاب الاجتهاد بالرأى - الفريق الثانى - لم يكن فى تصورهم أن يحلوا الاجتهاد بالرأى محل الايمان الذى سيطر على قلوب الفريق الاول ، ولكن ذكاءهم ظهر فى القلب والعقل معا . ولقد ساعدهم الواقع على ذلك ، لان الحوادث والوقائع لا تقف عند حد معين ، بل هى متجددة دائما . فاذا كانت النصوص متناهية فان الامر يقتضى أن يلتمس أولو الرأى لكل حادثة حكما ثابتا لحادثة مماثلة ، بناء على اتحاد العلة .

● ولعل هذا الامر - نهائية النصوص ولا نهائية الحوادث - هو الذى اقتضى ضرورة نشوء الاجتهاد بالرأى ، كحل لمشكلة تجدد الحادثات ، والا أصبحت الشريعة مغلقة على عدد من الاحكام التى أسقطت على عدد مماثل من الحوادث أيام نزول النص . وهذا يعنى انها تكون معزولة عن ابداء رأى الدين واسقاط حكمه على الاحداث المتجددة ، وقد كان هذا منشأ تعدد المذاهب .

● وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته الى هذا المعنى فقال : « الفقه معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة . وهى متلقاه من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الادلة ، فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها « فقه » ، وكان السلف يستخرجونها من تلك الادلة على اختلاف فيما بينهم ، ولابد من وقوعه، ضرورة أن الادلة غالبها من النصوص وهى بلغة العرب ، وفى اقتضاءات ألفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف . وأيضا فالسنة مختلفة الطرق فى الثبوت ، وتتعارض فى أكثر أحكامها ، فتحتاج الى الترجيح ، وهو مختلف أيضا ، فالادلة من غير النصوص مختلف فيها . وأيضا فالوقائع متجددة لا توفى بها ، وما كان منها غير ظاهر فى المنصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهما ، وهذه كلها أشارات للخلاف ضرورية الوقوع ، ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم »

● من هذا الذى سبق نستطيع أن نؤكد أن الاجتهاد بالرأى نشأ من طبيعة الشرع نفسه ولسد الحاجات العملية التى ينبغى أن يكون للدين فيها حكمه ، كما سبق تقريره .

● ولعل أهم ما ينبغى الاشارة اليه أن الاجتهاد بالرأى كان يسير بمنهج محكم ، اذ كانت العلة فى الحكم الذى ثبت فى المقيس عليه - وهو الذى ورد فيه النص قبلا ، هى موضع اجتهاد المجتهد ، فقد كان يقلب الامور على أوجهها المختلفة حتى يتبين له ما اذا كانت العلة متحققة أم لا ، حتى يصح الحكم فى الحادثة الجديدة ايجابا أو سلبا . وفى هذا المعنى يقول ابن تيمية : « وأما دخول الاعيان الموجودة - أى الحوادث المتجددة التى لم يحكم عليها بعد - فى هذه الاسماء والالفاظ - يعنى التى اطلقت على حوادث لها حكم - فهذا قد يكون خفيا يحتاج الى اجتهاد ، وقد يكون ظاهرا ، وهذا الاجتهاد يتفاضل فيه أرباب التخصص الواحد ، وذلك بأن يسبق أحدهم الى أن يعرف أن هذا المعين الموجود هو المراد أو مراد بهذا الاسم ، كما يسبق الفقيه الفاضل الى حادثة فينزل عليها كلام الشارع و كلام الفقهاء » (الرد على المنطقيين ص ٥٣) .

● واذا ثبت أن الاجتهاد بالرأى أمر يفرضه تجدد الحوادث والوقائع - وكفى بالواقع شاهدا على ذلك - فهل يصح ما ذهب كل من « جولدزيهر » و « كارادفو » من أن نشأة الرأى فى الاسلام كانه مدينة للفكر الاجنبى؟ .يرى الاول أن التشريع اليهودى كان له تأثير كبير فى التشريع الاسلامى فيما يتعلق بنشأة الرأى والاجتهاد ، ويرى الثانى نفس الرأى ولكن يرجع الاثر للتشريع المسيحى .

● ونرى من جانبنا ان شهادة الواقع التى اشرنا اليها قبلا ، تلك الشهادة المستندة على قضايا العقل المقررة ، ثم عالمية الدين الاسلامى - فى نطاقيه الزمانى والمكانى - تلك العالمية التى تحتم أن يكون فى الدين ما يحل اشكال الحوادث المتجددة ، ثم بالاضافة الى ذلك ما يظهر من كلام هذين المستشرقين من التعصب - كل منهما لدينه - فالاول يهودى والثانى مسيحى - كل هذه أدلة قوية تؤكد تهافت ما ذهبنا

اليه ، وتقرر أن الرأى انما نشأ من طبيعة الاسلام نفسه .

● ومن العجب ان يحاول « جولدزيهر » أن يلبس الباطل ثوب الحق ، ثم يتراءى له أن باطله المتشح بالسبائك المزيفة لن يكشف حتى لدى صيارفة الدين والمدافعين عن بيضته . وهو هنا يدخل الى مقصده من منفذ خبيث ، فلما تأكد له أن القرآن بحكم حفظ الله له ، لن يكون معبرا للافكار الدخيلة ، لجأ الى الحديث باعتباره المنفذ الوحيد والمعترف به لدى البيئة الاسلامية كأصل ثان للتشريع ، يقول فى ذلك : « ليس الشرع وحده والسنة والعقائد والمبادىء السياسيه هى التى اتخذت شكل الحديث ، ولكن كل العناصر التى استنبطها الاسلام واقتبسها من مصادر أجنبية لبست هذا الشكل . ولم يقف عند هذا الحد حتى لا يكون كلامه ادعاء مكشوف . فقرر أنه « بذلك بلغ اندماج العناصر الاجنبية فى الاسلام حدا ضاعت معه مناشئها ، ومن خلف هذه الاستار تبوأت مكانا فى الاسلام جمل من العهد القديم والعهد الجديد ، وحكم مأثورة عن أحبار اليهود » .

● واذا كان هذا رأى بعض المستشرقين فما هو رأى علماء الاسلام فى نشأة الرأى فى الاسلام ؟ . يرى كل من : ١ ـ ابن خلدون ٢ ـ ابن القيم ٣ ـ ابن عبد البر ـ الشيخ مصطفى عبد الرازق ـ كممثلين للاتجاه الاسلامى ـ أن الرأى نشأ فى الاسلام من ذاتية الدين ، وقدموا فى سبيل تدعيم مذهبهم كثيرا من الادلة العقلية .

● غير انهم ـ بعد اتفاقهم على أن نشأة الرأى من طبيعة الدين ـ اختلفوا فى تحديد بداية الاجتهاد بالرأى ، فذهب ابن خلدون الى أن بداية الاجتهاد بالرأى كانت فى عهد الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلل ذلك بأن الرسول كان المرجع فيما اشكل على الصحابة من احكام ، ويرى أن الاحكام كانت تتلقى منه بما يوحى اليه من القرآن ويبينه بخطاب شفاهى ، لا يحتاج الى نقل والى نظر وقياس ، ومن بعده ـ صلوات الله عليه ـ تعذر الخطاب الشفاهى وانحفظ القرآن بالتواتر ، وأجمع الصحابة على وجوب العمل بما يصل اليهم من السنة ، قولا أو فعلا بالنقل الصحيح الذى يغلب على الظن صدقه ، وأجمع الصحابة على التفكر على مخالفيهم مع شهادة الادلة بعصمة الجماعة .

● أما ابن القيم وابن عبد البر والشيخ مصطفى عبد الرازق فيرون أن الاجتهاد بالرأى انما نشأ من الدين فى عصر الرسول ، وقد نقلنا نصا لابن القيم يقول فيه : « وقد اجتهد الصحابة فى عصر الرسول فى كثير من الاحكام ولم يعنفهم » وفى ذلك يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق : « أن النظر العقلى فى المسائل الشرعية قد نشأ فى الاسلام مؤيدا من الدين ، وهو نوع من التفكير كانت العرب مستعدة له ، ووجدت الحاجة الى هذا النظر فى استنباط الاحكام والوقائع المتجددة .

● وهذا الاجتهاد بالرأى فى الاحكام الشرعية هو أول ما نبت من النظر العقلى عند المسلمين ، وقد نما وترعرع فى رعاية القرآن وبسبب من الدين ، ونشأت منه المذاهب الفقهية ، وأينع فى جنباته علم فلسفى هو علم أصول الفقه ، ونبت فى تربته التصوف ، وذلك من قبل أن تفعل الفلسفة اليونانية فعلها فى توجيه النظر عند المسلمين ، الى البحث فيما وراء الطبيعة والالهيات على أنحاء خاصة (تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٢٣) .

● وهذا الرأى هو الذى يطمئن اليه القلب ، كما أن كثيرا من ظواهر القرآن الكريم تؤيده ، الا ترى أن قوله تعالى « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس** .. » وغير ذلك من الايات الكثيرة التى جاءت فى هذا المعنى ، كل ذلك يدل على انه كان هناك سؤال من مسترشد وجواب عليه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولاشك أن وراء الاسئلة والاجوبة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، أسئلة وأجوبة أخرى كان الرسول يجتهد فى الاجابة عنها ، وهو ما سمى باجتهاد الرسول .

التفسير النفسي للقرآن الكريم

مازال القران الكريم ولن يزال البينه الخصبه للاراء فى تفسيره والمشارب فى دراسته ، محور ثقافة وملتقى افكار وبحرا متلاطم الامواج من المعانى والاشارات . كل ذى ثقافة يجد فيه لثقافته معينا لا ينضب ومسارب يلذ له أن يدخلها ا بالتعمق والدراسه . والمعارف الحديثة وليدة القرون الاخيره شغفت أخيرا بالاحتكاك بالقرآن وتفسيره تحاول ان تجد لنفسها فيه مزيدا من المتعه فى الدرس والبحث والتحليل . وكتاب الله ما زال ولن يزال رحب الصدر يرحب بكل متدبر فيه فاحص له ، لانه لن يزداد بهذا الفحص والتدبر فيه الا نصوعا وعزة وكرامه . وهو القائل فى محكم آياته « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر أولوا الالباب » وفى موضع آخر « أفلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها » وفى موضع ثالث « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

واذا كان علم النفس يعتبر الى حد ما من العلوم الحديثه وليدة النهضه الاوربيه الاخيرة ، فان علماء النفس والدارسين لعلم النفس قد حلا لهم أن يحتكوا بالقران الكريم على ضوء معارفهم الجديده ليجدوا فيه ما يتصل بمعارفهم أو يؤيدها أو يبين عظمة القرآن فى مراعاتها وتقريره لها وموافقته فى أساليبه ومراميه لما تقرره وتثبته مكان من حصيلة ذلك ومجموعه ما يسمونه أخيرا بالتفسير النفسى للقرآن ، فما هو التفسير النفسى ؟؟ وكيف احتكت العلوم النفسيه بالقرآن وتفسيره ؟؟

نعتقد أن البلاغة من البلوغ . بلوغ المتكلم بكلامه الى أعماق نفس السامع لمعالجة ما يدور فيها من هواجس وانفعالات أيا كانت مثيراتها ، وأن الكلام اذا أريد به شرط الفصاحه والبلاغة ان يكون مناسبا للحالة النفسية لانها من الحال التى قال عنها علماء البلاغة : ان البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، ونعتقد أن اللفظ له تأثير على النفس ، وقوة هذا التأثير تتوقف على اختيار هذا اللفظ واحكام تنزيله على ما فى النفس ، وأن للكلمة ايحاء اجتماعيا وانها تحمل للنفس شحنات عاطفية تصل اليها فتحركها وتوجهها الى ما يريد المتكلم وأن البلاغة هى فن التعبير عن العاطفة والانفعال ، وأن ذلك قدر متوفر فى القرآن يدور عليه كثير من أمر الاعجاز والبلاغة ،

فاختلاف الاسلوب بين القرآن المكى والمدنى فى الالفاظ والعبارات والمعانى والقضايا التى تناولها يمكن رده الى مراعاة الحالات النفسية لمن نزل عليهم القرآن فى كل من البيئتين المكية والمدنية . وقد كان من مظاهر ذلك أن الحرف (كلا) لم يجىء الا فى القرآن المكى لانه حرف يفيد الزجر والتهديد والرد الشديد . وفى ذلك يقول القائل :

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن

ولم تأت فى القرآن فى نصفه الاعلى

ومعلوم أن البيئه المكيه كانت بيئه كفر وعناد وجبروت . وأن البيئة المدنية كانت لاول امرها بيئة ايمان واسلام . وأن الايات والسور المكيه شديدة اللهجة قوية الشكيمة ، قوية الفواصل والجرس الصوتى قصيرة السور قصيرة الايات فيها النذر والقوارع والتهديد والوعيد . وأن الايات والسور المدنيه هادئة الاسلوب لينة العبارات طويلة السور والايات فيها التشريع والاحكام والوعد والتبشير ، وكذلك ماجاء مكررا فى القرآن الكريم فى قصصه وغير قصصه مما أعيد فيه المعنى الواحد فى أكثر من موضع بعبارات تختلف فى لفظها وأساليبها يمكن رده الى ما قرره علماء النفس من أن التكرار من أقوى وسائل الاقناع والتوكيد بطريق لا شعورى تنسى النفس معه المعاندة والنفرة ، وقد أوضح ذلك الدكتور (غوستاف لوبون) فى كتابيه «الاراء والمعتقدات» . « روح الاجتماع » وكذلك ما ذكره العلماء من الغرابة والروعة والهيبة والجلال فى فواتح سور القرآن مما سموه براعة الاستهلال انما مرده الى أن أول ما يقرع النفس خالية . يتمكن فيها افضل تمكن ويستجلب انتباهها ويقظتها بما فيه من هذه الظواهر ، وكذلك التقييد بقوله (مثنى وفرادى ، فى قوله تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة) . انما كان للابتعاد بهم عما سماه علماء النفس بالعقل الجمعى والتفكير الجماعى الذى هو أشبه بعمل المظاهرات والذى لا تمحص فيه الحقائق ولا يصغى فيه الى صوت العقل والمنطق بقدر ما يصغى فيه الى صوت العاطفة والديماجوجية . وكذلك اشتراط البلاغيين عدم الغرابة والتنافر والتعقيد اللفظى والمعنوى فى الكلام انما كان لان ذلك يعوق

فضيلة الدكتور عبد الغني الراجحي

استرسال نفس السامع ومتابعة انفعالها مع ما تسمعه وتنساق معه من معانى الالفاظ والكلمات . وكذلك ما رسمه القرآن من علاجه للغرائز من عدم كبتها واقتلاعها وعدم السماح لها بالانطلاق المطلق وانما باعلائها وتوجيهها ، انما كان على أتم وفاق مع ما قاله علماء النفس فى الغرائز الانسانية والتسامى بها . **ان الجنس فى الانسان غريزة تنحرف بالكبت المطلق والعفة المطلقة** ، وتنحرف بالانطلاق البهيمى ، والاشباع اللا محدود ، فيتدخل القرآن والاسلام لرسم الطريق الصحيح لتصريف هذه الغريزة بالترغيب فى الزواج والنهى عن الاباحية والانطلاق وما يدعو الى الاباحيه والانطلاق من مقدمات وأسباب . وما أكثر الايات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع وهذه المشكلة وعلاجها .

ان غريزة حب التملك تنحرف بالكبت فتحرم الملكية وتنحرف بالانطلاق المطلق كما تفعل الرأسمالية والامبريالية فيتدخل القرآن والاسلام بالوسطية وأباحة التملك واحترام المال الحلال مع تشريعات الصدقة والزكاة والاخذ بيد الضعيف والفقير وسائر ما جاءت به التعاليم القرآنية من وجوه بذل المال وانفاقه وتنسيق ذلك تنسيقا تسعد به البشرية مع احترام المال والاقتصاد فى انفاقه فلا كبت مطلق للتملك ولا انطلاق مطلق فيه ولكن تسام واعلاء وتوجيه . وما أكثر الايات القرآنية التى جاءت متعلقة بهذا الموضوع الحيوى الخطير .

ان غريزة حب البقاء تنحرف بالجبن والخوف والخور فى العزيمة والحرص على الحياة حرصا يتنافى مع الكرامة الانسانية ، وتنحرف بالمبالغة فى المحافظة على الحياة والدفاع عن النفس لاسباب وهمية ، فيتدخل القرآن والاسلام يلعلى ويوجه ويتسامى ويحض على الشجاعة والجرأة والجهاد فى سبيل الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومكافحة الرذيلة أينما وجدت مع التنسيق والتنظيم لمزاولة ذلك وممارسته ، وما أكثر الايات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع .

ان التدين والدين فطرة وغريزة تنحرف بالرهبانية والانقطاع لها والاشباع وتنحرف كذلك بكبتها بالكفر والعصيان وتناسيها كلية : فيتدخل القرآن والاسلام لرسم الطريق الصحيح لتصريف هذه الغريزة فلا كبت ولا انطلاق ولكن تعديل واعلاء وتسام بواسطة المنهج الذى رسمه القرآن والاسلام فى جميع نواحى الدين والتدين بالاعتدال والوسطية . وما أكثر الايات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع الدقيق .

وهكذا يكون بالامكان ارجاع جميع الجرائم والمعاصى والانحرافات فى السلوك الانسانى الى غريزة أو مظهر غريزة تأخذ تعاليم القرآن والاسلام الى الاخذ بيدها نحو الطريق السليم والسلوك القويم .

وهكذا نجد الارتباطات الوثقى بين القرآن وتفسيره من جانب وبين مقررات العلوم النفسية من جانب آخر .

يقول المرحوم الشيخ أمين الخولى فى كتابه « البلاغة وعلم النفس » القرآن من حيث انه فن أدبى معجز . ومن حيث هو هدى وبيان للناس ، لن يدار الامر فيه على سياسة النفوس البشرية فصلته بالنفس ومناجاته للروح واضحة ، فالنظر الصائب اليه والفحص الدقيق له ، لن يقوم الا على ادراك ما استخدمه من ظواهر نفسية ونواميس روحية أدار عليها بيانه مستدلا وهاديا ، معنفا ومجادلا ، فبالامور النفسية يعلل ايجازه واطنابه وتوكيده وتكراره : ان القرآن قد راعى قواعد نفسية من مظاهر الاعتقاد ومسارب الانفعال ، ونواحى التأثر وجوانب التطامن ، وقد جاء نسيجا على قوالب وأنوال نفسية لا سبيل الى مراعاتها فى عهد نزوله فهو صنيع فوق قدر البشر وقوى الناس .

ويقول المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى كتابه « اعجاز القرآن » انه كان له عزم على تأليف كتاب فى الاعجاز النفسى يبنيه على فلسفة البلاغة وأسرارها النفسية ويسميها (الطريقة النفسية فى الطريقة اللفظية) ويرى أن علماءنا الاولين لم يقصروا فى شىء مما يتعلق باعجاز القرآن كما قصروا فى هذه الناحية . ونحن من جانبنا نرى أن هذه الناحية فى تفسير القرآن لم تحرم من تنويه الاقدمين بها على قدر ما سمحت به معارف عصورهم ، وهذا ما سوف نأخذ فى بيانه فى مقال قادم ان شاء الله . وبالله التوفيق .

الأخلاق

فى ضوء القرآن والسنة

فضيلة الشيخ مبارك حسن حسيه

الحمد لله خلق الانسان وصوره فأحسن صوره وربه بكمال قوامه قال الله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » سورة التين .

وأشهد ان لا اله الا الله القائل « **والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون** » سورة النحل .

وأشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذى ادبه ربه فأحسن تاديبه فقال عن نفسه « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** » وسلم تسليما كثيرا عليه وعلى اله وصحبه الذين تخلقوا بأخلاق الله ونهجوا على طريقة رسوله فكانوا كالنجوم الساطعات بأيديهم يقتدى وعلى نهجهم يحتذى أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون .

وبعد

قال الله فى كتابه العزيز لنبيه صلى الله عليه وسلم : **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** . هذه آية من كتاب الله عز وجل تجمع فى مفهومها مكارم الاخلاق فى كلمات ثلاث فى عبارة موجزة سهلة جزلة وهو العفو عن المذنبين والاحسان اليهم وصلة الرحم واعطاء المحرومين . ولقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم هذه الاية كما ألهمه الوحى الامين بقوله هو : أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

واذا كنا نتكلم عن الاخلاق فلابد لنا أن نتعرض لبيان معنى الخلق ؟ وما علامات حسن الخلق ؟

فنقول : الخلق هو عادة الارادة سواء كان خلقا حسنا أم سيئا ، وقال الامام الغزالى فى تعريف الخلق فقال : **الخلق هيئة راسخة فى النفس تصدر عنها** الافعال بسهولة ويسر بدون امعان النظر واعمال الفكر ، فما يصدر عن النفس الانسانية من الافعال ان كان فعلا حسنا كان خلقا حسنا وان كان فعلا سيئا كان خلقا سيئا .

قال ابن لقمان الحكيم لابيه يا ابت أى الخصال من الانسان خير ؟ قال : الدين ، قال : فاذا كانتا اثنتين قال : الدين والمال ، قال : فاذا كانت ثلاثا ، قال : الدين والمال والحياء ، قال : فاذا كانت أربعا : قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق ، قال : فاذا كانت خمسا . قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء .

قال : فاذا كانت ستا . قال : يا بنى من اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقى وتقى ولله ولى ومن الشيطان برى .

ومن علامات حسن الخلق : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه .

وقد جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال : هو أن يكون الانسان كثير الحياء . قليل الاذى ، كثير الصلاح . صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الذلل ، قليل الفضول ، برا وصولا، وقورا ، صبورا شكورا ، رضيا ، حليما ، رفيقا عفيفا شفيقا . لا لعانا ولا سبابا ، ولا نماما ولا مغتابا ، ولا عجولا ولا حقودا ، ولابخيلا ، ولا حسودا، بشاشا هششا ، يحب فى الله ويبغض فى الله ، ويرضى فى الله ويغضب فى الله .

وأحسن ما قيل فى حسن الخلق هو البعد عن المحرمات وأداء الواجبات ، والبشاشة مع الناس والاحسان اليهم ، وقال ابن المبارك : حسن الخلق بسط الوجه وكف الاذى ، وبذل الندى .

وقد قال الله لنبيه ـ مبينا له علامات حسن الخلق وهى الدعوة الى معرفة الله وعبادته والعمل الصالح واجتناب المنكرات ـ « **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** » والمعنى والله أعلم : لا أحد من الناس أحسن ممن اجتنب المنكرات وعمل الصالحات ودعا الناس الى معرفة الله وعبادته فذاك له رفيع الدرجات لانه صار بذلك خليفة الانبياء فى تبليغ أوامر الله وحثهم على فعل الخيرات واجتناب المنهيات ، ثم بين المولى عز وجل فى وضوح ظاهر الفرق الكبير والبون الشاسع بين فعل الحسنات وفعل السيئات ، فقال : « **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** » .

نعم لا تتساوى الحسنات والسيئات فى الفعل والاجر والثواب فان السيئة فعلة قبيحة وخصلة ذميمة تلحق فاعلها بالنقص والازدراء والسخرية والاحتقار من المجتمع الانسانى التى تسود فيه الفضائل وتمحو منه الرذائل ثم يكون هناك فى الاخرة العقاب الصارم من رب العالمين هذا لفاعلى السيئات .

اما الحسنات فهى فضائل رفيعة وصفات جميلة وأفعال حميدة يثاب عليها فاعلها بعظيم الاجر وجزيل الثواب ثم يضاعف الله الثواب الى اضعاف مضاعفة فلفاعلها المكانة المحمودة عند الله وعند الناس ثم نزيد فى أن الاكثار من فعل الحسنات يمحو السيئات قال الله تعالى : **ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين** » سورة هود .

أيها المسلم : ادفع السيئة بالحسنة فبالصبر أدفع الغضب وبالحلم ادفع الجهل ، وبالعفو ادفع الاساءة حتى يصير عدوك صديقا والبعيد منك قريبا .

« **فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** » ثم يقول المولى عز وجل « **وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم** » اى : لا يعطى هذه الخصال الحسنة الا الصابرون المتحلون بأنبل الصفات وأجمل الأخلاق وما يلقاها الا كل ذو مكانة محمودة عند الله عز وجل .

ولما كثرت قريش فى ايذاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان يقابل أذاهم بالحلم والصفح الجميل ويقول : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » مدحه المولى عز وجل فى وجهه وأثنى عليه بقوله : « **وانك لعلى خلق عظيم** » سورة القلم ..

ولما سئلت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ، من كل فعل حميد . ووصف جميل . وخلق كريم .

وقد بعث الله نبيه ليتمم مكارم الاخلاق قولا وعملا كما هو واضح فى قول الله عز وجل « هو الذى بعث **فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » .

وبهذه المنة العظيمة للنبى صلى الله عليه وسلم وهى الرسالة الخالدة ـ التى كانت وما تزال رحمة للعالمين أجمع ، ألان الله قلب النبى صلى الله عليه وسلم لقومه فالتفوا حوله وآزروه وأجتمعوا معه ، محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .

قال الله تعالى لنبيه : **فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر** » سورة آل عمران

فهل نحن معشر المسلمين اقتدينا بأخلاق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وألنا جانبنا لبعضنا فتحاببنا وتوحدت كلمتنا واجتمع شملنا على الحق وصرنا عباد الله اخوانا تمثلنا قول النبى : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » وحق علينا قوله « **مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعت له باقى الاعضاء بالحمى والسهر** » وعندئذ يكتب الله لنا النصر المبين ويصدق علينا قول الله تعالى « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

وهل نحن مؤمنين حقا حتى يتحقق علينا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « **أكمل المؤمنين ايمانا أحاسنهم أخلاقا** » وان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ..

درجات الاخلاق

واذا كانت اخلاق تختلف من شخص الى آخر ، فهذا يتصف بالخلق الكريم وذاك يتصف بالخلق الذميم فبناء على هذا فان الله تبارك وتعالى جعل للاخلاق درجات ومراتب تتدرج من منزلة الى اخرى ثم ترتقى الى أسمى وأرقى منزلة من المثل العليا وبذلك يمنح صاحبها أعلى الدرجات فى الجنة فى اليوم الاخر

لقد وضح القرآن الكريم أن مقابلة السيئة بالسيئة مثلها عدل من الله فقال : « **وجزاء سيئة سيئة مثلها** » وقال : « **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** » ولكن القرآن الكريم مع هذا العدل الذى أقره فى مقابلة السيئة بالسيئة يذكر درجة أعلى من الخلق الكريم تلك هى : درجة كظم الغيظ والعفو مع المقدرة على مقابلة السيئة بالسيئة الا أنه أبى أن يقابل السيئة بالسيئة وفضل كظم الغيظ والعفو قال تعالى : « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » .

فلم يقف القرآن الكريم عند هذا الحد بل انتقل الى

قضايا الخطبة

بين أحكام الشريعة الإسلامية وأحكام القانون المصري

الأستاذ اسماعيل الخطيب

الخطبة : تسمية فى الشرع لمقدمات عقد الزواج ٠ وهى طلب الرجل يد امرأة معينة للتزوج بها ٠ والتقدم اليها والى ذويها ببيان حاله ومفاوضتهم فى أمر العقد ومطالبه ومطالبهم بشأن هذا العقد ٠

ويجب لصحة الخطبة :

١ ـ ان يكون كلا من الخاطبين على علم قاطع أى ظن راجح بحال العاقد الاخر وما عليه من عادات واخلاق ليكون العقد على أساس صحيح وتكون العشرة التى يحلها مرجوة الصلاح والبقاء ٠

٢ ـ ان يكون على علم بخلق الطرف الاخر وتكوينه الجسمى ويتم ذلك العلم بالرؤية ولذلك اباح الشارع الاسلامى للرجل أن ينظر الى من يريد الزواج منها بل حبب فى ذلك وندب اليه ٠

ويروى فى ذلك أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة ليتزوجها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « **أنظرت اليها ؟ قال : لا فقال له عليه السلام انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما** وروى جابر ان رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال « **اذا خطب أحدكم المرأة ٠ فان استطاع ان ينظر منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل** » ٠

والقدر الذى يباح النظر اليه هو ١ ـ الوجه ٢ ـ الكفان ٣ ـ القدمان وقد أجاز بعض الائمة تجاوز ذلك القدر ومنع بعض الائمة النظر الى القدمين واليدين ومذهب الحنفية هو الوسط ٠

الخلوة وقد اتفق الفقهاء على أن رؤية الخاطب مخطوبته لا تكون فى خلوة ٠ لان الخلوة بين الرجل والمرأة حرام فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « **لا يخلون رجل بامرأة فان ثالثهما الشيطان** » ٠

والرؤية تكون عند الخطبة ويفضل الشافعى رضى الله عنه أن تكون الرؤية قبل الخطبة خفية حتى اذا انتجت الرؤية احجاما لم يكن فى ذلك ايذاء للمرأة ولا حرج لاسرتها ٠

● وهذا المنهاج الذى سنه الشارع الاسلامى هو المنهاج السليم اذ أجاز للخاطب ان يرى المخطوبة فى غير خلوة ٠ وذلك المسلك هو الوسط بين مغالاة المتشددين فى التستر الذين حرموا على الخاطب الرؤية ٠ وبين اسراف الذين غلوا فأباحوا للرجل أن يصطحب مخطوبته فى الحدائق والملاهى فى النهار والليل وكشفوا للخاطب كل أستار البيت فكانت النتائج خطيرة اذا لم يتم الزواج ٠

شروط الخطبة :

١ ـ الا تكون المرأة محرمة على الرجل حرمة مؤبدة فلا يجوز له أن يخطب ذات زوج لان خطبتها اعتداء على حق الزوج ٠

٢ ـ الا تكون المرأة معتدة من طلاق رجعى وتحرم خطبة المرأة المعتدة من طلاق رجعى لا بطريق التصريح ولابطريق التعريض لان المطلقة طلاقا رجعيا زوجيتها قائمة وحقوق الزوج عليها ثابتة مادامت فى العدة ٠

٣ ـ والمعتدة من وفاة تجوز خطبتها تعريضالا

تصريحا لقوله تعالى « **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء** » وظاهر الاية انها للمتوفى عنهـا زوجها لانها جاءت عقب قوله تعالى « **والذين يتوفون منكم · ويذرون ازواجا يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر وعشرا** » ·

٤ ـ والمعتدة من طلاق بائن لاتجوز خطبتها قبل انتهاء العدة لاتصريحا ولاتعريضا · اذ ان المعتدة من طلاق بائن عدتها بالحيض غالبا فاذا طمعت فى الزواج بالتعريض بالخطبة ربما دفعها الطمـع الى الخيانة فتعلن ان العدة قد انتهت وهى لم تنته والقول قولها فى اخبارها بانتهاء العدة اما المعتدة من وفـاة فان عدتها بالاشهر وهى تعرف بالحساب ·

وقد تكون الخطبة ممنوعة دينا لا قضاء ؟

وذلك اذا خطب الرجل امرأة سبق اليها غيره وخطبها فان ذلك منهى عنه لقول النبى صلى الله عليه وسلم « **لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته** »

طبيعة الخطبة فى الشرع الاسلامى

والخطبة ليست عقدا قد التزم فيه طرفاه بالتزامات لها قوة الالزام ولكن اقصى ما تؤديه الخطبة اذا تمت ان تكون وعدا بعقد وليس للوعد بعقد قوة الالزام عند جمهور الفقهاء · خلافا لمالك فى بعض أقواله واذا لم تكن من الخطبة قوة الالزام لاحد الطرفين فلكل منهما ان يرجع عن قوله · وان فعل فهو يستعمل خالص حقه وليس لاحد عليه من سبيل لان عقد الزواج عقد الحياة ويجب أن يتم برضا صحيح كامل لم تشبه شائبة ·

العدول عن الخطبة

وقد أصبح العدول عن الخطبة ظاهرة جديرة بالاهتمام وقد تعددت المنازعات الخاصة بالعدول عن الخطبة · وازداد ما يعرض من قضاياها يوما بعد يوم فى دور المحاكم فهذا يطالب برد ما قدمه من هدايا لخطيبته وخاصة « الشبكة » وتلك بتعويض عـن الاضرار التى أصابتها نتيجة العدول وفسخ الخطبة ·

أسباب العدول

وترجع كثرة حالات العدول الى الاسباب الاتية :

اولا : انتشار التعليم واختلاط الجنسين ومشاركة المرأة للرجل فى شتى ميادين الحياة · والاستقلال الاقتصادى عن الوالدين ادى الى امكان التعبير عن العاطفة بطريقة مباشرة · وتعهدات ووعود بالزواج غالبا ما تكون طائشة لا تقوم على أساس متين وتتم بسرعة ودون ترو وبعيدا عن سلطان الوالدين مما يجعل اطرافها يحاولون التخلص منها بالعدول بعد أن تهدأ ثورة العاطفة المتأججة · وكذلك اختلاف بيئات الخاطبين وجنسياتهم ·

ثانيا : ان كلا من الطرفين لا يظهر على حقيقته عند الخطبة وينصب كل من الطرفين شباكه لايقاع الاخر ويخفى وراء البساطة والصراحة المفتعلة امورا خطيرة تتكفل الايام باظهارها وكشف الافراد على حقيقتهم ومن ثم يكون العدول ·

ثالثا : وبعد أن كان الزوج ينشد فى زوجته أن تقوم بدورها كسيدة منزل تصلح أساسا للحياة المنزلية وحفظ معايشة وتربية اولاده تغيرت المفاهيم واصبح الزوج ينشد السيدة المثقفة سيدة مجتمع ·

رابعا : عدم الشعور بالحرج من اللجـوء الى ساحات المحاكم للمطالبة بكافة الحقوق الناتجة عن العدول على غير ما كان سائدا من التحرج فى رفع الامر الى القضاء فى هذا الشأن صيانة لاسرار الاسرة ·

قضايا العدول عن الخطبة
فى التشريع الاسلامى

وينشأ عن العدول عن الخطبة نوعان من القضايا :

ا ـ التعويض عن العدول

ب ـ رد هدايا الخطبة والمهر

ا ـ التعويض عن العدول

قد يترتب على العدول عن الزواج بعد تمام الخطبة ضرر ينال الطرف الاخر الذى لم يعدل فقدي نال المرأة ضرر بسبب عدول الرجل لانها اعدت الجهاز مثلا · فهل يغرم العادل من ماله عوضا للاضرار المالية وغير المالية ؟

يجمع رجال الفقه بأنه لا يسوغ · وليس للقاضى ان يحكم به لان العدول حق للخاطب والمخطوبة بلا قيد او شرط والضرر فقها انه لا ضمان فى استعمال الحق · ولان الذى وقع فى الضرر من الطرفين يعلم ان الطرف الاخر له العدول فى أى وقت شاء فان اقدم على عمل بناء على الخطبة · ثم حصل عدول فالضرر نتيجة لاغتراره ولم يغرر به أحد والضمان عند التغرير لا عند الاغترار ولانه لو حمل العادل عن الخطبة مغارم لكان فى ذلك بعض الاكراه على الزوج ويجب ان يتوافر فى عقد الزواج كامل الرضا . وكامل الحرية .

ويميل بعض المحدثين ممن كتبوا فى الفقه الى الحكم بالتعويض ان نال أحد الطرفين بسبب عدول الاخر عن الزواج ضرر لانه من المقرر فى الشريعة ان ان لاضرر ولا ضرار والضرر يزال وطريق ازالتـه التعويض ·

ويرى البعض حلا وسطا نأخذ به وهو :

ان مجرد العدول وهو حق للخاطب غيـر موجب للتعويض اذا كان الخاطب قد تسبب فى أضرار نزلت بالمخطوبة لا عن مجرد العدول ولكن نتيجة طلبه نوعا معينا من جهاز واعداد البيت ·

ب ـ طلب استرداد الهدايا والمهر

وقد يصحب الخطبة ان يقدم الخاطب هدايا او يعطى خطيبته جزءا من المهر فهل له استرداده وهل لها ان تسترد الهدايا ان كانت قد قدمت هدايا ؟

ان ما يقدم على أنه مهر يكون للخاطب استرداده · لان المهر حكم من أحكام الزواج ولم يتم الزواج · فـلا يستحق ويرد ان كان قائما ومثله او قيمته ان هلك او استهلك ·

واما ما قدم على سبيل الهدية من أى من الطرفين فى المذهب الحنفى : يأخذ حكم الهبات ويجرى فيه حكم الرجوع فيها اى يجوز الرجوع فى الهبة الا لمانع من موانع الرجوع ومنها الاستهلاك ·

وفى رأى جمهور الفقهاء : ان الرجوع فى الهبة لا

يجوز بعد قبضها

ومذهب الشافعية : استرداد الهدايا ايا كان المهدى وان كانت قائمة رد بذاتها • وان لم يكن ردها بذاتها فبقيمتها وكذلك الهالكة اى الرد فى جميع الاحوال •

ويرى مالك رضى الله عنه

انه ان كان العدول من جانب المهدى فليس له ان يسترد الهدايا ولو كانت قائمة بحالها وان كان العدول من جانب المهدى اليه فعليه ان يرد الهدية ان كانت قائمة وقيمتها ان كانت هالكة او مستهلكة وذلك عدل بلا شك فلا يجمع على المهدى اليه ألم العدول وألم الاسترداد ان لم يكن هو الذى عدل عن الخطبة • ولا يجمع على المهدى ألم العدول والغرم المالى ان كان العدول من الجانب الاخر •

قضايا فسخ الخطبة فى القضاء المصرى

أولا : قضايا التعويض

اختلفت احكام المحاكم فى الماضى فقد صدرت احكام من القضاء الوطنى تقضى بأن فسخ الخطبة لا يوجب التعويض اذ هو أمر مباح فلا سبيل الى تحميل الخاطب الذى يعدل مسئولية عمل مشروع والقضاء ممنوع من تقييد المباحات العامة كما أن تحرى العوامل التى أدت الى فسخ الخطبة يقتضى التدخل فى أدق الشئون الشخصية والاعتبارات اللصيقة بحرمات الناس • وفى الوقت ذاته صدرت احكام اخرى من القضاء الوطنى والمختلط تقضى بجواز التعويض عن فسخ الخطبة وبخاصة اذا سبق الفسخ استهواء او سببت الخطبة مصروفات او اخذت صورة واضحة من العلانية •

ولكن استقرت الامور اخيرا فى القضاء المصرى على المبادىء الاتية :

١ ـ الخطبة ليست بعقد ملزم

٢ ـ مجرد العدول عن الخطبة لا يكون سببا موجبا للتعويض

٣ ـ اذا اقترن العدول عن الخطبة بأفعال اخرى • الحقت ضررا بأحد الخطيبين جاز الحكم بالتعويض على أساس المسئولية التقصيرية • وقد قررت محكمة النقض اخيرا هذه المبادىء فى حكم لها جاء فيه ما يأتى « ان الخطبة ليست الا تمهيدا لعقد الزواج • وهذا الوعد بالزواج لا يقيد احدا من المتواعدين • فلكل منهما ان يعدل عنه فى اى وقت شاء خصوصا وانه يجب فى هذا العقد أن يتوافر للمتعاقدين كامل الحرية فى مباشرته • لما للزواج من الخطر فى شئون المجتمع وهذا لا يكون اذا كان احد الطرفين مهددا بالتعويض ، ولكن اذا كان الوعد بالزواج والعدول عنه باعتبار انهما مجرد وعد فعدول • قد لازمتهما أفعال اخرى مستقلة عنهما استقلالا تاما • وكانت هذه الافعال قد الحقت ضررا ماديا او أدبيا بأحد المتواعدين • فانها تكون مستوجبة التضمين على من وقعت عليه وذلك على أساس انها فى حد ذاتها ـ بغض النظر عن العدول المجرد ـ افعال ضارة موجبة للتعويض •

كما قضت محكمة النقض بأن استطالة امد الخطبة فى الزواج والاحجام عن اتمامه ثم العدول عنه • كل ذلك من الامور لا تفيد سوى العدول عن اتمام الخطبة ولا تعد اعمالا مستقلة بذاتها عن هذا العدول ومجرد العدول ـ لا يعد سببا موجبا للتعويض مهما استطالت مدة الخطبة الا اذا اقترن العدول بأفعال اخرى مستقلة عنه الحقت ضررا بأحد الخطيبين • نقض مدنى فى ٥ـ١١ـ١٩٢٦ مجموعة احكام النقض السنة ١٣٠ رقم ١٦٠ ص ١٠٣٩ » •

ثانيا ـ قضايا هدايا الخطبة

واستقر القضاء المصرى على أن الهدايا التى يقدمها احد الخاطبين للاخر ومنها الشبكة ابان فترة الخطبة من قبيل الهبات ويسرى عليها ما يسرى على الهبة من أحكام فى القانون المدنى • وقد أورد هذا القانون احكام الهبة باعتباره عقدا ماليا كسائر العقود واستمد احكامها الموضوعية من الشريعة الاسلامية ومن ثم فالمعول عليه فى حق الخاطب فى استرداد الهدايا هو أحكام الرجوع فى الهبة الواردة فى المادة ٥٠٠ وما بعدها من القانون المدنى نقض ٢٠٢ سنة ٢٨ ق فى ٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٦٣ ـ ١٤ ـ ١٣٥ ـ ٩٦٧ وقد نصت المادة ٥٠٠ مدنى على أنه يجوز للواهب ان يرجع فى الهبة اذا قبل الموهوب له ذلك ويصرح له بالرجوع اذا كان لديه عذر مقبول كما نصت المادة ٥٠١ مدنى على أن يعتبر عذرا مقبولا للرجوع فى الهبة •

أ ـ ان يخل الموهوب له بما يجب عليه نحو الواهب او احد اقاربه •

ب ـ ان يصبح الواهب عاجزا عن ان يوفر لنفسه اسباب المعيشة •

جـ ـ ان يرزق الواهب بعد الهبة ولدا •

ويرفض طلب الرجوع اذا وجد احد الموانع الاتية :

١ ـ اذا حصل للشىء الموهوب زيادة متصلة موجبة لزيادة قيمته •

٢ ـ اذا مات احد طرفى عقد الهبة

٣ ـ اذا تصرف الموهوب له فى الشىء الموهوب تصرفا نهائيا •

٤ ـ اذا كانت الهبة من أحد الزوجين •

٥ ـ اذا كانت الهبة لذى رحم محرم •

٦ ـ اذا هلك الشىء الموهوب فى يد الموهوب له •

٧ ـ اذا قدم الموهوب له عوضا عن الهبة

٨ ـ اذا كانت الهبة صدقة او عملا من اعمال البر •

والله ولى التوفيق

مواقيت الصلاة

اليوم	١٣٩٣هـ ربيع الأول	١٩٧٣م ابريل	فجر ت	فجر د	ظهر ت	ظهر د	عصر ت	عصر د	مغرب ت	مغرب د	عشاء ت	عشاء د
الأربعاء	١	٤	٤	١٨	١٢	٣	٣	٣٥	٦	٢٠	٧	٣٩
الخميس	٢	٥		١٦		٣		٣٥		٢٠		٣٩
الجمعة	٣	٦		١٥		٢		٣٥		٢١		٤١
السبت	٤	٧		١٤		٢		٣٥		٢٢		٤٢
الأحد	٥	٨		١٢		٢		٣٥		٢٢		٤٢
الاثنين	٦	٩		١٠		٢		٣٥		٢٣		٤٣
الثلاثاء	٧	١٠		٩		١		٣٥		٢٤		٤٤
الأربعاء	٨	١١		٨		١		٣٥		٢٤		٤٤
الخميس	٩	١٢		٧		١		٣٥		٢٤		٤٤
الجمعة	١٠	١٣		٥		١		٣٥		٢٥		٤٥
السبت	١١	١٤		٤		٠٠		٣٥		٢٦		٤٧
الأحد	١٢	١٥		٢		٠٠		٣٥		٢٦		٤٧
الاثنين	١٣	١٦		١		٠٠		٣٥		٢٧		٤٨
الثلاثاء	١٤	١٧		١		٠٠		٣٥		٢٨		٤٩
الأربعاء	١٥	١٨	٣	٥٩	١١	٥٩		٣٥		٢٩		٤٩
الخميس	١٦	١٩	٣	٥٧	١١	٥٩	٣	٣٥	٦	٢٩	٧	٥٠
الجمعة	١٧	٢٠		٥٧		٥٩		٣٥		٣٠		٥٢
السبت	١٨	٢١		٥٥		٥٩		٣٥		٣٠		٥٢
الأحد	١٩	٢٢		٥٤		٥٩		٣٥		٣١		٥٢
الاثنين	٢٠	٢٣		٥٣		٥٨		٣٥		٣٢		٥٤
الثلاثاء	٢١	٢٤		٥١		٥٨		٣٥		٣٢		٥٥
الأربعاء	٢٢	٢٥		٥٠		٥٨		٣٤		٣٢		٥٦
الخميس	٢٣	٢٦		٤٨		٥٨		٣٤		٣٣		٥٧
الجمعة	٢٤	٢٧		٤٧		٥٨		٣٤		٣٤		٥٨
السبت	٢٥	٢٨		٤٦		٥٧		٣٤		٣٤		٥٨
الأحد	٢٦	٢٩		٤٥		٥٧		٣٤		٣٥		٥٩
الاثنين	٢٧	٣٠		٤٤		٥٧		٣٤		٣٦	٨	٠٠
الثلاثاء	٢٨	أول مايو	٤	٤٢	١٢	٥٧	٤	٣٤	٧	٣٧	٩	١
الأربعاء	٢٩	٢		٤٠		٥٧		٣٤		٣٧		٢
الخميس	٣٠	٣		٤٠		٥٧		٣٤		٣٨		٣

فلسفة العقوبة في الشريعة والقانون

الدكتور
فكرى احمد عكاز

حركة الدفاع الاجتماعى :

تقوم حركة الدفاع الاجتماعى على مبادىء أساسية فنية ملائمة لمكافحة الاجرام :

أولا – مواجهة الظروف التى من شأنها أن تغرى بالاقدام على الجريمة والقضاء على تأثيرها الضار ·

ثانيا – حماية الفرد الذى أجرم بتأهيله ، فالتأهيل من شأنه أن يقيه شر الاقدام على جريمة تالية ·

ثالثا – كل أساليب الدفاع الاجتماعى تقوم على احترام عميق للكرامة الانسانية والحريات ·

رابعا – يعترف قانون العقوبات بشرعية الجرائم والتدابير الجنائية كما يسلم بحرية الاختيار ويعتبر الخطيئة ركنا فى الجريمة ويسلم بالمسئوليه الاخلاقية وينمى القيم الاخلاقية المستقرة فى المجتمع خاصة الشعور بالخطأ والمسئولية عنه ، ويستخلص أحكامه من الحقائق العلمية معترفا بدور القضاء فى تحديد التدبير المناسب المجرم واتاحة فرصة الدفاع كاملة له مع اعتبار الدعوى الجنائية متصلة حلقاتها منذ لحظة الجريمة حتى لحظة التأهيل الفعلى للمجرم مع الاخذ بمبدأ التفريد المطلق حتى تتجه الاجراءات الى الكشف عن ظروف المجرم ومعالم شخصيته كى يكون ذلك الاساس الذى يحدد سير هذه الاجراءات فى جميع مراحلها ·

وقد حصرت حركة الدفاع الاجتماعى الحديث أغراض تدابيرها فى تأهيل المجرم واعتبرت نظام تأهيلها هو السبيل الى حماية المجتمع وحماية المجرم وقد أنكروا تبعا لذلك أن يكون من أغراض هذه التدابير تحقيق العدالة أو الردع العام يريدون بذلك أن يثبتوا خطأ الاعتداد بهذه الاغراض ·

ويعيب الحركة الاجتماعية أنها تفتقر الى أساس منطقى تقوم عليه كما يؤخذ عليها كذلك أنها حصرت أغراض تدابيرها فى التأهيل واغفالها جانبى العدالة والردع العام كما يؤخذ عليها أيضا خلطها بين نظامى العقوبات والتدابير الاحترازية مع وجود الفوارق القانونية العميقة التى تفصل بينهما ·

وأخيرا يرى بعض أساتذة القانون الجنائى أنه ليس من الصواب حصر أغراض العقوبة فى واحد فقط فالنظام الاجتماعى فى المجتمع مع تنوع جوانبه ووظيفته الهامة يأبيان هذا الحصر .

وقد علم أن الاغراض للعقوبة أو بمعنى أدق الوسائل التى يرجى من مراعاتها تحقيق الغرض الحقيقى للعقوبة وهو مكافحة الجريمة والتى تعاقبت الجهود العلمية التى بذلت لتحديدها ثلاثة الردع العام ، ثم تحقيق العدالة ، ثم الردع الخاص وان كل غرض من هذه الاغراض يرتبط على نحو وثيق بالغرضين الاخرين وتتأصل هذه الاغراض بردها الى قسمين : معنوى (هو تحقيق العدالة) ونفعى (وهو الردع بنوعيه) ·

ويرى هذا البعض صواب الجمع بين أغراض العقوبة الثلاثة مع التنسيق بينها · لان لكل من هذه الاغراض من الاهمية ما يجعل التضحية به أمرا غير مقبول ثم أنها لا تناقض فى اجتماعها ·

ويرى هذا البعض أن الصعوبة فى تحقيق التناسق الضرورى بينها ، ثم يرون أن التنسيق بينها يقتضى أمرين : تحديد مجال كل غرض ، ثم القول بما اذا كانت تتساوى أهمية أم يرجح أحدها على سواه ·

أما الاول : فالفصل فيه أن المجال الاساسى للردع العام هو وجود نص التجريم والعقاب والتزام السلطات العامة بتطبيقه عند تحقق الوضع المبين فيه ومجال العدالة هو فى نطق القاضى بالعقوبة وتنفيذ

حكمه أما تنفيذ مجال الردع الخاص فهو فى كيفية تنفيذ سلب الحرية ٠

فانفصال المجالات على هذا النحو ينفى التناقض بين الاغراض المتعددة ٠

أما الامر الثانى : وهو معرفة ما اذا كانت هذه الاغراض الثلاثة متساوية فى الاهمية أم أن أحدها يرجح على ما سواه فان الفصل فى هذا هو بترجيح الردع الخاص على الغرضين الاخرين فيرجح على العدالة بما له من دور نفعي ملموس ، لانه يحقق مصلحة جوهرية للمجتمع فى حين تحقيق العدالة يقتصر على كونه توفيرا لقيمة معنوية ٠ ويرجح على الردع العام لانه يواجه خطورة فعلية حالة لانها حصلت من شخص ارتكب الجريمة بالفعل ٠ أما الردع العام فيواجه خطورة كامنة احتمالية لان مصدرها جميع الناس الذين يخشى تأثرهم بالجانى فيفعلون مثله وقد لا يفعل أكثرهم ذلك كما أن الردع الخاص يثير مشاكل تتطلب الدراسة والتنظيم وهى مشاكل المعاملة العقابية بجوانبها المتعددة ٠ أما الغرضان الاخران فلا يثيران مشاكل فى مثل هذه الدقة والاهمية ٠

وبعد فقد أصبح ترجيح الردع الخاص على باقى أغراض العقوبة هو الاتجاه الذى تقره صراحة التشريعات الحديثة وتحرص على ان تستخلص منه نتائجه المنطقية بل ان منها ما قد قدر أن أهميته ترقى به الى مرتبة اعتباره مبدأ دستوريا وذلك مثل الدستور الايطالى لسنة ١٩٤٧ وقانون العقوبات السويسرى وقانون الاجراءات الفرنسى وقواعد السجون الانجليزية الصادرة سنة ١٩٦٤ وقانون) العقوبات للجمهورية الاشتراكية الاتحادية (روسية) بل ان المنظمات الدولية قد حرصت على الاعتراف بالردع الخاص لبلوغ أهميته وعليه فقد أصبح التأهيل أو الردع الخاص أهم أغراض العقوبة وجعل مجاله الاساسى هو تنفيذهاكما أصبح التأهيل هو نقطة الارتكاز للنظام العقابى الحديث كله وهو أهم مبدأ تستند اليه نظريات علم العقاب فى الوقت الحاضر ٠

أما الغرض من العقوبة فى الشريعة الاسلامية فهو اصلاح حال البشر وحمايتهم من المفاسد رحمة بهم وحملا لهم على ما يكرهون مادام فيه صلاحهم وصرفا لهم عما يشتهون مادام أنه يؤدى لفسادهم فالعقاب مقرر لاصلاح الافراد ولحماية الجماعة وصيانة نظامها ٠ واذا علم أن الغرض من العقوبة هو اصلاح الافراد وحماية الجماعة وصيانة نظامها ، من أجل ذلك وجب أن تعتمد العقوبة على أسس يتحقق بها هذا الغرض كما ينبغى ، وهذه الاسس هى :

١ ـ أن تكون العقوبة بحيث تمنع الناس من ارتكاب الجريمة فاذا ارتكبت تكون صالحة لتاديب الجانى على جنايته ولزجر غيره عن التشبه به وسلوك طريقه ٠ وفى معنى هذا يقول بعض الفقهاء فى العقوبة (أنها موانع قبل الفعل زواجر بعده) أى العلم بشرعيتها يمنع الاقدام على الفعل وايقاعها بعده يمنع العود اليه ٠

٢ ـ أن تكون العقوبة لحاجة الناس ولمصلحتهم فاذا كانت المصلحة فى التخفيف خففت فلا يجوز أن تقل العقوبة أو تزيد عن حاجة الناس ٠

٣ ـ اذا اقتضت حماية الجماعة استئصال المجرم من الجماعة أو حبس شره عنها وجب أن يعاقب بالقتل أو الحبس حتى يموت مالم يتب أو ينصلح حاله ٠

٤ ـ تعتبر العقوبة مشروعة اذا كانت تؤدى الى صلاح الافراد وحماية الجماعة ما لم يمنع منها الشارع فلا ينبغى الاقتصار على عقوبات معينة دون غيرها ٠

٥ ـ لا يقصد من العقوبة الانتقام من المجرم بل يقصد بها استصلاحه والعقوبات على اختلاف أنواعها تتفق كما يقول بعض الفقهاء فى انها تأديب واستصلاح وزجر يختلف بحسب اختلاف الذنب بل ان العقوبات انما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة لرحمة الخلق وارادة الاحسان اليهم والرحمة بهم كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة مريضه واذا كان هذا هو المقصود من التأديب فانه يجب ان يختلف باختلاف الاشخاص فتأديب اهل المكانة أخف من تاديب أهل السفالة والسفاهة لقول النبى صلى الله عليه وسلم (أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم) ولان التأديب المقصود منه الزجر عن الجريمة وأحوال الناس مختلفة فيه ، فمنهم من ينزجر بالصيحة ومنهم من يحتاج الى اللطمة والى الضرب ومنهم من يحتاج الى الحبس ٠

والناظر فى الاسس التى تقوم عليها العقوبة فى الشريعة الاسلامية يلاحظ أنها ترجع الى مبدأين عامين ٠ فبعضها يعنى بالجريمة ولا يعنى بشخصية المجرم أصلا ، والبعض الاخر يعنى بشخصية المجرم وفى الوقت نفسه يعنى بالجريمة والاسس التى تعنى بمحاربة الجريمة هدفها حماية الجماعة من الاجرام أما الاسس التى تعنى بشخص المجرم هدفها اصلاحه الا ان الشريعة عملت على حماية المجتمع من الاجرام فى كل الاحوال ولكنها عنت بشخص المجرم فى أكثر الاحوال فقد أخذت الشريعة بمبدأ حماية الجماعة على اطلاقه واستوجبت توفره فى كل العقوبات المقررة للجرائم فكل عقوبة يجب أن تكون كافية لتأديب المجرم على جريمته بالقدر الذى يمنعه من العود اليها مع كونه فى ذات الوقت كافيا لتأديب المجرم على جريمته بالقدر الذى يمنعه من العود اليها مع كونه فى ذات الوقت كافيا لزجر غيره عن التفكير فى مثلها وهذا ما يسمى بالردع العام فاذا لم يكن التأديب بحيث يكفى

الجماعة شر المجرم أو كانت حماية الجماعة فى حاجة الى استئصال المجرم وجب استئصاله أو حبسه حتى الموت وقد أهملت الشريعة الاسلامية مبدأ العناية بشخص المجرم بصفة عامة فى جرائم الحدود وهى الجرائم التى تمس كيان المجتمع لان حماية الجماعة اقتضت بطبيعتها هذا الاهمال وهذا النوع من الجرائم قليل ومحدود ولو استقرأنا جرائم الحدود والقصاص التى يجب فيها تنفيذ هذه العقوبة المحددة والتى يجب اهمال شخصية المجرم فيها لاستبان الى اى مدى تضيق هذه الدائرة فان كثرة الشروط ودقة ما يتطلب فى اجراءات الاثبات ومبدأ ادرؤ الحدود بالشبهات وغير ذلك بوجه عام يؤدى الى تضييق دائرة الجرائم التى تستوجب العقوبة المحددة مع ملاحظة أن عقوبة القصاص فى هذا كله تدخل فى دائرة الحدود ولذلك مثلا لم تقرأ فى كتب الفقه والتاريخ أن عقوبة الجلد أو الرجم فى جريمة الزنا قد نفذت على مدى هذا التاريخ الطويل بطريق الاثبات بالبينة - على حد معرفتى - بل كان السبب فى تنفيذ هذه العقوبة لارتكاب هذه الجريمة انما هو الاقرار من الجانى بل الاقرار المحاط بالاحتياط الشديد وما عدا ذلك من الجرائم ينظر فى عقوبتها الى شخصية المجرم وتستوجب الشريعة ان تكون شخصية الجانى وظروفه واخلاقه وسيرته محل تقدير القاضى عند الحكم بالعقوبة وهذا مايسمى بالردع الخاص وقدنسقت الشريعة بين هذين وجعلت لكل دائرته التى يطبق فيها حتى لايكون بينهما تضارب وتناقض فى التطبيق . لذلك ترى الشريعة الاسلامية قسمت الجرائم الى قسمين :

الاول : الجرائم الماسة بكيان المجتمع وأمنه مساسا شديدا وهذا القسم ينقسم الى نوعين لكل منهما حكم مختلف :

النوع الاول : جرائم الحدود التامة فعلا واثباتا ، فقد وضعت الشريعة الاسلامية لهذه الجرائم عقوبات مقدره كما ونوعا وصفة ليس للقاضى أن ينقص منها أو أن يزيد فيها ، او ان يستبدل بها غيرها وليس له كذلك أن ينظر الى رأى المجنى عليه أو أن ينظر الى شخصية الجانى ، فلم ينظر الى المجرم فى هذه الجرائم بالذات حماية للجماعة وحفاظا لامنها ومنعا لاشاعة الفاحشة فيها فقد وقفت الشريعة الاسلامية من هذه الجرائم موقفا متشددا من حيث العقوبة وجعلها مقدرة ولم تجعل للقاضى ولا لولى الامر سلطانا فى هذا كله والحكمة فى هذا أن هذه الجرائم من الجرائم الخطرة والتى يؤدى التساهل فى أمر المعاقبة بالنسبة لمرتكبيها الى زيادة الجرائم فيضطرب نظام المجتمع وتتحلل أخلاقه وهذا يؤدى الى فساده بوجه عام ، فاهمال مصلحة الفرد للمحافظة على مصلحة الجميع أمر غير مستغرب بل تقره العقول وتنكر غيره وتستبعده .

النوع الثانى : يشمل جرائم القصاص والدية وهى جرائم القتل والجرح سواء أكانت عمدا أم خطأ بأنواعها . وقد وضعت الشريعة لهذه الجرائم عقوبتين هما القصاص والديه فى حالة العمد والدية فى حالة الخطأ ، والقاضى وولى الامر ممنوعان من أن ينقصا من هاتين العقوبتين أو يزيدا فيهما أو يستبدلا بهما غيرهما كما منعت ولى الامر أن يعفو عن

الجريمة أو العقوبة وعليه فان من يرتكب جريمة من هذه الجرائم يجب أن توقع عليه عقوبتها المقررة لها دون أن ينظر الى ظروف الجانى وشخصيته غير المعتبرة شرعا .

ومع أن الشريعة قد حرمت على ولى الامر العفو فقد اباحته للمجنى عليه أو وليه فاذا حصل من المجنى عليه فى العمد سقط القصاص ووجبت الدية اذا كان العفو على الدية فاذا كان العفو مجانا سقطت الدية كذلك وفى جرائم الخطأ يسقط العفو الدية وترتب على سقوط القصاص فى العمد والدية فى الخطأ جواز معاقبة الجانى بعقوبة تعزيره والعقوبات التعذيرية كما هو معلوم ينظر فيها الى شخص المجنى عليه وظروفه .

وواضح مما سبق أن الشريعة الاسلامية تعنى أصلا بحماية الجماعة من هذه الجرائم فلم تنظر الى شخصية المجرم فيها ولم تعن بشأنه وظروفه الا اذا عفا المجنى عليه أو وليه ، وتقرير مبدأ العفو فى هذه الجرائم يخدم أساسا غرضا أساسيا من أغراض القضاء على هذه الجرائم ذلك لان عقوبة القصاص يقصد منها الردع العام حتى يمتنع التقاتل كما يقصد منها كذلك اطفاء غيظ المجنى عليه لذلك أعطى المجنى عليه حق القصاص ، فاذا رأى المجنى عليه أو وليه أن نفسه تطيب بالدية أو بالعفو مجانا وأنه لن يقدم على القتل أخذا بالثأر أو رأى مصلحة أخرى فى العفو بأن يكون القاتل أحد أبنائه والمقتول كذلك من أبنائه فان القتل هنا قصاصا يعرى عن غرضه الحقيقى ردعا واطفاء غيظ .

وكذلك فان من شأن الجريمة فى جرائم القصاص أن تمس المجنى عليه أكثر مما تمس المجتمع بل لا تمس المجتمع الا عن طريق مساسها بالمجنى عليه فاذا حصل العفو اذن لم يكن هناك ما يدعو الى اهمال شخصية الجانى فيعامل حينئذ بقواعد التعزيز .

القسم الثانى : الجرائم الاخرى التى لا تدخل تحت جرائم القسم الاول بنوعية وهذه الجرائم ليست فى خطورة الجرائم فى القسم الاول لهذا كان لها حكم مختلف فانه فى هذا القسم تركت الحرية للقاضى أو ولى الامر فى تقدير كمية العقوبة ونوعها وصفتها مع تقدير ظروف الجانى وظروف الجناية والظروف المحيطة بهذا كله ففى هذا القسم تطبق الشريعة الاصول التى تقوم عليها نظرية العقوبة منفردة ومجتمعة ، فاذا لم تكن ظروف الجانى تستحق التخفيف كان اعتبار حماية الجماعة فقط هو المطلوب مراعاته ، دون غيره واذا كان الجانى تقتضى ظروفه التخفيف كان اعتبار مراعاة شخصية الجانى هو

المطلوب بالرعاية واذا كانت الجناية تقتضي التشديد وظروف الجاني تقتضي التخفيف كان اعتبار حماية الجماعة واعتبار مراعاة شخصية الجاني في حاجة الى رعاية معا • فيعاقب الجاني حينئذ عقوبة متوسطة مراعاة لهاتين النظريتين فيراعى في هذه العقوبة أن تحمي مصلحة الجماعة وأن تتلاءم مع شخصية المجرم •

ومن هذا يتبين أنه لا خلاف بين الشريعة والقوانين الوضعية على المبادىء والاصول التي تقوم عليها العقوبة ، خصوصا فيما استقر عليه الان الاقتناع العام والحديث من أن أغراض العقوبة حقيقة ثلاثة : الردع العام ، والعدالة ، والردع الخاص • وان كان يرجح الردع الخاص على الغرضين الاخرين عند أصحاب هذا الاتجاه • وانما الخلاف على الكيفية التي تطبق على أساسها هذه المبادىء والحدود التي تطبق فيها •

وأهم الاختلافات بين الشريعة والقوانين والتي تتسع رقعتها في الواقع يوما بعد يوم والتي لن تقترب فيها القوانين - على المدى البعيد على ما أعتقد - من الشريعة أهم هذه الاختلافات هي الوسائل أو الاغراض التي تتخذ سبيلا الى تحقيق الاغراض الثلاثة الردع العام ، المنفعة الرد الخاص .

وأعني بهذه الوسائل التي يتسع فيها الاختلاف نوعية العقوبة ذاتها ونوعية تنفيذها ، فالقانونيون يرون الان أن مجرد النص على العقوبة يحقق الردع العام ، وأن مجرد النطق بها من القضاة يحقق المنفعة وأن التأهيل يحقق الردع الخاص •

أما في الشريعة الاسلامية ، فان الردع العام يتحقق أيضا بمجرد النص على العقوبة مع مراعاة نوعية معينة لهذه العقوبة ، فالقاتل يقتل والشارب والقاذف والزاني يجلدون والمحصن يرجم والباغي والمرتد يقتلا اذا لم يرجعا ذلك مع مراعاة هذه النوعية بقدر الامكان في التعزير وتحقيق المنفعة يكون بمراعاة العدالة بقدر الامكان في العقوبة اذا قورنت بالجريمة وخصوصا وقت التنفيذ ، والردع الخاص يتحقق ايضا بمراعاة العقوبة في كونها تتناسب مع الجريمة والمجرم بشرط أن لا يتعارض ذلك مع مصلحة الجماعة وبهذا نتبين تفوق الشريعة فيما اختارته من انواع العقوبة وكيفية الوصول الى الغرض الحقيقي وهو مصلحة الجماعة من خلال تقرير هذه العقوبات نموذجا فسبحان الله تعالى فهذا تشريعه الذي ارتضاه لخلقه فلا بد وأن يكون كاملا وان كنا نعجز عن اظهار جميع اوجه الكمال فيه وان الازمان المقبلة لكفيلة بأن تظهر ماخفي علينا من كمال كما أظهرت البحوث على مدى قرون مضت وعلى يد فلاسفة غير مسلمين بعض هذا الكمال •

في ضوء القرآن والسنة

مرتبة أسمى وأرقى من مقابلة السيئة بالسيئة ، ومن مقابلة السيئة بكظم الغيظ والعفو مع المقدرة الى درجة المقربين وهي مقابلة الاساءة بالاحسان « **والله يحب المحسنين** » « **وهل جزاء الاحسان الا الاحسان** » •

انها درجات من الخلق الكريم كلها كريمة بيد أنها تتفاوت فيما بينها من كريم الى أكرم كتفاوت الناس في الشرف من شريف الى أشرف .

وهنا يطرأ على ذهننا هذا السؤال وهو هل أرادت السيدة عائشة بقولها - لما سئلت عن اخلاق الرسول - كان خلقه القرآن • في حده الادنى أم تريده في حده الاوسط أم في حده الاسمى والارقى ؟ وهنا يحل لنا القرآن الكريم هذا السؤال فيحدد بصورة عامة وبطريقة مجملة - الدرجة التي وصل اليها النبي من الخلق القرآني فيقول سبحانه وتعالى لرسوله « وانك لعلى خلق عظيم » ••

والخلق العظيم الذي يعنيه القرآن الكريم هو القرآن وقيل : الاسلام ، وقيل : الطبع الكريم ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما معناه « على دين عظيم » لا دين أحب الى الله ولا أرضى عنه منه وهو دين الاسلام •

وهل هذا الخلق العظيم الذي نعت به الرسول - صلى الله عليه وسلم - خاص به أم أن غيره يشاركه فيه من الانبياء والرسل قبله ؟

وهنا يحسم القرآن الامر حسما لا يدع فيه مجالا للبس ولا ريب فيقول الله لنبيه « **قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين • لاشريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين** » هذه الاية القرآنية تحدد درجة الاخلاق القرآنية التي وصل اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، انها ذروتها وسنامها •

هذا قليل من كثير من الاخلاق الاسلامية التي حث عليها القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم القائلة : « **اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن** » • هذه بعض أهداف هذا الدين القيم التي تقوم المعوج وترشد الضال وتهدي الناس الى الصراط المستقيم وتهذب الاخلاق وتحبب الناس في الفضائل وتبغض لدى نفوسهم الرذائل • والله ولي التوفيق •

من أخلاق القرآن

التعوذ

الدكتور أحمد الشرباصي

التعوذ من مادة الاستعاذة ، والاستعاذة فيها معنى الاستجارة وطلب الامتناع من المكروه ، والعوذ هو الالتجاء الى الغير والتعلق به . والعياذ هو الملجأ . والتعوذ له معنى شرعى ، وهو قول الانسان : أعوذ بالله ، أو نحو ذلك . وله معنى أخلاقى ، وهو التدثر بروح الالتجاء الى الله ، والتحصن بجنابه ، والاعتماد عليه .

والاستعاذة بهذا المفهوم هى الاستعانة بالله فى دفع الشر ، وقال أهل التفسير ان كلمة : « معاذ الله » تفيد أن قائلها يلتجىء الى ربه ويستنصر به ، ليصونه من فعل ما لا يليق به أو يحسن منه ، كما فى قوله تعالى : « **قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى** » ، وقوله : « **قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده** » .

وقد فرقوا بين كلمتى « العياذ » و « اللياذ » فذكروا أن العياذ يكون لدفع الشر ، واللياذ يكون لطلب جلب الخير ، ولذلك قال الشاعر :

يا من ألـــوذ بـه فيما أؤملـه
ومن أعـوذ بـه مما أحــاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره
ولا يهيضون عظما أنت جـابره

وتعوذ الانسان بالله فيه اقرار من العبد بأن علم الله أوسع من علمه ، ولذلك يلجأ اليه ويستعين به ، وفى هذا التعوذ - أيضا - تفويض الى الله ليقضى بالحق بين المتعوذ وخصمه الذى يتعوذ منه ، وفى التعوذ كذلك معنى الخضوع لله جل جلاله ، وعدم اغترار الانسان بقوته ، لان الله أقوى وأقدر . ومن هنا قال بعض العلماء ان التعوذ عنوان صادق على امتلاء قلب المؤمن بمعنى اللجوء الى الله ، وقوة عزيمته فى طرد الوساوس والشكوك ، واستقبال الهداية بقلب طاهر ، وعقل واع ، وايمان ثابت ، ويقين وطيد .

وكلمة ، « أعوذ بالله » يقولها الانسان فى العادة وهو يعانى ضيقا شديدا من قبح تصرف ، أو سوء خلق ، أو قبح معاملة ، أو انحراف سلوك عند غيره ، وكان الانسان لا يطيق احتمال هذا الضيق ، فهو يلجأ الى الله ليعينه على دفع هذا البلاء ، والصبر فى مجال هذا الابتلاء .

ولقد أعطانا الامام الرازى تصويرا دقيقا مفصلا لفضيلة التعوذ والمعنى الاخلاقى فيه ، وبيان أنه لا يتم الا بعلم وحال وعمل ، على الوجه التالى :

« الاستعاذة لا تتم الا بعلم وحال وعمل . أما العلم فهو كون العبد عالما بكونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ، وعن دفع جميع المضار الدينية والدنيوية ، وأن الله تعالى قادر على ايجاد جميع المنافع الدينية والدنيوية ، وعلى دفع جميع المضار الدينية والدنيوية ، قدرة لا يقدر أحد سواه على دفعها عنه .

فاذا حصل هذا العلم فى القلب ، تولد عن هذا العلم حصول حالة فى القلب ، وهى انكسار وتواضع ، ويعبر عن تلك الحالة بالتضرع الى الله تعالى والخضوع له . ثم ان حصول تلك الحالة فى القلب يوجب حصول صفة أخرى فى القلب ، وصفة فى اللسان . أما الصفة الحاصلة فى القلب ، فهى أن يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الافات ، ويخصه بافاضة الخيرات والحسنات . وأما الصفة التى فى اللسان فهى أن يصير العبد طالبا لهذا المعنى بلسانه من الله تعالى ، وذلك الطلب هو الاستعاذة ، وهو قولة أعوذ بالله .

اذا عرفت ما ذكرنا يظهر لك أن الركن الاعظم فى الاستعاذه هو علمه بالله وعلمه بنفسه . اما علمه بالله فهو أن يعلم كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات ، فانه لو لم يكن الامر كذلك لجاز أن لا يكون الله عالما به ولا بأحواله ، فعلى هذا التقدير تكون الاستعاذة به عبثا . ولابد وأن يعلم كونه قادرا على جميع الممكنات ، والا فربما كان عاجزا عن تحصيل مراد العبد . ولابد أن يعلم أيضا كونه جوادا مطلقا ، اذ لو كان البخل عليه جائزا ، لما كان فى الاستعاذة فائدة . ولابد أيضا وأن يعلم أنه لا يقدر أحد سوى الله تعالى على أن يعينه على مقاصده ، اذ لو جاز أن يكون غير الله يعينه على مقاصده لم تكن الرغبـة قوية فى الاستعاذة بالله .

وذلك لا يتم الا بالتوحيد المطلق ، وأعنى بالتوحيد المطلق أن يعلم أن مدبر العالم واحد ، وأن يعلم أيضا أن العبد غير مستقل بأعمال نفسه ، اذ لو كان مستقلا بأعمال نفسه ، لم يكن فى الاستعاذة بالغير فائدة .

فثبت بما ذكرنا ان العبد ـ ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية ـ لا يصح منه أن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ومن الناس من يقول لا حاجة فى هذا الذكر الى العلم بهذه المقدمات ، بل الانسان اذا جوز كون الامر كذلك حسن منه أن يقول : اعوذ بالله على سبيل الاجمال وهذا ضعيف جدا لان ابراهيم عليه السلام عاب اباه فى قوله « لما تعبدما لايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا » .

فبتقدير ان لا يكون الاله عالما بكل المعلومات ، قادرا على جميع المقدورات ، كان سؤاله سؤالا لمن لا يسمع ولا يبصر ، وكان داخلا تحت ما جعله ابراهيم عليه السلام عيبا على أبيه .

وأما علم العبد بحال نفسه فلابد وان يعلم عجزه وقصوره عن رعاية مصالح نفسه على سبيل التمام ، وان يعلم ايضا أنه بتقدير أن يعلم تلك المصالح بحسب الكيفية والكمية ، لكنه لا يمكنه تحصيلها عند دعمها ، ولا ابقاؤها عند وجودها .

اذا عرفت هذا فنقول : انه اذا حصلت هذه العلوم فى قلب العبد ، وصار مشاهدا لها ، متيقنا فيها ، وجب أن يحصل فى قلبه تلك الحالة المسماة بالانكسار والخضوع ، وحيئذ يحصل فى قلبه الطلب ، وفى لسانه اللفظ الدال على ذلك الطلب ، وذلك هو قوله « **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** » .

اذن ليس التعوذ بالمعنى الاخلاقى القرآنى الذى نعنيه هى مجرد التلفظ بعبارة الاستعاذة بل ان الامر محتاج الى حالة عقلية وقلبية ونفسية تجعل صاحبها يفرض من حوله وقوته الى حول الله وقوته ويتحصن دائما بحصن الله القوى المتين .

● ● ●

ولقد ذكرت مادة « التعوذ » او « الاستعاذة » فى القرآن المجيد نحو خمس عشرة مرة ، ودلنا التنزيل الحميد على أن التعوذ أمر مطلوب فى كثير من المواقف والاحوال ، وكأن كتاب الله قد أراد أن يرفع من شأن هذه الفضيلة حين لفت ابصارنا وبصائرنا الى أن التعوذ من صفات الانبياء والرسل كما فصل الرازى فجاءفى سورة هود عن نوح: «**قال رب انى أعوذ بك أن اسألك ما ليس لى به علم** » أى أحتمى بجنابك واعتصم بتوفيقك من أن اسألك ما ليس لى به علم صحيح بأنه جائز ولائق .

وعندما تعوذ نوح بربه كما سبق اعطاه الله منحتين ، هما السلام والبركات . فذلك فى قوله تعالى : « **قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركـــات عليك** » .

وهذا موسى يستعيذ بالله ، فيقول القرآن فى سورة البقرة : « **قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** » أى التجىء الى الله ليعصمنى بتأديبه لى من الاستهزاء بالناس . وعندما تعوذ موسى كما رأينا من الله عليه بمنتين هما ازالة التهمة واحياء القتيل كما فى قصة البقرة : « **فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته** » .

وكذلك ذكر القرآن فى سورة غافر أن موسى قد استعاذ بربه من المتكبرين الكافرين ، فقال : « **وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب** » . وقال ايضا فى سورة الدخان: « **وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون** » . وكانت النتيجة لذلك النفوذ الصادق المخلص أن حقق الله لموسى وأتباعه أمره ، حيث أهلك عدوهم ، وأورثهم أرضـهم وديارهم .

وهذا يوسف يذكر القرآن فى سورة يوسف انه تحلى بفضيلة « التعوذ » فقال : « **معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون** » . أى أعوذ بالله معاذا ، وأتحصن به ، فهو الذى يعيذنى بفضلـه وتوفيقه أن أكون من الجاهلين الفاسقين . وكانت نتيجة ذلك التعوذ ان منحه الله منحتين ، حيث صرف عنه السوء ، وصرف عنه الفحشاء ، وذلك فى قوله : « **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين** » .

وحينما قال اخوه يوسف له : « **خذ أحدنا مكانه** »

تعوذ بالله من ذلك وقال : «**معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لمن الظالمين**» فأثابه الله على فضيلته بقوله : «**ورفع أبويه على العرش، وخروا له سجدا**» .

وهذه امرأة عمران - أم مريم - تعيذ ابنتها مريم بقولها في سورة آل عمران : «**انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** وتأتى العاقبة :« فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا » .

وتقبلبعد ذلك مريم ، فتتدثر بفضيلة التعوذ بربها ، فحينما ترى جبريل مقبلا عليها وهى فى وحدتها ، قالت : « انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » .فوهبها الله نعمتين : وهبها ولدا من غير أب ، وانطق هذا الولد وهو فى المهد ببراءتها : « قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » .

ويقبل خاتم الانبياء والمرسلين محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام ، فيكون للتعوذ فى حياته شأن ، فقد روى أهل التفسير ان أول ما نزل به جبريل على رسول الله هو أنه قال له : قل يا محمد استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ثم قال : قل بسم الله الرحمن الرحيم ، اقرأ باسم ربك الذى خلق .

ثم يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عدة مرات بأن يتعوذ بالله فيتوجه اليه ربه والى اتباعه من ورائه بهذه الايات الكريمات :

فى سورة المؤمنون : « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون » .

وفى سورة الاعراف : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم » .

وفى سورة الفلق : « قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شرغاسق اذا وقب،ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد » .

وفى سورة الناس : « قل أعوذ برب الناس ، ملكالناس ، الهالناس ، من شرالوسواس ، الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس » .

وفى سورة فصلت:«واما ينزغنك منالشيطاننزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم» .

والمعنى : ان حاول الشيطان بمكره ووسوسته ان يثير فى نفسك داعية الشر او الفساد ، فافزع الى ربك مستعصما به ، متعوذا بجنابه ، حتى يصونك ويحفظك . ومثل هذه الايات برهان قاطع على وجود الشيطان الموسوس للانسان وفى تفسير المنار » جاءت هذه العبارة :

« ثبت فى وحى الله تعالى الى رسله أن فى عالم الغيب خلقا خفيا اسمه الشيطان ، لا تدركه حواسنا له أثر فى أنفسنا ، فهو يتصل بها ، ويقوى داعية الشر فيها ، بما سماه الوحى وسواسا ونزغا ومسا ، ونحننجد أثر ذلك فىأنفسنا ، وان لم ندرك مصدره .

وقد شبهنا تأثير هذه الشياطين الخفية فى الارواح بتأثير النسم الخفية المادية المسماة بالبكتيريا ، وبالميكروبات فى الاجساد ، فقد مرت القرون التى لا يحصيها الا رب العالمين ، والناس يجهلون هذه النسم الخفية ، ويجهلون فعلها ، لعجز الابصار عن ادراكها بنفسها ، وعن رؤية فعلها لدقتها وتناهيها فى اللطف والصغر ، الى أن اخترعت فى هذا العصر المرايا او النظارات المكبرة ، التى ترى الجسم أضعاف أضعاف جرمه ، وعلم ما يحدث بسببها فى المواد السائلة والرخوة ، وكل ذات رطوبة من التحول والتغيير كالاختمار والفساد وغيرها ، ومن الامراض المعدية فى الانسان والحيوان ..

وحكمة اخبار الله تعالى ايانا على ألسنة رسله عليهم السلام بهذا العالم الغيبى المعادى لنا ، الضار بأرواحنا كضرر نسم الامراض بأجسادنا ، ان نراقب افكارنا وخواطرنا ، ولا نغفل عنها ، كما نراقب ما يحدث فى أجسادنا من تغير المزاج ، وخروج الصحة عن الاعتدال ، فنبادر الى علاجه ، فمتى فطنا بميل من أنفسنا الى الشر او الباطل عالجناه بما وصفه الله تعالى من العلاج » .

ولقد كان سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يكثر من التعوذ بالله ، ليكون مرتبطا بالله عقلا وقلبا ، حسا ونفسا ، وكان من تعوذه قوله : « أعوذ برضاك من غضبك ، وأعوذبعفوك من غضبك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

وقوله : « اللهم انى أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من الهدم والغرق ، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت » .

وقوله : « باسم الله أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون » .

● ● ●

هذا ، ولقد طلب القرآن الكريم الاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم ، فقال فى سورة النحل : « **فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » وهذا الطلب على سبيل الندب لا على سبيل الوجوب ، وبعض الفقهاء أوجب الاستعاذة فى الصلاة . وطلب القرآن التعوذ بالله من شر الوسواس الخناس ، ومن شر الخلق ، ومن شر الفاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد ، وفى كل موطن يتوجس الانسان فيه شرا .

وانما أكد القرآن وكرر طلب التعوذ من الشيطان ، لانه عدو مبين للانسان ، ولا يقبل مصادقة ولا احسانا ، ولا يبتغى غير هلاكابن آدم ، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل ، وحينما يقول الانسان : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » كأنه يقول : استجير بحول الله جل جلاله من الشيطان اللعين ، أن يضيرنى فى دينى أو دنياى ، أو يصدنى عن فعل ما أمرنى الله به ، او يحثنى على فعل ما نهانى الله عنه .

واذا كان فى الجن شياطين ، فكذلك فى الانس

شياطين ؟ ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى : « **من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس** » ودليله من السنة انه جاء فى مسند أحمد ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر : « يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن .

فقال أبو ذر : أو للانس شياطين ؟ قال النبى : نعم .

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقى على لسان الجن :

وكم متعوذ بالله منا

تعوذ الارض منه والسماء

● ● ●

ومما يدل على ثمرة التعوذ وفائدته ما رواه مسلم : أستب رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فغضب احدهما واحمر وجهه ، وانتفخت اوداجه فقال النبى : « انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب هذا عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ويقول الامام ابن كثير : « ومن لطائف الاستعاذة انها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث ، وتطيب له ، وهو لتلاوة كلام الله ، وهى استعانة بالله ، واعتراف له بالقدرة ، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطنى الذى لا يقدر على منعه ودفعه الا الله الذى خلقه ، ولا يقبل مصانعة ، ولا يدارى بالاحسان ، بخلاف العدو من نوع الانسان » .

ويأتى الصوفية ليتكلموا عن فضيلة التعوذ بطريقتهم واسلوبهم ، فعند قوله تعالى : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم » يقول القشيرى فى « لطائف الاشارات » هذه العبارة :

« ان سنح فى باطنك من الوساوس أثر فاستعذ بالله يدركك بحسن التوفيق ، وان هجس فى صدرك من الحظوظ خاطر فاستعذ بالله يدركك بازالة كل نصيب ، وان لحظتك فى بذل الجهد فترة فاستعذ بالله يدركك بادامة آلائه ، وان اعترتك فى الترقى الى محل الوصول وقفة فاستعذ بالله يدركك بادامة التحقيق » .

وعند قوله تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » يقول : « **شيطان كل واحد ما يشغله عن ربه ، فمن تسلطت عليه نفسه ، حتى شغلته عن ربه ، ولو بشهود طاعة او استخلاء عباده او ملاحظة حال – فذلك شيطانه ، والواجب عليه أن يستعيذ بالله من شر نفسه ، وشر كل ذى شر** » .

ان فضيلة التعوذ بالله جل جلاله امان واطمئنان ، وثقة بوعد الله وأمل فى فضله ، وهذه الفضيلة شعار المؤمنين الذاكرين « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب** » .

الرحمة

الرحمة من أمهات الفضائل الاسلامية التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أكثر من مائة مرة ، وتكررت مشتقاتها فيه مئات المرات . وصف الله بها نفسه « هو الرحمن الرحيم » « وان الله بكم لرءوف رحيم » ووصفه بها أنبياؤه « وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » « فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » ووصفه بها المؤمنون « انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم » الى غير ذلك من الايات . وكثر ذكرها فى حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء »

ونحن نكرر ذكرها فى سورة نقرأها فى كل ركعة « **الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم** » وفى آية نتلوها قبل هذه السورة . وقبل كل عمل من أعمالنا « **بسم الله الرحمن الرحيم** » وشعار المسلمين **عند التقائهم وعند افتراقهم ● وعند خروجهم من الصلاة « السلام عليكم ورحمة الله »** فهم يجتمعون على الرحمة والسلام ، ويفترقون على الرحمة والسلام ، ويخرجون من صلواتهم على الرحمة والسلام .

ولو شئنا أن نلخص كل ما جاءت به الرسالة المحمدية فى كلمة واحده ما وجدنا اصدق من كلمة الرحمة « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »

والحق أن رحمة الله شملت جميع الكائنات ، كفلت لكل دابة رزقها ، وسهلت لها سبيل الوصول اليه سائرة على الارض ، أو سابحة فى الماء ، أو محلقة فى الهواء « **أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات** ويقبضن ما يمسكهن **الا الرحمن انه بكل شىء بصير** » شملت البر والفاجر والمؤمن والكافر « **ورحمتى**

شعار الإسلام

فضيلة الشيخ عبد الله رعيد عبد اللطيف الخضيري

وسعت كل شيء » « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما » وكل ما يحيط بنا من هذا الكون أرضه وسمائه ، ومائه وهوائه ، وما أمدنا به من النعم أثر من آثار رحمة الله « ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض ، والفلك تجرى فى البحر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، ان الله بالناس لرءوف رحيم »

ان قبسا من رحمة الله أودعه قلوب الاباء والامهات من الانسان والطير والحيوان فكان سر بقاء الحياة ، وعمارة الكون ، هذه الام تقاسى الالام المبرحة فى حمل الجنين ووضعه ، ثم هى لا تقذف بهذا الذى كان سبب عذابها ، بل تراه أعز عليها من نفسها ، تحضنه وتسهر لسهره ، وتغذيه بحياتها ، وترى سعادتها فى سلامته ، وهذه الطيور تحضن أفراخها ، تطعمها ، وتحميها ، وتنزع عن نفسها الريش تدفئها به فى برد الشتاء القارس . هذا كله قبس من رحمة الله اودعه القلوب فامتدت سلسلة الحياة ، ولولاه لماتت الصغار ، وما استطاعت أن تجلب لنفسها خيرا أو ترد عنها شرا قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الشيخان : « ان الله جعل الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل فى الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه »

ولله رحمة خاصة يستحقها الانسان باتقان عمله والاخلاص فيه « ان رحمة الله قريب من المحسنين » يستحقها بالتوبة والاستغفار جاء على لسان صالح ـ عليه السلام : « لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون» يستحقها بامتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » يستحقها باتباع كتابه « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون » وقد جاءت الرحمة مؤكدة بعد وصف المؤمنين بالتناصر ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، واطاعة الله ورسوله « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله »

وكانت الرحمة من أبرز صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان رحيما باليتيم يكفله ويرعاه ويدعو الى كفالته ورعايته « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين » رحيما بالخادم والرقيق يطعمه مما يطعم ، ويلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه ما لا يطيق ، رحيما بالحيوان الاعجم فهو القائل : « فى كل كبد رطبة أجر » رحيما بالصغار يداعبهم ، ويقربهم منه ، قبل ـ عليه السلام ـ الحسن وعنده الاقرع بن حابس فقال الاقرع : ان لى عشرة من الاولاد ما قبلت أحدا منهم .

فنظر اليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم ، أو أملك ان كان الله نزع منكم الرحمة ! .. كان رحيما بأصحابه يرفق بهم ، ويتجاوز عن مسيئتهم ، ويحرص على توفير الخير والسعادة لهم « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » وكانت رحمته سر محبته ، ونجاح دعوته « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

كان رحيما بأعدائه الذين أخرجوه ، وحاربوه فكان يقول : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون »

والرحمة لا تنافى الشجاعة ، وقوة العزيمة كما يظن كثير من الناس ، بل كثيرا ما تكون الرحمة من بواعث الشجاعة ، ومضاء العزيمة ، وقد كملت فى رسول الله فضيلة الشجاعة كما كملت فيه فضيلة الرحمة ، فكان لا يهاب الموت ، ولا يرهب الاهوال ، ثبت فى حنين وقد انهزم المسلمون وظل يناديهم حتى عادوا اليه ، وحققوا بذلك النصر العظيم ، وثبت فى أحد وكان ثباته هو الذى أنقذ المسلمين من هزيمة ساحقة ، وكان – عليه السلام – مثلاأعلى فى مضاء العزيمة وهو القائل لعمه أبى طالب : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ورحم الله البوصيرى اذ يقول :

رحمه كله ، وحزم ، وعزم
ومضاء ، وعزة ووفاء

ونحن معاشر المسلمين مطالبون بأن نتأسى بخالقنا وبرسولنا – صلى الله عليه وسلم – فنجعل الرحمة شعارنا فى كل حياتنا ، فالرحمة بالناس رفق فى المعاملة ، وعفو عند القدرة ، وحلم عند الغضب وهى بالوالدين طاعة فى غير معصية ، وقول كريم ، وعطف وتذلل « **واخفض لهما جناح الذل من الرحمه . وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » والرحمة بين الاقارب تواصل ، وتزاور ، وتعاون قال عليه السلام : « الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله » والشجنة الغصن والشعبة . وبين الزوجين حسن عشرة ، ومودة ، وتعاون « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** »

وهى بين المسلمين تعاطف ، وتعاون ، وشعور بما يحس به أخوك ، وما أجمل تصوير الرسول لذلك اذ يقول : « **ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم** وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .
والرحمة بالاولاد عطف ، ورعاية ، وتربية كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام .

ان هذه الرحمة سر السعادة البشرية ، ولولاها لتقطعت الاواصر ، وتمزقت الروابط ، وأصبحت الحياة جحيما لا يطاق .

ومن هذا يتبين أن الرحمة من صفات الكمال التى اتصف بها سبحانه ، وهىفىالناس فضيلة ينشأ عنها كثير من الفضائل التى منها الحلم ، والرفق ، والعفو ، وكثيرا ما تدعو صاحبها الى الشجاعة والقتال لاغاثة الملهوف ، وحماية الضعيف قال تعالى : « **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها** » وضدها القسوة وهى رذيلة اتصف بها بنو اسرائيل نشأت عن كثرة مخالفاتهم « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية »

وقد وردت فى القرآن الكريم بمعنى النعمة نعمة العلم والهداية ورد على لسان أهل الكهف « ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهىء لنا من أمرنا رشدا » كما وردت بمعنى النبوة ، والمال ، ومن أجل النعم القرآن الكريم شفاء النفوس ، ونور البصائر « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » « **الرحمن علم القرآن . خلق الانسان علمه البيان** »

ان كثيرا من الناس يخطئون معنى الرحمة ، فاذا اقترف مذنب جرما سمعتهم يقولون : « الرحمة فوق العدل » وليس ما يريدون رحمة ، انما هو حماية للجريمة ، وتشجيع على معاودة اقترافها ، انما الرحمة فى مثل هذا أن ننزل به من العقاب ما يردعه ، فذلك هو الرحمة به ، وبالابرياء الذين يعيشون معه ، ويتعرضون لشره ، فالرحمة هنا هى العدل بعينه .

انما تكون الرحمة فوق العدل حين ننزل عن حق من حقوقنا ، فاذا كان لك دين على أخيك فمن العدل أن تطلب الدين بتمامه ، ومن الرحمةفىالفضل أن تنزل عن هذا الدين أو جزء منه ، وهنا تكون الرحمة فوق العدل .

اننا نخطىء معنى الرحمة حين نضع الصدقة فى غير مواضعها فتبذلها لهؤلاء الاقوياء الذى اتخذوا السؤال حرفة ، فتشجعهم على البطالة والكسب الحرام ، ورسولنا – عليه السلام – يقول : « ان الصدقة لا تحل لغنى ، ولا لذى مرة سوى » والسوى : السليم من الافات وعلينا ان نبذل صدقاتنا لاقاربنا ، والفقراء الذين قال الله فيهم « **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا** »

هذا والمسلم يلجأ الى الله تائبا طالبا منه الرحمة وكما طلبها ادم (عليه السلام) حين قال ومعه زوجته : « قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وكما طلبها موسى عليه السلام ومعه أخوه : « قال : رب اغفر لى ولاخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » ونحن ندعو الله بدعاء الفتية الذين آمنو بربهم « ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهىء لنا من أمرنا رشدا » والله ولى التوفيق .

السيرة
فى ضوء القرآن الكريم

كانت دعوة الاسلام فاتحة عهد جديد لعالم فسد كل ما فيه ، فسدت عقائده فضل طريقه الى الله ، وفقد سكينة النفس وطمأنينة الحياة ، وفسدت نظمه واختلت موازينه ففشا فيه الظلم وظهرت فيه الفاحشة وعمه الفساد . وقد اجمع مؤرخو تلك الفترة على ان العالم توحل الى غابة تسودها شريعة المخلب والناب .

« أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

(النور : ٤٠)

وكانت دعوة الاسلام فاتحة عهد جديد لقوم ما زالت فيهم أصالة الخلق وعزائم الرجال ، رغم ما ران على فطرتهم من حجب وما أفسد عقائدهم من شرك وما ساد مجتمعهم من قيم وتقاليد ، لانهم ظلوا بمنأى عن أسباب الذل وسوء الخلق والنفاق ، فلم يتعرض مجتمع مكة أو مجتمع المدينة قط لاستعمار أو حكم أجنبى ، ولم يأخذ أحدهما بأسباب الفساد الخلقى والاجتماعى التى كانت متفشية فى المجتمعات الاخرى ، ومن هنا أثمرت الدعوة فيهم ثمارا عظيمة عاجلة بالرغم مما صادفها من صعاب وعقبات ، فتحولوا بالدعوة فى جيل واحد من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » .

واختار الله من هذه الامة محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ليخرج الناس باذنه من الظلمات الى النور ، فبدأ يدعو الى الله تعالى فى مكة ، ولم تكن الدعوة فى المجتمع المكى مهمة سهلة ولا يسيرة ، انما كانت مهمة شاقة عسيرة ، فقريش لا تسمح لاحد أن يهاجم عقيدتها أو تقاليدها ، وهى تدافع عن وثنيتها وأصنامها وتقاليدها دفاعها عن الحياة ، لاسباب اقتصادية واجتماعية بجانب الدافع الدينى ، وهى لم تك تسمح لاحد من أهل الكتاب أن يقيم فى مكة الا أن يكون أجيرا لا يتحدث بأمر دينه أو أمر كتابه ، وهى قد قضت على جماعة الموحدين الذين ظهروا فى مكة قبيل البعثة واضطرتهم الى الخروج من مكة فتشتتوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم .

ويصف سير وليم موير فى كتابه : « حياة محمد » بلاد العرب قبل الاسلام فيقول :

« لم تكن بلاد العرب قبل ظهور النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على استعداد لتقبل أية هداية دينية أو اتحاد سياسى أو نهضة حيوية قومية ، ولم تكن هناك أية بادرة ملموسة تشعر باستعدادها لتقبل شتى محاولات التنصير الوافدة عليها من مصر وسوريا ، وكان أساس العربى هو الوثنية العميقة التى ثبتت قدميها على ممر القرون وصمدت صماء لا يؤثر فيها شىء » .

فكانت مقاومة قريش للدعوة قوية عنيفة ، فحاربتها بكل سلاح وبذلت فى مقاومتها كل ما استطاعت من جهد ، ومكث الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة فى مكة يدعو الى الله ويربى المؤمنين ، ولما أيقن أن مكة لا تصلح قاعدة لدعوته ، أخذ فى البحث عن قاعدة جديدة ، فكانت هجرة بعض المؤمنين الى الحبشة ، وكانت رحلته صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، وكان لقاؤه لوفود العرب فى الموسم من كل عام ، كانت هذه كلها خطوات أو محاولات فى سبيل البحث عن قاعدة جديدة آمنة للدعوة ، فلما وفقه الله تعالى لبعض أهل يثرب فدعاهم الى الاسلام وأسلموا ، وكانت بيعة العقبة الكبرى التى تمت الهجرة العامة على أساسها الى يثرب التى أصبحت تعرف بالمدينة المنورة ، حيث كون المجتمع وأقام الدولة .

وبهذا تنقسم السيرة الى مرحلتين كبيرتين ، هما مرحلة العهد المكى ومرحلة العهد المدنى ، تفصل بينهما الهجرة ، الاولى فى مكة ومدتها ثلاث عشرة سنة والثانية فى المدينة ومدتها عشر سنين ، ولكل من العهدين ظروفه وسماته وخصائصه وقرآنه .

وبطبيعة الحال يمثل القرآن المكى المرحلة المكية كما يمثل القرآن المدنى العهد المدنى اصدق تمثيل . وان تأمل سور القرآن الكريم حسب ترتيب النزول يمكن أن يعطى فكرة واضحة عن العلاقة الوثيقة بين القرآن والسيرة .

والقرآن المكى يعالج فى الغالب العقيدة بعناصرها وكل ما يتصل بها ويترتب عليها ، دعوة وتربية ، أما القرآن المدنى فيعالج تطبيق هذه العقيدة فى واقع

الأستاذ محمد رشيد

الحياة ، وقد جاء القرآن المكى مع العقيدة بالاصول الكلية والمبادىء العامة التى جاءت مقننة فى صورة تشريعية فى القرآن المدنى ويمكن القول بأسلوب العصر أن القرآن المكى تناول المبادىء الدستورية العامة التى تشكل أساس النظام الاسلامى الذى يشمل المبادىء العامة للبناء العقيدى والخلقى والاجتماعى والاقتصادى ، فلما وجدت القاعدة وتمت الهجرة اليها وتكون المجتمع وأقيمت الدولة وبدأ عهد التطبيق جاء القرآن المدنى بالحدود أو القوانين مفصلة محددة .

وهنا يتضح التكامل بين المرحلتين أو العهدين ، فمرحلة العهد المكى تؤدى تلقائيا الى مرحلة العهد المدنى ، فلابد أن تمر الدعوة أولا بمرحلة الاعداد والتكوين والتربية ، حتى اذا تكونت الجماعة المؤمنة ووجود القاعدة التى يمكن أن يسود فيها الاسلام ، بدا عهد المجتمع والدولة واكتمال التطبيق ، وكانت الجماعة المؤمنة معدة تماما عقيديا وتربويا لهذا العهد ، وهذا يعنى أن النظام الاسلامى ينشأ من القاعدة المؤمنة ولا يفرض بالتشريع وقوة القانون ، وذلك هو منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سيرته ، فلم يحاول فى العهد المكى اجراء اصلاحات جزئية فى مجتمع مكة ولا خاض معارك جانبية مع كبراء قريش ، ولم يقبل الملك الذى عرفوه عليه ليستعين به على فرض مبادئه ، وكان العمل العظيم الذى قام به طوال العهد المكى بجوار الدعوة الى الله ، هو تربية مجموعة من المؤمنين تربية قرآنية كانت ترجمة عملية لمبادىء القرآن فى أنفسها وفى سلوكها فى واقع الحياة . فكانت هذه المجموعة المؤمنة هى اللبنات القوية الصلبة التى أقام على أساسها بناء مجتمعه الجديد فى المدينة . وذلك هو السر فى قوة مجتمع المدينة ، وسر ما حققه فى واقع الحياة ، وسر الانهيار السريع الذى أصاب دولتى الفرس والروم أمام ضربات المسلمين .

يقول السيد أبو الحسن الندوى فى كتابه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » :

« ولم يزل الرسول صلى الله عليه وسلم يربيهم تربية دقيقة عميقة ، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويذكى جمرة قلوبهم ، ولم تزل مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم تزيدهم رسوخا فى الدين وعزوفا عن الشهوات وتفانيا فى سبيل المرضاة وحنينا الى الجنة وحرصا على العلم وفقها فى الدين ومحاسبة للنفس ، يطيعون الرسول فى المنشط والمكره ، وينفرون فى سبيل الله خفافا وثقالا ، قد خرجوا مع الرسول للقتال سبعا وعشرين مرة فى عشر سنين ، وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة ، فهان عليهم التخلى عن الدنيا ، وهانت عليهم رزيئة أولادهم ونسائهم فى نفوسهم ، ونزلت الايات بكثير مما لم يألفوه ولم يتعودوه ، وبكل ما يشق على النفس اتيانه فى المال والنفس والولد والعشيرة ، فنشطوا وخفوا لامتثال أمرها ، انحلت العقدة الكبرى ـ عقدة الشرك والكفر ـ فانحلت العقد كلها ، وجاهدهم الرسول جهاده الاول فلم يحتج الى جهاد مستأنف لكل أمر ونهى ، وانتصر الاسلام على الجاهلية فى المعركة الاولى ، فكان النصر حليفه فى كل معركة ، وقد دخلوا فى السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة ، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ، ولا يجدون فى أنفسهم حرجا مما قضى ، ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر ونهى ، نزل تحريم الخمر والكؤوس المتدفقة على راحاتهم ، فحال أمر الله بينها وبين الشفاة المتلمظة والاكباد المتقدة ، وكسرت دنان الخمر فسالت فى طرقات المدينة .

حتى اذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم ، وانصفوا من أنفسهم انصافهم من غيرهم ، وأصبحوا فى الدنيا رجال الاخرة ، وفى اليوم رجال الغد ، لا تجزعهم مصيبة ولا تبطرهم نعمة ولا يشغلهم فقر ولا يطغيهم غنى ، ولا تلهيهم تجارة ولا تستخفهم قوة ولا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم ، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والاقربين ، وطأ لهم أكناف الارض واصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم وداعية الى دين الله ، واستخلفهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى عمله ولحق بالفريق الاعلى قرير العين من أمته ورسالته . »

لقد كان هذا الانقلاب الذى أحدثه صلى الله عليه وسلم فى نفوس المسلمين وبواسطتهم فى المجتمع الانسانى أغرب ما وقع فى تاريخ البشر ، كان هذا الانقلاب غريبا فى كل شىء : كان غريبا فى سرعته وكان غريبا فى عمقه وكان غريبا فى سعته وشموله ، وكان غريبا فى وضوحه وقربه الى الفهم ، فلم يكن غامضا ككثير من الحوادث الخارقة للعادة ، ولم يكن لغزا من الالغاز .. لقد وضع محمد صلى الله عليه وسلم مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب ، أصاب الجاهلية فى مقتلها وصميمها ، فأصمى رميته وارغم العالم العتيد بحول الله على ان ينحو نحوا جديدا يفتتح عهدا سعيدا ، ذلك هو العهد الاسلامى الذى لا يزال غرة فى جبين التاريخ .

● ● ●

وتقسيم السيرة الى مرحلتين متميزتين ، أو عهدين لكل منهما سماته وخصائصه هو تقسيم حركى ، لا يعنى أن هناك خلافا فى المبادىء والاهداف بين العهدين كما ذهب أعداء الاسلام من المستشرقين الذين يتسترون بستار التحقيق العلمى للنيل من الاسلام ونبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، فقد ذهب هؤلاء افتراء وكذبا الى أن النبى صلى الله عليه وسلم غير من مبادئه وأسلوب دعوته ومنهج حركته بعد أن هاجر الى المدينة حيث وجد الانصار والفرصة سانحة ، وهو قول متهافت ودعوى باطلة تدل على الجهل بمنهج

فسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليس فيها مجال للمصادفة أو الارتجال ، وكل من له نظر فى السيرة يدرك تماما أنها بناء متكامل وأنها خطوات مدروسة ومراحل معدة اعدادا محكما سارت فى طريقها حسب تخطيط دقيق .

وكأنما يريد أعداء الاسلام من المستشرقين والمبشرين ان يقولوا لماذا لم ينزل القرآن مرة واحدة لتكون مبادىء الاسلام كاملة منذ اللحظة الاولى من البعثة ، والعجيب أن هذا الاعتراض هو نفس اعتراض مشركى قريش على طريقة التنزيل فيما يحكى عنهم القرآن فى قوله تعالى :

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » .

(الفرقان : ٣١ ـ ٣٢)

وأولئك وهؤلاء على جهل مفرط بالسيرة : دعوة وحركة وتربية ، وارتباط ذلك كله بالقرآن الكريم ، ثم هم ينظرون الى القرآن على أنه كتاب فى الاخلاق أو القانون ، ولم يدركوا أنه قد أنزل من رب العالمين ليكون أمة ويقيم نظاما وينشىء حضارة ، وأنه أنزل منجما فى ثلاثة وعشرين عاما مطابقا لخطوات السيرة ، ملبيا لحاجة الجماعة المؤمنة ، موجها للدعوة والحركة والتربية ، وطبيعة العهد المكى كانت تقتضى التربية على الاصول الكلية والمبادىء العامة ولم تكن هناك حاجة الى تشريع وحدود ، لان الجماعة المؤمنة كانت تعيش فى مكة فى ظل سلطان قريش فى مجتمع وثنى لا يتحاكم الى الاسلام ، فلما تمت الهجرة الى المدينة ، حيث تكون المجتمع وأقيمت الدولة جاء القرآن المدنى بالحدود والتشريع التى جاء بها القرآن المكى من قبل أصولا كلية ومبادىء عامة .

وان نظرة متأنية الى القرآن المكى يمكن أن تعطينا فكرة واضحة لهذا التكامل بين المكى والمدنى من القرآن الكريم ، وبالتالى هذا التكامل بين عهدى السيرة .

ان سورة الانعام قد نزلت فى أواسط العهد المكى ، فهى السورة الخامسة والخمسين حسب ترتيب النزول ، وحين نتأمل بعض آياتها على سبيل المثال ، نرى فيها المبادىء العامة والاصول الكلية والجذور العميقة لكثير من التشريعات والحدود التى جاء بها القرآن المدنى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاك ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

(الانعام : ١٥١ ـ ١٥٣)

والآيات ليست مجرد توجيه أخلاقى أو نصائح متانية للسلوك ، ولكنها أعظم دلالة وأبعد مدى ، فهى أصول كلية ومبادىء عامة يقيم القرآن المكى عليها بناء الجماعة المؤمنة فى العهد المكى وبناء الدولة الاسلامية فى المدينة .. وقد جاءت هنا فى القرآن المكى بهذه الصورة الكلية العامة ثم تناولها القرآن المدنى بالتقنين حين بدأ عهد المجتمع والدولة واكتمال التطبيق فى العهد المدنى ، وهو التدرج الطبيعى الذى يتفق تماما مع ظروف الدعوة وظروف تكوين الجماعة المؤمنة فى كل من عهدى السيرة .

ونرى فى سورة الشورى وهى السورة الثانية والستون حسب ترتيب النزول فى العهد المكى ، الملامح الواضحة والسمات المحددة للامة المسلمة :

« والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، انه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم » .

(الشورى ، ٣٧ ـ ٤٢)

فالآيات تحدد صفات ومقومات الامة المسلمة فى أصول كلية ومبادىء عامة واضحة .

فهى الامة التى تقوم على أساس الايمان والاستجابة لاوامر الله .

وهى الامة التى تطهر مجتمعها من الكبائر والاثم والفواحش .

وهى الامة التى تقيم الصلاة وتنفق فى سبيل الله .

وهى الامة التى يقوم نظامها على أساس الشورى .

وهى الامة التى تنتصر من الظلم .

ونلمس فى الآيات جذور كثير من الحدود والتشريعات الخاصة بالكبائر والاثم والفواحش التى جاء بها القرآن المدنى ، فيها الاساس لتشريع الزكاة وفرض القتال ، وفيها أساس النظام السياسى وهو أساس الشورى .

فلا خلاف ولا تناقض بين المكى والمدنى من القرآن الكريم ، وبالتالى فلا تناقض ولا تغيير فى أسلوب الدعوة ومبادىء الاسلام فى كل من عهدى السيرة ، وصدق الله العظيم :

« أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

(النساء : ٨٢)

صانعو الموت و صانعو الحياة

الدكتور محمد محمد خليفة

تغالى اللغات فى وصم الذؤبان بالغدر ، والسباع بالضراوة والنمور بالشراسة ، والثعالب بالمراوغة ، والحيات بالخبث ، وتصم كثيرا من الحيوانات بالوحشية ، وماذا تركت اللغات من صفات يمكن أن تخلعها على صانعى الموت من البشر الذين تحللوا من انسانيتهم فأغرموا بالاستمتاع ببحار الدم المسفوك ، وكلفوا بمناظر الدمار ، ورقصوا حول مواقد الموت التى تنصهر فيها لحوم البشر ، وطربوا لرنين العويل ، ونواح الثكالى ، وتغنوا على أنات الجرحى ونحيب الارامل ؟

ماذا أبقت اللغات من صفات لهؤلاء الذين منحهم الله المعرفة فتسابقوا فى استغلالها فى الفتك والابادة ، وارهاب البشرية وطرحها بين طواحن الخوف تلوكها وتسحقها . وقضوا بذلك على كل نوازع الخير التى فطر الله البشرية عليها ، وكأنما رضوا على أنفسهم تجريدها من أسمى معانى الانسانية .

وليتهم صانوانعمة العلم التى منحها الله لهم فوجهوها لخدمة الانسانية زراعة تسعد خصوبتها الانسانية ، واقتصادا ينعشها رخاؤه ، وصحة تفيض على الوجود حيوية عاملة ، وجمالا تعيش البشريةفى دنياه متفتحة تشدو بجمال الحياة .

وليتهم حين واتتهم الطاقات القادرة ، وغصت مصانعهم بأسلحة الموت الرهيبة ، وامتلكت أيديهم مفاتيح الافناء والابادة ذكروا قدرة الله الذى لا يعجزه شىء فى الارض ولا فى السماء ، وذكروا أنه يستطيع أن يحول منحة العلم عليهم محنة ، وأن يجعل النعمة عليهم نقمة بعد أن « **أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها** » فقدرته القادرة تستطيع أن تبعث أمره عليهم ليلا أو نهارا فتحصد كل شىء ، وتفجر الارض من تحتهم جحيما يدمر كل شىء بأمر الله ، فيصبح الوجود وهو لا يرى منهم الا دروس العبرة التى تترك دنياهم أثرا وتاريخهم عبرا .

وكم روى القرآن من عبر عن طغاة ملاوا الارض جورا وتحدت قواتهم الوجود ، ثم أخذهم بأس الله ، ودمرتهم صواعق العذاب والهوان بما كانوا يكسبون : حدث عن عاد فى غير موضع فقال : (**فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى وهم لا ينصرون**) .

وقال فيهم كذلك : (**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر**

عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) .

وقدم قصة ثمود كذلك فى كثير من الايات فقال : **(وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون)** وقال : **فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية)** .

وكم سجل تاريخ الحاضر آثار غضبة الله التى تنزل فلا تصدها قوة ، ولاتقى منها كل ماأعدت الحضارات من وسائل الوقايات ولا ينسى التاريخ نكبة (مسينا) حين زلزلت الارض زلزالها فأتت عليها ، ودكت معالمها تلك المأساة التى صور آثارها شاعر النيل ، فترك ما تنتفض له القلوب ، وتفزع المشاعر وكأنما نعيش مع أحداث النكبة حين نقرأ له :

نبئانى ان كنتما تعلمان
ما دهى الكون أيها الفرقان
غضب الله أم تمردت الار
ض فانحنت على بنى الانسان
ليس هذا سبحان ربى ولاذا
ك ولكن طبيعة الاكوان
غليان فى الارض نفس عنه
ثوران فى البحر والبركان

● ● ●

مامسين عوجلت فى صباها
ودعاها من الردى داعيان
خسفت ثم أغرقت ثم بادت
قضى الامر كله فى ثوان
رب طفل قدساخ فى باطن الار
ض ينادى أمى أبى أدركانى
وفتاة هيفاء تسوى على الجمـ
ـر تعانى من مره ما تعانى
وأب ذاهل الى النار يمشى
مسرع الخطو ستطير الجنان
تأكل النار منه لا هو ناج
من لظاها ولا اللظى عنه وان

واذا كان صانعو الموت لم يبلغهم ما حدث به القرآن عمن أهلكوا وبادوا فهل يجهلون ما وقع لمسينا ، وما نزل بها من فناء ؟ وكم يغص تاريخ الحاضر بصور من النكبات ، فهلا اعتبر بها صانعو الموت ومن ورائهم ممن لم يتدبروا او لم يفكروا فى عواقب الطغيان ؟

ليتهم يدركون وهم يكرسون كل جهد لارهاب البشرية وتهديدها يعلمون أن الله من ورائهم محيط ، وأنه لن يسلم عباده للفناء وان ابتلاهم فى الدنيا بامتحان رهيب يختبر به ايمانهم وصبرهم واعتزازهم بسلطانه الذى لا يغلبه غالب . ما أجدر العلماء الذين يعيشون فى المعامل مع دقائق أسرار الكون يتخذون منها وسائل لصناعة الموت ، ما أجدرهم بالايمان بخالق الاسرار ، وما اجدرهم بأن لايكون علمهم جناية على الحياة يغير وجهها ، ويقضى على معالم وجودها ، ان العلم الذى يتحول فى دنيا الناس الى شر يهدد الامن ويقضى على السلام خليق بالبشرية أن تدمر معامله ومصانعه قبل أن يدمرها تفاقم شروره ، وخليق بها أن تقضى على صانعى الموت قبل أن يلفوا العالم فى الاكفان . ان الحياة تمد أيديها الى صانعى الحياة تسألهم سلاما يحقق سلامتها ، وروادا يأخذون بيد البشرية الى انسانية سمحة تذود عن الوجود أغوال الغدر والاستئساد فلا حياة للوجود بغير روابط انسانية تشد الوجود كله وتربطه بأصله **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى)** ليعيش الجميع فى أخوة انسانية لا فى حيوانية شرهة . فأين رواد البشرية يصنعون لها الحياة التى صنعها محمد بن عبد الله وحقق بها الاسلام للعالم خير ما يرجوه من خير ، وان صنع الحياة لهذا العالم قوامه تلك التعاليم التى عاش فى ظلالها الناس سواسية كأسنان المشط **(كلهم لادم)** ، وعماده الكتاب الذى **(يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)** .

فمتى يرى الوجود صانعى الحياة ينطلقون فى الافاق روادا الى الخير ، وهداة الى الحق ، ودعاة الى اخلاق عاملة تقاوم فساد النفوس ، وتبذر فى المجتمعات الانسانية بذور الخير ، ثم تمدها بالعصارات الحية التى تبعث فيها الحياة ، وتخلق فيها القدرة على الازدهار ليتفيأ الوجود ظلالها ، ويتقى هواجر الشر التى احترق فى لظاها العالم .

لقد ملئت الارض جورا ، فمتى يرى العدل بينها مكانا ولسانا وجنانا ؟ ! مكانا تشرق منه كلمة الحق فتبدد قواتم الضلالات وحوالك الاهواء والنزعات ، ولسانا يتحرك معمنطق اليقين ليقنع ويدفع باللتىهى احسن ، وجنانا لا تؤثر فيه زخارف الباطل ولا يجنح الى المداهنة مخافة سلطان الظلم .

فهل يحقق الله للسلام والعدل رجوعا الى هذه الدنيا التى استحكمت فيها شرور الانسان فجعلتها جحيما تنصهر فيه كل جوانب الامان ؟

وهل تتحقق المعجزة فينقلب صناع الموت الى صناع الحياة ؟ يصنعون الرخاء والدعة ، ويصنعون الامل للتائهين فى مجاهل الحياة وظلمها يسألون الارض والسماء عن مشرق الامل ، والامل كل الامل فى سلام ترفرف على الانسانية ظلاله ، ويشع فى النفوس خيره : ويأخذ بيد الجميع الى خير الجميع .

ان كل رسالات السماء تدعو الى السلام فهلا أطلق دعاة تلك الرسالات فى الدنيا صوت الخير يدعو الى سلام الدنيا وسلامتها من صناع الموت لتتحقق لها الحياة .

من تعاليم الإسلام العامة

الأخلاق و النوافل

سماحة الأستاذ
مبشر الطرازي الحسيني

« ٩ »

وقد سن الاسلام نوافل العبادات ؛ وهي الصلاة والصوم والحج ، وذلك لما فيها من مزيد الاستفادة في الرياضة الروحية والجسمية والصحية ، وما فيها من الحكم والفضائل والمنافع ، مع ما فيها من أثر بارز في تحسن الاخلاق .

فقد وردت آيات بينات واحاديث نبوية في ترغيب أبناء الاسلام الى هذه النوافل من العبادات في كتبها الخاصة ، يطول ذكرها وتفسيرها ، وروايتها وتحديثها .

ولو لم يكن في النوافل الا كثرة ذكر الله عز وجل لكفى ، فان في كثرة ذكره تعالى كل فضل وخير .

لان من يذكر الله كثيرا يزيد بذاته معرفة وبصفاته علما ، فيرتقي في اطاعة أوامره واجتناب نواهيه الى مقام القرب من الله سبحانه ، وتصير نفسه نفسا مطمئنة تستحق الدخول في جنته ، والتمتع بأنواع نعمته ، حيث يخاطبها الله سبحانه بقوله الكريم **ياأيتهاالنفس المطمئنةارجعي الى ربك راضيةمرضية: فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** » الاية الاخيرة من سورة الفجر .

ولهذا فان الله تعالى يدعو عباده المؤمنين الى الاكثار من ذكره فيقول « **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا** » الاية ٤١ ـ ٤٢ الاحزاب .

ويقول« **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألابذكر الله تطمئن القلوب** » الاية ٢٨ ـ الرعد .

هذا. وقد امتثل بسنن الصلوات الخمس ونوافل سائر العبادات واكثار ذكر الله عز وجل ، طائفة من خواص المسلمين منذ العهد الاول من عهود الاسلام الى عهدنا هذا ، عرفهم التاريخ في الغابر والحاضر بالصوفية ، فنالوا ما نالوا من المقامات **(مقام القرب** والانس والسعادة) عند ربهم في الدنيا والاخرة .

ولسنا هنا في صدد بيان مبادئهم التي تستند على كتاب الله وسنة رسوله ، وخصالهم التي تتلخص في الزهد والتقوى والرياضة في سبيل تزكية النفس وتهذيبها ، والوصول بها الى مقام الحب في الله والبغض في الله ، والفناء في الله ، وارادة كل خير لخلق الله ، حتى يحصلوا على رضاء الله ، جل جلاله، وعم نواله ، وعزا ذكره ، ولا اله غيره. رضي الله عنهم ورضوا عنه « **أولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون** » .

اللهم اجعلنا منهم واحشرنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

دعا الاسلام اتباعه المسلمين الى مكارم الاخلاق، واعتنى بهـا اكثر مما اعتنى بهـا سائر الاديـان السماوية . بل جعل الاسلام الدعوة الى حسـن الاخلاق واتمام مكارم الاخلاق غايته المنشودة ، ذلك لان رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام قال «بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » كما يدل على مزيد اهتمام الاسلام واعتنائه بالاخلاق أن وصف الله سبحانه رسوله محمدا بعظمة الاخلاق حيث قال «وانك لعلى خلق عظيم » .

أقول : ان مكارم الاخلاق وبتعبير آخر « الاخلاق الحسنة» تشمل كل خصلة من خصال الانسانية بحيث تشمل معاملة الانسان مع ربه عز وجل ، ومعاملته مع اخوته وبني نوعه أياكان نوعه ولونه ، تلك الخصال التى تجعل من الذى يتصف بها انسانا كاملا بتمام معنى الانسانية وقد انزل الله كتابه القرآن المجيـد بهذه الاخلاق :فاتصف بها رسول الاسلام عليه افضل الصلاة والسلام أولا وقبل الجميع من أمته .

فقد اجابت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم بقولها «كان خلقه القرآن» أى العمل بما فيه من التعليمات السماوية : والارشادات الالهية .

ولا شك فى أن مكارم الاخلاق « أو الاخـــلاق الحسنة » التى دعا اليها الاسلام ، والتى تضمنها كتاب الاسلام (القرآن المجيد) انما تتلخص فى اطاعة الله عز وجل، واطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، واطاعة أولى الامر من نفس المسلمين لاغير. فقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ، فأن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » الاية ٥٩ النساء

تلك الطاعات الثلاث ، والرجوع الى كتاب الله وسنن رسوله (عند التنازع فى شىء من المسائل عامة) التى تربى الانسان تربية صحيحة كاملة فى شئون دينه وشئون حياته (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية) فتجعل منه انسانا كامل الانسانية ، وبالتالى تخلق مجتمعا انسانيا بتمام المعنى المطلوب.

ولما كان الاسلام دين الانسانية ودين الخلود ودين الابدية ، فانه يحق له أن يدعو الى مكارم الاخلاق ومحاسن الخصال ، وان ينزل بها كتابه ،وان يتخلق بما فيه رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يكون قدوة لامته وأسوة حسنة لملته ، « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » ٢١ ـ الاحزاب .

وكما أن الاسلام دعا أتباعه الى مكارم الاخلاق ومحاسن الخصال ، فقد نهاهم عن مفاسد الاقوال ، ومساوىء الافعال ، (لجميع أنواعهـا التى تتعلق بالفرد أو المجتمع) وحذرهم عن ارتكابها كل التحذير، من أمثال الغيبة والنميمة ، وسوء الظن ، والكذب والسباب ، وغيرها ، وكالتعرض لمال الغيـر او على عرض الغير او على كرامـة الغير . والنفاق، والخداع ، والسرقة والغصب ، وقتل النفس بغيـر الحق ، والزنا وممارسة دواعيه .

وقد عين الاسلام على من يرتكب هذه المفاسـد والمساوىء جزاء وفاقا وردعه كل الردع .

وقد جاءت آيات بينات فى القرآن المجيد ، كمـا وردت احاديث صحيحة من الاحاديث النبوية فى هذا الباب مما لا يسع المجال ذكره واحصاءه فى هذه السلسلة .

ولا شك فى أن النهى عن مفاسد الاقوال ومساوىء الافعال سياسة حكيمة ، تحفظ الكيان الانسـانى عن الخراب . وتحمى الحقوق الفرد والمجتمع عن الضياع ، وتحول دون الاخلال بالامن وبهدوء الحياة والتقدم والنمو .

للبحث صلة

في القرآن والعربية

الصراع بين القراء والنحاة

الدكتور أحمد علم الدين الجندي

للنحاة أن ينقدوا ما يشاءون ، وأن يخضعوا لقواعدهم ما يريدون ، وأن يكونوا رقباء على اللغة واهلها ، ولقد كانت لهم في هذا صولات وجولات معروفة في نقد الشعر والنثر على السواء في العصرين الجاهلي والاسلامي (انظر : الموشح للمرزباني في مواضع متفرقة . ط السلفية) وبمرور الايام قوى نفوذهم ، واشتدت وطأتهم ، فاصبحوا المشرعين والمفتين في الحقل اللغوي وحدهم . لا يلوون على شيء ولا ينبهون . فرفضوا الاستشهاد بالاحاديث النبوية بجواز ان رواتها قد دخل عليهم اللحن . كما خطأوا العرب ولحنوهم في لغتهم . حتى جاءوا الى قراءات القرآن الكريم فنالوا منها أيضا ومن اصحابها ، وأخضعوها لقواعدهم وقوانينهم ، فهم اصحاب معايير ومقاييس . بل استطاعوا بسلطانهم وسطوتهم أن يسيطروا على كل الدراسات القرآنية، فضيقوا وحجروا ، وأولوا واجترءوا وتطاولوا على القراءات السبعية وما فوقها بين : شاذه وشاذه ، وسنعرض على القارىء قوائم بأحكامهم وسقطاتهم .

على ان كثيرا من هؤلاء النحاة قد تأثر بمدارس علم الكلام ودعامتها القياس والعقل ، ومدرسة القراءة ركيزتها الرواية والنقل ، فالقراء أعدل ، لانهم لا يعملون في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والاقيس في العربية ، بل على الاثبت في الاثر ، والاصح في النقل ، والرواية اذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية . ولا مؤلفة لان القراءة سنة متبعة (النشر في القراءات العشر ١ - ١٠ لابن الجزري) .

هذا ، ويجب أن نقرر :

أن موقف النحاة من القراءات ورميهم كثيرا منها باللحن والغلط ، والضرورة والشذوذ والخطأ ، ورميهم القراء بالوهم تارة ، والغفلة وعدم الدراية تارة أخرى ، واخضاعهم القراءات للمذاهب النحوية والاقيسة العقلية ، هو الذي جرأ المستشرقين على الطعن في كتاب الله والنيل منه متسترين بستار البحث العلمي تارة ، وبالحقد الدفين والسهام المسمومة تارة أخرى ، وهم في هذا وذاك قد تنكبوا الطريق السوي ، وضلوا وأضلوا فيما كتبوا ونقلوا . وقد كفانا أحد علمائنا (هو الشيخ الاستاذ عبد الفتاح القاضي في كتابه (القراءات في نظر المستشرقين والملحدين) . ط مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م) المخلصين لكتاب الله ، الرد على واحد من شيوخهم وهو المستشرق المجري الاصل «جولدزيهر» فأبطل حجته ، وفند آراءه ، وزيف مفاهيمه .

وسأقدم بين يدي القارىء منهجا يتجلى في :

أولا : موقف النحاة من القراءات التي صورت لهجات قبائل عربية منسوبة .

ثانيا : موقف النحاة من القراءات التي صورت لهجات قبائل عربية غير منسوبة ، ويكون ذلك من

خلال عرض النصوص الموثقة الامينة حتى أشرك القارىء معى فيما أراه، وأميل اليه، وأحكم به.

ثالثا: مقياس الصواب والخطأ عند كل فريق منهم.

أولا: طعنهم فى القراءات القرآنية التى تمثل لهجات عربية مغزوة:

أ - ففى قوله تعالى: « **ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل** » - ابراهيم آية ٢٢. قرأ حمزة بكسر الياء، ووافقه الاعمش، وأبو عمرو بن العلاء، وهى لغة بنى يربوع. اذ الكسر عندهم مطرد فى الياء المضاف اليها جمع المذكر السالم فى حالة الوصل، وقد قال القاسم بن معن عن هذه القراءة (انها صواب)، (وكان معن هذا ثقة بصيرا) وقال عنها الاخفش « ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين » - البحر المحيط ٥-٤١٩، كما وصفها الزجاج بأنها « عند جميع النحويين رديئة مرذولة » وأنكرها كذلك أبو حاتم، ورماها الزمخشرى بالضعف، وزاد فى اضعافها وتهوينها بأن الشاهد الشعرى عليها لرجل مجهول، والحق أن الشاهد للاغلب العجلى ورواه أبو شامة فى أول ديوانه، ويرى المعرى (اجماع أصحاب العربية على كراهة هذه القراءة كما يرى أن ابا عمرو وما اجاز هذه القراءة الا متهزئا وكأنه يشير بذلك الى ما جاء عن أبى عمرو عندما سئل « ان أصحاب النحو يلحنوننا فيها، فقال: هى جائزة » . اما موقف أبى العباس المبرد فكان صارما عنيفا يصود غضبه هنا وثورته ما جاء فى تفسير القرطبى ٥ - ٣ على لسان المبرد من قوله: « لو صليت خلف امام يقرأ (بمصرخى) بالكسر لاخذت نعلى ومضيت » فانظر كيف يحتج الرجل على سماعه لهجة عربية تواكبها قراءة قرآنية - بخروجه عن جماعة المسلمين وامامتهم. . !!

وأستنبط من هذا العرض أن البصريين أنكروا هذه القراءة، اذ أن الاخفش والزجاج، وأبا حاتم، والمبرد والزمخشرى على مذهب البصريين، أما القاسم بن معن فهو من رؤساء النحويين الكوفيين، ولهذا أجاز القراءة بها، كما اجازها أبو عمرو بن العلاء، لانه امام فى القراءة والمجيزون على حق لان هذه القراءة صحت سماعا، كما أنها صحت قياسا، اذ اليـاء كسرت اتباعا للكسرة التى بعدها فى (بمصرخى انى) واللسان فيها يعمل من موضع واحد، ووجه واحد، ففيها الانسجام وتقريب الاصوات بعضها من بعض، وتلك شريعة العربية وسنة فيها متبعة. وذلك ما يميل اليه البدو أمثال « بنى يربوع » . والعجيب أن ينكر هذه القراءة القرآنية السابقة شيخ من علماء الكوفة، ويرمى قارئيها بالوهم، ذلكم هو أبو زكريا الفراء.

ب - كما قرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع وغيره قوله تعالى: « واذ قلنا للملائكة اسجدوا » . سورة البقرة آية ٣٤، **بضم التاء - وحكى أنها لغة أزد شنوءة)** النشر ٢ - ٢١ فما بعدها. وقال عنها الزجاج « هذا غلط من أبى جعفر » كما خطأها الفارسى، ولم يجزها الزمخشرى لان حركة الاعراب عنده يصح ان تستهلك لحركة الاتباع. ولكن أرجح أن العربية تحرص على الانسجام الصوتى والاتباع حرصا على الاعراب، ولهذا « رواها الكسائى » ووجهها ان التاء ضمت اتباعا لحركة الجيم، ولو لم يتبعوا لخرج اللسان من كسر الى ضم، والعرب تكره ذلك.

وأرى من ذلك أن الزجاج، والفارسى، والزمخشرى وكلهم بصريون، قد غلطوا أبا جعفر، احد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبد الله بن عباس، ثم هو شيخ نافع بن أبى نعيم أحد القراء السبعة، ثم هو لم ينفرد بهذه القراءة، بل قرأ بها غيره، وشاركه فيها الكسائى الكوفى واذا ثبتت لهجة عربية فلا ينبغى أن يخطأ القارىء بها أو يغلط.

ومما يتصل بحركة الانسجام هذه، قراءة الحسن (الحمد لله) بكسر الدال واللام، وقراءة ابن أبى عبلة (الحمد لله) بضم الدال واللام، وهما قراءتان لاهل البدو، وقد عزيت القراءة الاولى لتميم وبعض غطفان، كما عزيت الثانية لربيعة، وقد ذهب البصريون الى أنها قراءتان شاذتان فى الاستعمال ضعيفتان فى القياس كما وسمها الزجاج (البصرى) بقوله « ولا يلتفت الى هذه اللغة ولا يعبأ بها » . اللسان ٤-١٣٣.

كما حكى الصفار عن على بن سليمان (الاخفش) أنه عقب على تلك القراءة بقوله « لا يجوز من هذين شىء عند البصريين » يقصد « الحمد لله » و « الحمد لله » . نزهة الالباء: ٣٦٤.

والحق أن هذه الحركات المنسجمة وان تعارضت مع الاعراب فى حالة كسر الدال الا أن لها وجها مقبولا، اذ أن هذا التركيب لما كثر تداوله عند العرب جعل هذا التركيب مثل الكلمة الواحد، ولا شك أن الكلمة الواحدة يستثقل فيها الانتقال من ضمة يتلوها كسرة أو العكس، فآثروا الكسرتين حينا، مع أن الحمد مبتدأ مرفوع، كما ضموا اللام اتباعا للدال فى القراء الثانية. وقد اجتهد الكوفيون فى توثيق هاتين القراءتين، لا سيما قد نسبتا لهجة لبعض القبائل.

ج - كما وردت عدة قراءات لآيات كريمة، وكلها تفيد التقاء الساكنين على غير حده، منها:

١ - « **أمن لا يهدى الا أن يهدى** » سورة يونس آية ٣٥ ».

٢ - « **ان الله نعما يعظكم به** » سورة النساء آية ٥٨ ».

٣ - « **أن تبدوا الصدقات فنعما هى** » سورة البقرة آية ٢٧١ ».

٤ - « **تأخذهم وهم يخصمون** » سور يس آية ٤٩ » (•)

٥ ـ « لاتعدوا فى السبت » سورة النساء آية ١٥٤ » (بتشديد الدال)

٦ ـ « كما ورد فى الاثر « نعما المال الصالح »

فقد قرأ أهل المدينه « بتسكين الهاء وتشديد الدال ، فجمعوا بين ساكنين فى الاية الاولى كما ذكر الشمس ابن الجزرى ان العراقيين والمشرقيين قد رووا الاسكان . اى اسكان العين مع تشديد الميم فى الايتين الثانيه والثالثة والاثر وبهذا قرا ابو جعفر ايضا فى الايه الرابعة باسكان الخاء وتشديد الصاد وباسكان العين مع تشديد الدال فى الاية الخامسة .

ولقد ساق ابو شامه ما يفيد بان التقاء الساكنين فى مثل ذلك انما هو لغة النبى صلى الله عليه وسلم كما ايد ذلك صاحب البحر « والتقاء الساكنين على غيرحده أجازه الكوفيون » ومن الواضح ان تلك القراءات التى تثبت التقاء الساكنين انما وردت عن طريق القراء موصولة بسندها ، فاذا نظرنا الى جانب النحاة البصريين فسنرى اتهامات شنيعة لتلك القراءة منها :

١ ـ ما ساقه ابن منظور من أن الزجاج أتهم القراءة مرة بقوله « ليست بمضبوطة » واخرى بأنها «شاذة» وقال عنها ثالثة بانها « رديه » البحر المحيط : ٢ ـ ٣٢٤ .

٢ ـ وعقب أبو على على من قرأ بها بقوله « بأن قوله لم يكن مستقيما عند النحويين » لانه جمع بين ساكنين ، الاول منهما ليس بمد ولين » .

٣ ـ كما وصف محمد بن يزيد احد مؤيديها بقوله « وهو من عجيب اختياراته » وجميع هؤلاء الطاعنين فيها من نحويى البصرة ، اما الامام ابو عبيد القاسم ابن سلام فقد أيدها وهو كوفى ، كما ايدها القراء ومنهم الدانى بقوله « ان الاخفاء اقيس ، والاسكان آثر » الاتحاف ١٩٦ ، النشر ٢ ـ ٢٥٣ .

وانما آثرت لهجة النبى (صلى الله عليه وسلم) وقريش التقاء الساكنين لان التقاءهما دليل على الاداء الكامل ، واعطاء الصوت حقه دون أن يطغى عليه مجاوره بالحذف او التأثير وتلك صفه من صفات الحضر الممثلين فى قريش . والحق ان تتبع كتب القراءات توقفنا على كثير من القراءات القرانية : التى تمثل لهجات عربية تلك التى تجهم لها البصريون وغيرهم من النحاة ووقفوا منها موقف المعارضة لانها خالفت أصولهم وقواعدهم ، فحاولوا تأويلها او رفضها ، ولهذا كان استقراؤهم ناقصا حين اعتمدوا فى الاخذ عن القبائل المشهورة فقط ، واصطدمت قواعدهم بقراءات القرآن تلك التى تمثل لهجات عربية مشهورة ومغمورة وموقف النحاة هذا الموقف من القراءات وهى تستند على ما بين اللهجات من خلاف ، انحراف عن المنهج السليم ، لانهم ضيعوا علينا كثيرا من الدراسات فى الجانب اللغوى ، وحجروا واسعا وضيقوا ، وماذا عليهم لو جعلوا قواعدهم مرنة تتقبل المأثور المروى من القراءات أو عدلوها واتخذوا شواهد لها من القراءات على أن أجماع النحاة ليس حجة ـ مع مخالفة القراء لهم ، لان من القراء جماعة من أكابر النحويين ، ثم ول وقدر ان القراء ليس فيهم نحوى ، فانهم ناقلون لهذه اللغة ، وهم مشاركون للنحويين فى نقل اللغة ، فلا يكون اجماع النحويين حجة دونهم ، والقراء اولى ، لان القراءة متواترة وما نقله النحويون آحاد .

د ـ تميل القبائل الحضرية الى تخفيف النون فى الصيغ الاتية :

١ ـ اللذان ٢ ـ اللذين ٣ ـ هذان ٤ ـ هاتان

فحركة النون خفيفة على لهجة قريش والحجاز « ارتشاف الضرب لابى حيان ١ ـ ١٣٦ مصور بدار الكتب رقم (٦١٥٦ هـ) على حين تميل بعض القبائل البدوية الى تشديد هذه النون وقد وردت قراءات على الصيغتين . التخفيف والتشديد فمنها :

١ ـ قوله تعالى : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » النساء آية ١٦ .
٢ ـ وقوله جل شانه « هذان خصمان » الحج آية : ١٩ .
٣ ـ وقوله عز وجل : « فذانك برهانان من ربك » القصص آية : ٣٢
٤ ـ وقوله سبحانه : « أحدى ابنتى هاتين » القصص ايه : ٢٧
٥ ـ وقوله جل ذكره : « ربنا أرنا اللذين أضلانا » فصلت اية : ٢٩

فابن كثير قرأ بتشديد النون فيها كلها (اتحاف فضلاء البشر : ١٨٧) وقرأ باقى السبعة بتخفيفها (البحر المحيط ٧ ـ ١١٨) .

ولقد حدد صاحب التصريح القبائل التى تميل الى تشديد النون ، وهى : تميم وقيس (شرح التصريح ١ ـ ١٣٢) وهما من القبائل الضاربة فى البداوة .

ولكن البصريين كما روى عنهم أبو حيان (فى البحر ٧ ـ ٤٩٥) لا يجيزون التشديد فى حالتى النصب والجر . ولكن ورود هذا التشديد فى القراءات القرآنية حجة عليهم . ويمكن أن يحتج لكلتا اللهجتين ، بأن من شدد فكأنه جعل التشديد عوضا عن الياء المحذوفة فى (الذى) اذ كان مقتضى القياس : *اللذيان واللتيان* ـ كما يقول : القاضيان ، كما يمكن أن يكون هذا التشديد تأكيدا للفرق بين تثنية المبنى والمعرب . وهو ما رآه صاحب التصريح ، واما من خفف فحجته أن العرب قد تحذف طلبا للتخفيف من غير تعويض .

الصوفية فى إلهام

لله الخلق والأمر

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

« خلق كل دابة فى الارض ، وناصيتها بيد من يرزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ويوحى اليها الهاما مايريد ، ويقضى فى أمرها ما يشاء » .

جاءت تلك الكلمة فى رسالة من رسالات سيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه الى تلميذه الراحل السيد / سالم جمعة رحمه الله رحمة واسعة ، وهى تفيد علم الله تعالى بخلقه وخضوعهم لسلطانه وقضائه وأكلهم من رزقه وقيامه سبحانه بأمرهم والهامهم ما يشاء ، يستوى فى ذلك نبو آدم وغيرهم من المخلوقات صغيرها وكبيرها ظاهرها للعيان وخافيها لان كل ماخلق ومن خلق فى دائرة ملكه وقبضة عزته جل جلاله ، ليس لهم من دونه ولى ولايشرك فى حكمه أحـدا .

وهو سبحانه يشدنا الى توحيده من طريق النظر فى خلقه فيقول تعالى مثلا [خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ما فانبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين] ويرشدنا سبحانه الى علمه بخلقه فى قوله تعالى [الا يعـلم من خلق وهو اللطيف الخبير] ويرد رزقنا اليه وحده فيقول سبحانه [أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك . رزقه بل لجوا فى عتو ونفور] ويبين انفراده بالملك والخلق فيقول تعالى [الذى له ملك السـموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا] كما يقول جلا وعلا [أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون] ويقول عز من قائل [ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضـعف الطالب والمطلوب] ويقول فى قدرته واقتـداره [ما خلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصـير] ويقول سبحانه [وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعـوثون خلقا جديدا . او لم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا] ويقول تعالى [ومن آياته خلق السموات والارض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير] ويقول عز وجل [لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهـــم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير] .

أما مايوحيه الله تعالى الهاما لخلقه فانه مشاهد كثيرا فى بنى الانسان وخاصة فى المؤمنين الاتقياء ، أما الرسل الكرام فيخاطبهم الله وحيا ، فالوحى لهم ، والالهام لغيرهم ، وليهم الله بقدرته غير بنى الانسان مايشاء ، ومن الامثلة البارزة فى القرآن الكريم قوله تعالى [وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون] . ويقول الامام جلال الدين الرومى رضى الله عنه : سبحان من قـــدر فهدى ووفق كل كائن للغاية من فطرته ، ان الهام النحل هو الشهد ، والهام حشرة القز نسج الحرير ، والهام البلبل اغانى السحر ، والهام رجال الله نور يشهدون به ملكوت السموات والارض صدقوهم هم مصابيح الدجى .. اكرموهم هم مفاتيح الرجا . اتبعوا من لايسألكم أجراوهم مهتدون .

ثم هو سبحانه الرازق لخلقه وعباده من المؤمنين والكافرين والسادة والمسودين ، وهو الذى يفضل بعضهم على بعض فى الرزق والاجل فلا الاخوة يتساوون ، ولا الاباء والابناء ، بل لكل منهم رزق مقسوم ، وأجل معلوم ، واقرأ فى ذلك قوله تعالى [والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير . والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضـلوا برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون] ويقرب سبحانه الامر لافهامنا بما يقع تحت حسنا من اختلاف مذاقات الفاكهة التى تسقى بماء واحد ويفضل الله بعضها على بعض فى الاكل ، وذلك فى قوله الكريم [وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسـقى بماء واحـد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون] والنخيل الصنوان هو مشترك الاصل ، وغير الصنوان هو المتفرق .

وانظر كيف دبر لنا أوقاتنا كما دبر لنا أسـباب أرزاقنا ، والاوقات لازمة لسعينا الى ارزاقنا من أسبابها المشروعة اذ يقول سبحانه [هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الابالحق يفصل الايات لقوم يعلمون] .

وفى الحديث الشريف : « ان الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الارض ، وان أهل الملا الاعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم ، وانه ماحل فى شىء ولاغاب عن شىء » .

واذا نظرنا بعد ذلك فى أقوال السادة الصوفية نجد أنهم فى معرفتهم بالله تعالى مقيدون بالشريعة ومؤيدون بالحقيقة ، وقد اخلصوا دينهم لله ، وخلص توحيدهم من الشوائب فى الناحيتين العلمية والمذاقية والله يختص برحمته من يشاء . وما ينسبه اليه اعداؤهم من الحلول والاتحاد فهو زور وافتراء ونحن لا نعتد الا بالسادة الصوفية المتمسكين بالـكتاب والسـنة والجماعة ، أما غيرهم فلا شأن لنابهم مهما ادعوا انهم صوفية .

ويقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فى حكمه : الكون كله ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه ، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده ، فقد اعوزه وجود الانوار ، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الاثار ، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر بكل شىء ، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر فى كل شىء ، كيف يتصور ان يحجبه شىء وهو الظاهر لكل شىء ، كيف يتصـور أن يحجبه شىء وهـو الظاهر قبل وجود كل شىء ، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أظهر من كل شىء ، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الواحـد الذى ليس معه شىء ، كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أقرب اليك من كل شىء ، كيف يتصور ان يحجبه شىء ولولاه لما ظهر وجود كل شىء .

ويقول امامنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه : الحق تعالى ليس من شىء ، ولا فى شىء ، ولافوق شىء ، ولا تحت شىء ، اذ لو كان فى شىء لكان مخلوقا ، ولو كان فوق شىء لكان محمولا ،

ولو كان فى شىء لكان محصورا ، ولو كان تحت شىء لكان مقهورا. وقيل وقيل له : يا ابن عم رسول الله : أين كان ربنا ؟ أو : هل له مكان ؟ فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال : قولكم : أين الله سؤال عن مكان ، وكان الله ولامكان ، ثم خلق الزمان والمكان وهو الان ما كان دون مكان ولازمان .

وقولهم : ان الله ظهر فى كل شىء أى بقدرته سبحانه وحكمته ولايقصدون به ظهور ذاته القدسية ، والقدرة باطنة والحكمة ظاهرة ، والوجود كله بين قدرة وحكمة ، فلولا الكثيف ماعرفت اللطيف ، ولذلك دعاك سبحانة للنظر فى اثارة فى مثل قوله تعالى [قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما نغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون] والناظر المؤمن بقدرة الله وحكمته بما يراه من آثار صنعته جعله الله عاقلا فى قوله تعالى [ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار] .

وأهل البصيرة من المؤمنين يقوى يقينهم بالله تعالى ، ويثقون كل الثقة فى حسن اختياره وتدبيره ، ويتجلى لهم على الدوام كرمه فى معاملة خلقه ، كما تتجلى لهم رأفته بهم ، وحكمته فى تصريف امورهم ، فان كانوا فى رخاء ردوه الى فضل الله ، وان كانوا فى بلاء ردوه الى قضاء الله ، فلا الرخاء يبطرهم فيجحدون نعمة الله ، ولا البلاء يجزعهم فينسون رحمة الله ، بل هم ملازمون بقلوبهم بابه ، وعاكفون بها فى ساحة قدسه ، فى عبودية الشاكرين والصابرين لله رب العالمين [ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور] .

وقد قالوا فى تفسير اسمه تعالى الكريم : هو الذى اذا سئل أعطى ، ولايبالى كم أعطى ، ولا لمن أعطى ، واذا رفعت حاجة الى غيره لايرضى ، واذا جفى عفا [بضم الجيم] ، واذاعاقب ما استقصى . اقول : وتسأله تعالى أن يعاملنا بكرمه وفضله ، ولايعاملنا بعدله فاننا اضعف من أن نتحمل القصاص وهو من حقه ، ونطمع فى التجاوز عنا وهو من كرمه وفضله ، والفضل بيده يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ومن تدبيره تعالى انه يبتلى عباده المؤمنين بالشدائد ، فاما أن يكون بلاؤهم فى الدنيا مخففا عنهم فى الاخرة ، ان يكون تقريبا لهم بالتضرع والالتجاء اليه ، والصبر على قضائه ، او يكون رفعا لدرجاتهم عنده لانه تعالى مع الصابرين ، ومعيته لهم شرف كبير لايقدره قدره الا أهل الله وخاصته .

ومن تدبيره تعالى أن جعل البلاد فاصلا بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب ، والحادث والقديم ، فلولا تعرض النبيين والمرسلين للبلاء لعبدهم الناس من دون الله لما يرون من صفائهم وكمال أخلاقهم . لكنهم بقضاء الله يمرضون كما يمرض غيرهم ، ويموتون كما يموت غيرهم ، وانما خصوصياتهم فى البواطن التى لايدركها الا أهل الايمان من اتباعهم . فهم صلوات الله عليهم كانت لهم ازواج وذرية ولكن لم يعوقهم عن القيام بحق الله ازواج ولا اولاد بل اثروا الله عما سواه فى سرهم وجهرهم فكانوا الصفوة الاولى من خلق الله .

ويقول الامام النيسابورى رضى الله عنه : ان الله تعالى خلق الدنيا دار زوال ، ومحل قلق وانتقال ، وجعل اهلها فيها غرضا للفناء ، وتعاساة الشدائد والبلاء ، فشاب حياتهم فيها بالموت ، وبقاءهم بحسرة الفوت ، وجعل اوصافهم فيها متضادة فقرن قوتهم بالضعف ، وقدرتهم بالعجز ، وشبابهم بالمشيب ، وعزهم بالذل ، وغناهم بالفقر ، وصحتهم بالسقم ، واستأثر انفراد الصفات لنفسه : قوة بلا ضعف ، وقدرة بلا عجز ، وحياة بلا موت ، وعز بلا ذل ، وغنى بلا فقر ، وكذلك بسائر صفاته .

وقد سئل الامام ابو بكر الوراق رضى الله عنه عن قوله تعالى [والشفع والوتر] فقال : الشفع تضاد اوصاف المخلوقين ، والوتر انفراد صفات الخالق ، وهو فى معنى ماقال الامام النيسابورى فيما تقدم .

وفى الحديث الشريف : كفى بالسلامة داء ، ويفسره ماقال بعض الشعراء فى حكمه :

كانت قناتى لا تلين لغامز
والانها الاصباح والامساء
ودعوت ربى بالسلامة جاهرا
لمعيشتى فاذا السلامة داء

وقد سئل بعض الصوفية : كيف أصبحت ، فقال : فى سلامة مشوبة بداء ، وعافية داعية الى فناء . وقد قيل للامام الحسن البصرى : ان فلان فى النزع ، فقال : مازال فى النزع منذ خرج من بطن أمه ولكنه الان أشد .

ويقول سيدى الامام الجنيد رضى الله عنه : ان الله كشف لعباده معايبهم فى ذكر الطين لهم وعرفهم مقاديرهم بذكرالنطفة وأشهدهم عجزهم فى تقلبهم ليعرفوا فاقتهم اليه فى كل حال ، وهو يشير رضى الله عنه الى قوله تعالى [ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون] . ويقول رضى الله عنه : التوحيد الذى انفرد به الصوفية افراد القدم [بكسر القاف] من الحدوث ، والخروج عن كل محبوب يقطعهم عن الله ، وترك الاعتماد على كل ماعلم رجهل وأن يكون الحق مكان الكل لايعول الا عليه .

وتكلم رضى الله عنه فى تدبير الله لارزاق عباده ، فقال : اليقين ألا تهتم لرزقك الذى كفيته ، وتقبل على عملك الذى كلفته فان اليقين يسوق اليك الرزق سوقا حثيثا ، وهو يشير رضى الله عنه الى قوله تعالى [ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا] . وسئل رضى الله عنه : متى يكمل المحب احوال العبودية ؟ فقال : اذا رأى أن الاشياء كلها لله تعالى ، وانه هو المنفرد بالتدبير والخلق والملك ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون .

وقد سئل الامام الجنيد رضى الله عنه عن قوله تعالى [لايسألون الناس الحافا] فقال : تمنعهم علومهم عن رفع حوائجهم الا الى مولاهم سبحانه وتعالى . وقال فى قوله تعالى [وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله] فقال : اذا نزل بالعبد ضر او حاجة فانزلها بالله عز وجل ولجأ اليه فى كشف ضره قضيت حاجته وارتفع ضره ، والله عز وجل معبوده ، والنظر فى الاعطاء والمنع الى غير الله شرك . وقد مرض رضى الله عنه فوصف علته للطبيب فقيل له : أليس هذا شكوى ، فقال : لا وانما هذا اخبار عن قدرة القادر جل وعلا .

ومن دعاء سيدى الامام الجنيد رضى الله عنه قوله :

اللهم انى أسألك أن تعطينى عملا يكون لك خالصا ، وأعوذبك من كل أمر يسخطك ، اللهم اجعلنى ممن يذكرك ذكرا لايريد بذكره الا ابتغاء مرضاتك وماهو لك ، اللهم اجعلنى ممن يعطى لك ويمنع لك ، وبك يستعين ، واليك يلجأ والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا دائما لا انقطاع له ولازوال كما ينبغى لكرم وجهك وعز جلالك . ، اللهم واجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الى يوم الدين.

اللهم وصل على جبريل وميكائيل واسرافيل ورضوان وعزرائيل وسلم . اللهم وصل على الكروبيين والروحانيين وسائر الملائكة والمقربين والحفظة والسفرة وجميع الملائكة والمؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين صلاة ترضاها وتزكيها وتحبها وكما هم أهل لذلك ، اللهم وبارك لنا فى الموت ومابعد الموت اذا نزل بنا ، واجعله يوم حب وكرامة وزلفى وسرور واغتباط ، واوردنا من قبورنا على سرور وفرح وقرة أعين ، واجعلها رياضا من رياض جنتك ، ولقنافيها الحجج وآمنا فيها الروعات آمنين مطمئنين الى يوم تبعثنا ياجامع الناس ليوم لاريب فيه ، آمنا من روعات ذلك اليوم وخلصنا من شدائده واكشف عنا عظيم كربه واسقنا فى ظمائه واحشرنا فى زمرة سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع لاوليائك المقدم على جميع أصفيائك .

ونسالك الا تحاسبنا ؟ فان حاسبتنا فحاسبنا حسابا يسيرا بلا مناقشة ، وعاملنا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين ، واجعلنا من المغبوطين ، واعطنا كتابنا بالايمان ، واجزنا الصراط مع السرعان ، وثقل موازيننا ، ولاتسمعنا لنار جهنم حسيسا ولازفيرا وأجرنا منها ومن كل ماقرب اليها من قول وعمل ونية ، واجعلنا بجودك ومجدك وكرمك فى دار كرامتك مع الذين انعمت عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، واجمع بيننا وبين آبائنا وأمهاتنا واقاربنا وذرياتنا فى دار قدسك على أفضل حال وأسرها ، وضم الينا اخواننا الذين هم على ألفتنا من كل ذكر وأنثى ، وبلغهم ما أملوه وأجمع بيننا وبينهم على أفضل حال وأسرها ، وعم المؤمنين والمؤمنات جميعا برأفتك ورحمتك الذين فارقوا الدنيا على توحيدك وكن لنا ولهم وليا يا ارحم الراحمين .

ومن ادعية أمامنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه الذى يبدو فيه الالهام الرحمانى قوله رضى الله عنه :

اللهم ياذا الملك المتابد بالخلود والسلطان ، الممتنع بغير جنود والعز الباقى على مر الدهور ، عز سلطانك عزا لا حد له ولا منتهى لاخره ، واستعلى ملكك علوا سقطت الاشياء دون بلوغ أمده ، ولا يبلغ أدنى ما استاثرت به من ذلك نعوت أقصى نعت الناعتين ضلت فيك الصفات ، وتفسخت دونك النعوت ، وحارت فى كبريائك لطائف الاوهام . كذلك أنت الله فى أوليتك ، وعلى ذلك أنت دائم لاتزول ، وكذلك أنت الله فى آخريتك ، وكذلك أنت ثابت لاتحول .

وأنا العبد الضعيف عملا ، الجسيم أملا ، خرجت من يدى اسباب الوصلات الى رحمتك ، وتقطعت عنى عصم الامال الا ما أنا معتصم به من عفوك ، قل عندى ما أعتد به من طاعتك ، وكثر عندى ما ابوء به من معصيتك ، ولن يفوتك عفو عن عبدك وان أساء فاعف عنى .

اللهم قد أشرف على كل خطايا الاعمال علمك ، ونكشف كل مستور عند خبرك ، فلا ينطوى عنك دقائق الامور ، ولا يعزب عنك خفايا السرائر ، وقد هربت اليك من صغائر ذنوب موبقة ، وكبائر أعمال مردية ، فلا شفيع يشفع لى اليك ، ولا خفير يؤمننى منك ، ولا حصن يحجبنى عنك ، ولا ملاذ ألجا اليه غيرك .

وانت ترى من الادعية المتقدمة أن ائمة المتقين يركنون الى ربهم فى كل شىء من أمر دينهم أو دنياهم لعلمهم أن بيده سبحانه مقاليد الامور ، وبيده وحده المنع والعطاء ، وقد بينا فى مقال سابق أن الدعاء مظهر من مظاهر العبادة وعلامة من علامات العبودية ، ولئن كان سبحانه يملك المنع والعطاء لكنه أكرم من أن يرد سائلا طمع فى كرمه واحسانه ، وان كان السائل مقصرا فى الطاعات ، لانه تعالى يعطى بسبب وبغير سبب لاحتياج خلقه اليه واستغنائه عنهم ، ويقول سيدى سفيان بن عيينة رضى الله عنه : لايمنعن أحدكم من الدعاء مايعلمه من نفسه فان الله تعالى أجاب دعاء ابليس وهو شر خلقه كما حكى الله عنه [قال انظرنى الى يوم يبعثون . قال انك من المنظرين] وما الطف فهم سيدى سفيان وما أرق اشارته .

وقد بين سبحانه لعباده انه صاحب الخلق والامر ، ثم أمرهم بدعائه تضرعا وخفية ، وخوفا منه وطمعا فيه ، فقال عز وجل [ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين . ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين . ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين] وقد بينت الاية الاخيرة أن أهل الاحسان – وهو أن تعبد الله كأنك تراه – اجدر عند الله بالاكرام واستجابة الدعاء ، وفى ذلك تنبيه بالغ لطاعة الله ورسوله باقصى مايستطيع المؤمن من جد واجتهاد فيعبد الله تعالى كانه يراه وهى الدرجة العليا من الاحسان ؟ فان لم يبلغها فلا اقل من أن يعبد الله على ان الله تعالى يراه وهى الدرجة الثانية من الاحسان .

وفى الحديث الشريف : « اذا سال احدكم ربه مسالة فعرف الاجابة فليقل : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . ومن أبطأ عنه شىء من ذاك فليقل : الحمد لله على كل حال » . ومن آداب الدعاء أن يفتتحه بذكر الله قبل ان يبدأ السؤال ، وقد كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء يقول : سبحان ربى العلى الوهاب . ويقول الامام ابو سليمان الدارانى رضى الله عنه : من أراد أن يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ؛ فان الله يقبل الصلاتين ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

ومن آداب الدعاء كذلك أن ترصد له الاوقات الشريفة ، كما بين الاذان والاقامة ، وكوقت السجود ، ووقت السحر ، ويستحب أن يدعو الداعى مستقبل القبلة رافعا يديه ، لما روى سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وآله : ان ربكم كريم يستحى من عبده اذا رفع اليه يديه أن يردهما صفرا ، ويستحب أن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء ، فان ذلك قد روى عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن دعاء مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : « اللهم انى أعوذ بك من الفقر الا اليك ومن الذل الا لك » ومن دعائه صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم ارزقنى عينين هطالتين تسقيان القلوب بذروف الدموع قبل ان يكون الدمع دما والضرس ندما » . ومنه ايضا : « اللهم طهر لسانى من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه : « اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة امرى ، واصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، واصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، والموت راحة لى من كل شر » .

وقد قيل لسيدى سفيان بن عيينة رضى الله عنه : ما حديث رويته عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « أفضل دعاء أعطيته أنا والنبيون قبلى : أشهد الا اله الا الله وحده ، لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لايموت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير » كان السائلين لم يروه دعاء فقال لهم : ماتنكرون من هذا ؟ ثم روى لهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « من تشاغل بالثناء على الله ، أعطاه الله فوق رغبة السائلين » . ثم قال : هذا أمية بن أبى الصلت يقول لابن جدعان :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى
حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما
كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال : هذا مخلوق يقول لمخلوق ، فما ظنكم برب العالمين ؟
واخيرا أقول ماقال الهاما وارتجالا شيخى وسيدى الشيخ على عقل طيب الله مرقده :

فيارب ان زادت ذنوبى فاننى
وثقت بأن الفضل أوسع من عيبى
وان كان لى مما فعلت جريمة
فحوضك لى طهرى وفضلك لى طبى
ومالذتى الا التجائى لوجهكم
فوجهكمو دون العوالم لى قطبى
ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .

من حياة الأنبياء والرسل

• ابراهيم عليه السلام •

الأستاذ ابراهيم الإبياري

— ٢ —

وثمة مسائل ثلاث أكثر الناس فيها القول ،وكادوا ينالون من مقام النبوة ، منها قول ابراهيم لقومه (**فقال انى سقيم**) الصافات : **فلقد عدها قوم على** ابراهيم عليه السلام كذبة وانه قالها ليتخلف عن قومه ويخلو الى أصنامهم يفعل بها ما دبر لها من تهشيم .

ومساق الاية بين الايات يكاد يعطينا فكرة جلية لا لبس فيها ، يقول تعالى (**وان من شيعته لابراهيم . اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون . أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة فى النجوم . فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين**) الصافات .

فهذه الايات الكريمة صريحة فيما كان عليه ابراهيم عليه السلام من سلامة قلب وقوة معتقد ، وهى تؤكد ما جاء عنه فى قوله تعالى (**ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون** » الانبياء ، ثم كانت منه نظرته فيما عبدوه من نجوم . وهذا الاجمال الذى أجملته الاية الكريمة هنا حين تقول (فنظر نظرة فى النجوم) فصلته تلك الايات التى سقناها قبل من سورة الانعام ، وهى (**فلما جن عليه الليل رأى كوكبا**) الى آخر الايات التى تقدمت قبل ، وكانت تلك النظرة ، كما قلنا لك قبل ، اسلوبا من أساليب المحاجة يتدرج فيه ابراهيم من الاصغر الى الاكبر ليلزم قومه الحجة . ولقد انتهى بقومه من تلك النظرة الى بطلان ما اتخذوه من آلهة ، واذا هو ضائق مكروب لما رأى ، عليه قومه بعدما أثبت لهم بطلان ماهم عليه من هذا الجنوح الى عبادة مالا يستحق العبادة وهذا الضيق والكرب هو السقم الذى اعتراه ، وحين احس قومه منه ضيقه بآلهتهم ولوا عنه مدبرين .

وهذا الاجمال هنا فصلته الايات الكريمة التى جاءت فى سور الانعام والتى سقتها قبل كما قلت لك ، والتى جاءت تتمة للايات السابقة .

وحين انتهى ابراهيم عليه السلام من هذه كانت لفتته الى الاصنام يقول تعالى (**فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون . ما لكم لاتنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين . فاقبلوا اليه يزفون . قال أتعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وماتعملون**) الصافات :

وهذا الذى تذكره الايات الكريمة هنا مما كان من ابراهيم عليه السلام مع الاصنام ذكرته فى مواضع اخرى سقناها لك .

ونكاد نرى أن الذى حمل جملة من المفسرين على أن يجعلوا سقم ابراهيم عليه السلام هنا ادعاء منه ليقضى ما يبيت للاصنام ، هو ربطهم بين قوله تعالى هنا (**فتولوا عنه مدبرين**) وبين قوله تعالى فى سورة الانبياء (**وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين**) **الانبياء** : فادبار قوم ابراهيم عليه السلام عنه الذى جاء هنا فى سورة الصافات ادبار سببه ضيق ابراهيم بنجومهم وجمودهم عن أن ينفضوا عنها بعد ما اقام هو الحجة لهم على بطلانها ،

اما ادبارهم الذى جاء فى سورة الانبياء فهو خروجهم عن أماكن أصنامهم ، ولقد كان ابراهيم عليه السلام صريحا كل الصراحة مع قومه شجاعا فى تحديه لهم ، شجاعا فى مكاشفتهم بما ينوى ، وهذا ما طبع الله عليه أنبياءه . وبه اصطفاهم . ولقد كان لقوم ابراهيم فى انذاره اياهم ما يجعلهم على حذر من امره ، وما أظنهم كانوا ينخدعون بقوله (**انى سقيم**) لو صح ان هذا السقم كان على ما حمله جملة من المفسرين ولكن الذى اذهب اليه ان ابراهيم انذر القوم صراحة ، وبعيد ان يكون ادعى السقم كما يقول جملة من المفسرين ، بعقب توعده لاصنامهم ، فما من شك ان القوم كانوا عندها على حذر منه كما قلت لك ، ولكن الامر هو كما بينت لك ، وان السقم كان ضيق ابراهيم ببقائهم على كفرهم وعنادهم ، وتولى القوم عنه مدبرين كان لذلك الضيق ، ثم كانت فرصة ترك فيها القوم اصنامهم ، وما من شك فى أن هذا وقع بعد مدة أنسى فيها القوم انذار ابراهيم ، وظنواهم لغفلتهم انه هو الاخر قد انسى عند هذه الفرصة كان تهشيم ابراهيم للاصنام .

هذا عن الاولى ، وهى قول ابراهيم : انى سقيم اما عن الثانية وهى قوله عليه السلام ، حين سأله قومه عمن كسر اصنامهم (**قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون**) الانبياء :

فلقد قدمنا لك عنها شيئا لعله يغنى ، ونضيف اليه هنا ما يؤيده ، يقول ابو البقاء فى كلياته : الكذب : الاخبار عن الشىء بخلاف ما هو مع العلم به وقصد الحقيقة فخرج بالاول - اعنى : مع العلم به - الجهل ، وخرج بالثانى - اعنى : وقصد الحقيقة - المجاز .

وهكذا نرى أن ما جرى على لسان ابراهيم عليه السلام فى اجابة قومه لم تقصد فيه الحقيقة وانما اريد به المجاز الذى يحمل معه هذا التهكم وتلك السخرية .

بقيت الثالثة ، وهى موقفه من فرعون مصر وقوله له عن سارة زوجته : انها اخته فمردنا فى هذه الى الحديث الشريف الذى رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **لم يكذب ابراهيم النبى عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا . وواحدة فى شان سارة فانه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها : ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سالك فأخبريه انك اختى فانك اختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الارض مسلما غيرك وغيرى .**

وتقول التوراة : وحدث جوع فى الارض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لان الجوع فى الارض كان شديدا وحدث لما قرب أن يدخل مصر انه قال لسارة امرأته : انى قد علمت انك امرأة حسنة المنظر فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون : هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك قولى انك اختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك . فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة انها حسنة جدا . ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون . فأخذت المرأة الى بيت فرعون . فصنع الى ابرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال . فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة ابرام فدعى فرعون ابرام وقال ما هذا الذى صنعت بى . لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك . لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها لتكون زوجتى . والان هو ذا امرأتك . خذها واذهب . فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له . (سفر التكوين : الاصحاح الثانى عشر : ١٠ - ٢٠) .

وعن أخذ فرعون للزوجة دون الاخت يقول الشراح : ان السياسة كانت على أن القوم كانوا لا يتعرضون لغير ذات البعل ، وانما كانوا يعرضون لذات البعل ويأخذونها قهرا .

وهذا الذى ذكرته التوراة لابراهيم مع فرعون مصر فى شأن زوجته سارة ذكرته مرة اخرى لابراهيم مع ملك جرار حين فارق ابراهيم لوطا بعد ما خرجا من مصر - كما سيجىء ذكر ذلك بعد - تقول التوراة : وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب فى جرار . وقال ابراهيم عن سارة امرأته هى أختى . فأرسل ابيمالك ملك جرار وأخذ سارة . فجاء الله الى أبيمالك فى حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فانها متزوجة ببعل ولم يكن أبيمالك قد أقترب اليها . فقال ياسيد أأمة بارة تقتل . ألم يقل هو لى انها اختى . وهى أيضا نفسها قالت هو أخى .. (التكوين : ٢٠ - ١ - ٦) . وتمضى التوراة فتقول : وقال أبيمالك لابراهيم : ماذا رأيت حتى عملت هذا الشىء فقال ابراهيم انى قلت ليس فى هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلوننى لاجل امرأتى . وبالحقيقة ايضا هى أختى ابنة ابى غير انها ليست ابنة امى فصارت لى زوجة . (التكوين : ٢٠ - ١١ - ١٣) . وبعد فظاهر الحديث ينسب الكذب الى ابراهيم عليه السلام على صورة ما وهذا ما جعل العلماء يدفعون هذا ويؤولونه .

فأبو البقاء فى كلياته يجعله من قبيل المعاريض كما قدمنا .

والامام الرازى يقول فى تفسير هذا الحديث وحديث آخر نحوه جاء فى باب الشفاعة : فلان يضاف الكذب الى الرواة اولى من أن يضاف الى الانبياء .

ويقول صاحب الفتح (٨ - ٤٣١) . الاحاديث اذا كانت فى مسائل عملية يكفى فى الاخذ بها بعد صحتها افادتها الظن . اما اذا كانت فى العقائد فلا يكفى فيها الا ما يفيد القطع متنا وسندا .

وفى شرح العصام على العقائد النسفية (ص – ٤٦٨) بعد أن ذكر وجوب اتصاف الانبياء بالصدق : اذا تقرر هذا فما نقل عن الانبياء مما يشعر بكذب او معصية فان كان منقولا بطريق الاحاد فمردود ، وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره ان امكن والا فمحمول على ترك الاولى او كونه قبل البعثة . وفى شرح عبد الحكيم السيالكونى على العقائد العضدية (ص : ٢٠٣) ما نقل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما يشعر بمعصية او كذب فما كان منقولا بطريق الاحاد فمردود وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره أن امكن والا فمحمول على ترك الاولى أو كونه قبل البعثة .

وهذه الاحاديث التى جاءت فيها نسبة الكذب الى ابراهيم عليه السلام أحاديث آحاد ، من أجل هذا كان الوقوف عندها أولى ، اذ أخص الصفات الراجبة للانبياء الصدق ، وحسبنا وصف الله تعالى لابراهيم اذ يقول جل وعلا (**واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا**) مريم : ومن كانت هذه منزلته من الصدق ، اذ لم يجتزىء القرآن الكريم ان يصفه بأنه صادق ، بل قال عنه أنه صديق مبالغة فى وصفه بالصدق كيف له ان يقرف بكذب .

هذا مجمل عن تلك المسائل الثلاث ، ونعود الى سيرة ابراهيم عليه السلام فنقول : انه رجع الى أرض فلسطين ونزل منها حبرون ، ويقال لها حبرى ، كما غلب عليها اسم الخليل .

وكان لوط عليه السلام قد صحب ابراهيم فى ذهابه الى فلسطين ، ونزل معه حبرون ، ثم كان ان افترقا فذهب لوط الى سادوم وعامورة من الاردن ، واقام ابراهيم حيث هو بحبرون .

وما من شك فى أن رسالة ابراهيم عليه السلام امتدت الى هذا المقام الجديد ، فالتوراة تقول : وبنى هناك – أعنى بحبرون – مذبحا للرب (التكوين : ١٣ – ١٨) .

ويقول صاحب معجم البلدان (فى رسم : حبرون) ان اول من مات ودفن فى حبرى سارة زوجة ابراهيم عليه السلام ، وأن ابراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعا لقبرها ، فقدم على صفوان ، وكان على دينه ، وكان مسكنه ناحية حبرى فاشترى الموضع منه .

فهذا يعنى انه كان معه فى موطنه هذا الجديد ناس على دينه ، فما نعرف انه رحل معه من موطنه الاول غير هؤلاء الذين ذكرناهم لك قبل وان هؤلاء الناس فى هذا الموطن الجديد كان ايمانهم بابراهيم عن دعوة منه لهم ، وهذا ما جعل ابراهيم يقيم لهم بيوتا للعبادة

ولقد مر بك أن سارة أمرأة ابراهيم عليه السلام كانت عقيما لا تلد ، وانها حين عز عليها الولد وهبت لابراهيم هاجر ، فكان له منها اسماعيل ، ثم كانت ان حملت سارة بعد عشر سنين من مولد اسماعيل باسحاق وليس ثمة فى القرآن الكريم من اشارة الى مولد اسماعيل عليه السلام غير قوله تعالى (**الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء**) ابراهيم : أما عن مولد اسحاق فتمه فى القرآن الكريم شىء من التفصيل عن مولده ، ولقد مرت بك فى كلمتنا الاولى الايات الكريمة التى عرضت لهذا المولد . ولعل هذا الاجمال فى مولد اسماعيل كان لانه شىء لايبدو فيه اعجاز على حين كان مولد اسحاق فيه هذا الاعجاز ، اذ كان الزوجان عند مولده قد بلغ منهما الكبر وكانت سارة من قبل الكبر عاقرا لهذا كان مولد اسحاق ثم يعقوب من بعده يحمل آية لذا خص القرآن الكريم هذا المولد بالذكر ، فالقرآن الكريم لا يؤرخ الاحداث عامة وانما يؤرخ منها ما تحمل الايات اى المعجزات .

وهذه الاية ، أعنى المعجزة ، فى مولد اسحاق تحمل دلالتين :

اولاهما تشير الى امتداد رسالة ابراهيم عليه السلام . فلقاؤه لرسل ربه ، وحمل هؤلاء الرسل اليه البشرى ، يعنى هذا الامتداد .

وثانيتهما تشير الى ما يؤيد ابراهيم عليه السلام فى رسالته ، فحسبه أن يقع ما أخبر به الناس عن هذا اللقاء وعن هذه البشرى .

وثمة دلالة ثالثة تحملها تلك الايات الكريمة مع البشرى بمولد اسحاق وهى ما تلقاه ابراهيم عن الرسل بما سيقع بقوم لوط ، فلقد أخبر به ابراهيم عليه السلام قومه قبل ان يقع فكانت تلك هى الاخرى مما أيد الله تعالى به ابراهيم فى رسالته .

ثم هى – أعنى تلك الاية او المعجزة فى مولد اسحاق ، تحمل العظة لسارة بأن قدرة الله تعالى فوق ما يخال الناس ، وليست سارة وحدها معنية بهذا بل الخلق جميعا ، قوم ابراهيم ومن بعدهم . ولقد كان هذا اللقاء اعنى لقاء ابراهيم عليه السلام لرسل ربه ، ثم هذه البشرى ، بعد خروج ابراهيم من جرار ، وبعد ما كان بينه وبين ملك جرار ، حين حاول ملك جرار أن يأخذ سارة ، ولقد ذكرنا لك ذلك قبل نقلا عن التوراة .

وثمة بعد هذا موقفان :

موقف ابراهيم عليه السلام من ابنه اسماعيل وهمه بذبحه .

ثم موقف خصوم الاسلام وما ادعوه من دعاوى باطلة حول عرض القرآن الكريم لقصة ابراهيم عليه السلام . وهذان ما سنعرض لهما ان شاء الله تعالى فى كلمتنا الاتية التى سوف نختم بها سيرة ابراهيم عليه السلام .

العلم والإيمان

عناصر القوة فى الإسلام

فضيلة الشيخ محمد عبد العزيز البرهنسى

لقد قامت الدعوة الاسلامية الكبرى التى هتف بها وحمل لواءها الرائد الاكبر للاصلاح « محمد بن عبد الله » صلوات الله وسلامه عليه ـ قامت ـ على أسس سليمة ، وقواعد متينة ، وعناصر قوية ، رشحتها للخلود والبقاء ، وجعلتها صالحه لكل زمان ومكان . ومازالت صامدة أمام التيارات المختلفة التى تعاقبت عليها ، والتى أرادت أن تشوه من جمالها ، وتنقص من قدرها .

تلك الاسس السليمة التى قام عليها الاسلام يدركها من تعرف مقاصد الشريعة ، وعاش فى ظل كتاب الله ، وسنة رسول الله ، وهدى السلف الصالح ولعل من أبرز عناصر القوة فى الاسلام ما يأتى : ـ

أولا

قيامه على الحجة والبرهان ، واعتماده على الاقناع دون الالتجاء الى قوة القهر والاكراه .

فاننا نرى أن الله أمر نبيه محمدا « صلى الله عليه وسلم » أن يدعو الناس الى الاسلام لانه مصدر سعادتهم فى الدنيا والاخرة دون أن يفرض عليهم عنتا أو حرجا .

يقول الله تعالى « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن** » ويقول فى اية اخرى « **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** » ويقول مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم ومبينا مهمته « **فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب** » أى ماعليك الا التبليغ والانذار ولست مطالبا بايمان الناس حتى تكرههم على الدخول فى الاسلام « **انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ! « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين »** .

ظل الرسول صلوات الله وسلامه عليه متمسكا بهذه المبادىء يبذل أقصى جهده ليسالم المشركين ، فكان يقابل العنف والطغيان بالرضا والايمان حتى كان المسلمون يأتون اليه وهم جرحى ومصابون فيقول « **اصبروا فانى لم أومر بقتال** » واستمر كذلك الى أن كانت المؤامرة الكبرى فى قتل الرسول واخراجه هو وأصحابه من ديارهم وأموالهم بغير حق لانهم يقولون

« ربنا الله »

لذلك كان الرسول مضطرا آخر الامر الى أن يقابل القوة بالقوة ، ويذود عن الاسلام بنفس الوسيلة « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** »

واكبر دليل على أن الاسلام قام بالحجة والبرهان ، وشق طريقه الى القلوب بقوة مبادئه ، ووضوح أدلته هو انتشاره فى جهات لم يرفع المسلمون فيها سيفا ، ولم يقيموا فيها دولة ، فهذه أندونيسيا ، وجهات غرب افريقيا انتشر الاسلام فيهما منذ سنوات بعيدة عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يرتادون تلك الجهات ، فيجذبون أهلها الى دينهم بايمانهم العميق ومعاملتهم الطيبة .

واليوم ونحن فى عصر الحرية نجد كثيرا من المثقفين من جميع الدول يجتذبهم الاسلام بشكل واضح لقوة مبادئه وسمو تعاليمه . وان من يتصفح المجلات الاسلامية ليطرب اذ يرى كثيرا من هذه الصور التى تعتبر أكبر دليل على ملاءمة الاسلام لطبيعة البشر ، وقيامه على الحجة والبرهان دون رهبة أو سيف كما يدعون ، قاتلهم الله أنى يؤفكون « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق** ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »

ثانيا :

قيام الحكم فى الاسلام على مبدأ الشورى : ـ

لقد جاء الاسلام لتحقيق مصالح العباد ، سواء نزل بها الوحى ، أو وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو استنبطها أئمة الدين وفقهاء الشريعة من اصوله الاولى وقواعده الاصليه .

وللاسلام ناحيتان

ا ـ ناحية العقيدة والعبادة ـ والمرجع فى ذلك كتاب الله وسنة رسوله من غير تغيير ولا تبديل .

ب ـ الناحية الاخرى : هى الجانب المدنى الذى يختص بشئون الدنيا وأحداثها مما لم يرد فيه نص ، **والطريق الى ذلك هو الاجتهاد** ، والاجتهاد الجماعى هو ما يسمى بمبدأ الشورى .

ومما لاشك فيه ان الاسلام لم يقرر شكلا معينا للحكومة ، ولم يضع لها تفصيلات ، وانما يقوم جوهر

الحكم الاسلامى على الديمقراطية ، والديمقراطية الاسلامية تقوم على مبدأين اساسيين هما :

الانتخاب ، والشورى .

ويؤكد المبدأ الاول ما جرت عليه العادة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من انتخاب أبى بكر الصديق ثم تلاه عمر رضى الله عنه ، ثم تلاه عثمان ابن عفان ، ثم على كرم الله وجهه « ورضى الله عنهم أجمعين » ثم التصديق على هذا الانتخاب باستفتاء شعبى هو « البيعة » .

أما المبدأ الثانى وهو الشورى فقد ذكر فى القرآن أكثر من مرة يقول الله تعالى : « **وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » ويقول فى آية أخرى « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » .

وتكون الشورى من ذوى الرأى السديد ، والفكر الرشيد ، أيا كان الاسم الذى يطلق عليهم « مجلس الشعب ، أو المجلس الوطنى ، أو الاتحاد الاشتراكى ، أو مجلس الشورى ، أو أهل الحل والعقد » الى غير ذلك واذا فالشورى مبدأهام وعنصرقوى وقاعده لكل حكومة اسلامية عمل بها الرسول فى كثير من أموره ، وكان تحرى الحق هو الهدف الاول ، وعمل بها أبو بكر الصديق من بعده ، وكان يأخذ برأى غيره متى اطمأن اليه فقد ثبت أنه أمر باعطاء المؤلفة قلوبهم نصيبهم من الزكاة ، فمنعهم عمر رضى الله عنه ، فرجعوا الى أبى بكر يشكون اليه قائلين « نحن لا ندرى أأنت أمير المؤمنين أم عمر » فقال أبو بكر لما نظر فى رأى عمر « هو أمير المؤمنين ان شاء » وحرمهم من الزكاة برأى عمر ولعمرى انه لنظام عادل يجمع كلمة الامة ولا يفرقها ، ويبنى مرافقها ولا يخر بها ، ويترك الحرية مكفولة لكل الطبقات فى ابداء آرائهم حتى قال رجل لامير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد توليته الخلافة « اتق الله يا عمر » فقال رجل من الحاضرين المثل أمير المؤمنين تقال هذه الكلمة فأجابه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بقوله « لا خير فيكم ان لم تقولوها ، ولا خير فى ان لم أسمعها » .

ذلك مثل من أمثلة ، وقليل من كثير ما يجعلنا ندرك حرية الرأى فى الاسلام والاخذ بمبدأ الشورى والرجوع الى الحق متى ظهر ، لذلك قويت شوكته ، واتسعت رقعته « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . »

ثالثا : المساواة

فاننا نرى أن الاسلام أعلن مبدأ المساواة العامة بين الناس فى الحقوق والتكاليف فهو لا يميز أحدا على احد من حيث الجنس او المال بل الكل فى نظر الاسلام سواسية بقول الله تعالى « **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** » ويقول فى آية أخرى « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الناس سواسية كأسنان المشط » .

تأمل مبدأ المساواة فى الاسلام وقارن بينه وبين الدول المتحضرة التى تميز بين شعوبها وشعوب مستعمراتها ، بل وتميز بين الملونين من رعاياها اذا قارنت بين سماحة الاسلام وبين تلك الدول التى تسير على الديمقراطية كما تدعى وجدت الاسلام يهدف الى مجتمع مثالى لا يؤثر غنيا على فقير ولا صديقا على خصم ولا شريفا على وضيع بل لابد أن ينال كل حقه مهما كانت مكانته فى المجتمع .

وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك المبدأ فى حجة الوداع حيث قال :

« ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لادم ، وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى فضل ، ولا لاحمر على أبيض ، ولا لابيض على أسود الا بالتقوى » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أرادت قريش بعد اسلامها اعفاء بعض الشريفات من اقامة الحد عليهن » انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

ولقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا على المساواة والعدالة فى الحكم حيث يقول « ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى سلطانه فجار فى حكمه » ويقول « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ولقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل العملى فى غزوة الخندق ، واقتدى به الخلفاء الراشدون من بعده فهذا أبو بكر الصديق يقول » انى وليت عليكم » ولست بخيركم وهذا عمر يقول من رأى فى اعوجاجا فليقومه بالسيف ويحمد الله أن يجد فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه .

وانه ليسعدنا ان نرى جمهوريتا العربية وقد اخذت بمبادىء الاسلام السامية وعملت على نشر المساواة بين الناس ، وأتاحت الفرص المتكافئة لابناء الشعب فى جميع الميادين ، واشركت العمال فى ادارة الشركات والمصانع وأفسحت مجال التمثيل النيابى لجميع الطبقات من مثقفين وفلاحين وعمال والله نسأل أن يوفق ولاة أمورنا للعمل على نشر مبادىء الاسلام وتعاليمه والله كفيل برعايتهم وحفظهم « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » **هدانا الله واياكم للعمل بما يحبه ويرضاه والسلام عليكم ورحمة الله .**

الطريق الى الإيمان

الدكتور عبد الحليم كامل

فى هذا العصر ، عصر العلم والمعرفة كما يقولون ، ينتاب كثير من المتعلمين الغرور ويظنون أنهم قد أحاطوا بكل شىء علما ، فلا تخفى عنهم من حقائق العلم خافية فيتيهون عجبا بما تعلموا ، وهم لو عرفوا الحقيقة لعرفوا أن مالا يعلمون اكثر بكثير مما يعلمون ، وسبحانه وتعالى حين يقول : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . ولكنه الغرور الاعمى الذى يعمى القلوب قبل الابصار ، فلا يرون النور فى النور فيقولون « أين الله » . ويزعمون أنه ليس هناك اله . ويقول لهم العلم الذى به يعتزون ، هذا غير صحيح ، فان استعصى عليكم اثبات وجوده ، فان نفى وجوده أشق وأصعب ، بل يكاد يكون مستحيلا . فالله موجود وكل ما فى الوجود من موجود يدل على وجوده ، ولا يمكن أن يكون كل ذلك وليد الصدفة أو الاحتمال . فالانسان الذى ينظر الى نفسه ومم خلق ؟ كما يحدثنا سبحانه وتعالى فى أول ما أنزل على سيد البشر (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) .

فوجود الانسان آية ، وخلقه آية ، وتكوينه آية ، وتلك النطفة التى يتكون منها معجزة . فالبيضة معجزة ، والحيوان المنوى معجزة ، ونمو الطفل حتى يصبح يافعا معجزة . وقد نسأل أيمكن أن يكون كل هذا وليد الصدفة ؟ أو هل يمكن أن يكون هذا التكوين وهذا التركيب عشوائيا . فتلتقى البيضة بالحيوان المنوى من غير تحضير او ترتيب وتتكون الخلية الملقحة التى تنقسم وتنقسم الى العديد من الخلايا المتشابهة من غير تنظيم ثم ترتب هذه الخلايا وتتميز عن بعضها وتكون الانسجة المختلفة والاعضاء المختلفة من غير قوة خفية قادرة . ويمر الجنين بالاطوار المعروفة المختلفة من غير قوة خفية قادرة . حتى يصبح خلقا آخر من غير خالق يقول للشىء كن فيكون وسبحانه وتعالى احسن الخالقين الذى يقول (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر) .

يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) .

ثم نسأل هؤلاء الذين ينكرون وجود الله ، اهى الطبيعة او المادة كما يدعون هى التى تفعل كل هذا ؛ أهى الصدفة وحدها كما يتحدثون هى التى تكون كل هذا ، فهى التى تجمع الخلايا كلها ، وهى التى ترتبها كلها فى انسجة وتجمعها فى اعضاء ، وهى التى تسوى بينها لتخلق بشرا سويا . اذا أمكن أن يكون هذا كان من الممكن ان تتجمع الاحجار فى مكان ما ثم نجدها وقد رتبت ثم كونت جدارا ثم تجمعت الجدر وارتفع البناء الى طوابق دون ما تدخل من اى يد ، ولكن حتى هؤلاء الذين ينكرون وجود الله يقولون هذا من المستحيلات . واذا أعدت عليهم الكرة وسألتهم ، اذا فما بالكم بخالقكم لا تؤمنون ؟ سكتوا ولم يستطيعوا أن يجيبوا على ما يفترون (او لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) .

اما تلك الطالبة الجامعية التى تريد أن ترى الله وتلمسه كما حدثتنا عنها الصحف فيما حدث بالجامعات ، فنقول لها ان موسى عليه السلام عندما اراد أن يرى ربه قال له سبحانه وتعالى : (لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) ألا فلنستمع الى القصة كاملة كما يحدثها سبحانه وتعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) .

ويحدثنا القرآن الكريم عن بنى اسرائيل الذين اشترطوا لايمانهم أن يروا الله جهرة (واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) .

ولم نذهب بعيدا وكل انسان به من الاحساس الخاص الذى ينبعث من ذات نفسه حيث لا سيطرة للحواس الخمس ان هناك اله سواء اعترف هو بذلك صراحة أم لم يعترف ، بل هناك من صميم نفسه هاتف خفى يناديه منذ ان دبت قدماه على سطح الارض

أن هناك اله . وهذا النداء الخفى الذى ينادينا أقوى من هذه الحواس الخمس ، فهوى يرى ما لا نراه بعيوننا ويسمع ما لا نسمعه بأذاننا ويحس بما لا تحس به حواسنا ، وهكذا يوحى الينا بما لا نحس ولا ندرك بحواسنا المعروفة أن هناك اله .

وانى لاذكر شخصية كان لها من الحياة كل ما تريد وتتمنى بل واكثر مما تريد وتتمنى : لا ينقصها المال فتشكو الفقر ، ولا تنقصها الصحة فتطلب من الله العافيه والصحة ، ولم تحرم من البنين والبنات ، فتدعو الله أن يجعل لها من لدنه وليا . وهكذا عاشت لا تخشى شيئا ، ولا تطلب شيئا ، ولا تسجد لله شكرا ، حتى اذا بلغت منتصف العقد الخامس من العمر ، وفى احدى الرحلات الجمل الذى كان يقله ، وأصيبت رجله اليمنى بكسر ، صرخ على أثره من شدة الالم للمرة الاولى فى تلك الحياة الناعمة ، عندئذ قالها من غير وعى أو تفكير « يارب » وهكذا ينطلق ذلك النداء الخفى من أعماق النفس دون ما سيطرة لعقل او لفكر او لحواس فيقول «يارب» . يحدثنا القرآن الكريم فيقول (**واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا اوقائما فلما كشفناعنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين بما كانوا يعملون** ! .

ولعل هذا دليل على ما فى النفس البشرية من نزعة خفية تدعوها دائما الى الايمان والى الاتجاه الى الخالق الذى خلقها فسواها ، ورزقها واحياها ، وسبحانه وتعالى حين يقول : (**ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**) .

هناك من الحقائق العلمية وما أكثرها عندما نسمعها نصدقها دون أن نناقشها فنحن نسمع عن الفضاء وما فيه وفينا من لم ير في حياته منظارا قط ، ونحن نسمع عن الذرة وما بها من الكترونات وما يختزن بها من طاقة وفينا لم يدرس الطبيعة او الكيمياء ، ونحن نسمع من يتحدث عن سرعة الصوت بل ان فينا من يؤمن بكل ما هو مكتوب ويتخذه كأنه حقيقة ثابتة لا جدال فيها ولا نقاش . ولكن عندما نقول لهؤلاء ان الله موجود ينكرون ويتناقشون فهم يؤمنون بما يقوله علماء ولا يؤمنون بما يقوله الانبياء . والايمان الدينى كالايمان العلمى فمن العلماء من يرى ويؤمن بما يرى ويحدث الناس عما رأى فيصدقه الناس ويؤمنون بما رأى . فاذا كان للعلماء معاملهم ومعادلاتهم فللانبياء سبيلهم واستعدادهم وتكوينهم وشفافيتهم وصفائهم فهم يرون ما لا يستطيع الرجل العادى أن يراه فهم مهيئون لتلقى الرسالة وهم فى مستوى حسى يفوق أى مستوى حسى نعرفه . وان من يريد أن يعرف الله بنفس الطريقة التى يتعرف بها على جار أو صديق أو قريب فانه مما لا شك فيه لم يرتفع بتفكيره الى أكثر من مستوى الطفل الصغير الذى رأى مركبا تسير فى الماء فيحاول هو أن يمشى على الماء بنفس الطريقة التى يمشى بها على الارض ، أو عندما يرى الطير تسبح فى السماء فيحاول أن يحذو حذوها فيطير كما تطير والقرآن الكريم لا يتركنا نسلك مسلك ذلك الطفل الصغير بل يدلنا على الطريق الذى يجب أن نسلك والسبيل الذى يوصلنا الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيقول (**أو لم يسيروا فى الارض فينظروا**) .

(قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) .

(سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) .

(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها أن فى ذلك لايات لقوم يعقلون . ومن اياته أن تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون) .

ولهذا فان من يريد أن يؤمن كما آمن الانبياء والرسل لابد وأن يسلك ذلك الطريق الذى سلكوه فيهيىء نفسه وقلبه ويبذل جهدم ونفسه حتى يصل الى ما وصلوا اليه فيفكر كما فكروا ويطهر نفسه كما طهروا ويصفو كما صفوا حتى أصبحت نفوسهم هى الصفاء أو أصفى من الصفاء . ولنا فى ابراهيم عليه السلام قدوة حسنة فهو فكر وبحث وأجتهد فنظر الى السماء ونظر الى الارض وتطلع الى النجوم وفكر فى القمر وجذبته الشمس بنورها ووضوحها ولكنه كان فى كل مرة يعود الى ما كان عليه فلا يرى فى كل ذلك ما يريد فيتوجه الى الله الذى خلق كل هؤلاء ، الذى خلق الدنيا كلها وما فيها فآمن عن عقيد وامتلا قلبه بنور الايمان **استمعوا لقوله سبحانه وتعالى وهو يحدثنا عن محاولات ابراهيم عليه السلام وكيف آمن بعد أن نظر وفكر :**

وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الافلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) .

وهكذا يؤمن ابراهيم عليه السلام ايمانا لا لبس فيه ايمانا بمن خلق الارض والسموات العلى . وعندما يؤمن ابراهيم عليه السلام ويطمئن بايمانه ويمتلىء

قلبه بنور الايمان ونور اليقين فتمتلىء نفسه بالقوة ويزداد بمعرفة ربه رفعة وعزة فاذا به يقف بين قومه وحيدا يناقشهم فيما يعبدون من أصنام ويدعوهم ان يروا ما رأى فيعبدون ربا واحدا ويكون نقاش ويكون حوار وقصة ابراهيم عليه السلام مع قومه ومع اصنامهم التى حطمها بلزمهم الحجة معروفة وعندما يسألونه عمن فعل هذا بآلهتهم (**قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون**) وهنا يشتد الخلاف وتأخذهم العزة بالاثم ويقولون (**حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين**) .

ونحن ابراهيم امرهم بربه - يتحرج ولا يخاف ولا يلين ولا يراجع مؤمنا برحمة ربه التى لابد ان تدركه فيقول سبحانه وتعالى (**يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين**) .

واذا ما تحدث عن الايمان فلنذكر محمدا عليه الصلاة والسلام وهو فى مكة المكرمة معتكفا فى غار حراء يحمد ويتعبد ويدعو الله ان ينير له الطريق ، طريق الهداية وطريق الرشاد فتنجلى الظلمات التى تعيش فيها مكة من عبـادة للاصنام وشرك بالله وجاهلية قاتمة مميتة وعصبية بغيضة ويتجه صلوات الله عليه الى ربه مفكرا متعبدا داعيا الله ان ينير له الطريق طريق الهداية وطريق الرشاد وهو يقول (يا رب هذا الكون . يا خالق هذه السموات ، يا خالق الشمس والقمر والنجوم ، يا خالق هذه الارض وهذه الجبال ، يا ربى وخالقى وخالق الكائنات اريد وجهك اريد وجهك) .

ويستجيب الله الدعاء وبينما هو كعادته فى الغار وقد صفت نفسه وامتلا قلبه بالنور الالهى فأصبح قلبه كله نور فيرى ضوءا عجيبا ويسمع حديثا غريبا ويهبط عليه الوحى ويأتيه الروح الامين ليقول له « اقرأ » فيقول الرسول الكريم (ما أنا بقارىء) ويقول الرسول صلوات الله عليه (فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى وقال اقرأ فقلت ما انا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى وقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة ثم ارسلنى فقال (**اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم**)

● وهكذا يقول سبحانه وتعالى اقرأ يا محمد باسم ربك ومن هو هذا الرب هو الذى خلق الانسان من علق ، هو الله الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم . وهكذا يدعوه سبحانه وتعالى الى الايمان بربه ومعرفة ربه عن طريق العلم والمعرفة .

ويبتدىء النبى دعوته بدعوة صريحة واضحة لالبس فيها ولا ابهام لان ما أنزل اليه لا لبس فيه ولا ابهام (**يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا**) ويلقى النبى ما يلقى ويلقى أصحابه ما يلقون ولكنهم آمنوا فأصبحوا مؤمنين .

ثم ها هو عمه أبو طالب الذى كفله ورباه وقد آتاه أبو جهل يقول له (يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا . . وان ابن اخيك قد عاب ديننا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيك امره) ويسير النقاش كما تحدثنا كتب السيرة الى ان يعرضوا عليه عمارة بن الوليد يتخذه ولدا بدلا من ابن اخيه ويرفض ابو طالب ان يأخذ عمار ويعطيهم محمدا ليقتلوه ويذهب ابو طالب الى محمد عليه الصلا والسلام . ويقول (يا ابن أخى ان قومك قد جاءونى فى أمر هذا الدين الذى جئت به واجمعوا على قراعى وعدوانى فابق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر ما لا اطيق) فيقول عليه الصلاة والسلام وهو الحريص على ارضاء محمد الذى كفله ورباه ثم هو بعد ذلك المدافع عنه وحاميه (**يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ما تركته**) .

ويبكى أبو طالب ، ويسأله محمد عليه الصلاة والسلام عما اذا كان خاذله هو فيقول الشيخ كلا **اذهب يا ابن أخى وافعل ما أحببت فوالله لا اسلمك لشىء ابدا** .

ثم ها هى قريش ترسل الى محمد رسولهم ليقول له : يا محمد انا واللات ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما أدخلت على قومك . فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب ما لا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثر مالا وان كنت تريد به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا . وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك بذلنا لك من اموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فهل هذا شأن من يملك أمر نفسه او من يدعى بأنه أوحى اليه ولم يوحى اليه وها هى الدنيا كلها وهذا هو الملك يعرض عليه من غير تعب أو نصب وها هم يريدون ان يولونه عليهم ويعطونه ما يريد وأكثر مما يزيد ، تسليم مطلق من غير قيد أو شرط وما على الرسول الا أن يقول نعم فيكونون طوع بنانه . ولكنه رسول الله حقا ليس مدعيا ولا كاذبا ولكنه مؤمن برسالة مأمور بها من بيـده امر كل ما فى الدنيا والاخرة فيقول (**ما بى ما تقولون ما جئت بما جئتكم به اطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وأمرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به تلتم حظكم من الدنيا والاخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم**) .

هذا هو الايمان الحق الذى مبعثه الرؤيا الصادقة والمعرفة التامة التى وصلت اليه تلك النفس المطمئنة الصافية

الأمم الصالحة للبقاء هي التي صلحت أخلاق بنيها

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

الادب والاخلاق طريق الخير والفلاح ، والاخلاق هى كيان المجتمع وعماد الامة الراقية وسياجها الواقى الذى يحفظ عليها مقوماتها ودعامتها القوية التى ترتكز عليها حيث تنطلق الى المجد وتنبعث الى الخير وتصعد الى ذروة الفخار ، وترتفع الى سنام الشرف وتصل الى زعامة الامم وقيادة الشعوب ، فبالاخلاق تنتظم الاسر ويصلح المجتمع وتستقيم الحياة وتسود الامم .

انما الامم الاخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

فالامم الصالحة للبقاء والصالحة للحياة هى التى صلحت أخلاقها وصفت من علائق الشرور طباعهم وتطهرت من لوثة الفساد نفوسهم ونظروا الى معالى الامور ، وحامت بهم الحياة وتسجوا خيوط رفعتهم بأيديهم وحاكوا عروتهم الوثقى الى أملهم المرتجى بقوة سواعدهم ، شعارهم العمل المتواصل من اجل وطنهم ومن اجل أمتهم ومن اجل حياتهم ، رائدهم الحق وقانونهم قول الشاعر :

لسنا وان احسابنا كرمت
يوما على الاباء نتكل
نبنى كما كانت اوائلنا
تبنى ونعمل مثل ما عملوا

عمل متواصل من أجل الحفاظ على مقدسات الامة وعلى الحياة التى تعيشها هذه الامة حتى نبنى لانفسنا حصنا متينا قويا أمينا ، يقى اخلاقنا من التحلل ويحفظ علينا تراثنا الروحى : « فحسن الخلق نصف الدين » .

والعمل المثمر والجهد المتواصل سبيل الى هذه الغاية فما من أمة ساءت أخلاقها وفسد ذوقها ، الا تداعت عليها الاسم كما تداعى الاكلة الى قصعتهم واجتمع الاكلة الى طعامهم وصارت نهبا للشعوب وفريسة للذئاب يقتسمونها

فاذا غرق الشباب فى بؤرة الرذيلة وانغمسوا فى حمأة الشهوات وتبرأوا من الاخلاق وعاثت بهم الارض فسادا فقد سلبت منهم أسمى مقدساتهم ، وصار أمرهم الى خراب وتباب وسطا عليهم الغير فسلبهم حريتهم وتحكم فى رقابهم وسامهم الخسف والعذاب والهوان ، وحقت عليهم كلمة العذاب وهذا هو حال الامم الغربية فانهم وان كانوا قد استعمروا العالم ورفرفت حضارتهم على الدنيا وملات احوالهم بالخير وأظللتها بمباهجها وزخارفها ، فانما ذلك الى امد محدود وزمان معدود ، ثم يتلاشى سلطانها وينكمش ظلها وتغرب شمسها ، ويأفل نجمها ،وذلك لايكون الا لعدم تمسكهم بالفضيلة وعدم انسجامهم مع المثل العليا ، وعدم ان ماجهم مع الاخلاق الكريمة اما الامم العربية وحياتها الزاهرة فسيزداد عزمها ويمتد سلطانها وتشرق شمسها وتلمع فى الافق حضارتها وستظل رايتها دائما خفاقة فى أنفة وعزة وكبرياء وعظمة كما كانت أبدا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأيامه الزاهرة وحياته الباهرة والخلفاء من بعده حيث الفتح الاسبانى وحضارة الاندلس التى نقلها عنا الغرب وترجم حياتها الى عمل والى فتوحات وكل هذه المفاخر وهاتيك الامجاد وتلك الحياة الزاهرة وتلك الانتصارات التى سجلها التاريخ على صفحات من نور بفضل الغرس الاسلامى والحياة الكريمة الذى وضع بذرته سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعضدنا عليه بالنواجذ وتمسكنا به كتمسكنا بالحياة وشددنا عليه مابقيت الدنيا وسيظل هذا الغرس معطيا ثماره خالدا خلود الاسلام لاتنال منه الشرائد والخطوب لحظة من حياة أسرع خطرة من لحظة العين وهى العواقب والجامعة بين ماغاب وما حضر والميزان الشاهد على مانفع وضر ، والقلب كالمملى للكلام على اللسان اذا نطق واليد اذا كتبت ، والعاقل يكسو المعانى وشى الكلام فى قلبه ثم يديها فى الفاظ فى أحسن زينة .

١٣٧ ـ وأما الاستاذ « أحمد طه السنوسى » فقد كتب بحثا مقارنا عن « عقد التأمين فى التشريع الاسلامى » نشره فى مجلة الازهر « المجلد الخامس والعشرون ص ٢٣٢ ، ص ٣٠٣ .

وقد قارن الاستاذ السنوسى فى هذا البحث بين التأمين من المسئولية وعقد ولاء الموالاة ، وانتهى الى أنه لا يرى بأسا فى جواز ذلك التأمين ، لان أركانه تتفق وأركان ولاء الموالاة ، فهل يشبه التأمين من المسئولية ولاء الموالاة حتى يمكن اتخاذ ذلك الشبه ذريعة ومستندا لجواز هذا النوع من التأمين ؟

١٣٨ ـ ان ولاء الموالاة عبارة عن رابطة تنشأ بين اثنين بتعاقد اختيارى على أن يعقل كل منهما عن الاخر جناياته الموجبة للمال ، وأن يرث كل منهما الاخر اذا مات قبله ، وقد يكون ملتزم العقل والنصرة احدهما ، وهو اقواهما فى مقابلة ان يرث المعقول عنه بعد موته (انظر المواريث علما وعملا للشيخ أحمد ابراهيم ص ٢٤) فهو رابطة بين فردين أحدهما ـ غالبا ـ أقوى من الاخر ، وتقوم العلاقة بينهما على أساس ان كلا منهما يضمن جناية الاخر المالية وأنه يرثه اذا مات قبله ، كما يمكن ان تقوم العلاقة على أساس ان مولى الموالاة يعقل عن الاخر اذا جنى ، بأن يدفع الدية فى مقابل أن يرث المعقول عنه اذا توفى غير مخلف وارثا قط .

١٣٩ ـ وهذا الولاء كان من أسباب الارث فى الجاهلية ، فقد كانت ظروف الحياة فى هذا العصر الذى لا يعرف الا القوة ولا يخضع لقانون أو نظام تستدعى مثل هذا النوع من التحالف والتناصر ، فلما جاء الاسلام أقره واعترف به بعد أن هذبه وحظر ما يخالف قواعده ، فقد كان الرجل يحالف الرجل فى الجاهلية فيقول له : « هدمى هدمك ، ودمى دمك ، وترثنى وأرثك » فالتناصر كان يقوم على الحق وعلى الباطل ، وكان الرجل يرث الرجل دون أقربائه ، فنهى الاسلام عن النصرة فى سبيل الباطل ودعا الى العدل والقسط مع الجميع ، والا يرث الحليف الا عند فقد ذوى الارحام (انظر احكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٨٥ ط تركيا) .

١٤٠ ـ غير ان الفقهاء اختلفوا فى كون ولاء الموالاة سببا من أسباب الارث فالجمهور ومنهم الشافعى ومالك وابن شبرمة والثورى والاوزاعى وأحمد ، لا يرى أن ولاء الموالاة من أسباب الارث ، فقد نص الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم على أن ذوى القرابات بعضهم أولى ببعض فى الارث « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » **ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خص الولاء بنوع واحد ، وهو ولاء العتاقة ، فقد قال « انما الولاء لمن اعتق »** .

ولكن أبا حنيفة وأصحابه يرون أن هذا الولاء من أسباب الارث لان الاسلام أقره ، قال تعالى : **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** » يعنى ان حلفاءكم الذين عاقدتموهم على النصرة والارث آتوهم نصيبهم من الميراث بمقتضى تلك المعاقدة (المواريث علما وعملا ص ٢٦) على أن هذه الاية لا تتعارض مع الاية التى نصت على أن ذوى القرابات بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ، لانها جعلت ذوى الارحام أولى من المعاقدين الموالى ، فمتى فقد ذوو الارحام انتقل الارث الى المعاقدين الموالى ، فمرتبتهم متأخرة عن أولئك وعن مرتبة مولى العتاقة أيضا وعصبته ، واذا انتفى التعارض وجب اعمال النصوص كل فيما يخصه . (المرجع السابق ص ٢٧) .

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الولاء لمن اعتق الحصر فيه أضافى لا حقيقى ، وذلك أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها لما اشترت بريرة واشترط أهلها الولاء لهم ، قال الرسول هذا الحديث ، أى أن البائع اذا اشترط على المشترى

اذا اعتق رقيقه الذى اشتراه منه ، أن يكون ولاء العتق للبائع لا للمشترى المعتق ، فهذا شرط باطـل ، فقرينة المقام تبين ان المراد بالولاء هنـا ولاء العتق ، وأن القصر قصر أضافى .

١٤١ ـ ومع تباين آراء الفقهاء حول هذا الموضوع واعتباره سببا من أسباب الارث ، أو عدم اعتباره فما الصلة بينه وبين التأمين من المسئولية ؟ ان التأمين من المسئولية عقد به يتعهد المؤمن بضمان الخسائر التى قد تلحق بالمستأمن ، بسبب رجوع الغير عليه بدعوى المسئولية المترتبة على خطئه أو فعله ، ولا يضمن هذا النوع من التأمين الا المسئولية المدنية ، أما المسئولية الجنائية فمستبعدة من نطاقه حتى بالنسبة لنتائجهـا المالية كالغرامات ، اذ يتعارض التأمين عليها مـع شخصية العقوبة .

فهذا التأمين عبارة عن تعهد الشركة بالقيام بدفـع الخسائر المالية التى يتعرض لها المستأمن نتيجة لفعل غير مقصود ، وذلك فى مقابل قيام المستأمن بدفـع الاقساط التى تحددها له الشركة دون انقطاع ، فما أوجه الشبه بين هذا التأمين وولاء الموالاة ؟

١٤٢ ـ يقول صاحب البحث الاستاذ طه السنوسى ان عقد ولاء الموالاة تتفق أركانه وعقد التأمين من المسئولية ، فهو أولا عقد بين طرفين : أولهما : مولى الموالاة ويقابله المؤمن ، وهـو شركة التـأمين ، وثانيهما: المعقول عنه ، وهو المستأمن ، أو المؤمن له ، وهو يتضمن ثانيا عنصر العوض المالى الذى يلتزم المؤمن (وهو مولى الموالاة) دفعه عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وهو يتمثل فى الدية ، أو التعويض عن الجريمة التى نتج عنها الضرر للغير المستحق له كمـا هو الحال فى المسئولية عن الاضرار الناشئة من ارتكاب جريمة تترتب عليها الغرامة المالية ، وهو يتضمن ثالثا عنصر « المقابل المالى » الذى يحصل عليه **(مولى الموالاة)** (المؤمن ، مقابل تحمله تبعة الخطر وهو يتمثل فى مال التركة الموروثة ، اذا توفى عنـه **(المعقول عنه) المستأمن غير مخلف وارثا قط .**

١٤٣ ـ والذى يبدو من الناحية الشـكلية ان اركان عقد ولاء الموالاة تتفق مع أركان عقد التأمين من المسئولية أو تشبهها ، ولكن الناحية الموضوعية تبرز تباين هذين العقدين لما يأتى :

أولا : عقد ولاء الموالاة يكون بين فردين ، وعقد التأمين من المسئولية اذا اعتبر عقدا بين فردين كان مقامرة ورهانا ، لان انتقال تبعة الخطر من فرد الى فرد ـ فى نظر فقهاء التأمين لا يؤدى اية فائده للمجتمع ، ويكون قمارا ، وعقد الموالاة لا يمكن أن يعتبر قمارا ، وان كان بين فردين ، لانه يقوم على الترابط برباط القرابة والتناصر الادبى ، ثم تكـون نتائجه المالية من ثمرات ذلك .

ثانيا : هل فى ولاء الموالاة معنى المعاوضة التى تعتبر فى تأمين المسئولية من خصائص العقد ؟

يقول شمس الائمة السرخسى فى المبسوط جـ ٨ ص ٩٣ : وليس فيه (أى فى ولاء الموالاة) معنى المعاوضة بل احدهما متبرع على صاحبه بالقيام على نصرته وعقل جنايته والاخر متبرع على صاحبه فى جعله اياه خليفته فى ماله بعد موته » .

ولكن لماذا اعتبر فقهاء المذهب الحنفى هذه الرابطة لا تتوافر فيها معنى المعاوضة ؟

يبدو أن السبب فى هذا نظرتهم الى أن القصد من هذا العقد هو الحماية والنصرة ، وليس الغـرض الاساسى منه المعاوضة المالية ، لذلك « فموالاة الصبى باطلة ، لان بالعقد يلتزم نصرته فى الحال ، والصبى ليس من أهل النصرة ، ولهذا لا يدخل فى العاقلة ، وهو ليس من أهل الالتزام » (المبسوط جـ ٨ ص ٩٥) ، كما يؤكد هذا المعنى ما وضعوه من شروط لهذا العقد « ومنها الا يكون (أى المولى) من العرب ، حتى لو والى عربى رجلا من غير قبيلته لم يكن مولاه ، ولكن ينسب الى عشيرته ، وهم يعقلون عنه ، وانما تجوز موالاة العجم ، لانهم ليس لهم قبيلة فيتناصرون بها ، فتجوز موالاتهم لاجل التنـاصر : « (بدائع الصنائع للكاسانى جـ ٣ ص١٧١) .

فهذا صريح فى أن ولاء الموالاة الغرض منه حماية الضعيف ونصرة من لا عشيرة له ولذلك يجوز انتقال هذا الولاء اذا لم يحقق القصد منه . كما أن من شروط هذا العقد أن يكون (أى المولى) مجهول النسب (فتح القدير جـ ٧ ص ٢٨٩) لان معرفة النسب سبيل الى تحقيق الحماية والنصرة عن طريق الاهل والعشيرة فلا تكون هناك فائدة من هذا الولاء .

١٤٤ ـ وما دام ولاء الموالاة لقصد الحماية والنصرة ، وما دام الاسلام قد أقره ، فان الراجح ـ كما يذهب جمهور الفقهاء ـ أن هذا الاقرار كان تدرجا فى التشريع ، فالعرب فى الجاهلية قد ألفوا هذا العقد ، فلم ينزع الاسلام الناس من مألوف عاداتهم دفعة واحدة ، فلما سكن الايمان فى القلوب ونزلت آيات المواريث ، وآخى الاسلام بين المسلمين ، وأصبحوا بهذا الاخاء كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ـ أصبح ولاء الموالاة لا موضوع له ، والشروط التى اشترطها الفقهاء الذين يقولون بهـذا الولاء ، تؤكد أنه الان أصبح لا موضوع له ، فمن شروطهم بالاضافة الى ما سبق ـ ألا يكون للمولى ولاء عتاقة ، ولا ولاء موالاة ، وقد عقل منه ألا يكون له وارث (بدائع الصنائع جـ ٣ ص ١٧١ وحاشية ابـن عـابدين جـ ٥ ص ٨٧) . فهذه الشروط مجتمعة لا تجيز هذا الولاء الا مع شخص لا يعرف نسبه ، وليس عربيـا ، ولا وارث له قط ، وليس له ولاء عتاقة ولا ولاء موالاة ، فهل يمكن اليوم وجود من تتوافر فيه هذه الشروط ؟ وماذا يقصدون بكونه غير عربى ؟ هـل يقصـدون بالعروبة عروبة اللغة أو عروبة الاصل ؟ وما حدود معرفة النسب ؟

ان هذه الشروط كان يمكن توافرها فى العصر الجاهلى وفى صدر الاسلام أما اليوم فمن المغـالاة الدعوى بأن عدم وجود ولاء الموالاة من زمن بعيد لا

يمتنع من وجوده فى المستقبل (المواريث علما وعملا ص ٢٨) .

ونحن نسلم بأنه كان له حكم وقت ان كان موجودا ، لكنا أسلفنا أن هذا الحكم كان تدرجا فى التشريع ، وانتهى بانتهاء زمنه .

١٤٥ ـ والمادة التى سبق ايرادها عن موضوع الولاء وتأمين المسئولية يمكن أن تعطى النتائج التالية :

اولا : لا علاقة بين عقد ولاء الموالاة وعقد التأمين من المسئولية ، والقول بأن ذلك العقد يكاد يكون نصا فى عقدة التأمين هذا فيه تجاهل لحقيقة الولاء التاريخية فضلا عن تباين طبيعة العقدين من حيث الغاية والاساس الذى يقوم عليه ، فعلى حين يقوم ولاء الموالاة على نصرة الضعيف وحمايته والذب عنه واعتباره من الاسرة أو القبيلة يقوم التأمين من المسئولية على فكرة المبادلة المالية البحتة على أساس احتمالى ولغرض تجارى .

ثانيا : الرأى القائل بأن ولاء الموالاة ليس سببا من أسباب الارث رأى عملى واقعى ، لان هذا الولاء لا وجود له من زمن طويل ولا يمكن وجوده فى المستقبل وما وضعه الفقهاء من شروط لوجود هذا الولاء يؤكد هذا ، هذامن ناحية ومن ناحية اخرى لم يقر الاسلام ولاء الموالاة الا باعتباره تدرجا فى التشريع وما جاء به الإسلام من مبادىء قويمة لبناء مجتمع متماسك قوى ، يتعاون على البر والتقوى ويتناصر فى سبيل الخير والمعروف ويبرأ أفراده من سمات الفردية أو الانعزالية يجعل هذا الولاء الذى نشأ فى مجتمع يعيش على السطو والنهب والكر والفر ونصرة الاخ ظالما أو مظلوما ـ يجعله غير ذى موضوع .

١٤٦ ـ اما قوله تعالى : « **والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** » فان هذه الاية ليست نصا فى ولاء الموالاة ، كما أنها ليست منسوخة بقوله تعالى :

« **وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** » وقد ساق الامام الطبرى فى تفسيره جـ ٥ ص ٣٣ طـ بولاق آثارا كثيرة فى تأويل قوله تعالى : والذين عقدت أيمانكم ، بعضها يذهب الى ان الاية كانت تدل على الميراث بالحلف ، ثم نسخ ذلك بقوله : واولوا الارحام .. الاية ، وبعضها الاخر يذهب الى غير ذلك وأن المقصود بالنصيب فى الاية هو النصرة والنصيحة والرأى دون الميراث ، ثم قال بعد أن أورد هذه الاثار : فالواجب أن يكون الصحيح من القول فى تأويل قوله : والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ، وهو ما ذكرنا من التأويل ، وهو أن قوله عقدت أيمانكم من الحلف ، وقوله فآتوهم نصيبهم من النصرة والمعونة والنصيحة والرأى على ما أمر به من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاخبار التى ذكرناها عنه دون قول من قال **فآتوهم نصيبهم من الميراث ، وأن ذلك كان حكما ثم نسخ بقوله : واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله دون ما سوى القول الذى قلناه فى تأويل ذلك ، واذا صح ما قلنا فى ذلك وجب أن تكون الاية محكمة لا منسوخة .**

واذن فآية « **والذين عقدت أيمانكم ..** » محكمة لا منسوخة ولا تعارض بينها وبين قوله تعالى : « **وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** » وهى عامة فيما تدل عليه من احترام العهود والمواثيق فى كل زمان ومكان ، ومن الاعتساف فى القول أن تقصر على لون معين من الحلف ـ حتى لو كان هو السبب المروى لنزولها ـ لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ويقوى هذا أن آيات المواريث قد حددت أنواع الورثة وأنصباءهم فلا سبيل لميراث غير ما جاءت به هذه الايات ، وان الاخوة الاسلامية فوق احلاف الجاهلية ولو كانت صالحة ، وأن الاسلام قد سوى بين المؤمنين وأن التقوى والعمل الصالح هما سبيل الخير والفضل فلا فضل لعربى على أعجمى ولا لابيض على أسود الا بالتقوى« **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** » **فالمسلمون سواسية كأسنان المشط ، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .**

ولهذا لا يكون ولاء الموالاة الا بين أعجمى وعربى ليكون للاعجمى درع أمان ووسيلة حماية بين العرب ـ هذا الولاء لا مكان له فى مجتمع الاسلام ، لانه مجتمع لا يعترف باختلاف الاجناس والالوان ، مجتمع تحكمه خلال البر والرحمة ، وينعم فيه الجميع بالحياة الحرة الكريمة .

١٤٧ ـ **وللاستاذ الشيخ** « عبد الرحمن عيسى » المدير السابق لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالازهر ، كتاب عن « المعاملات الحديثة وأحكامها » تعرض فيه للكلام عن التأمين ، فقسمه قسمين : تأمين تبادلى ، وتامين تجارى ، وقال عن الاول انه جائز شرعا ، بل مرغب فيه ، لانه من قبيل التعاون على درء الكوارث والشدائد ، ثم ذكر أن هذا النوع من التأمين يشبه الجعل الذى لا يعود على الجاعل منفعته ، كمن قال لشخص : ان صعدت هذا الجبل فلك كذا ، وبين أن هذا الموضوع محل خلاف فى المذهب المالكى ، ولكنه يميل الى الرأى الذى يرى صحة الجعل على عمل لا يعود على الجاعل منفعته ، واستخلص من هذا أن كل فرد فى التأمين التبادلى قد التزم جعلا عند حصول الخطر ، ولو كان ذلك الخطر قد نزل بغيره ، وهذا جائز .

ولكن الموضوع لا يحتاج الى هذا التخريج ، ولا صلة بين التأمين التعاونى وصورة الجعل الذى لا يعود على الجاعل منفعته ، وكان يكفى لتوجيه رأيه ما أشار اليه من ان هذا التامين من قبيل التعاون والتضامن ، على أن الشريعة اذ تدعو الى التعاون ـ على اختلاف صوره وألوانه ـ لا تحرم منه من لم يدفع شيئا ، فهل يعم التأمين التبادلى بوصفه تعاونا من لا يدفعون أيضا ؟ ان واقع هذا التأمين يؤكد عكس هذا *فالتعاون فيه اذن ليس هو التعاون الكامل الذى يدعو اليه الاسلام ويرتضيه .*

١٤٨ ـ أما التأمين التجارى ضد أخطار الملكية والمسئولية المدنية فقد حكم عليه بأنه مباح شرعا ، لانه

يخدم الصالح العام ويحفظ الكثير من الناس ثرواتهم، ويدرأ عنه الكوارث المالية الخطيرة ويحقق أرباحا للشركة ، فهو عملية اقتصادية تخدم الطرفين ، وقد تعاقدا عليها برضاهما التام (المعاملات الحديثة ص ٩٠) .

وهذا الحكم على اطلاقه غير مسلم ، لان فيه تجاهلا أو تناسيا لكثير من الحقائق الهامة التى تتعلق بهذا التأمين ، فهو يقوم على أسس لا تحقق المساواة بين الطرفين ، لانه عقد اذعان يملى فيه الطرف القوى وهو الشركة شروطه على الطرف المذعن ، وهو المستأمن ، وأيضا فهو عقد من عقود الغرر ، والغرر فيه من النوع المنهى عنه لانه عقد احتمالى ، كما أن فى هذا التامين لـدى الشركة أموال المستأمنين وتقوم باستغلالها ، وتحصل عن طريقها على ربح وفير ، فهو من هذه الناحية يمثل خطرا احتكاريا واقتصاديا يضر بالصالح العام ، كما أكد ذلك بعض فقهاء الاقتصاد ، ثم ما طبيعة هذا الالتزام فى التأمين التجارى ، وهل يتفق مع قواعد الشريعة ومبادئها العامة ؟ وهل رضا الطرفين دائمايدعو الى الحكم بالجواز شرعا على تصرفاتهما ؟ .

أما الفوائد التى أشار اليها فان التأمين باعتباره فكرة اجتماعية ، تعاونية يحقق تلك الفوائد وأكثر منها ، ولكنه اذا صار عملا تجاريا صاحبته شوائب متنوعة ، ومثل خطرا اقتصاديا عاما ، ولم يحقق رسالة التأمين على الوجه الاكمل .

١٤٩ ــ ويتناول الشيخ عبد الرحمن عيسى التأمين على الحياة فيقرر أنه جائز اذا كان تأمينا مختلطاوغير جائز اذا كان عاديا ، والفرق بينهما أن التأمين المختلط تأمين يتعهد المؤمن فيه بدفع عوض التأمين للمؤمن عليه شخصيا ان كان حيا بعد مضى مدة التأمين أو الى المستفيد ان توفى قبل مضى المدة وأما العادى فهو تأمين يتعهد المؤمن بموجبه بأن يدفع مبلغا معينا اذا توفى المؤمن عليه خلال مدة معينة فان مضت المدة ولم يتوف المؤمن عليه برئت ذمة المؤمن ، ولهذا يكون القسط فى التامين المختلط مزدوجا قسط للتأمين وقسط للادخار ، على حين يكون القسط فى التأمين العادى بسيطا ، ويتضح الفرق بين هذين النوعين من التأمين بأن هناك ضمانا فى التأميـن المختلط فى الحصول على عوض التأمين ، بخلاف التأمين البسيط فالعوض لا يدفع فيه الا فى حالة وفاة المؤمن عليه أثناء مدة التأمين .

وهذا الرأى مقيد بأن تكون الاخطار المؤمن ضدها غير خطيرة فان كانت خطيرة فالتأمين جائز فى كلتا الحالتين :

١٥٠ ــ وفى رأينا ان هذه التفرقة بيـن أنواع الاخطار وأنواع التأمين لا وجه لها ، لان التأمين ضد الاخطار التى يظن انها غير خطيرة قد تكون نتائجها أكثر خطورة من تلك التى تعد خطيـرة ، فنتائج الاحداث لا يمكن التكهن بها على أية حال ، والتأمين سواء أكانعاديا أم مختلطا هو تأمين على الحياة ،

والمعتبر فى النظر الى الموضوع هو الفكرة الكلية لا التفاصيل الجزئية ، كما أن هذا التأمين لا يقف عند هاتين الصورتين فان له صورا مختلفة نصت عليهـا كتب التأمين وهى تربو على الخمسين صورة (انظر شرح القانون المدنى الجديد ص ٢١٨) .

١٥١ ــ وأخيرا أورد الشيخ شبهتين على عقـد التأمين :

الاولى : ان العقد شرعا يجب أن يقع على عين أو منفعة مثل البيع والاجارة والاعارة ، وعقد التأمين ليس كذلك ، لانه انما وقع على تعهد وضمانة وهذا لا يعتبر عينا ولا منفعة وقد دفع هذه الشبهة بقوله : ان حصرا لعقد فيما ذكر باطل وأنه يمكن أن يقع على شىء آخر غير العين والمنفعة وهو العمل كعقد الجعالة والاجارة فى الذمة ، وعقد التأمين يخرج على أنه من قبيل الجعالة ، فالشركة التزمت للمستأمن بدفع مبلغ مقدر من المال اذا قام بعمل ، هو دفع مبلغ من المال على نظام خاص ، ولكن هل يعتبر هذا عملا ؟ اننا اذا قارنا عقد التأمين بالجعالة التى يعرفها الفقهاء بأنها التزام مال معلوم نظير عمل معين معلو أو لابسته جهالة كأن يقول شخص : من نقل متاعى هذا الى مكان كذا فله كذا ، أو من رد فرسى الضال فله كذا ــ تبين لنا أن هذه المقارنةغير صحيحة ، لان القسط فـى التأمين لا يساوى العمل فى الجعالة ، وهو مال يدفع من أجل تعهد الشركة بتعويض المستأمن فى حالة الخسارة ، على أن العمل فى الجعالة ليس مقصودا لذاته ، ولكن لما يترتب عليه وينتج عنه ، ولهذا لا يملك الجعل فى الجعالة بالتعجيل ، لان العامل قد يبحث عن الفرس ــ مثلا ــ ثم لا يعثر عليه ، فلا يأخذ شيئا ، ولكن القسط فىالتأمين ركن من أركانه الرئيسية وهو مقصود لذاته وشركات التأمين تحمله نفقات مختلفة وعدم الاستمرار فى أدائه يؤدى الى الغاء العقد أو وقفه .

والشبهة الثانية : أن عقد التأمين من قبيل الضمان ، فيجب أن يتوافر فيه ما يتوافر فى الضمان من ضم ذمة الى ذمة ووجود ضامن ، ومضمون عنه ومضمون له ، وقد خلا عقد التأمين من كل ذلك فيكون باطلا ، فأخذ المال بهذا العقـــد حرام وأكل لاموال الناس بالباطل .

وقد دفع هذه الشبهة ايضا بأن الضمان المقصود فى عقد التأمين ليس هو الضمان الشرعى ، ولكن يراد به المعنى اللغوى الذى هو مطلق الالتزام .

وليس المهم أن يكون الضمان فى عقد التأمين هو الضمان الشرعى أو الضمان اللغوى ، وانما المهم معرفة طبيعة هذا الضمان والاساس الذى يقوم عليه وهل تجيـزه الشريعة ؟ ولمـاذا ؟ فمـا الاساس الـذى يقـوم عليـه الضـمان فـى عقد التأمين ؟ انه فى جميع الاحوال ـ ليس اسلاميا ومن ثم لا تجيزه الشريعة ولا تقره .

العوالم الغيبية

الإيمان بالله

ان الايمان بالله فطرة طبيعية فى النفوس البشرية ، ولكن هناك حجبا عديدة تحجب هذه الفطرة وتكدر صفاءها وتشوه صفحاتها فتنحرف عن طبيعتها فى بعض النفوس المريضة ، فتتنكر للحقيقة الثابتة العظمى وهى الايمان بالله ، وفى هؤلاء يقول الله تبارك وتعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم انهم لصالوا الجحيم ، ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون »

ومن الحجب التى تطمس الفطرة الطبيعية ما يخدع ظاهره بعض الذين يكتفون بالنظرة العاجلة ، ولا يكلفون أنفسهم مشقة البحث العميق ممن قال الله فيهم « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » . ومن أهم الحجب التى رانت على قلوب كثيرين فصرفتهم عن الله :

١ـ نظرية التطور : فقد افترض بعض علماء التطور المحدثين أن المادة تطورت فانبعثت منها قمة ، ومن هذه القمة انبثق الاله ، ويسمون مذهبهم بمذهب الحيوية المنبثقة وخلاصته : أن المادة تتجه الى التركيب والتعقيد وان الحياة تظهر فيها عند التركيب كما تظهر الخصائص الكيماوية من بعض العناصر عند امتزاجها ، وعلى هذا المنوال نشأ العقل الالهى نفسه من المادة الموجودة من قديم الازل ، وبهذا ينتهون الى أن المادة هى التى خلقت الروح ، وأن الكون هو الذى خلق الله ، فكان المصنوع هو الذى خلق الصانع وكأن الموجود هو الذى خلق الموجد ،

وهذا أعجب ما يتخبط فيه العقل بل هو نكسة للطبيعة البشرية ، فكيف تخلق المادة الميتة الحياة ؟ وكيف تبدع المادة العمياء الاله ؟ بل كيف يخلق النقص كمالا ؟ والضعف قوة ؟ والمقيد مطلقا ؟ والمحدود غير محدود « أليس هذا شبيها بمن يقول : ان الجواد يمتطى الانسان !!! وأن الثور يذبحه !!! وأن الفاكهة تأكله !!! وأن الجنين يلد أباه !!! وأن الرضيع يرضع أمه ويرعاها !!! فأى خبال يفوق هذا الخبال ؟ وأى ضلال يفوق هذا الضلال ؟

ان هذا الرأى الغريب ـ اذا صح تسميته رأيا ـ نزوة عند بعض علماء التطور ، أما مذهب التطور نفسه فانه لا ينفى وجود الخالق المبدع للكائنات ، فان « والاس » شريك دارون » فى تأسيس هذا المذهب ونشره يؤمن بالله ويؤمن بالمعجزات ، ويقرر أن ظواهر الانتخاب الطبيعى لا تنطبق على خلق الانسان ، بل ان بعض علماء هذا المذهب يرون بواعث هذا الانتخاب دليلا قاطعا على ابداع الله الخلاق العظيم .

ودارون نفسه قال أكثر من مرة : ان وجود القدرة الالهية أقرب الحلول الى العقل عند النظر الى قضية الوجود كله ، وان كان لا يملك البرهان القاطع الذى يلزم به غيره ويحمله على هذا الاعتقاد ، ثم يذكر المتاعب والالام ، وضروب التعاسة والشقاء التى تحيط بالاحياء كافة فى هذا الوجود مما يدعو بعض الباحثين الى الشك والالحاد ، ثم يعود فيذكر أن بقاء أنواع الاحياء ، ورغبة هذه الانواع فى التوالد

والتكاثر دليل قوى على أن عوامل الشر فى الحياة لا تزيد على عوامل الخير فيها ، وأن أسباب الاقبال على الوجود لا يقل عن أسباب الاعراض عنه والنقمة عليه .

وفاته أن للشر حكمة سامية تجعله باعثا على الخير ومتمما له فى بعض الاحايين . وأنه ضرورى لوجود الخير فى الحياة ، وقد نعالج هذا الموضوع فى بحث آخر ان شاء الله .

على أن كبار الباحثين من العلماء المعاصرين يرون فجوات عديدة فى نظرية التطور تكاد تعرضها للانهيار . وان كانوا يؤمنون بقاعدة « البقاء للانسب » التى انبثقت من نظرية التطور ومن قانون تنازع البقاء بين طوائف الاحياء ، وقاعدة البقاء للانسب قررها القرآن الكريم قبل داروين بأكثر من ألف وثلاثمائة عام فى قوله تعالى : « **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض** » وقوله تعالى : « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق** » .

ومن أشهر العلماء المعارضين لنظرية التطور : كوفييه وأجاسيز وفيرجو .. وغيرهم ، وأعظم معارضيها فى العصر الحديث البروفيسور فيالتون أستاذ علم الاجنة بجامعة مونبلييه وعميد كليتها الطبية وأعظم علماء التشريح المعاصرين ، وقد أصدر كتابا نقض فيه نظرية التطور اسمه « أصل الكائنات الحية ، أو الوهم التحولى » فى سنة ١٩٣٨ وتم طبعه خمس عشرة مرة فى مدى سنتين من حياة مؤلفه ، وقد قضى فى دراساته وأبحاثه التى ضمنها هذا الكتاب نحو اربعين عاما ، وانتهى من دراساته الى نتائج أهمها : أن لعوامل البيئة والوراثة دخلا هاما فى احداث بعض التغييرات فى بعض الكائنات الحية ، ولكنها لا يمكن أن تحول نوعا منها الى نوع آخر بأى حال .

والعلامة الايطالى روزا يقرر أن الاختيار الاصطناعى فى مدى الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين ، ويعترف العلامة والاس شريك داروين وزميله فى ابتكار نظرية التحول على قاعدة الاختيار الطبيعى أن تحول الفرد الى انسان لا يمكن حدوثه بدون تدخل الهى - ويقول العلامة كاترفاج عالم التاريخ الطبيعى المشهور : « من الغريب أن الجيولوجيا لم تحفظ لنا فى كتابها العظيم الا الحقائق التى تنقض نظرية التحول ، ولم تفقد من كتابها الا الصحائف التى تؤيدها » ، ويقول الاستاذ رينكه : « ان القول الذى يمكن أن يقوله العلم متفقا مع كرامته هو أنه لا يعلم شيئا عن أصل الانسان » ويعلن العلامة ديبرى أكبر علماء الحفريات فى العصر الحديث : اننا يجب أن نعترف بعجزنا عن مشاهدة أو ايضاح كيفية تنوع الفصائل والفروع الاساسية للملكة الحيوانية ، وهذه الانواع لا يمكن ايصال أحدها بالاخر الا بآراء

الأستاذ على عبد العظيم

خيالية وحلقات نظرية ، ويذكر الدكتور هنرى أوسبرن رئيس متحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك فى كتابه « أصل الحياة وتطورها » أنه « من وقت ظهور كتاب أصل الانواع لداروين حتى الان نرانا قد وصلنا فى نهاية الامر الى حالة من الرفض العام لكل مسببات التطور لعدم وجاهتها علميا ، فمن الافضل لنا أن نعترف صراحة بأن الاسباب الرئيسية للتطور ما زالت مجهولة لدينا تماما وأن أبحاثنا تبدأ من جديد » .

على أن داروين نفسه ذكر فى كتابه (الحياة والمخاطبات » ص ٢٥ من المجلد الثالث أنه يوجد على الارض ما يتراوح بين مليونين وثلاثة ملايين من الاجناس ، وعلى الرغم مما بذله ذوو الخبرة من جهود جبارة فى الملاحظة لم يستطيعوا أن يسجلوا حالة تغير واحدة من نوع الى آخر » ولكنه عقب على هذا بأنه يتوقع أن مواصلة البحث ستمدنا بالدليل المطلوب .

وبعد ملاحظات داروين بأكثر من نصف قرن سجل العلامة باتسون - وهو من المؤمنين بنظرية التطور - « أن المساعى المتواصلة المبذولة فى صبر وأناة لم تسفر عن دليل مادى واحد يؤيد تطور الانواع الى أنواع أخرى ، وكل سبيل سلكوه انتهى بهم الى طريق مغلق » ونلاحظ أن داروين لم يذكر تسلسل الانواع من اصل واحد . بل ردها الى اصول مختلفة قليلة العدد سماها « الفروع الاولية » ولم يستطع تعليل منشأ تلك الفروع الاولية .

وأخيرا يقول العلامة برايس : « ان هذه النظرية أصبحت غير ذات موضوع ، وغير مناسبة بسبب

الحقائق التى نعرفها الان » ويقرر العلامة داوسن أن هذه النظرية خالية من البرهان تماما ·

والخلاصة أن هذه النظرية لا تزال محل جدل طويل بين كبار العلماء والباحثين فمنهم كثيرون يؤمنون بها ، ومنهم كثيرون يتوقفون فيها أو يرفضونها ويسوقون لرفضها أدلة عديدة من أهمها :

١ - الصينيون من آلاف السنين يضعون أقدام بناتهم فى أحذية حديدية حتى يعوقوا نموها فتظل صغيرة ، لان صغر الاقدام عندهم من علامات الجمال ، فلو كانت نظرية التطور صادقة لتطورت الاقدام وجاءت صغيرة نتيجة للوراثة ، والى أن الحاجة تخلق العضو ، ولان للبيئة آثارها المحتومة فى التكوين كما تقول النظرية ، ولكن الاقدام هى الاقدام ونسبتها للجسم لم تتغير فى الصين منذ آلاف السنين ·

٢ - تعود اليهود الختان منذ آلاف السنين ، وكان مقتضى النظرية ان يولد الاطفال الان عندهم مختونين ولكن هذا لم يحدث مما يناقض أسس نظرية النشوء والارتقاء ·

٣ - تعودت النساء منذ فجر التاريخ أن يثقبن آذانهن لتعليق الاقراط فيها ، وكان مقتضى النظرية أن يولدن مثقوبات الاذان ولكن هذا لم يحدث على الرغم من مرور آلاف السنين ·

وعلى الرغم مما ذكرناه فقد هلل كثير من المنحرفين لنظرية التطور واعتبروها معارضة قوية لفكرة الاله ، مع أنه لا مجال للتعارض ، فان النظرية - على فرض ثبوتها - لا يمكن أن تناقض فكرة الايمان بالله ، وقد ذكرنا فيما سبق كيف قرر داروين وزميله والاس الاعتراف بوجود الله ·

على أن موضع المناقشة بين علماء الاديان وعلماء الاحياء هو موقف الانسان من عوامل التطور ، فان الكثيرين يتوهمون خطأ أن داروين يجعل الانسان من سلالة القرود ، وما قال داروين بهذا قط ، بل هو يرد الانسان والقرود الى التسلسل من نوع واحد ، على ان داروين وعلماء الاحياء جميعا يقررون ان هناك حلقات مفقودة بين الانسان والقرد ، ولقد ظلوا عشرات السنين يقلبون الارض بطنا لظهر بحثا عن هذه الحلقات ، وكلما عثروا على أثر موهوم أعلنوا البشائر ثم انكشف كشفهم عن بعض العظام لاصناف من القردة العليا ، كما حدث عندما كشفوا ما سموه بانسان جاوة منذ سنوات ·

وجوهر الخلاف ان الديانات السماوية جميعها أشارت الى أن الله خلق آدم وصوره ونفث فيه الحياة ، وأن البشر جميعا من نسله ، وأنه لم يتطور من القردة أو غيرها من أنواع الحيوان على العكس مما يذهب اليه علماء الاحياء ·

واذا ساءلنا هؤلاء العلماء عن الفواصل العميقة بين الاجناس فى سلسلة التطور والارتقاء ، قالوا انها « الطفرة » والطفرة تعليل عاجز عن التعليل ، والا فكيف تمت أو على أى أساس ؟ ولماذا ظهرت فى بعض الحلقات واختفت فى البعض الاخر ؟

واذا ساءلتهم من الذى أوجد الانواع الاولى ؟ ومن الذى بث فيها الحياة ؟ ومن الذى سن قانون التطور ومن الذى اقام قانون تنازع البقاء عجزوا عن الجواب ·

على أن القرآن الكريم - وهو آخر الديانات السماوية واكملها يقرر الحقائق الاتية :

١ - ان الله خلق آدم عليه السلام من صلصال من حمأ مسنون وأنه سواه بيديه ثم نفخ فيه من روحه ، وأنه خلق منه حواء · وأسكنهما الجنة حتى قاما بالعصيان ·

٢ - لما عصى آدم ربه هبط به من الجنة هو وزوجته حواء الى الارض « **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنةوكلامنها رغداحيثشئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضهم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين** » ·

٣ - ان الله سبحانه خلق آدم فى أحسن تقويم وأنه سواه وعدله وكرمه وفضله على كثير من خلقه ثم أعده لخلافته وحمل أمانته ، وانه لم ينتخبه من الحيوانات الدنيا على سبيل النشوء والارتقاء ، قال تعالى للائكته حينما أمرهم بالسجود لادم « **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** » · ألا يدل صريح الايات على أن الله تعالى خلق آدم فى أحد الكواكب ثم أنزله الى الارض تطبيقا لتدبيره الحكيم ليكون آدم خليفة الله فى أرضه وحامل أمانته بين خلقه ؟ وأنه صوره فى صورة مادية تشبه الى حد ما تكوين الحيوان الراقى ليستطيع أن يفهم طبيعة الكرة الارضية وما فيها من مادة ميتة ومادة حية وليستطيع أن يسيطر بحسه وعقله على عالم النبات وعالم الحيوان ؟ وأنه تيسيرا له فى مهمته علمه ما لم يكن يعلم وأنه لقنه الاسماء كلها ليستطيع أن يعمر الارض التى سخرها له ولذريته من بعده « **هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا** »،« **وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار** » ·

ومعنى تعليمه الاسماء أنه عرفه خصائص المسميات « الكائنات »ومزاياها وألهمه كيفية تمييزها باطلاق الاسماء عليها وتحديد خصائصها فان الله سبحانه بفضله «خلق الانسان علمه البيان » ·

ومن هنا نرى ألا تعارض بين الاديان وعلوم الاحياء حتى لو صدقت نظرية النشوء والارتقاء ·· وهى لا تزال موضع جدل حتى الان ·

عالمية الإسلام

بناء الانسان المسلم

الأستاذ أنور الجندي

ان اكبر سعى الاسلام هو بناء الانسان المسلم : سيد الكون المستخلف فى الارض باذن الله بالحق . والمجاهدة لا على اسلوب الترف والرفاهية .

وكان موقع أرض الاسلام بين ملتقى القارات من شأنه ان يجعل اهل الاسلام دوما فى موقف التحدى الدائم والمستمر .

ومن هنا فقد كان لابد ان يبنى الاسلام اهله على نحو يجعلهم قادرين دوما على الصمود فى وجه الغزو ، والوقوف فى وجه الخطر .

ولقد حفل تاريخ الاسلام بصور هذا الغزو على مراحل متعددة وفى دورات متتابعة والمسلمون اليوم يعيشون واحدة من هذه التحديات الخطيرة :

وهو التحدى الصهيونى الذى جاء فى أعقاب الغزوة الاستعمارية امتدادا له . ولذلك فان المذاهب الاجتماعية والنفسية والتى يطرحها الفكر الوافد اليوم فى افق المجتمع الاسلامى انما تستهدف أساسا القضاء على ارادة الصمود ، ومفهوم الجهاد ، وظهور أجيال تومن بالترف والرفاهية والاستمتاع بالحياة فلا تكون قادرة على احتمال مسئولية المواجهة الخطيرة مع قوى الغزو .

وأكبر دعوات الاسلام فى هذا الصدد . الدعوة الى مجاهدة النفس ومعارضة الاهواء ومقاومة اليأس والقنوط حتى تستطيع النفس العربية المسلمة أن تكون قادرة على العمل والصمود . وتأتى الدعوة الى الجهاد فى سبيل الله على رأس الدعوات المحررة للنفس الانسانية من مطامع الحياة وبيع النفس فى يقين صادق لله فيكون الانسان حريصا على الموت حتى توهب له الحياة .

ولقد جعل الاسلام للقيم سلما وأولويات وحصصا . وجعل ترتيب هذه القيم بحسب اهميتها ، هذه الاولويات والنسب تظل ثابتة لا تتغير وجعل الجهاد والزكاة والعبادة والعمل فى مقدمتها .

الحرية فى مفهوم الاسلام هى التحرر من قيد الوثنية والجهل والخرافة والتقليد ، ومن قيد العبودية لاى انسان كان ، وما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين به شعورا بالعزة ، كالشعور الذى يخامر المسلم ، فلا يرى له سيدا الا الله ، ومن هنا فهو لا يقر اى نفوذ او سلطان او غزو او استعباد ، ويقرر ان من مات دون ماله فهو شهيد ومن مات دون عرضه فهو شهيد ومن مات دون ارضه فهو شهيد .

وكذلك دعا الاسلام الى العمل والتعمير والالتحام مع الرضا بقضاء الله فى النتائج . وليس اعظم اثرا فى بناء شخصية المسلم من الايمان بان الحياة الدنيا معبرا الى الاخرة ، وليس هذا الفهم بمنقص من هدف بناءها وانماءها .

والاسلام يجمع الى التعليم : التربية ، ويرى ان العلم وحده لا يؤدى مهمة صحيحة الا اذا صحبه خلق وغاية واضحة ، قائمة على تقوى الله .

وقد قدم الاسلام للبشرية وللمسلمين مثلا أعلى وحافزا مباشرا للتضحية بالمال والتضحية بالروح وفى ظل هذا المفهوم انتصروا فلما انصرفوا عنه حلت

بهم الهزائم ، أن العرب بالاسلام كل شىء ، وهم بدون الاسلام لا شىء

ولذلك لابد من دخول فريضة الجهاد مرة اخرى الى حياة المسلمين كقوة سياسية واجتماعية بكل مفاهيمها من حيث تقديم الاموال والانفس وعلى أساس المرابطة فى سبيل الله والصبر والمصابرة فى البأساء والضراء وحين البأس . والثبات فى لقاء العدو .

وقد علم الاسلام المسلمين صناعة الموت وبذل الروح فى سبيل الله .

وجعل الاسلام جماع الامر كله : الخلق فلا نهوض لامة بغير خلق ، وقد وضع القانون الربانى فى بناء الامة وحياتها وضعفها وموتها (**واذا أردنا ان نهلك قرية آمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**) لقد جاءت الهزيمة للامم نتيجة الانحلال فدمرت روح الملذات واللهو ما شيدته روح التضحية والايمان .

ومن أعظم ما قدم الاسلام فى سبيل بناء الانسان المسلم : الايمان بالبعث والجزاء وليس ترتيب البعث على الحياة والموت امرا مستحيلا ولا متناقضا ، بل هو فطرى الاساس ، ذلك لان مفهوم المسئولية الفردية للانسان فى الحياة تترتب عليه ولا شك نتيجة حتمية هى المحاسبة والجزاء ، ولا يشكل ذلك تناقضا عقليا بل الذى يشكل التناقض هو تصور الحياة صدفة عارضة او بدون غاية او ان الموت نهاية الانسان . **(أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)** .

ان قدرة الانسان المسلم على معايشة العزم والمجاهدة انما يعطيه القوة على الصمود فى وجه الاحداث : ممثلة فى واقع حياته اولا ثم فى احداث امته ومجتمعه فيكون حفيفا ، قادرا على الاستجابة بالمال والنفس لا تثقله الاهواء والشهوات .

وانما يريد خصوم الاسلام والمسلمين ان تنغمس هذه الامة فى المطامع والشهوات والترف والاباحيات حتى تسقط تحت سنابك الخيل ، عاجزة عن المقاومة مستسلمة لاعدائها ، واول اخطار ذلك ان تستسلم لدعوات الاحتواء والمتابعة والانطواء تحت جناح فكر غير فكر التوحيد

ولذلك فقد كان تركيز الاستعمار والتغريب والغزو الثقافى على اخراجنا من مفاهيم ديننا وقيمنا أو تفسيرها تفسيرا يخرجها عن أصولها وذلك بالتأويل أو التبرير ، ان لنا أصولا ثابتة وقيما أساسها الايمان بالله ونطاقها الاخلاقية وقوامها المسئولية الفردية والايمان بالبعث والجزاء ، هذه المفاهيم التى شاء الاسلام أن يبنى الفرد المسلم عليها .

وان نظرة واحدة الى الهدف من حياة الانسان على هذه الارض يكفى لالقاء الضوء على نوعية هذه الحياة ومجالها وابعادها . وهو قادر على تصحيح الطريق أن للمسلم رسالة فى الحياة ، وأن الحياة ليست صدفة وليست متعة مادية ، ولكنها حياة بكل معنى الحياة ، فيها الهدف الواضح الموجه الى الله أساسا والذى يتحرك اليه المسلم من خلال عطاء مادى وزينة واستجابة لكل الرغبات وفيها السعى والعمران والبناء ، شريطة أن يجرى ذلك كله فى اطار الايمان بالله ، والتقاء خطر التجاوز : تجاوز الضوابط والحدود .

فالاسلام يعترف أساسا بالرغبات البشرية الحسية الجسمية ، بل ويدعو الى ممارستها وتجففها حفظا لكيان الانسان فى نفس الوقت الذى يضع له الضوابط التى تحول دون الاسراف .

فالاسلام شأنه فى ذلك ليس شأن دعوات كثيرة الى أى حد يستطيع الانسان أن يمارس دون أن يقع فى محظور التدمير النفسى أو الجسمانى .

وهو فى نفس الوقت يعمل من أجل أن تظل هذه الشخصية البشرية مدى حياتها قادرة على الحركة ، دون أن يقع فى خطر الانهيار والتمزق أو الجمود والفناء . ان الهدف أن يظل هذا البناء البشرى قائما حيا متماسكا له طابع العافية الذى يمكنه من الصمود ومن المبادرة الى المقاومة .

وفى ذلك المنهج الربانى لبناء الانسان المسلم حفاظ على أمرين :

الاول : المحافظة دون الانهيار الجسمانى الذى يحدث نتيجة الاسراف فى الاستجابة للرغبات سواء فى الطعام أو المرأة أو مشاق الاجهاد .

الثانى : المحافظة دون التمزق النفسى الذى يحدث نتيجة معارضة بعض المذاهب والعقائد دون تحقق الرغبات النفسية أو السماح بتحقيقها على أوسع مدى .

وقد أعطانا الاسلام (رسالة رب العالمين وخالق الانسان والعليم بتركيبه وبناءه) هذه الدعوة الى المجاهدة والمعارضة الدائمة للاهواء ورد النفس عن مطامعها فى نطاق اباحة الحلال الكثير فى مختلف أمور الحياة ، فالمحرمات قليلة ، ومنعها خدمة للبناء الانسانى وحصانة له .

والنفس الانسانية بطبيعة بنائها جهاز قابل للتمدد والتقلص حسبما يوحى اليه العقل والايمان (والنفس

والنفس كالطفل ان تمهلـه شـب على
حب الرضـاع وان تفطمـه ينفطم

وفى الانسان قوى مذخورة غير معلومة لاتكتشف الا وقت الحاجة اليها .

ولا ريب أن دعوة الاسلام الى احتمال المشقة والاذى والقدرة على مواجهة الشدة والصبر على الاحداث من ناحية وتوقى شح النفس ومسامحة المخطىء والاتفاق فى حال الخصاصة والعشر كل ذلك تقدر عليه النفس لان آفاقها تتسع له وتحتمله وبالايمان تجد له لذة لا تعدلها اللذات المادية .

فالدعوة الاسلامية الى الكظم والمجاهدة تختلف اختلافا كبيرا عن دعوة بعض المذاهب الى الكبت والقهر ، وليس لها نفس النتائج التى يوحى بها فرويد وغيره من المرض والعصاب وغيره .

البقية صفحة ١١٣

من أعلام الطريق الى الايمان

الأستاذ مصطفى عبد الحليم الجندى

فى المقالات الخمس السابقة ، التى اتخذت لنفسها هذا العنوان ، وعلى صفحات هذه (المجلة الغراء) سردنا لك – ايها القارىء العزيز – بعضا مما هدانا الله اليه من أعلام الطريق الى الايمان به واليقين بوجوده ، حتى لقد بلغت هذه الاعلام ثمانية ، وفى هذا المقال الجديد : سوف نحاول أن نضيف الى هذه الاعلام « تاسعا » وهو :

٩ – ظاهرة الالهام الالهى :

وهى ظاهرة عامة وواضحة ، قد منحها الله لكثير من مخلوقاته ابتداء من أدنى الكائنات الحية الى أرقاها وأسماها وهو الانسان : الذى ادرك بفطرته ان الهام الله له ، ولسائر الكائنات التى تشاركه فى الحياة وفى الوجود من أقوى الادلة على وجوده ، ومن أعظم الاعلام على طريق الايمان به ، اذ لولا الالهام الالهى : ما استطاعت الكائنات الحية أن تحفظ بقاءها وكيانها ، وأن تبقى على أنواعها وفصائلها الى الاجل الذى قدره لها ربها فى سابق علمه ، ومحكم كتابه ..

والانسان الذى يحاول دائما أن يعلل كل شىء يفعله ، بل ويعمل جاهدا على تحليل كثير من المواقف وتفسيرها .. والذى يستطيع ان يقدم على فعل بعض الاشياء بحريته وارادته ، وان يمتنع عن فعل بعض الاشياء بحريته وارادته ايضا .. نراه كثيرا ما يقف مشدوها أمام قوة الالهام الالهى التى لا يستطيع لها تعليلا ولا تفسيرا ، والتى تدفعه بقوى خفية الى كثير من المواقف التى قد تمنع عنه ضرا ، او تكشف له كربا ، او تحول بينه وبين ان يجابه فى حياته شيئا قد يشقيه ، أو محنة أو نكبة قد يعانى منها عمره كله ..

لقد سمعت قصصا من بعض من أثق فيهم : هى فى حقيقتها اغرب من الخيال ، ولكن صدق رواتها ، بالاضافة الى ما يلمسه الانسان فى حياته ، وما يصادفه من وقائع لعب فيها الالهام دورا كبيرا ينتهى بنا الى حقيقة ان الالهام الالهى : قد صنع الاعاجيب والمعجزات فى حياة بعض الناس حيث انتهى بهم احيانا الى انقاذ حياتهم ، أو حماية ثرواتهم وأموالهم ، أو نجدة ابنائهم وافلاذ أكبادهم من خطر داهم ، او موت محقق ، أو نهاية مؤلمة ..

ولذلك نقول ، ان الالهام الالهى كظاهرة فى حياة الناس بالذات .. شىء كبير يستحق الدراسة كما يستحق التأمل وامعان النظر .. ولكن اذا اجتمع للالهام الالهى الى جانب ذلك كونه علما من أعلام الايمان بالله تعالى .. كان شيئا هاما خليقا بادمان الفكر . واطالة التأمل .

والامر الذى يستلفت النظر حقا هو : ان الالهام الالهى فيما يتعلق بعالم الانسان لهو اوضح واجلى ما يكون فى عاطفة الامومة الانسانية فيما يرتبط بصلاتها بأولادها وافلاذ كبدها .. فمن نتاج هذه الرابطة والصلة بين الام وأولادها ، نسمع الاساطير المليئة بالعجائب ، والمشحونة بالغرائب ، والمبهرة بالكثير من المعجزات قد لعب فيها الالهام الالهى للامهات دورا مثيرا ..

فهذه ام تركت وحيدها الصغير ابن الثالثة فى احدى حجرات مسكنها .. واتجهت الى بعض شئونها فى حجرة اخرى .. لكنها تترك ما هى فيه فجأة .. نتيجة الهام الهى عرض لها) وتتجه الى حيث تركت ولدها فى الحجرة الاخرى .. فلا تجده .. فتلتفت الى الشرفة التى تطل على الطريق من الطابق الرابع فتجده قد استطاع ان يتسلق أسوارها .. ولم يبق بينه وبين أن يسقط منها الا ما قدره له ربه من فضلة عمر ، فتمشى الام على أطراف قدميها (خشية أن تزعجه بكلمة او حركة فيسقط) وتحمله برفق ، وتغلق الشرفة وهى تحمد الله وتشكره أن ألهمها برحمته أن تسعى الى انقاذ وليدها ووحيدها فى اللحظة الاخيرة ..

ان بعض الناس من هواة الجدل ، ومدمنى الرفض والانكار لكل حقيقة ، تؤيدها المشاهدة ، ويصدقها الواقع قد يطلقون على أمثال هذه الهواتف الربانية ، وتلك الالهامات الالهية « الحاسة السادسة » التى يستطيع الانسان بواسطتها ان يستلهم الغيب ، ويتعرف على ما خفى منه ٠٠ أو قد يطلقون عليها « وهى الغريزة التى ارتكزت فى كل أم » ٠

ولكن أهل الايمان : بسبب سلامة فطرتهم ، وصدق يقينهم وتعلق قلوبهم بربهم لا يخطئهم ان يدركوا ان الالهام الالهى : هو بعض مظاهر تجلى الله سبحانه على خلقه ، وانه من آثار رحمته بهم ، وحنوه عليهم ، بالاضافة الى أنه من أعلام الايمان به ، والتصديق بوجوده ٠٠ على أن أروع وأبرز ما فى ظاهرة الالهام الالهى : هو هذا العموم والشمول للكائنات الحية التى يمكن اخضاعها للملاحظة والدراسة ، والتى أمكن أن تكون فى متناول الانسان وان تكون تحت مواقع سمعه وبصره ، وملاحظته ونظره ٠٠ يسجل ما يشاهده من أحوالها وروائعها ٠

لقد ذكر صاحب كتاب (الله والعلم الحديث ص ١٣٠) ان من أروع الامثلة على الهام الله تعالى للحيوان حتى يبقى على نوعه ، ويحافظ على فصائله : ما ألهمه الله لحيوان (الاكسيلوكوب) الذى يعيش منفردا فى فصل الربيع ومتى باض مات ٠٠ فالامهات لا ترى صغارها ، ولا تعيش لتساعدها فى غذائها ٠٠ لذلك نرى الام تعمد الى قطعة من الخشب ، فتحفر فيها حفرة مستطيلة ، ثم تجلب طلع الازهار ، وبعض الاوراق السكرية وتحشو بها ذلك السرداب ، ثم تبيض بيضة ٠٠ ثم تأتى بنشارة خشب وتجعلها عجينة لتكون سقفا لذلك السرداب ٠٠ وتصنع بعد ذلك سردابا آخر ، فمتى فقست البيضة ، وخرجت الدودة كفاها الطعام المدخر سنة » ٠

ان هذا النموذج المعجز المبهر كفيل وحده بأن يدحض شبهة كل مغرور متشدق بزيف من قشور التفلسف الكاذب ٠٠ ممن يقول : بأن (الضرورة) وحدها هى الموجدة للاشياء ٠٠

انه لو كانت الضرورة تستطيع أن تحنو على مثل هذا المخلوق الضعيف ، وتقدم له كل ما يحتاج اليه من غذاء ومأوى ، لما تحملت هذه الام ومن على شاكلتها كل تلك المشقات فى سبيل ضمان الحياة لصغارها الذين لم يروا النور بعد ٠٠

ومن الامثلة الرائعة للالهام الالهى لعوالم الطير : حتى تبقى على نفسها وذاتها ،وحتى تحافظ على نوعها وفصائلها ما حدثنا عنه صاحب كتاب الحيوان (عمرو بن بحر الجاحظ ص ١٨٤ ـ ج ٣) حين قال : اذا دنا الصياد من عش القبجة ولها فراخ ٠٠ مرت بين يديه مرا غير مفيت ٠٠ وأطعمته فى نفسها ليتبعها ، فتمر الفراخ فى رجوعها الى موضع عشها ٠٠ والفراخ ليس معها من الهداية ما مع أمها ٠٠ فاذا أمعن الصائد خلفها ٠٠ وقد خرجت الفراخ من موضعها : طارت وقد نحته الى حيث لا يهتدى الرجوع منه الى موضع عشها ٠٠ فاذا سقطت قريبا : دعتها بأصوات لها حتى يجتمعن اليها » اهـ مع اختصار ٠

وعن بعض الامثلة والنماذج لالهام الله تعالى لبعض انواع عالم الحيوان يتحدث عمرو بن بحر الجاحظ فيقول « ان النعجة ترى الفيل والجاموس والبعير فلا يهزها ذلك ، وترى الضبع وهى لم تره من قبل ٠٠ ثم ترى الاسد فتخافه وكذلك النمر ، فان رأت الذئب وحده ! اعتراها منه وحده مثل ما اعتراها من تلك الاجناس لو كانت مجموعة فى مكان واحد ،وليس ذلك عن تجربة ، ولا لان منظره أشنع واعظم ، وليس فى ذلك علة الا ما طبعت عليه من تمييز الحيوان عندها (ج ٣ ص ١٨٧ من كتاب الحيوان) أى أن الهام الله لها : هو الذى انتهى بها الى تمييز بعض أنواع الحيوان عن بعض ، وادراكها ان فى هذا البعض (دون غيره من البعض الاخر) خطر (زائد) على حياتها ونوعها ٠٠ ولذلك يعتريها من الخوف المضاعف ما يعتريها ازاء هذا البعض بعينه مع أن خوفها من الكل موجود ٠٠ (وفى ص ١١٧ من كتاب العلم يدعو للايمان) يحكى مؤلفه ٠٠ ما لاحظه وسجله فيما يتعلق بالهام الله سبحانه لبعض الكائنات فيقول :

« ان احدى العناكب المائية تصنع لنفسها عشا على شكل (منطاد) من خيوط بيت العنكبوت ، وتعلقه بشىء ما تحت الماء ، ثم تمسك ببراعة فقاعة هواء فى شعر تحت جسمها وتحملها الى الماء ، ثم تطلقها تحت العش ، ثم تتكرر هذه العملية حتى ينتفخ العش ، وعندئذ تلد صغارها وتربيها آمنة عليها من هبوب الهواء ٠٠ فها هنا نجد : طريقة النسج بما يشملها من هندسة ، وتركيب ، وملاحة جوية » ٠

على أن ظاهرة الالهام الالهى التى ذكرنا نماذج منها لا تقتصر على عوالم الانسان والحيوان والطير فقط : بل ان الالهام الالهى كظاهرة عامة وشاملة ٠٠ واضحة وموجودة فى عوالم اخرى هى أبعد ما تكون عن أن يتصورها عقل ٠٠ كعوالم الاسماك والاحياء المائية والحشرات بل وفى كثير من الكائنات الحية التى تملا ملكوت السموات والارض ٠٠

لقد سجل الاستاذ عبد الرازق نوفل فى كتابه « الله والعلم الحديث ص ١٣٤) بعض ما لاحظه العلماء فى دراساتهم لعالم الاسماك من بعض مظاهر وصور الالهام الالهى لهذا العالم العجيب ٠٠ وهى مظاهر وصور تستحق الدراسة والتأمل :

يقول المؤلف : « يعيش ثعبان السمك فى الانهار ، وعندما يكتمل نموه : بأن يبلغ العاشرة من عمره يهاجر من البرك والانهار فى مختلف انحاء العالم ٠ فتلك التى تعيش فى أنهار اوربا : تسبح حتى المحيط الاطلسى ٠

وتلك التى تعيش فى النيل ، وانهار افريقيا : تسبح الى البحر المتوسط .. ثم تخترق مضيق جبل طارق الى المحيط الاطلسى .

ثم تستأنف جميعا رحلة .. تقطع فيها آلاف الاميال .. قاصدة الى الاعماق السحيقة فى جزر الهند الغربية جنوبى برمودا .. حيث تتزاوج ، وتضع البيض ، وتنتهى بذلك حياتها حيث تموت ..

وبعد مدة : تخرج صغارها من البيض ، فتكون مخلوقات صلبة شفافة كأنها خيوط صغيرة ، لها عيون بارزة ، وتتهيأ الى العودة الى مواطن آبائها ، فى رحلة تستغرق أكثر من ثلاث سنوات فى بعض الجهات ، لتصل الى مصاب الانهار التى عاش فيها آباؤها ... سواء أكانت أنهارا فى أوربا ، أم ترعا فى أواسط أفريقيا ، أم بحيرات فى آسيا ... ولم يحدث قط : أن صيد ثعبان أمريكى فى المياه الاوربية ، أو ثعبان أوربى فى المياه الامريكية اطلاقا .. ! » .

يا لله ... ما أعظم هدايتك للخلق .. وما أوروع الهامك لهم ..

اى هاد .. هدى تلك الصغار التى خرجت من البيض بعدموت آبائها .. حيث انها لم ترها .. حتى يخبروها (بلغتهم الخاصة) عن عنوان مقرهم الاولى ، ومسكنهم الاصلى .. ؟ وأى الهام ألهم هذه الكائنات حتى أخذت طريقها الى موطن أهلها وآبائها دون أن تخطىء أو تضل الطريق .. ؟ انه : « **ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** » (طه) .

ومن طرائف صور الالهام الالهى لبعض أنواع الحشرات التى أمكن اخضاعها للمراقبة والملاحظة ما يكشف عنه ويحكيه صاحب كتاب « الله والعلم الحديث ص ١٣٩ » فيقول : —

« تستطيع طوائف من العناكب والزنابير أن تحفظ اللحم أسابيع فلا يفسد ، دون الاستعانة بما تفتقت به حيل الانسان — من تبريد أوتثليج — فهى لما كانت تحتاج الى اللحم طريا فى طعامها ... ولا تضمن الظفر به كل يوم .. لذلك تحفظ صيدها من الحشرات التى تزيد على حاجتها ، بطريقة لم يستطع الانسان أن يصل اليها .. فهى تفر فى ابدانها مادة تخدرها دون أن تميتها .. فيبقى غذاؤها دائما طريا طازجا ، بل حيا لحين استهلاكه ، ولم يتمكن العلم حتى الان من تخدير ذبيحة الانسان ، والابقاء عليها بحياة كامنة دون موت لحين استهلاكها .. » .

وعن بعض عجائب الالهام فى عالم الحشرات ، والتى تعتبر بحق من أقوى الادلة الواضحة الجلية على وجود الملهم سبحانه ، ومن أقوى أعلام الايمان به سبحانه وأظهرها : يتحدث (الدكتور كريسى موريسون فى كتاب العلم يدعو للايمان ص ١١٩) عن هذه الظاهرة ثم يعقب عليها بالحديث فيقول : « اذا حمل الريح فراشة « أنثى » من خلال نافذة بيتك .. فانها لا تلبث حتى ترسل اشارة خفية ، وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة ، ولكنه يتلقى تلك الاشارة ويجاوبها ...

ترى هل لتلك المخلوقات الضئيلة (محطة اذاعة) .. ؟ وهل لذكر الفراشة (جهاز راديو) عقلى فضلا عن السلك اللاقط للصوت ؟ أتراها تهز الاثير .. فهو يتلقى الاهتزاز .. « (والجندبة النطط الامريكية) تحك ساقيها او جناحيها معا .. فيسمع صريرها هذا فى الليلة الساكنة على مسافة نصف ميل .. انها تهز بها ستمائة طن من الهواء .. وتنادى رفيقها » .

ولعل من أعجب وأروع ممالك الحشرات ، وأولاها بالتأمل الطويل ، والتى تكاد تكون أعظم مملكة تتجلى عناية الخالق ، وعجيب صنعه ، وروعة الهامه لخلقه :

مملكة النمل العجيبة الباهرة :

« فالنمل يعيش عيشة جماعية متعاونة الى أبعد حدود التعاون ، ضاربة المثل فى انكار الذات ، وكثيرا ما نشاهد جماعة من النمل تحمل حشرة من الحشرات تبلغ أضعاف وزنها عشرات المرات فيأخذنا العجب من ذلك ، ولكن بفضل تعاون المجموع .. استطاعوا أن يحملوا تلك الكتلة الى مملكتهم لتكون غذاء لهم جميعا ..

كما أننا كثيرا ما نشاهد أكواما من الرمال الدقيقة بجانب جحر النمل : تحتوى على ملايين الوحدات من هذه الرمال .. ولشد ما نعجب حينما نعلم أن هذه الملايين قد نقلت من داخل الجحر الى خارجه حبة حبة .. كل حبة تحملها نملة فى فمها .. وتسير بها فى جد ونشاط نازلة صاعدة ... والنمل يتكلم بلغة خاصة فيما بينه ونحن نلاحظ ذلك واضحا جليا .. حينما نراقب نملة قد وجدت طعاما لا تقدر على حمله وحدها .. انها تذهب على الفور مسرعة الى جحرها .. وبعد برهة قصيرة نراها قد عادت ومعها عدد كاف من النمل .. يتعاونون على حمل هذا الطعام ان الامر الجدير بالعجب .. انها لا تخطىء موضع الطعام .. مع بعد المسافة ، (العلم فى رحاب الله ص ١١٨ للدكتور الانصارى مع بعض التصرف) .

وعن طريق الالهام الالهى يتجه النمل الى ممارسة ألوان عديدة من النشاط اليومى .. والاعمال والافعال التى تثير الدهشة ، وتدعو الى العجب ، وتستثير التفكير ..

« فهناك أنواع من النمل تدفعها الغريزة أو التفكير الى ذرع أعشاش للطعام فيما يمكن أن نسميه (بحدائق الاعشاش) وتصيد أنواعا معينة من الدود واليرق .. فهذه المخلوقات هى بقر النمل وعنزاتها ، ومنها يأخذ النمل افرازات معينة تشبه العسل لتكون طعاما لها » (العلم يدعو للايمان ص ١٢٩) .

ومن روائع الالهام الالهى لعالم النمل . هذا الالهام الذى تحول به عالم النمل الى فلاحين مهرة .. بل والى رعاة ماهرين .. حتى ان (الاستاذ عبد الرازق نوفل فى كتابه الله والعلم الحديث) كتب يقول :

« ويزرع النمل زراعات خاصة به ، ويقول (العالم رويال ديكنسون) : ان النمل قد زرع مساحة بلغت خمسة عشر مترا مربعا من الارض ، وأنه وجد جماعة من النمل تقوم بحرثها على أحسن ما يقضى به علم الزراعة ، فبعضها زرع الارز ، وجماعة أزالت الاعشاب وغيرها قامت على حراسة الزراعة من الديدان ..

ولما بلغت عيدان الارز تمام نضجها ، كان يرى صفا من شغالة النمل لا ينقطع يتجه الى العيدان فيتسلقها الى حب الارز ، فتنزع كل شغالة من النمل حبة ، وتنزل بها سريعة الى مخزن تحت الارض .. وقد طلى العالم افراد النمل بالالوان .. فوجد ان الفريق الواحد من النمل يذهب دائما الى العود الواحد حتى يفرغ ما عليه من الارز .. ولما فرغ من الحصاد هطل المطر أياما ، وما أن انقطع .. حتى أسرع الى مزرعة النمل ليتعرف أحواله .. فوجد البيوت تحت الارض مزدحمة بالعمل والعمال ، ووجد النملة تخرج من بيتها تحمل حبة الارز فتذهب بها الى العراء فى جانب مائل من الارض معرض للشمس وتضع حبتها لتجف من ماء المطر ، وما أن ولى الظهر حتى جف الارز ، وعادت الشغالة به الى مخازن تحت الارض .. !! » .

فمن ألهم هذه الكائنات تلك المعجزات التى قامت وتقوم بها .. ؟

ليس من جواب لذلك الا ما ذكرناه من قبل : انه « **ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** » (طه) .

ومن عجائب مملكة النمل ما يؤكده (الدكتور موريسون فى كتاب العلم يدعو للايمان) .

حين قال « والنمل يأسر طوائف منه ويسترقها .. فكيف يتاح لذرات المادة التى تتكون منها هذه العوالم ان تقوم بهذه العمليات المعقدة لاشك ان هناك خالقا أرشدها الى كل ذلك »وما أصدق قول ربنا سبحانه « **وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم** » (الانعام) .

واذا كانت ظاهرة الالهام الالهى كعلم من أعلام الايمان بالله تعالى : هى أوضح ما تكون وأجلى فى عالم النمل وغرائبه ..

فان (نحل العسل) تتجلى فى عوالمه ظاهرة الالهام الالهى كأعظم ما يكون التجلى وأروعه ، فخلية النحل المبنية بطريقة هندسية فذة ومعجزة .. تفوق أى بناء يقوم به العقل البشرى على أحدث الاسس العلمية : لانها قد بنيت على شكل مسدس ، وذلك للاقتصاد فى مساحة الحيز الذى تشغله الخلية ــ أمرها مثير للنظر والتأمل حقا .ــ

كما أن روعة الالهام الالهى تتجلى كأعظم ما تكون فى تلك المادة الشمعية التى بنيت بها الخلية ، والتى تعمل كطبقة عازلة ، تحفظ محتويات الخلية ومكوناتها من التلف ... كما أن تقسيم العمل الوظيفى فى مملكة النحل : يعد مثلا فذا للالهام الالهى .. لا يسع المتأمل له .. الا أن يسجد لله معترفا بأنه سبحانه هو الحق المبين ، المبدع الملهم « **الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى** » .

فهناك الملكة : التى تضع البيض فقط ، وتتربع على عرش المملكة بمفردها ... وهناك طائفة (اليعاسيب) التى تكون مستعدة دائما لتلقيح الملكة ، ثم تنتهى مهمتها عند هذا الحد ، وتقضى عليها الشغالة من النحل ...

وهناك طائفة الشغالة : التى تنقسم بدورها الى طوائف ، لكل طائفة منها وظيفة محددة ..

فطائفة : تجلب الرحيق من الازهار ..

واخرى : تنظف الخلية مما يعلق بها من المواد الغريبة ...

وثالثة : تعمل على تكييف جو الخلية لتكون فى درجة حرارة معينة ...

حيث يقوم البعض بحك أجنحته بجسمه حتى تتولد الحرارة التى تعمل على تدفئة الخلية الى الدرجة المطلوبة بينما يقوم البعض الاخر : بتحريك أجنحته الى أعلى والى أسفل فى حركة منتظمة وسريعة حتى يعمل على تهوية الخلية ...

كما تقوم طائفة رابعة : بتقديم الغذاء الخاص بالملكة ..

كما توجد طائفة الاميرات : اللاتى يعتبرن فى الخلية بمثابة الاحتياطى لعرش المملكة الخاصة بالنحل .. حيث تتولى احداهن العرش عند فقد الملكة ...

كما يوجد بالخلية ذلك النوع من النحل الذى ينتج من بيض غير ملقح ، والذى يعتبر كشىء عجيب فى عرف قوانين التكاثر والاخصاب » (ص ١٢٢ ، ص ١٢٣ العلم فى رحاب الله للدكتور الانصارى مع تصرف يسير) .

كل هذه المملكة الموجهة بالالهام الالهى وحده ، انما سخرت والهمت من أجل انتاج العسل والشهد .. الذى أثبت العلم الحديث ، كما أثبتت التجارب أنه يعمل على شفاء ما لا يحصى ولا يعد من الامراض المستعصية على العلاج التقليدى مثل الروماتيزم ، وضعف القلب ، وتصلب الشرايين ، وضغط الدم بل ومرض السكر ...

انه يفوق أعظم دواء ركبه الانسان حتى الان (نفس المصدر السابق للدكتور طبيب حسين الانصارى) .

وذلك بعينه هو ما يؤكده ربنا ويقرره فى قوله سبحانه :

« ***وأوحى ربك الى النحل : أن اتخذى من الجبال*** **بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون** » (النحل) .

الشريعة الإسلامية والتطور

الأستاذ محمد المتولى النظامى

الاسلام دين اليسر والسهولة ، والرقى والتطور ، وضع القواعد والاصول وترك الجزئيات والفروع لاجماع العلماء المجتهدين كى يطوروها تمشيا مع تطور المجتمع ، والمصالح العامة للعباد .. قال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج)

والاسلام بمبادئه يعتبر دين اليسر والسهولة، فهو يرخص بترك الواجب عند الضرورة ... فيبيح للمسافر الفطور وجمع الصلاة ، ويبيح لغير القادر الصلاة جالسا او مضطجعا ، ويبيح اكل المحرمات او غيرها ، ويمنع اقامة الحدود وقت الشدة والازمات ، كما يمنع العطاء الواجب اذا اقتضت ذلك مصلحة عامة ، وذلك منع سيدنا عمر قطع يد السارق عام المجاعة .. حيث لم تتوافر أركان السرقة لان رسول الله يقول (لا قطع فى مجاعة لمضطر) وكا يضم الى أهل كل بيت أهل بيت آخر ويقول (لن يهلك الناس على أنصاف بطونهم)، ومنع اعطاء المؤلفة قلوبهم من الصدقات حيث اقتضت ذلك مصلحة عليا لان الاسلام أصبح فى غنى عن اجتذاب هذا النوع بالصدقة فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى للمصلحة ، وعمر رضى الله عنه منع للمصلحة قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

والاسلام بعباداته يعتبر دين اليسر والسهولة ، فهو يبيح لغير العرب تأدية الفرائض بلغتهم تفرقة بين وظيفة اللغة ، ووظيفة الدين فيقول النبى عليه السلام (ليست العربية من أحدكم باب ولا أم انما هى اللسان) . وهو يسهل امر العبادة ، فلا يشترط الانقطاع لها والتزمت ، بل متى اديت انصرف الناس للسعى على أرزاقهم ، وهو لا يخصص العبادة بأماكن معينة ، ولا يشترط لصحتها قيادة رجال الدين ، كما هو الشأن فى بعض الاديان — بل جعلها صلة مباشرة بين العبد وربه تؤدى فى أى مكان ، وعلماء الدين فى الاسلام انما هم مرشدون فقط .. قال تعالى (فذكر انما انت مذكر ، لست عليهم بمصيطر) وقال (فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (جعلت لى الارض مسجدا وطهورا) .

والاسلام بمعاملاته دين اليسر والسهولة ، فهو يجعل الاعمال الدنيوية طريقا للخير ، واصلاح الحياة ، ووسيلة لصلاح الاخرين يثاب المرء عليها ، وذلك متى حسنت نية المرء فيها وجعلها فى سبيل الله وابتغاء رضاه ، فالعمل للتعفف عما فى أيدى الناس ، او للانفاق فى سبيل الخير عبادة والرياضة عبادة متى قصد بها تقوية الجسم ليصبح قادرا على تأدية الواجبات وعلى الجهاد ، وتحقيق قول رسول الله (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) والاحسان الى الزوجة عبادة متى قصد به احسان عشرتها استجابة لقول الله (وعاشروهن بالمعروف) وقول رسول الله (ان المرء يعد مأجورا اذا رفع اللقمة الى فم امرأته بنية ايناسها ، وتوطيد العلاقات الزوجية بينهما والاحسان اليها) .

والاسلام بأخلاقه دين اليسر والسهولة ، فهو لا يحرم المرء من ملذاته المشروعة ولا يعمل على كبت عواطفه — والا كان تزمتا وانقطاعا عن الحياة — وهو فى الوقت نفسه لا يقر الكسل بل يعتبره انهزاما فى معترك الحياة ، ومرضا تجب مقاومته والقضاء عليه ، كما لا يعترف بصوفية بلهاء لا تتقيد بقواعد الدين أو مبادئه ، بل تتخذ من الدين حرفة وارتزاقا قال تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس

نصيبك من الدنيا) وقال (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأل بعض الصحابة عمن يكفى رجلا انقطع للعبادة من الطعام والشراب وقالوا : كلنا قال (كلكم خير منه) وذلك سيدنا عمر ابن الخطاب عندما رأى شابا يصيح فى المسجد مجذوبا مدعيا الزهد ـ علاه بالدرة ضربا وقال (أمت ديننا أماتك الله . الاسلام يريد شبابا) .

والعقيدة الاسلامية ، دعوة اصلاحية ، وشريعة مرنة تقدمية ، لها وظيفة سماوية ، تتعلق بالايمان بالله ربا ، وبالرسل هداة ، وباليوم الاخر جزاء ، وبالقضاء والقدر عقيدة

ولها وظيفة أرضية تتعلق بالايمان بالانسان كرامة واخاء ، وبالانسانية تعاونا ومحبة ، وتبين حقوق الناس وواجباتهم ، وتنظيم العلاقات والتعامل فيما بينهم وتهدف الى اسعادهم دنيويا وأخرويا ، فتقر كل ما هو انسانى ، وتتبنى كل ما هو جديد اذا كان مفيدا متلائما مع الشرع ، ويستدعيه التطور وصالح الجماعة .

ولذلك وضعت الاصول ، وتركت المجال مفتوحا لتشاور علماء الامة واجتهادهم فيما يجد من أمور على مر الزمن ، واتخاذ القرارات البناءة التى تهدف الى تحقيق المصلحة العامة للفرد والجماعة ، وتوفير الامن والكرامة لهم ، وتحقيق التعايش السلمى فيما بينهم ، فكل ما فيه مصلحة ملزمة تستدعى فعله فالاسلام يوجبه ، وكل ما فيه مفسدة للفرد والمجتمع فالاسلام يحاربه ، ويحرمه ، ويعمل للقضاء عليه ، وبذلك نجد انه ليس هناك من مفيد يؤدى الى تعاون الناس وتقدمهم ، واتجاه جهدهم الى الخير والسلم لم يأمر به الاسلام ، وليس هناك من فساد يؤدى الى الضرر والضعف والتخاذل والتحاسد ، وفقدان الثقة والامن والامانة والحرية والعدل والسلام ـ لم ينه عنه الاسلام ويحاربه ، وبذلك نجد أن القواعد العامة الاسلامية ، انما تقوم على النزعة الانسانية التى تهدف الى المصلحة العامة للفرد والجماعة ، ومن ذلك (الضرورات تبيح المحظورات . لا ضرر ولا ضرار . لا افراط ولا تفريط . المعروف عرفا كالمشروط شرطا ـ ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب) وصدق قول الحق سبحانه وتعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالاخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون) . وقوله : (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا) .. وقوله : (وتعاونوا على البر والتقوى .. ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

وقال النبى عليه السلام (ما من شىء ، يقربكم من الجنة ، ويبعدكم من النار الا وقد أمرتكم به) .

انها عقيدة لها مبادىء تخلق الانسان الشجاع القانع الوجدان ، المستريح الضمير ، القوى الارادة ، السليم التفكير ، الذى يحب الخير والناس ، فيتجه بانتاجه اليه واليهم ، والذى يتمسك بالصدق فى تعامله فيعطى لكل ذى حق حقه ، ويقضى على الاستئثار فى نفسه ، وينأى عن التفكير فى أى ضرر يلحق بغيره ، يؤمن بالقضاء والقدر فيتحمل شدائد الحياة ولا تبطره النعمة ، ولا ييئسه الفقر ، فيتعاون فى كل امر فيه احسان وخير ، وكسب ارضاء الله والناس ، ويدرك انه قليل بنفسه ، قوى باخوانه ، وانه ليس بسعيد اذا كان من حوله أشقياء .. فيعمل على تحقيق السعادة لنفسه وللاخرين ، وينتج الانتاج الخير لصالح النفس والاهل والمجتمع . مما يؤدى الى أن تحسن سيرته وتعظم سريرته ، ويظفر بالحب والتقدير من مجتمعه ، اذ الناس لا يقدرون من الاشخاص الا العاملين الخيرين ، ولا يقدرون من الاعمال الا ما يعبر عن حاجاتهم ويحقق الخير لهم ، ولا يقدرون من العلم الا ما ينتج انتاجا ملموسا يقال من أمراضهم الاجتماعية ، ويحارب الجهل والفقر والمرض ، والذل والجبن فى مجتمعهم . قال تعالى : (تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين) وقال (ولكل درجات مما عملوا ، وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) وقال النبى عليه السلام (الخلق كلهم عيال الله ، وأحب الخلق اليه أنفعهم لعياله) وقال (ليس الاسلام بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ـ وأن قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحسن الظن بالله تعالى ـ وكذبوا لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل) وسئل عليه السلام عن أفضل الاعمال فقال (بذل السلام لمن عرفت ومن لم تعرف)

فأين من هذه القيم والمبادىء ـ المبادىء الجامدة لاصحاب العقول الجاحدة ، والقلوب الجامدة ؟ أولئك الذين يعتدون على كرامة الانسان ويسلبونه حريته ، وأولئك الذين يتمسكون بتمييز عنصرى بغيض ، ويؤمنون بأنه لا سبيل الى حياتهم الا بموت الاخرين ، فيقتلون الابرياء ، ويشردون الامنين ، ويرتكبون جرائم وحشية ضد من ينشدون العدالة والحرية فى فلسطين وفى الفلبين ، وفى أرجاء عديدة من أنحاء العالم وصدق قول الحق سبحانه (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الالباب لعلكم تفلحون) وقوله (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ـ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا . هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) .

والله وهبنا شريعة عظيمة ذات مبادىء من صنع العليم الخبير .. فما الذى يحدث التخلف ؟ ولماذا نسير بأقدام زلقة وأفكار قلقة ؟ وما الذى نفتقده فى أنفسنا ونحتاج اليه فى حياتنا لتحقيق التقدم واحراز النصر ؟ ان الذى ينقصنا ، ونحتاج اليه هو الايمان ، فهو المنقذ الذى يدفعنا الى العمل والانتاج ، وبه يحدث التقدم ، وبه نقهر الاعداء ونستعيد الحق .. قال تعالى **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)** .

ونحن لن يضعف من صمودنا ما يزعمه الزاعمون من أن البغاث قد استنسر بأرضنا ، وأن الثعالب قد استأسدت فى ديارنا ، وأصبحت ذات قوة لا طاقة لنا بها ، فنحن ورثة العرب الامجاد ، وسلالة الصديقين والشهداء الذين فتحوا الارض وعمروها وسادوها بالايمان ، والذين حطموا الاساطير بعدد قليل وعدة أقل ، ولن يزيدنا ما تنفثه أبواق الاعداء من سموم الا صمودا أو اصرارا ، فنحن بايماننا بالحق أقوى من كل باطل ، ونحن بثقتنا بالله والنفس سننتزع النصر . فالعقائديون يخلعون رداء الحياة الفانية ليلبسوا حلة الخلود الابدى - والله يدعونا الى أن نقاتل دفاعا عن النفس والاهل والمقدسات ، فانه لا حياة ولا عزة لمن لا يضحى دفاعا عن أهله وولده ... يقول الحق سبحانه (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) ولنا فى ماضينا وآبائنا خير اسوة ، وأعظم قدوة ... فذلك أبو سفيان أعطى أبا نعيم الاشجعى عشرة من الابل وحرضه على اضعاف صمود المسلمين باشاعة انه لا قبل لهم بعدد العدو ، ولا عدته ، فلم يزدهم ذلك الا ايمانا بالحق ، ورغبة فى الجهاد ، وتهافتا على الاستشهاد مما زعزع ثقة الاعداء فى أنفسهم وحل الرعب فى قلوبهم ... يقول الحق سبحانه وتعالى فى هذا الشأن **(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم)** .

وما أصدق قول الشاعر العربى :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فـلابد أن يستجيب القدر
ولابـد لليـل أن ينجـلـى
ولابـد للقيـد أن ينـكسر

بقية مقال (عالميـة الاسلام)

ذلك أن الخطر الكامن وراء الكبت والقهر انما يجىء من التحريم والحظر الدائم وقدسية الدعوة الى المنع فى أمور قامت والطبيعة البشرية عليها أما فى الاسلام فان أولى مقاصده هى تحقيق الرغبات الحسية والجسمية فى نطاق ضوابط الغريزة ونطاق بناء الاسرة . ومن هنا فان الاسلام يعترف أساسا بهذه الرغبات ويبيحها بل ويعارض مصادرتها : **(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده)** .

ومن هنا فلا كبت ولا كظم فى الرغبات ولكن هناك تأجيل لها اذا لم يتيسر تحقيق الرغبة على الوجه السليم **(وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) ثم ان الاسلام يعترف بالعلائق بين الرجل ومن يختارها للزواج ولكنه يضبط هذه العلاقة : (علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا)** .

ومن هنا فانه ليس ثمة كظم ولا كبت من النـوع النفسى الذى يفسر تفسيرا معينا فى نظرية فرويد ، أما الكظم والمجاهدة فهى تختلف اختلافا جذريا عن ذلك لانها لا تمنع ولكن تنظم ولا تعارض الطبيعة البشرية ولكن تسمو بها وفق دافع عميق فى النفس هو الايمان بالله والتماس رضاءه بالتخفف من المعطيات دون تحريمها أو احتقارها ..

● ● ●

ومن وراء ذلك الايمان بأن كل ما يملك الانسان هو من عطاء الله فهو موهوب له فى سبيل جزاء أوفى ، ذلك هو الانفاق .

وان نظرة عميقة الى آفاق الاسلام فى بناء الانسان المسلم بالايمان بالله لتعطى الثقة الكاملة فى أن ما كان ليصيبك لم يكن ليخطئك وان من حق الخصم والقريب معا أن يجدا العدل والحق **(ولا يجر منكم شنئان قوم على الا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى)** ومن الايمان : الايمان بارادة التغيير : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)** .

وهناك دعوة الاسلام الى بناء الارادة : هذه الارادة مناط المسئولية الفردية والحساب والجزاء ، وهناك دعوة الى احسان العمل ، والى الفهم والبرهان وهناك دعوة الى العزم فقد ذكر الله سبحانه (أولوا العزم) .

والاسلام فى حقيقته دعوة الى القوة فى بناء الفرد القادر على أن يواجه الاحداث والاخطار من حوله فى صمود ومصابرة ، وأن يقاوم اليأس والقنوط فى داخله وفى تاريخ الاسلام صفحات مشرقة ومضيئة تكشف عن أثر الاسلام فى بناء الانسان المسلم على نحو مختلف وممتاز عن كثير من الناس : مستخلف فى الارض بالحق ، عاملا على طريق الله ولتحقيق غايته الكبرى من حكمة الحياة .

المهدئات والمنبهات والمنومات

سلاح ذو حدين :

بغير استشارة طبيب ، وبمنتهى الدقة ، وحسب التعليمات المكتوبة فى تذكرة الطبيب ، نحذرك من استعمال المنبهات والمهدئات والمنومات لتأثيرها على الجهاز العصبي بشكل قد يضر بغير إشراف الطبيب ولاحتمال تعودك عليها .

وهذا التحذير ينطبق أكثر على الأدوية التى تشعر بحاجتك إلى زيادة الجرعة منها ولكن طالما الطبيب المختص ينصحك بتعاطيها فيمكنك أن تستمر فى ذلك تحت إشرافه لأطول وقت ينصح به وتنقصها تدريجياً تحت إشرافه أيضاً .

المؤسسة المصرية العامة للأدوية والكيماويات والمستلزمات الطبية

فكر وفن

افريقية قبل الاسلام

الدكتور أحمد شلبي

ان الحديث عن الاسلام وافريقية حديث عن دين أمد القارة بمشاعل الضوء فى مختلف الشئون ، فالاسلام حضارة ، أو بشىء من التفصيل هو الايمان بالله واحد وبرسالة محمد ، وبما حوته هذه الرسالة من عبادات ومعاملات ، وتشمل المعاملات أمور السياسة والاقتصاد والاجتماع والاخلاق ، ودين كهذا كانت افريقية فى أمس الحاجة اليه ، لقد كانت الوثنية هى الاعتقاد السائد ، وكان مع الوثنية عبادة الاشجار والانهار والكواكب والابطال والارواح ، وفى مناطق الغابات الاستوائية كان العرى هو الزى الغالب ، وتسلط القوى هو أسلوب الحياة ، ولم يكن هناك دستور للعمل او المدنية ، فلما طرق الاسلام قلب افريقية بدأ ضوء المعرفة يزيح ظلمات الجهل ، وأخذ الاسلام يضع قواعد حياة سليمة تليق بالبشر وتأخذ بيدهم الى الطريق القوم ، ولهذا يقرر أن العصر التاريخى لافريقية السوداء لم يبدأ الا منذ ظهور الاسلام ، وأن بالاسلام ولغته وحضارته تقدم السود وتطوروا ، وبلغوا شأنا كبيرا فى المدنية .

وتصوير افريقية قبل أن يطرقها الاسلام ، عمل صعب للغاية . فالقبلية كانت موجودة فى أكثر المناطق ، والقبلية عدوة التجمع والاستقرار ، لانها تسعى للتفرق والتمزق لا الوحدة والتجمع ، ثم ان القبائل بافريقية كانت كثيرة التحركات والتنقلات ، فلم توجد لها مواطن ثابتة يمكن أن تكون مصدرا للتاريخ ، ولم تكن الكتابة معروفة عند هذه القبائل ، ومن هنا لم تدون الاحداث المتصلة بها ، فأصبح تاريخها مبهما غير واضح ، وفى بعض الاحايين دون تاريخ ثم قضى عليه لسبب من الاسباب ، كالاسباب الدينية التى جعلت بعض الملوك يعمدون الى اخفاء تاريخهم قبل الاسلام اعتقادا منهم أنه لا يستحق الذكر ، وأن الاسلام جب ما قبله ، وعلى هذا فمحاولة تصوير القارة قبل الاسلام محاولة شاقة ، نقوم بها بقدر ما يسعنا من الجهد وتمدنا المراجع .

وبادىء ذى بدء نقوم برسم صورة سريعة تعتبر اطارا نسير فى هديه وموجزا نستمر فى تفصيله ، فبوجه عام ينقسم جنوب الصحراء الافريقية ثلاثة أقسام : هى الغرب والوسط والشرق ، ففى غرب افريقية هناك دول ثلاثة مشهورة قامت فى العصور القديمة والوسيطة هى غانة وصنغى ومالى ، ومالى اسلامية منذ نشأتها على انقاض غانة فى القرن الثالث عشر ، ولهذا فانها تستبعد عند الحديث عن افريقية قبل الاسلام .

اما غانة فيرجع تاريخها للقرن الاول الميلادى ، وعبرت أكثر من عشرة قرون فى حياة الوثنية ، ولهذا فانها تكون أبرز حلقة فى حديثنا عن هذه المنطقة قبل الاسلام ، وأما صنغى فقد بدأت فى القرن السابع الميلادى ودخلها الاسلام فى القرن الحادى عشر .

وفى وسط افريقية قامت عدة دول وامارات قبل الاسلام اهمها مملكة اليوروبا (غربى نيجيريا) ومملكه الايبو (شرقى نيجيريا) وامارات الهوسا (شمالى نيجيريا) ومملكة برنو حول بحيرة تشاد، ومملكة كانم الى الشرق من بحيرة تشاد.

وفى شرقى افريقية ظهرت مملكة مقرة وعلوة، ودارفور وكردفان، كما ظهرت بعض الإمارات على الساحل الافريقى، وان كان الاسلام قد طبع هذه الامارات الشرقيه بطابعه منذ عهده المبكر، اذ كان العرب يكونون بها عنصرا هاما، وسنبدأ حديثنا عن هذه الممالك بشىء من التفصيل متجهين من الغرب الى الشرق.

غانة :

غانة أقدم دولة عرفت فى غربى افريقية (من القرن الاول الميلادى حتى سنة ١٢٤٠ م) ومعنى كلمة غانة فى لغة السوننكى «القيادة العسكرية» ومن هنا اصقت هذه الكلمه على المدينة التى كانت بها هذه القيادة، ويرى البكرى ان كلمة «غانة» كانت سمة لملوكهم ربما لانها تحمل معنى «القائد العسكرى» ثم اتسع مدلول الكلمة فاطلقه على العاصمة التى يعيش فيها الملوك، ويقول ياقوت «غانة مدينة كبيرة فى جنوبى بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان» واتسع مدلولها مرة أخرى فصارت علما على المملكة كلها، مع بقائها علما على العاصمة.

وتقع غانة القديمة جنوبى موريتانيا الحالية، وكانت عاصمتها تسمى (كومبى) وقد عثر الفرنسيون على أطلال مدينة بالقرب من (كومبى صالح) يعتقد أنها هى (كومبى) عاصمة غانة القديمة، وتقع كومبى صالح على بعد حوالى مائتى ميل شمال باماكو، ويذكر بانيكر انه يوجد يقين معدول قائم على حقيقة أن كومبى هى البلد الوحيد الذى ورد ذكره فى المراجع الوسيطة، وأن الاساطير القديمة تربط بين كمبى صالح وغانة.

وقد بدأ ظهور دولة غانة فى القرن الاول الميلادى، وكان ظهورها على يد جماعة من البيض وفدوا من الشمال، كانوا أكثر ثقافة من المواطنين الاصليين الذين ينتمون الى قبائل السوننكى، ولكن الفقيه محمود كعت لا يقطع فى ذلك برأى ويرجع انهم من الصنهاجة.

ويقول فاج ان هذه الدولة قامت امتدادا لقوى مجاورة، وأن الذين وفدوا لها وأعانوا على قيامها سرعان ما امتزجوا بالسكان الاصليين، وقد نشطت التجارة بين شمال الصحراء وبين جنوبها، أى بين البربر سكان الساحل الجنوبى للبحر الابيض، وبين الزنوج الذين يعيشون جنوب الصحراء، وكانت التجارة تسير عبر ممرات تخترق الصحراء، وكان التجار يحملون من الشمال الاقمشة والحلى ويعودون من الجنوب بالذهب والعاج، ولكن الذهب كان السلعة التى اشتهرت بها غانة، حتى أن ملوكها كانوا يسمون «كيمع» أى ملوك الذهب.

وفى القرن الرابع وفد الى الجنوب جماعات من البربر، لعلهم كانوا يعرفون ما فى هذه المنطقة من ثراء، وكانوا يحملون أسلحة لم يعرفها السكان الاصليون، وقد استطاع الوافدون بذلك أن يفرضوا انفسهم حكاما على الزنوج سكان هذه المناطق الذين ينتمون لقبائل السوننكى، على أن امتزاجا تم بطريق المصاهرة بين البربر والزنوج فانماعت القلة البربرية فى الاكثرية الزنجية، ونشأ جيل جديد ينتسب الى السوننكى وله دربة البربر ومهارتهم، بل لونهم أو شىء منه فى كثير من الاحايين، واستطاع هذا الجيل الجديد من السوننكى أن يستولى على زمام الحكم فى غانة سنة ٧٧٠ م.

وقد اتسع ملك غانة ونفوذها فى عهد السوننكى فأصبحت تشمل المساحات الواقعة الى الشمال من نهر السنغال ونهر النيجر حتى تخوم الصحراء، وفى سنة ٩٩٠ م استطاعت غانة ان تمد نفوذها الى اودغست محلها الان مدينة تجداوست فى موريتانيا)، وكانت أودغست عاصمة مملكة اسلامية تحكمها قبيلة لمتونة من البربر، وامتد نفوذ غانة كذلك فشمل عدة ولايات وامارات يجملها المسعودى بقوله : وتحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك واصبحت تمتد من : وجادوا فى الشرق الى ديارا فى الغرب، وكانياجا بلاد الصوصو فى الجنوب الشرقى، ومن تخوم الصحراء فى الشمال الى أطراف المنطقة الاستوائية والبلاد المعروفة لدى العرب ببلاد ليم ليم فى الجنوب،

اقتصاديات غانة :

الذهب هو السلعة التى اشتهرت بها امبراطورية غانة، حتى أن ملوكها كانوا يسمون ملوك الذهب، ونضيف أن الذهب لم يكن موجودا فى أراضيها، وانما فى الاراضى الواقعة الى الجنوب منها، وهى منطقة ونقارة، ولكن تجار غانة كانوا يشترون الدهب من مناجمه، ويبيعونه الى تجار اخرين من شمالى افريقية، وكان ذلك يدر عليهم ثراء واسعا من جانب، ومن جانب آخر ارتبط الذهب ببلادهم، كأنه كان مستخرجا منها فنسب لهم. يقول الادريسى : وتتصل مملكة صاحب غانة بأرض ونقارة وهى بلاد التبر. ويقول المسعودى وتحت يدى ملك غانة عدة ملوك وممالك فيها الذهب يظهر على وجه الارض يستخرجه أهله ويعملونه قوالب كالبن.

واحتوت الخزائن الملكية ألواح الذهب رمز العظمة، وكان حجمها كبيرا الى حد أن أصبحت شهيرة فى جزء كبير من العالم المتمدين، ووصل وزن الواحدة منها ثلاثين رطلا، وكان الملك يقيد بها حصانه المفضل.

وكانت امبراطورية غانة تبيع الذهب الى اقطار مختلفة أهمها مصر والشمال الافريقى وأوربا، ودول البحر المتوسط خلال العصور الوسطى.

وهكذا كانت غانة غنية وكانت الحياة بها حياة رخاء وغنى.

مأساة المسلمين

ان مأساة المسلمين في الفيلبين لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، ولم يحدث على مدى التاريخ ان جاهدت امة اسلامية في الارض جهاد اولئك الابطال الذين وقفوا منذ القرن الخامس عشر في صبر وشجاعة يناضلون الاستعمار الغاشم والتعصب الصليبي المقوت .

على أطراف الاوقيانوس الهندى ، وعند التقائه بالباسفيكى والى الشمال من استراليا والجنوب من اليابان ، فى ذلك المكان الذى يعتبر مفترق الطرق بين عدد من قارات الارض ، وعدد من الدول العظيمة ذات الحول والطول ، توجد آلاف من الجزر المتشابكة المتداخلة بينها عشرون جزيرة كبيرة يطلق عليها اسم الفيليبين ، وهو اسم صليبى استعمارى أطلقه عليها الرحالة الاسبانى فرونتاد مجلان نسبة الى الامير فيليب الذى كان ولى العهد فى أسبانيا ثم صار فيما بعد ملك أسبانيا وامبراطور المانيا ، وعرف باسم فيليب الخامس .

دخل الاسلام الى تلك الجزر النائية التى يسكنها الملايين من الناس فى القرن الرابع عشر على يد رجل مسلم اسمه محمد أبو بكر المكى ، وكان ذلك بعد أن انتشر الاسلام فى هندستان وفى جاوه وسومطرة وصار اتباعه يعدون بالملايين فى تلك المنطقة ، وقد وصل أبو بكر المكى عن طريق أرخبيل « سولو » ونزل فى جزيرة « مندناو » احدى جزر الفيليبين الكبيرة من ناحية الجنوب ، ويبدو ان دعوة المكى قد وجدت تربة خصبة فسرعان ما اقبل اهل هذه الجزيرة على الاسلام فى رغبة وشغف حتى بلغ عددهم نصف مليون مسلم ، وهو عدد أخذ يتضاعف مع مرور الايام .

لم يكن ابو بكر المكى يحمل سيفا ، او يعتمد على قوة او يملك مالا يغرى به الناس ، ولكنه كان يعلن دعوة الاسلام للناس بمحض الهداية والتعريف بالله ، ولم يكن العالم يعرف شيئا او يبدى اهتماما فى ذلك الوقت بتلك الجزر النائية حتى وصل اليها الرحالة مجلان فى القرن الخامس عشر واعلن اكتشافها اكتشافا استعماريا ، ورفع فوقها العلم الاسبانى ،

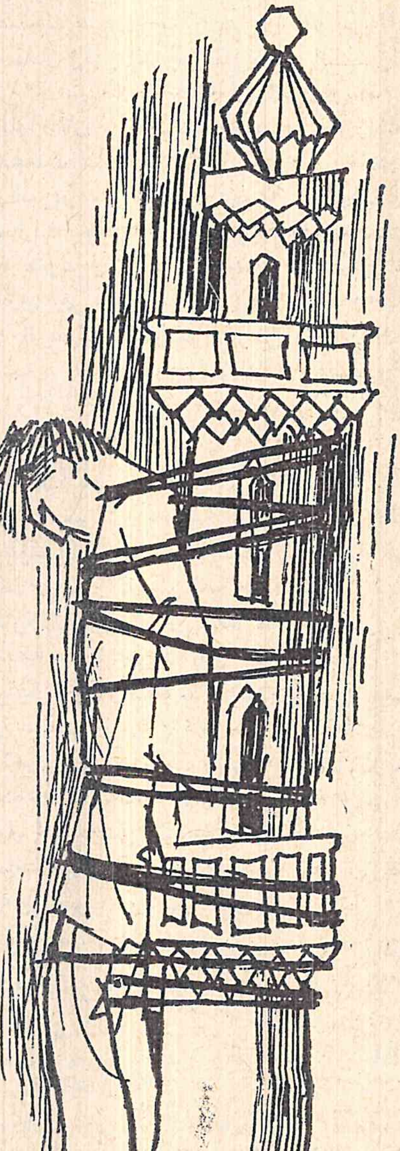

في الفليبين

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

واطلق عليها اسم فيليب ولى عهد اسبانيا ، ومازالت تحمل هذا الاسم الاستعمارى الى اليوم .

عاشت الفيليبين من يومذاك تحت وطأة الاستعمار الاسبانى ، وأنت تعرف ان اسبانيا كانت ترفع لواء التعصب ضد الاسلام ، وانها كانت تتعقب المسلمين فى كل مكان بالقتل والاحراق وكل ما ابتدعته محاكم التفتيش من وسائل البطش والتعذيب ، ومن هنا عاش المسلمون او « الموروس » كما يسمون بالفيليبيين فى حرب لا تنقطع مع الاسبان ، كانت أسبانيا المتعصبة تصر على ان تستأصل الاسلام من تلك المنطقة بتاتا ، والا يبقى فيها أثر من آثاره ، وكان المسلمون او الموروس يدافعون عن كيانهم وعن عقيدتهم فى ايمان راسخ وصبر عجيب ، حتى كانت الحرب مظهرا من مظاهر حياتهم المألوفة ، وصفهم أحد الرحالة فقال : لقد كانت الحرب من أوضاع الموروس المألوفة لقد القوا خوض غمراتها طوال اربعة قرون ، وكانت جزيرتهم « مندناو » فى الجنوب فسيحة الرحاب ، كثير الحراج والفجاج فاذا ما اوغلوا فى شعابها ومتعرجاتها تقدر على أرانب الصحراء ادراكهم ، وهكذا عاشوا يناضلون الاستعمار الاسبانى والتعصب الممقوت طوال اربعة قرون ، حتى ولت دولة الاسبان ، وبقى « الموروس » وهم أقوى مراسا وأشد ثباتا على الايمان .

وفى أواخر القرن الماضى تطلعت أمريكا الى وضع يدها على جزر الفيليبين ، والتمركز فى ذلك المكان الاستراتيجى الهام الذى يتحكم فى مفترق الطرق بين القارات ، فلما نشبت الحرب بين أمريكا واسبانيا بسبب كوبا فى سنة ١٨٩٨ صدرت الاوامر من واشنطن الى قائد الاسطول الامريكى بالتوجه الى ضرب الاسطول الاسبانى الراسى فى خليج كابيتى أمام « مانيلا » عاصمة الفيليبين وصدع القائد الامريكى بالامر ، وأخذ الاسطول الاسبانى على غرة فى الليل ، فأغرق جميع سفنه دون أن يتمكن هذا الاسطول الاسبانى من اطلاق قذيفة واحدة ودون ان يخرج فى هذه المعركة التى كانت من طرف واحد جندى امريكى واحد ، ومن يومذاك خرجت الفيليبين من نطاق الاستعمار الاسبانى ودخلت فى حساب الاستعمار الامريكى .

لم تقف أمام الاستعمار الامريكى فى الفيليبين قوة الا القوة الاسلامية ، لقد خرج المسلمون يحاربون الاستعمار الامريكى فى شجاعة خارقة ، ويصرون على أن يكون لهم استقلالهم وكيانهم الحر ، وحشدت امريكا قوات ضخمة لمحاربتهم ، وكان عدد القوات الامريكية ثلثمائة مثل بالنسبة للمسلمين ، ولكن الفئة القليلة غلبت الفئة الكثيرة بالايمان ،والشجاعة والصبر ، واستطاع المسلمون أن يصنعوا بالقوات الامريكية أكثر مما صنع بهم الثوار فى فيتنام ، حتى كانت كلمة « الداقوس » وهو الاسم الذى يطلق على قادة المسلمين تثير الفزع والرعب فى نفوس الامريكيين ، وانتقل الى الفيليبين الجنرال « وود » القائد العام للقوات الامريكية يومذاك ليدرس الموقف بنفسه ، وليضع خطة ينقذ بها شرف أمريكا وشرف الجيش الامريكى الذى لطخه المسلمون فى الفيليبين بالعار ، ولكن ماذا يصنع القائد العام للقوات الامريكية ؟! لقد رأى ثلث مليون مسلم يقفون امام مائة مليون امريكى فى شجاعة وعناد واصرار ، ورأى ان القوة الاسلامية فى الفيليبين على قلتها قد استطاعت ان تدوخ الاسبان طوال أربعة قرون وكثيرا ما حشد الاسبانيون القوات الضخمة لسحق هذه القوة الصغيرة ولكنهم لم يستطيعوا ان ينالوا منها منالا ، ورأى القائد الامريكى ان هذه القوة مازالت على اصرارها وعنادها فى محاربة الامريكان على الرغم من أنها تعيش على آخر امتداد للاسلام فى الارض فليس هناك وراءها من يمدها بالعون والمساعدة ولهذا كله عدل القائد الامريكى عن خطة الحرب ،وعول على رجل لبنانى اسمه « الدكتور نجيب الصليبى ـ كان يعمل فى خدمة القوات الامريكية ليسعى فى الصلح مع قادة المسلمين ، ونجحت مساعى الدكتور الصليبى ، وعقد الصلح بين الجانبين على أساس الشرف وازالة التعصب الدينى ، وكان من شروط هذا الصلح ان يحكم المسلمين حكام من شيوخهم ، وان تكون لهم مراكز ومناصب فى مجلس النواب والاعيان مثل اخوانهم المسيحيين ، وانشاء مدارس اسلامية

السياسة بين الفلاسفة والفقهاء فى التقاليد الإسلامية

الدكتور حامد ربيع

لاولاد المسلمين وبناتهم وتزويدها بالمصاحف والكتب العربية . والسعى لدى الباب العالى لارسال امام عالم يتولى هدايتهم وشئون الفتوى لهم ، وقد ارسل السلطان عبد الحميد اليهم فعلا أحد العلماء اجابة لطلبهم .

اضطرت امريكا الى مصانعة المسلمين ، ولكن أمريكا دولة التفرقة العنصرية ، والتفرقة الدينية ، والتفرقة الجنسية ، فكانت تحت شعار المصانعة تعمل دائما على الحد من سلطان المسلمين حتى لا تكون لهم قوة مؤثرة فى الفيليبين ، لانها كانت تعرف تماما أن المسلمين دعاة حرية واستقلال ، وانهم عاشوا اربعة قرون يحاربون الاستعمار الاسبانى ويخوضون أقسى المعارك فى سبيل حريتهم واستقلالهم وصيانة دينهم وعقيدتهم ، ولهذا عملت امريكا طوال حكمها الاستعمارى فى الفيليبين على حصر هذه القوة الاسلامية ، وحرمانها من كل المقومات حتى تلك التى قررتها شروط الصلح .

ثم نالت الفيلبين استقلالها ، أو أعطيت استقلالها ، ولكن النفوذ الامريكى المتسلط والموجه لم يخرج من الفيلبين ، والجمعيات الصليبية المتعصبة التى مدتها أمريكا وما زالت تمدها بالاموال وبكل انواع المساعدة .. هذه الجمعيات تعمل جاهدة لخدمة المآرب الامريكية ، وأول هذه المآرب ازالة الوجود الاسلامى من الفيلبين ، فان أمريكا تخشى أن تصبح هذه القوة الاسلامية المتقدمة قاعدة تقف ضد مصالحها وأطماعها ، وأن تكون فى يوم من الايام منطلقا لامتداد اسلامى فى تلك المنطقة، وما بعد تلك المنطقة ، وهذا هو سر المأساة التى يواجهها اليوم المسلمون فى الفيلبين من القتل والنهب والتشريد من ديارهم الى آخر تلك الاساليب التى شرعتها محاكم التفتيش ، وما زالت تعيش فى الفيلبين .

فحكومة الفيلبين ، والجمعيات الصليبية المتعصبة ، والنفوذ الامريكى المسيطر على هذه وتلك ، تسلط كلها وتتعاون على ابادة المسلمين وازالة وجودهم من الفيلبين ، والمسلمون فى تلك المنطقة بمنأى عن العالم الاسلامى .

فمن الواجب ان يفزع المسلمون فى سائر اقطار الارض لهذه المأساة ، وان يعملوا عملا جادا لنجدة اخوانهم قياما بحق الشرع والملة ، وقياما بحق الانسانية ، ونحن فى انتظار عمل جاد ازاء هذه المسألة بعد المناقشات التى دارت وارتفعت أصواتها فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى بنغازى ، ولعل أن يكون من وراء هذه المناقشات والكلمات الحماسية عمل حاسم عاجل قبل فوات الاوان وقبل أن يسدل الستار على فصل من فصول المأساة التى مثلت فى الاندلس ثم مثلت فى فلسطين .

المتابعة السابقة أبرزت لنا حقيقة واضحة : التفاعل والاستمرارية في العلاقة بين التراث السياسى الاسلامى والتراث السياسى الغربى السابق عليه واللاحق له . فالفكر السياسى الاسلامى استطاع أن يتلقف من التراث اليونانى الكثير من المفاهيم وأن يؤقلم تلك المفاهيم بتقاليده وأوضاعه الحضارية . ثم عاد في مرحلة لاحقة لينقل ذلك التراث الى التقاليد الغربية فى صورة اخرى اكثر نقاءا واكثر دقة من حيث الاجابة على تلك الاستفهامات التى فرضها التطور العام للوجود الاجتماعى .

السؤال الذى يجب أن نثيره قبل أن نحاول الانطلاق فى عملية تأصيل القيم الذاتية للتراث السياسى الاسلامى يدور حول هذا المفهوم : ما معنى السياسة كما تصورتها التقاليد الاسلامية ؟ وأين هذه الدلالة من التقاليد الغربية ؟ وهل مفهوم السياسة بهذا المعنى يختلف فى تقاليد الحضارة الاسلامية عنه فى التقاليد الغربية ؟ وما هى نتائج هذا الخلاف ان وجد ؟

١ ــ أصل السياسة فى تقاليدها العربية يعنى الرئاسة . وبهذا التحديد من ساس الامر هو من قوم الامر بما يصلحه . السياسة تعنى الرئاسة أو التوجيه أوالقيادة . يحدثنا ابن خلدون عن السياسة المدنية ويميزها عن السياسة الشرعية . ويصير المدلول أكثر وضوحا وتحديدا لدى التهاونى عندما يعرف السياسة المدنية بأنها علم بمصالح الجماعة المتشابكة فى المدنية . ويأتى الهرثمى صاحب المأمون فى كتابه مختصر سياسة الحروب يجعل من استخدام هذا الاصطلاح تعبيرا عن مفهوم حركى أكثر دلالة . فى الباب الثانى بعنوان حسن سياسة الرئيس يقول « الغرض الذى يجرى اليه السائس الكامل فى سياسة أصحابه ثلاثة خصال : المحبة ، والهيبة منهم له ، والمحبة من بعضهم لبعض .... . على أن العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى الربيع فى كتابه له مشهور بعنوان « سلوك المالك فى تدبير الممالك » الذى ألف خصيصا للخليفة المعتصم بالله ، أفرد فصلا بعنوان « أقسام السياسات وأحكامها » تعرض فيه تحديد مدلول كلمة سياسة بما يرادف فكرة الحركة أو بعبارة أدق التدبير .يقول محيلا الى الحاكم : « ويخصه من السياسات : سياسة نفسه ، سياسة بدنه ، سياسة خاصته ، سياسة جمهور الرعية ، سياسة الحروب » . ثم يحدد كل من هذه التطبيقات الخمس فى السياسة بقواعد عامة ، ففيما يتعلق بسياسة نفسه يحدد هذه القواعد بتسع ، يلخص القاعدة الثانية منها بهذا المعنى : « سأل الاسكندر ، حكيما من يصلح للملك ؟ فقال له : اما ملك حكيم أو ملك يلتمس الحكمة » ، ثم يحدد سياسة بدنه فى اثنى عشر مبدأ . ثم يحدد المسالك فى موضع لاحق عندما يتحدث عن القواعد التى يجب أن تحكم ادارة الجماعة فيقول : « ولا يخلو تدبير الملك من أمور أربعة : اما من طريق العقل ، واما عن طريق الجود ، واما عن طريق السياسة او من طريق الحزم .... » . ثم يحدد الاسلوب الثالث فى أربعة نماذج : « الاول كالعطاء الكثير على السبب اليسير ، الثانى العفو عن كثير الجرائم ، الثالث العفو عن يسير الذنب ، الرابع استعمال المكايد على الاعداء » .

قبل أن نتابع تحليل هذه النصوص باكتشاف معنى ودلالة كلمة سياسية فى التقاليد العربية وكيف انها تختلف عن التقاليد الغربية ، يجدر بنا أن نتساءل الى اى عصر ومتى استخدم هذه الكلمة كمفهوم اصطلاحى ذا دلالة معينة ؟

٢ ــ اللفظ لا شك أنه قديم . فالخنساء الشاعرة الجاهلية ، تلجأ الى الكلمة عندما تتحدث عن ساسة القوم بمعنى قادتهم . رغم ذلك فان الكلمة لم تستعمل فى القرآن ويذكرنا أكثر من كاتب واحد بأن هذا نادر لم يتكرر . وانطلاقا من هذه الملاحظة يعلق البعض بأن هذا الاصطلاح لم تستقر استخداماته الا فى العصر الاموى . وهكذا فمعاوية فى خطابه المشهور لزياد بن أبيه يقول كلمته العميقة المغزى، القوية الدلالة : « لا ينبغى لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة » . ويردد هذا المعنى زياد فى احدى خطبه بالعراق « انا أصبحنا لكم ساسة نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا » .

رغم ذلك فجميع هذه الاستخدامات لاتعبر عن الدلاله العلمية للاصلاح ولا نستطيع أن نجد هذه الدلالة مع الانتشار والتداول الذى هو وحده يعكس استيعابها فى التقاليد والمفاهيم الحضارية الا فقط فى نهاية العصر الاموى وخلال العصر العباسى الاول ابن المقفع يستخدم كلمة السياسة بمعنى المعاملة من جانب الطبقة الحاكمة . ابن عبد ربه فى مؤلفه العقد الفريد يقدم لنا دلالات اكثر وضوحا لمعنى السياسة ،حيث تدور حول عملية التدبر . رغم ذلك فان اعطاء حكم مطلق على التعريف بمدلول الاصطلاح لا تزال تنقصه المصادر . لقد سبق وذكرنا أن مجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق تخبرنا بوجود أكثر من خمسين مخطوط لا تزال فى مكتبات الاستانة لم يقدر لها بعد النشر . ومن أهم هذه المخطوطات ، مؤلف بعنوان « علم السياسة » فكيف نستطيع أن نعرف الاصطلاح دون الاطلاع وتحليل هذه النصوص ؟

ــ كلمة سياسة فى التقاليد العربية لا تزال يعتريها بعض الغموض . رغم ذلك فنستطيع مع شىء من التحفظ أن تحدد مفاهيم أربعة ترتبط بالاستخدام اللفظى لتعبر عن طبيعة معينة او تصور معين فى التقاليد الاسلامية لمفهوم السياسة .

أولا : السياسة تعنى القيادة . بهذا المعنى رأينا من تحدث عن حاجة المجتمع السياسى لهذه الظاهرة ليستطيع أن يطمئن الى وجوده وأن يمكن المجتمع من تحقيق اهدافه . بها المعنى ايضا ذكر لنا ابن أبى الربيع كيف أن كثرة الرؤساء تفسد السياسة . تبرز هذه الناحية أكثر وضوحا فى رسائل اخوان الصفا .

ثانيا : ولكن السياسة تعنى ايضا التعاليم أو قواعد الحركة أو بعبارة أخرى المبادىء التى يجب أن تتحكم فى مواجهة المواقف . بهذا المعنى حدثنا ايضا ابن الربيع عن سياسات خمس تدور حول مواجهة

انواع خمس من المواقف . كذلك يتحدث ابن خلدون عن السياسة المدنية والسياسة الشرعية • ثم يأتي التهاوني فيجعل أحد قوائم علم السياسة أنها تعلم كيفية المشاركة •

ثالثا : السياسة أيضا قد تفهم على أنها أحد أساليب الحكم أو بعبارة أخرى أحد مسالك الحركة • ابن أبى الربيع فى هذا واضح اذ يجعل تدبير الملك أو بعبارة أخرى مواجهة الموقف المرتبط بجمهور الرعية يدور حول مسالك أربعة • أحد هذه المسالك هو ما أسماه طريق السياسة • ومن ثم تصير السياسة أحد أدوات تدبير الملك أو الحكم الناجح • ومن مراجعة النماذج الاربعة التى تفسر هذه الاداة نجدها تدور حول صورة معينة من صور الحركة يغلب عليها الخداع والوقيعة أو على الاقل عدم التوازن بين الموجب والسالب • النموذج الرابع الذى يحدده بأنه استعمال المكائد على الاعداء هو خير تعبير عن هذه الحقيقة •

رابعا : ويرتبط بهذه المعانى جميعا استخدام رابع حيث تصير الكلمة مرادف للاستخدام المعاصر ككلمة سلوك • فالسلوك يقصد به الاستجابة او رد الفعل ازاء منبه معين • بهذا المعنى يحدثنا اكثر من مؤلف واحد عما يسمونه سياسة المرء مع نفسه وسياسة المرء مع بدنه وسياسة المرء مع أسرته • هى جميعها تصورات سلوكية ،بل وتطبيقات للسلوك الفردى فى ادق معانيه •

وهنا يثور السؤال : هل لم تستخدم كلمة سياسة للتعبير عن ظاهرة السلطة ؟

٤ – العودة الى المصادر والنصوص تفرض علينا الكثير من علامات الاستفهام • ولعله يكفى فى هذا الخصوص أن نلاحظ كيف أن الماوردى فى كتابه المشهور باسم الاحكام السلطانية والذى يمكن أن يوصف بأنه صياغة فكرية لنظرية الخلافة لم يستخدم كلمة السياسة فى أى موضع من مواضع تحليله للظاهرة . بل عندما يحدد ما يلزم الخليفة من الصفات عبر عنها جميعها بعبارات لا موضع فيها لكلمة السياسة • وهو لم يستخدم كلمة سياسة الا فى نهاية تحليله وبمعنى جانبى حيث قال : « ينهض بسياسة الامة وحراسة الملة وبعبارة اخرى جعل من كلمة سياسة مرادف لكلمة تدبر وقيادة • كل هذا يثير استفهامات عديدة لن نستطيع أن نجيب عليها الا اذا انتقلنا الى التقاليد الغربية •

فالتقاليد الغربية تجعل هذا المفهوم امتدادا واستمرارا لحقيقة جامدة ، الا وهى المدينة – الدولة • ان السياسة هى كل ما يرتبط بتنظيم أمور الجماعة ، أى بالوصف التحليلى لظاهرة السلطة • الكلمة اذن تعكس مفهوما جامدا وليس مفهوما ديناميكيا : ترتبط وتدور حول وصف العلاقة بين الحاكم والمحكوم وليس حول كيفية مواجهة الحركة وممارسة القيادة ولا تتطرق هذه المفاهيم فى الحضارة الغربية الا ابتداء من فلسفة مكيافيللى بصفة علمة من خلال المعاناة

التى سوف يعرفها العالم فى خلال القرن الخامس عشر •

والخلاصة أن التقاليد المعاصرة تميز فى استخدام كلمة سياسة بين تطبيقات ثلاث : وصف وسلوك وحركة . وصف للظاهرة ، وسلوك فى مواجهة السلطة أو باسم السلطة ، ثم حركة بمعنى تدبر وتخطيط • من بين التقاليد السابقة على عصر النهضة لم يستخدم السياسة أو المفهوم المستتر خلف هذه الكلمة بمعنى السلوك والتدبر سوى الحضارة الاسلامية • على العكس من ذلك جميع التقاليد الغربية القديمة والوسيطة لم تستخدم اصطلاح الا بمعنى وصف الظاهرة •

ترى هل لهذا الاستخدام آثار دفينة متعلقة بالمفهوم والتصور الاسلامى للعلاقة بين المواطن والسلطة ؟ سؤال تصعب الاجابة عليه فى صفحات محدودة ، بل وقد لا يقدر لاحد أن يصوغ تفسيرا له ان لم يتناول تلك المؤلفات السابق ذكرها والتى لا تزال محظوظة بالتحليل والدراسة المقارنة • ولكن رغم ذلك فان أحد أبعاد هذه الناحية تفرضه مشكلة أخرى تدور حول موقف الفقه الاسلامى من ظاهرة السلطة •

٥ – كل من يتعرض لتاريخ الفكر الاسلامى من حيث مقوماته السياسية ، أو بعبارة أخرى من حيث ما قدمه من فكر سياسى وتحليل سياسى بخصوص ظاهرة السلطة وما يرتبط بها من حقوق أو التزامات للمواطن أو لعضو الجماعة المدنية ، لابد وأن يثير أكثر من تساؤل واحد : فالسياسة وقد فهمت على أنها مواجهة للموقف ، وبهذا المعنى سبق أن رأينا النصوص والمصادر ، أما كان هذا مبررا لان يتعرض لها الفقيه أى مخرج الحلول القانونية ليقول كلمته ؟ بعبارة أخرى علينا أن نطرح هذا السؤال : لماذا لم يتعرض أحد من كبار الفقهاء وبالذات أى من الائمة الاربعة من قريب أو بعيد ؟

ان طبيعة الحضارة الاسلامية كانت تفرض عكس ذلك ، فهى حضارة لا تعرف الفصل بين السلطات ، ولا تعرف توزيع الاختصاصات ، وهى ان عرفت هذا أو ذاك ، فان هذه المعرفة تدور فقط حول التخصص العضوى لمختلف أجزاء الجهاز الادارى • هذه الوحدة فى النظرة ، هذه الشمولية فى التحليل ، ترفض أن نأخذ من البنيان النظمى بجزء نجعله موضع التخريج والاستنباط ونترك جزء آخر جامدا جانبا • ويؤكد هذه الحقيقة مبدأ آخر عرفته الحضارة الاسلامية وطبقته كجميع الحضارات القديمة وحضارات العصور الوسطى : وهى رفض الفصل بين الحياة الخاصة والحياة العامة . أضف الى ذلك طبيعة التقاليد التى تقبلها العرب فى شكل حضارات وثقافات أجنبية تارة باسم ثقافة الفارسية وتارة باسم الثقافة اليونانية • فى كلا الحالين نحن ازاء امتداد لمزيج حضارى يرفض أن يخلى الفقيه أو المشرع بالمعنى الضيق ، أى بمعنى خارق أو واضع أو مفسر القاعدة القانونية ، أى القاعدة السلوكية

الجزائية من مسئولية ازاء نفس هذه المشكلة عندما تنسب الى السلطة وتصير مرتبطة بصاحب السلطان .

فلماذا لم يتعرض رجال الفقه الاسلامي لهذه النواحي ؟ هل هو تهرب من المسئولية أم انه نتيجة لفهم طبيعة العملية التشريعية على أنها ذات طبيعة خاصة تختلف عن طبيعة عملية التقويم السياسي ؟ ولماذا على العكس من ذلك تعرض بهذه المشكلة فقط الفلاسفة بالمعنى الضيق ؟ لماذا لم نجد سوى ابن سينا أو الفارابي أو ابن خلدون فلاسفة للنظام السياسي ولم نعرف شيئا من ها القبيل لدى أبي حنيفة أو الامام مالك وغيره من رجال الفقه ؟

أسئلة جميعها الاجابة عليها تفرض منا أن نلقي بأنفسنا في أدق متاهات التحليل للتراث السياسي الاسلامي في أعظم أبعاده مع ادخال مفهوم المقارنة في دلالة التراث بين دلالة فقط الحضارة الاسلامية والحضارات الاخرى بل وبين مسالك الخلق والابداع الحضاري في داخل نفس الحضارة الاسلامية موضوعيا ومرحليا .

الكرامة

موعد مع نهاية الأسطورة

الأستاذ محمد دياب

فى مثل هذه الايام منذ خمسة أعوام بالتحديد يوم ٢١ مارس « آذار » عام ١٩٦٨ صحا الشرق العربى كله على منعطف تاريخى بالغ الاهمية .. وصحا معه العالم على مشهد مذهل ومثير .. بدد فى نهار واحد كل ما صنعته سنوات التلفيق والتآمر والكذب .

لقد ظل هذا العالم ـ أكثر من عشرين عاما ـ ضحية اسطورة ضخمة زيفتها عليه الاموال ، والمؤامرات ، والرشاوى ، وأساليب الارهاب .. اسطورة تدفع الى عقله بأخبث الافكار وتلقى فى روعه بأنذل الشعارات .. على كثرة ما تلونت هذه الافكار والشعارات واختلفت وتناقضت الى حد التصادم فى كثير من الاحيان !

ارادو ان يحملوا العالم على اليقين بأنهم واحة سلام وديمقراطية وحرية فى هذا الشرق العربى .. وأن العرب لا يسمعون منهم الا سجع الحمام .. ولكنهم ـ ويالللابرياء ـ لا يسمعون من العرب الا زئير الاسد !!

ثم أرادوا ان يقسروا فكر العالم على اعتناق مقولة اخرى تختلف تماما .. هى أنهم باطشون أقوياء ..وقوتهم لا تقهر .. وأنهم أهل الحرب والضرب والنزال والقتال ولا سواهم !

والعالم يصدق كل ما ينهال عليه .. تشرب ارضه الفكرية كل ما يزيب الدعاية التى لا تكف .. والتى تصب بتوقيت دقيق وفى كل اتجاه .. فى الشتاء تصب مياه دافئة .. وفى الصيف مياه باردة !!

كل ذلك والشرق العربى يقاسى منهم الالام والاهوال والويلات .. اغتصاب عنصرى استيطانى بشع .. مذابح وحمامات دم .. توسع بعد توسع .. عدوان أثر عدوان .. ومبادأة بالحرب بعد مبادأة .. حتى كانت حرب يونيو عام ١٩٦٧

وسكروا وانتشوا حتى الثمالة .. وركبهم شيطان الغرور والصلف الى ما لا نهاية .. وتوثبوا لابتلاع أكبر وخريطة أوسع .. وكدست لهم الزعامة الامبريالية الامريكية ترسانة سلاح هائلة .. ووقف العالم مبهورا بالمليونين اللذين هزموا مائة مليون .

وتحاملت الامة العربية على نفسها تكفكف الجراح .. وتلملم النثار .. وتعيد البناء .. ترفض الهزيمة وتصر على مواصلة الحرب التى خسرت فيها معركة .. ولكنها لم تخسر الحرب .

فى هذا الوقت بالذات .. كان العرب والعالم على موعد مع نهاية الاسطورة .. كانت أصداء معركة من أعظم المعارك العربية تحدث دويا هائلا أيقظ العالم على الحقيقة .. وأنعش الامال العربية والاسلامية فى حتمية انتصار عظيم لا يقل عن انتصارات عين جالوت وحطين وراس العش وغيرها من معارك المجد الاسلامى والعربى عبر التاريخ .

لقد نشبت معركة «الكرامة » فكانت نقطة التحول الكبرى ، ومنعطف التاريخ الصحيح .. ومحرقة الخرافة : خرافة الجيش الذى لا يقهر .

ولنشاهد على لوحة التاريخ بعض جوانب الملحمة العربية .. المفعمة بأكثر آيات البطولة والفداء والايمان خلودا على الزمان .

الساعة الخامسة والنصف فجر ٢١ مارس « آزار » ١٩٦٨.

قوات العدو الصهيونى تعبر نهر الاردن فى أخطر عملية عسكرية بعد حرب يونيو .

القوات العابرة ثلاثة ألوية تضم أكثر من ١٥ الف جندى .. تصاحبها مائة دبابة .. تغطيها ثلاثة أسراب من الطائرات المقاتلة عدا طائرات النقل التى تقوم بانزال قوات المظلات .

قوات العدو تهاجم منطقة « الكرامة » من ثلاثة محاور بعد أن عبرت النهر على ثلاثة جسور .. وكان عبور كل جسر بمجموعة لواء .

ولماذا منطقة الكرامة بالذات ؟!

لقد كانت فى ذلك الوقت منطلق العمل الفدائى الفلسطينى وقاعدة لنشاط قوات المقاومة داخل فلسطين المحتلة .. وكان الهجوم يستهدف تدمير هذه القاعده والقضاء على فصائل المقاومة وتصفيه الثورة الفلسطينيه التى تمثل الانطلاقة العربية بعد هزيمة يونيو .

وقتها لم يكن النظام الاردنى قد ادار ظهره للمقاومة .. وقتها لم تكن المذابح والمشانق والاعتقالات قد نصبت لطلائع الفداء الفلسطينى فوق أرض الاردن .. وقتها لم يكن قد ظهر بعد « أيلول الاسود » !

ودارت أعنف معركة فى الكرامة بين قوات العدو وقوات الفدائيين تساندها قوات الجيش الاردنى .. واستمرت المعركة رهيبة من الفجر حتى المساء !

يومها كان راديو عمان يواكب المعركة .. كان لهيبها المقدس يلهب كلماته وبياناته .. ومن خلال ثمانية بيانات عن معركة « الكرامة » أذاعها راديو عمان يوم ٢١ مارس « آذار » نلتقط سطورا عن سير المعركة .

البيان رقم (١) :

بدأت الاشتباكات بجميع الاسلحة .. طائرات العدو الهليوكوبترا اشتركت فى العملية .. دمرت للعدو حتى الان أربع دبابات وأعداد من ناقلات الجنود النصف جنزير والاليات الاخرى .

البيان رقم (٢) .

الاشتباكات مازالت على أشدها .. قواتنا تسيطر تماما على الموقف .. دمر عدد اضافى من دبابات العدو وناقلاته ومهماته العسكرية .. تم وقف قوات العدو عن احراز أى تقدم .. قسم من قوات العدو يرتد الى الخلف ... العدو يستخدم طائرات الهليوكوبتر فى محاولات انزال بمنطقة الكرامة .. وهذه القوة تتعرض الان للرماية الشديدة من قواتنا وقد منيت باصابات فادحة حتى الان .

البيان رقم (٣)

تدخل السلاح الجوى الاسرائيلى فى المعركة .. وهو يقصف الان مواقع وحداتنا الامامية .. وقد اشتبكت معه مدفعيتنا المضادة للطائرات .

البيان رقم (٤) :

مازالت القوات العربية مسيطرة على الموقف بكامله .. اسقطت للعدو ثلاث طائرات مقاتلة من طراز « ميستير » « وميراج » .. ودمرت له ٢٥ دبابة فى منطقة الشونة الجنوبية .. وخسائره الاولية فى الارواح تقدر بحوالى مائتين بين قتيل وجريح .

البيان رقم (٥) :

القتال يدور الان بالسلاح الابيض وبدا بيد فى منطقة الكرامة . وخسائر العدو فى المعدات والارواح تتزايد

البيان رقم (٦) :

الاشتباكات مستمرة فى مناطق الشونة والكرامة والمثلث المصرى ووادى عربة وغور الصافى .. والقوات العربية تسيطر على الموقف فى جميع المناطق .. قصفت مدفعيتنا بعض الجسور التى اراد العدو بناءها على نهر الاردن بقصد العبور .. العدو يتقهقر الى الغرب تاركا وراءه ١٧ آلية مجنزرة مدمرة ، وثمانى دبابات فى أرض المعركة .. طائرات الهليوكوبتر تقوم بنقل الخسائر والمصابين من جانب العدو .. ولكنها تتعرض لنيران كثيفة من قواتنا .

البيان رقم (٧) :

قوات العدو تنسحب على طول منطقة الاشتباكات .. وقواتنا تتعقب فلوله المندحره باتجاه النهر .

البيان رقم (٨) :

العدو يحاول تغطية انسحابه تحت ستار كثيف من القصف الجوى ونيران المدفعية الا أن نيران دباباتنا ومدفعيتنا تشاغل الفلول المنسحبة بقصف مركز شديد .. وقد فقد العدو معظم دباباته وآلياته وهو يحاول جاهدا اخلاءها الان .

....

وفى الساعة الحادية عشرة من مساء هذا اليوم الخالد .. يوم الكرامة العربية والبطولة العربية والاخوة العربية .. بدأت اسرائيل تخرج من نطاق السرية التى فرضتها على عدوانها الاجرامى .. وأعلن متحدث باسم الجيش « الذى لا يقهر » فى كلمات مقتضبة : لقد انسحبت القوات الاسرائيلية بعد « انهاكها » فى معركة وحشية استمرت طوال اليوم مع المقاومة الفلسطينية والجنود العرب .. لقد كانت معركة من أعنف المعارك منذ حرب يونيو .

ووقف ليفى أشكول رئيس وزارة العدو وقتذاك يعلن فى الكنيست : ان اسرائيل خسرت مئات القتلى والجرحى فى معركة الكرامة !

ان معركة الكرامة ستظل فى التاريخ العربى المعاصر صفحة مضيئة مشرقة نابضة بأعظم العطاء الذى يقدمه العمل الفدائى الفلسطينى لمعركة المصير العربى والاسلامى كله .. شريطة المزيد من دعم هذا العمل الفدائى وشد ازره ومساندته بكل الوسائل .. وستظل هذه المعركة فى الوقت نفسه درسا عمليا حيا لمدى ما يمكن أن تقدمه وحدة العمل العربى .. لا لمستقبل الامة العربية والاسلامية وحدها .. بل لمستقبل الانسانية كلها فى مواجهة أعداء الانسانية .

فضل العرب على الحضارة

الدكتور محمد عبد الحميد عفيفي

قد يبدو للبعض خصوصا للاوروبين فى الوقت الحاضر ان الفضل فى قيام النهضة العلمية وتقدم العلوم الذى ينعم العالم الان بثمارها يرجع الى أوروبا والى العلماء الاوروبيين وحدهم والواقع غير ذلك فى منتصف القرن السابع عرفت الجزيرة العربية انتفاضة عظيمة وقد ملا الدين الاسلامى القلوب نورا وايمانا وقد حث العرب على التقدم بالعلوم والعمل فى جميع انحاء العالم المعروف ولما بدأ العرب فتوحاتهممن أجل التبشير بالدين الجديد والعقيدة السمحة كانت حضارة الامبراطورية البيزنطية وحضارة بلاد فارس أوشكت على الغروب وقد كانتا تضيئان العالم بأشعاع باهت أنار طريق المعرفة والحكمة .

وقد اثرت هذه الفتوحات فى العالم الجديد اهتمام العرب الذين كانوا يبحثون فى شغف عما يذودهم بالجديد من المعلومات والافكار من أجل تطوير حضارتهم . فعند أختلاطهم بشعوب البلاد التى فتحوها اختلطت الحضارات وأخذ العرب عنهم الجديد وأضافوه الىحضارتهم. وحينما انقضىعهد الغزوات والفتوحات والحملات البعيدة التى استهدفت أقصى الشرق حتى وصلت الى الصين بادر العرب بدراسة علوم وآداب الشعوب العريقة وأنكبوا على تحصيل العلم والتأليف فيه وبدأوا أولا بترجمة المؤلفات اليونانية والسريانية والقبطية والفارسية والهندية وغيرها ثم عدلوها وهذبوها ورتبوا علومها وأضافوا اليها ما حصلوا عليه بتجاربهم وطبعوه بالطابع العربى الاسلامى وحذفوا كل ما يتنافى مع عقيدتها ودينهم وظهر نبوغهم فى الكثير من العلوم الطبيعية مثل الرياضة والفلك والطب والكيمياء والطبيعة .

لذلك فاننا نرى أن الغرب مخطىء حين يدعى أن الفضل فى قيام النهضةالعلمية وتقدم العلوم انما يرجع الى علمائه وكأنهم تناسوا أن النهضة الاوروبية التى بدأت تباشيرها فى القرن السادس عشر أى بعد العرب بحوالى تسعة قرون نتيجة للتراث العلمى الذىنقله العرب الى أوروبا عن طريق المستعمرات العربية أو بالاحرى البلاد التى فتحها المسلمون ومنها الاندلس وصقلية اللتين طبعتهما بالطابع العربى وتبدو فيهما آثار العرب شاهدة على تفوق العرب ومدى النهضة والتقدم الذين أحرزوهما أثناء أوج تلك الحضارة الزاهرة .

ومن كتب ومخلدات العرب نرى أن الحماس الذى اشتهروا به فى ميادين القتال ووسط صليل السيوف ذلك الحماس الذى حقق لهم النصر فى جميع الحروب والغزوات لا يقل عن الحماس الذىبدأوا به فى البحثعن المعرفة والخوض فى غمار معارك الادب فنرى أن الخلفاء الامويين شجعوا الادب فى كل انحاء الجزيرة العربية والبصرة والشام لاسباب سياسية أهمها أنها بمثابة ملهاة للعرب عن مساوىء حكمهم وقد نبغ الكثير من العرب فى الادب وخاصة الشعر فظهر جرير والفرزدق وكانت لهما شعبية ضخمة فى بلاد العرب وذلك لانهما نشأ بالجزيرة العربية وتثقفا بثقافتها وأجادا اللغة العربية على يد كبار العلماء فشدوا انتباه العرب وكانوا ينشدان أشعارها فى الاسواق التى اقيمت لذلك خصوصا . كذلكنرى شغف

الخلفاء العباسين بالادب فقد جعلوا بلاطهم مستقرا للعلماء والباحثين وأنشأ المكتبات الضخمة وقد كان أحد هؤلاء الخلفاء يمنح كل من يؤلف كتابا وزنه ذهبا وذلك تشجيعا للمعرفة والتقدم فى هذا الميدان الذى اشتهر به العرب منذ قديم الازل . كذلك عمل هؤلاء الخلفاء على استقبال العلماء من شتى أنحاء العالم وضيافتهم فى مقابل الانتفاع بعلومهم وثقافتهم وقد آفادهم فى ذلك العلماء الرومان والاغريق الذين لم يبخلوا بثقافتهم على العرب ماداموا سوف يتقاضون أموالا كثيرة .

وفى سنه ٤٢١ قام الرهبان النسطوريون ببناء مدرسة فى مدينة اديسا وحتى عام ٤٨٦ كانت هذه المدرسة بمثابة مركز اشعاع حضارى ومنها انتقل الفكر الرومانى الى الشرق ولكن « زينون » قام بهدم هذا المركز الحضارى فسخط عليه مؤسسو المدرسة واعتبروا هدم هذه المدرسة جريمة فى حق الله وفروا الى بلاد فارس وهناك وجدوا ترحيبا من الفرس وقد قدر هؤلاء الفرس علم الرهبان وثقافتهم واتاحوا لهم الفرصة لاعادة بناء مدرسه كالتى بنيت فى سوريا حتى يتمكنوا من نشر ثقافتهم وافادة الفرس منها . وتلاهم الى بلاد فارس الفلاسفة الاقل شهرة وهم اتباع مدرسه أفلاطون التى أزدهرت فى أثينا وكذلك رهبان وفلاسفة الاسكندريه الذين اغلقت مدارسهم أيضا . وكان هؤلاء العلماء يترجمون كتب ومؤلفات الفليسوف الاغريقى أرسطو . وجالينوس وبطليموس وغيرهم من العلماء والفلاسفة اليونانيين الى لغات شرقية ويرجع الفضل الى هؤلاء العلماء فى اكتشاف العرب عند فتحهم بلاد سوريا وفارس جزءا من الثروة الادبية التى خلفها هؤلاء وكانت سببا فى ازدهار الحضارة العربية لانهم استفادوا منها واصبحوا على بينه بما توصل اليه الرومان فى اثناء وجود الامبراطورية الرومانية الشرقية التى كانت قد اندثرت فى ذلك الحين . وقد استطاع العلماء العرب ترجمة ما خلفه الفلاسفة اليونانييون من مخطوطات فى الفلسفة والعلوم وعدلوا عليها واضافوا اليها بحيث تلاءم المجتمع العربى بما فيه من عقائد وتقاليد متبعة أستطاع الاسلام أن يمحوا السىء فيها ويستبدلها بما هو جدير بالعناية والاهتمام .

وقد حاز الخليفة بحيازتهم شرف ترجمة أول مخطوطات يونانية لفلاسفة يونانيين فى عصره ، لذلك أتبعه كثير من الخلفاء بحيازتهم شرف الاهتمام بالعلوم اليونانية وترجمة ما جاء بمخطوطاتها فى عصورهم ومنهم الخليفة محمد المهدى ، والخليفة هارون الرشيد والخليفة المامون .

وقد أهتم العرب بما ترجم من مؤلفات فكانوا يدرسون فى المدارس الى جانب الدراسات الدينية والتشريعية والقرآن وآداب الاغريق من مؤلفات لارسطو .ومخطوطات لجالينوس وابقراط وارشميدس وبطليموس وهذا دليل على اهتمام العرب بمؤلفات اليونانيين لما عاد عليهم بالفائدة .

وقد أنتشر الفكر اليونانى من نهر الفرات شرقا وشمال افريقيا الى نهر الوادى الكبير فى الاندلس ومنها الى فرنسا وايطاليا .

وقد كان لمدرسه بغداد أثر كبير فى انعاش الحضارة اذ اضافت الى ما ترجم اضافه تعتبر ذات اهميه كبيره لانها حصلت على أساس العلم فاضافت اليه وجعلته علما قائما بذاته بعيدا عن الخرافات كذلك تمسكه بالثقافة الاسلامية مما اتاح الفرصة لظهور أفكار جديده ساهمت فى تطوير عظيم فى مختلف ميادين العلوم ومن يدرس ما قامت به يجد آنها أحيت افكار كانت قد توارت ولم يفكر فيها من جاء من العلماء فى بلادها فيجد آن هذه المدرسة العريقة ساهمت فى بناء حضارة أفادت البشرية جمعاء ويبدو لنا أنه لولا ما قام به العلماء المسلمون من جهود مضنية فى سبيل ازدهار العلوم لما قامت النهضة الاوروبية الحديثة التى اعتمدت تماما على ما ألفه العرب واضافوه الى العلوم والدراسات الاغريقية واليونانية .

وقد وصف أحد المفكرين الغربيين الجهود التى بذلها العرب فى سبيل الافادة من العلوم واضافة كل جديد اليها فقال : « ان العرب فى العصور الوسطى كانوا الشعب الوحيد الذى قدم الحضارة وهدم كل ما كان يعوق هذه الحضارة لكى تنفذ الى اوروبا وتنتشلها من ظلمات الجهل التى طالما عانت منها واستسلمت لها نتيجة أنصرافهم الى الحروب والنزاعات الداخلية مما صرفهم عن النهوض ببلادهم والسير فى ركب الحضارة .

لقد بدأت شمس الحضارة تشرق فى أوروبا بعد ثمانمائه عام من شروقها فى الشرق وكان ذلك لان أوروبا عاشت عصورا بربرية همجية دعتها الى الاهتمام بالفتوحات والغزوات وصرفتها عن العلوم والفنون التى ازدهرت فى بلاد العرب وهكذا كان العرب وكان السلام فى يمناهم والقرآن فى يسراهم يغزون من اجل نشر دينهم بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام وقد بدأت هذه الغزوات التى استطاعت أن تخضع الجزء الاكبر من آسيا وافريقيا وأسبانيا .

وفى النهاية فان الفضل يرجع للعرب الذين أضاءوا طريق المعرفة الحقة البعيدة عن السحر والشعوذة وهيأوا للعالم حضارة بنيت على أسس سليمة استحدثت مادتها من حضارات البلاد الاخرى التى كان الفتح الاسلامى سببا فى احتلاط حضارتها بحضارة المسلمين وكانت الاساس الذى بنيت عليه الحضارات الاوروبية اللاحقة .

لذلك وجب على الاوروبيين الا ينكروا فضل العرب فى ازدهار حضارتهم لانه لولا العرب لاندثرت الحضارة اليونانية والفارسية ولعاش العالم الغربى فى ظلمات الجهل يتخبط فيها ولا يجد منها سبيلا للفرار أو النهوض .

مواقف خالدة لأبي بكر وعمر

رضي الله عنهما

المستشار عبد الستار آدم

تحدثت فى مقالات سابقة بهذه المجلة الغراء عن العدل في الاسلام وأن حياة الرسول الكريم ، صلوات الله وسلامه وتحياته عليه ، وخلفائه واتباعه ، رضى الله تعالى عنهم، كانت حافلة بالمثل العالية فى اقرار مبدأ العدالة واشاعة العمل به .. وقدمت بعض الحوادث التى تدل على عدل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ..

واليوم اقدم بعض الامثلة على عدل الخلفاء الراشدين

• • •

الخليفة الاول أبو بكر الصديق ، رضى الله تعالى عنه

اشتهر عدل الخليفة ابى بكر ، وغيرته على الحق ، حتى قبل أن يتولى الخلافة .. فقد روى انه كان بين عائشة زوج النبى ، رضى الله تعالى عنها ، وبين النبى ، عليه أفضل الصلاة وازكى السلام ، نقاش ، اسفر عن جدل وعتاب .. فسألها الرسول ، صلى الله عليه وسلم :

« من ترضين أنيكون بينى وبينك ؟ أترضين بأبى عبيدة ابن الجراح ؟

قالت عائشة :

« لا .. ذلك رجل هين لين ، يقضى لك »

قال : « أترضين بأبيك »

قالت : نعم »

فلما جاء أبو بكر ، رضى الله تعالى عنه ، قال الرسول لزوجته : « اقصصى » .. قالت : « بل اقصص أنت »

فانشأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقص ما كان من تفاصيل الموضوع .. ولم تدر عائشة الا وكلمة تبدر من فمها عفوا اثناء سرده ، عليه صلوات الله وسلامه وتحيته ، اذ قالت للنبى : « اقصد » (اى لا تستطرد وأوجز) .

فما كان من ابى بكر ، (رضى الله تعالي عنه) الا أن اعترته الحدة، التى تعتريه غيرة على الحق ، فانتفض ينتهرها ويلطمها ، وهو يهتف :

« تقولين يا بنت ام رومان : اقصد .. من يقصد اذا لم يقصد رسول الله ؟

وسال الدم من انف السيدة عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، لعنف اللطمة .. والنبى يحجز بينهما محاولة تهدئة الموقف البسيط بطبيعته بعد اذ

تطورت الامور على ذلك النحو ، وهو يقول لصفيه مهونا : « انا لم نرد هذا » .

ولما ولى : رضى الله تعالى عنه ، الخلافة سار على نهج الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم، وأعلن للناس فى صراحة وجلاء ، فى اول خطبة خطبها بعد بيعته ، انه يدين بالمساواة، وانه لا يميز نفسه عن أحد حيث قال :

« ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فاعينونى، وان اسأت فقومونى » .

• • •

ومما يروى عن عدله ، رضوان الله عليه ، أن عمر بن الخطاب طلق زوجته جميلة بنت ثابت وله منها ولد صغير ، يدعى عاصم ، رآه يلعب يوما مع الصبيان فحمله بين يديه فادركته جدته ، الشموس بنت ابى عامر ، وراحت تتنازعه اياه حتى انتهيا الى الخليفة أبى بكر ، **فقضى للوليد لامه قائلا لعمر ، « خل بينه وبينها ، فهى حاضنته .. ان ريحها وشمسها خير له منك »** .

فرد عمر الوليد لامه

وقد علق أحد الحكماء على عدل الخليفة أبى بكر ، رضى الله عنه ، فى هذه الواقعة بقوله :

« حين يعدل رجل حين يهم بالجور عمر ، لهو من العدل بمكان لا يسامى » .

• • •

وكان الفىء يجىء الى ابى بكر ، رضوان الله عليه ، فيوزعه كله على المسلمين بالقسط ، وعلى درجة سواء ، لا يميز أحدا من أحد ، ولا رجلا من امراة ، ولا حرا من عبد .. وتقول السيدة عائشة، رضى الله تعالى عنها فى هذا الشأن :

« قسم ابى أول عام الفىء ، فاعطى الحر عشرة ، وأعطى المملوك عشرة ، والمراة عشرة ، وامتها عشرة ، ثم قسم الفىء فى العام الثانى فأعطى عشرين عشرين .. الخ » .

• • •

الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :

اشتهر عن عمر عدله

ويرجع عدله لعدة اسباب :

بعضها عن وراثه أهله ، فقد ورث القضاء من قبيلته وآبائه ، فهو من أذكى بيوت بنى عدى ، الذين تولوا التحكيم فى عهد الجاهلية .

وبعضها من تكوينه الشخصى ، فقد كان قويا مستقيما ، لايحابى أحدا ، لانه لا يخاف احدا .

وبعضها من تعليم دينه ، فقد استمسك بالدين ومن ثم كان عمر أقوى العادلين ، ولم يبلغ احد مبلغه من توخى العدل والانتصاف لكل مظلوم .

فقد قيل ان عمر هو ابو العدل ، فقد اشتهر بالعدل واشتهر العدل به .

كما سمى ، رضوان الله عليه ، (بالفاروق) لانه هو الذى فرق بين الحق والباطل ، بحيث لا يختلطان ولو فصلت بينهما شعرة .

وقد شهد له بذلك سيدنا خير البرية ، صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الطبرانى قوله ، عليه الصلاة والسلام :

« عمر معى وأنا مع عمر ، والحق مع عمر أين كان »

ولذلك فقد عهد اليه الخليفة الاول ، ابو بكر الصديق ، رضى الله تعالى عنهما ، بالقضاء .. ويقال انه ظل سنتين لا يأتيه متخاصمان لما اشتهر عنه من الشدة والحزم وتقصى الحق والعدل بين الناس .

• • •

ومن آثاره التى لا تنسى ، والتى يفخر بها المسلمون فى كل زمان ومكان ، أنه سن للحكام والولاة والقضاه اعظم ما يسنه حاكم من عدالة ومساواة ، **ويتجلى ذلك فى الحوادث الاتية :**

اولا :

سوى عمر رضوان الله عليه بين ابنائه وسائر المسلمين ، فبلغ بذلك مبلغ البطولة فى العدل والمساواة .

وقصة ابنه عبد الرحمن بن عمر ، رضى الله عنهما ، فى مصر معروفة ومشهورة .. فقد رواها عمرو بن العاص والى مصر يومئذ فقال :

« دخلا ــ يقصد عبد الرحمن بن عمر وابا سروعة ــ وهما منكسران ــ فقالا : « اقم علينا حد الله ، فانا قد اصبنا البارحة شرابا » .. فزبرتهما (أى زجرتهما) وطردتهما .. فقال عبد الرحمن : « ان لم تفعل أخبرت ابى اذا قدمت عليه » .. فحضرنى رأى ، وعلمت انى ان لم اقم عليهما الحد غضب على عمر فى ذلك وعزلنى وخالفه ما صنعت .. فنحن على ما نحن عليه اذ دخل عبد الله بن عمر ، فقمت اليه فرحبت به وأردت أن اجلسه فى صدر مجلسى فابى على وقال : « ابى نهانى أن ادخل عليك الا أن لا أجد من ذلك بدا .. ان أخى لا يحلق على رءوس الناس ، فاما الضرب فاصنع ما بدا لك » .

واستمر عمرو بن العاص يقول :

وكانوا يحلقون مع الحد ، فاخرجتهما الى صحن الدار فضربتهما الحد ، ودخل ابن عمر بأخيه الى بيت من الدار فحلق رأسه ورأس ابى سروعة ، فوالله ما كتبت الى عمر بشيء مما كان حتى اذا تحينت كتابه اذا هو نظم فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين عمر الى العاصى ابن العاص

« عجبت لك يابن العاص ولجرائتك على وخلاف عهدى .. فما أرانى الا عازلك مسيء عزلك . تضرب عبد الرحمن فى بيتك وتحلق رأسه فى بيتك ، وقد عرفت ان هذا يخالفنى . انما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت هو ولد امير المؤمنين ، وقد عرفت الا هوادة لاحد من الناس عندى فى حق يجب لله عليه . فاذا جاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع »

قال عمرو :

« فبعثت به كما قال أبوه ، واقرأت ابن عمر كتاب ابيه ، وكتبت الى عمر كتابا اعتذر فيه وأخبره انى ضربته فى صحن دارى ، وبالله الذى لايحلف باعظم منه أنى لاقيم الحدود فى صحن دارى على الذمى والمسلم ، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر »

قال أسلم غلام عمرو :

« فقدم عبد الرحمن على ابيه فدخل عليه ، وعليه عباءة ولا يستطيع المشى من مركبه .. فقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه :

« يا عبد الرحمن فعلت كذا

فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال :

« ياامير المؤمنين قد اقيم عليه الحد مرة »

فلم يلتفت الى هذا عمر وزبره

فجعل عبد الرحمن يصيح : « أنا مريض وانت قاتلى »

فضربه وحبسه .. ثم مرض فمات رحمه الله .. انتهى كلام أسلم .. ويقول البعض ان عبد الرحمن ابن عمر مات متأثرا من الضرب .

ولكن الصحيح — كما يقول الكاتب الاديب المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد — انه مات ميتة طبيعية ، اذ أنه لبث بعد الضرب شهرا صحيحا ، ثم اصابه قدرة فظن عامة الناس انه مات من الجلد ، ولكنه لم يمت منه .

ثانيا : جاء مصرى الى عمر بن الخطاب فشكا اليه والى مصر حينذاك عمرو بن العاص وزعم أن الوالى أجرى الخيل فاقبلت فرس المصرى فحسبها محمد بن عمرو بن العاص فرسه وصاح

« فرسى ورب الكعبة »

ثم اقتربت الفرس وعرفها صاحبها ، فغضب محمد بن الوالى ووثب على الرجل يضربه بالسوط ويقول له :

« خذها وأنا ابن الاكرمين »

وبلغ ذلك اباه عمرو بن العاص فخشى ان يشكوه المصرى الى الخليفة فحبسه زمنا ، ومازال محبوسا حتى أفلت وقدم الى الخليفة لابلاغه شكواه .

فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للمصرى اجلس ومضت فترة استقدم فى خلالها عمرو بن العاص وابنه محمدا من مصر ·

ولما حضرا ومثلا بين يديه نادى أمير المؤمنن على المصرى .. ولما حضر قال له :

« دونك الدرة ، فاضرب بها ابن الاكرمين »

ويقول أنس بن مالك راوى القصة :

« فضربه حتى اثخنه (اى أوجعه) ونحن نشتهى أن يضربه، فلم ينزع حتى احببنا ان ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول :

« اضرب ابن الاكرمين »

ثم قال عمر ، رضى الله عنه ،

«أجلها (أى أدرها) على صلعة عمرو ، فوالله ماضربك ابنه الا بفضل سلطان والده » ·

فقال عمرو فزعا ،

« ياأمير المؤمنين ، قد استوفيت واشتفيت »

وقال المصرى معتذرا :

« ياأمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى »

فقال عمر :

« اما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه »

والتفت الى عمرو مغضبا يقول له تلك القولة الخالدة ، التى ما قالها حاكم قبله :

« أيا عمرو ، متى تعبدتم (اى استعبدتم) الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا »

فانظر الى عدل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، وكيف اقتضى للمصرى من ابن الوالى ، كما انه كان يريد أخذ الوالى بنفسه بذنب ولده ، لانه انما يستطيل على الناس بسلطان الولاية ، ولم ينهاه الوالى المسئول عنها

والى العدد القادم من هذه المجلة الغراء ، لاقدم — ان شاء الله سبحانه وتعالى — امثلة اخرى للعدل فى الاسلام .

والله ، عز وجل ولى التوفيق والسداد

بين الفلسفة و التصوف والتشريع الإسلامى

الأستاذ سعيد زايد

يتخذ علم الظاهر موضوعه من الاعمال الظاهرة كأعمال الجوارح ، وهى العبادات الاربع التى فرضها الله على عباده ، والتى تعتبر أساسا للاسلام بعد الايمان ، وأعنى بها الصلاة والصوم والحج والزكاة ، ولهذه العبادات ملحقات مثل الطهارة والجهاد فى سبيل الله والتضحية والوفاء بالايمان والنذور ، الى غير ذلك . وواضح أن لهذه العبادات وملحقاتها شروطا لا تكمل من غيرها ، وأركانا يجب مراعاتها حين القيام بها ، وقد اختلفت المذاهب الاربعة فى جزئيات هذه الشروط ، وليس هنا مجال تفصيل القول فيها .

ذلك هو الجانب التعبدى الذى يعنى به التشريع أو الفقه ، وهذا الجانب هو الذى ينظم علاقة العبد بخالقه . غير أن التشريع الاسلامى قد تعدى ذلك الى دائرة تنظيم العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض ، شأنه فى ذلك شأن اى تشريع وضعى ، ولئن كان هذا الجانب قد جاء فى القرآن الكريم مجملا الا أن السنة النبوية الكريمة قد فسرت غامضه وفصلت مجمله .

ومن ثم أخذ التشريع الاسلامى يتطور على أيدى الصحابة والتابعين والفقهاء والمشرعين بتطور المجتمع العربى وما كان يعتوره من مشاكل سياسية كنتيجة لازمة للتوسع فى الفتح ومحاولة تطبيق التشريع الاسلامى على بلاد تدين بثقافات مختلفة .

ويطول بنا المقام ونخرج عن موضوع البحث اذا نحن حاولنا أن نستقصى الجانب الوضعى فى التشريع الاسلامى ، ويكفى أن نقول ان التشريع الاسلامى فصل القول فى نظام الملكية الفردية واحترامها وشرع العقوبات على من يحاول أن يعتدى عليها .

ومن جهة ثانية عنى بالاسرة عناية كبيرة ، وتكلم عن نظام العقود وشروطه والمهور وتعدد الزوجات وحقوق الزوج وحقوق الزوجة ، والطلاق .

ومن جهة ثالثة تكلم عن الحياة الانسانية وتقديسها ، وفرض أحكاما على من يحاول الاعتداء عليها .

ومن جهة رابعة تكلم عن نظام الحكم ووجوب الطاعة للحاكم .

ومن هنا يتبين أن موضوع الفقه يتناول أعمال الجوارح الظاهرة سواء منها ماكان لتنظيم العلاقات بين العبد والرب أو بين العباد بعضهم مع بعض ، فلا غنى للنفوس المؤمنة كل يوم عن الفقه – على حد تعبير الغزالى – فى كتابه الجام العوام من علم الكلام ، وان كان يتهكم فى غير موضع على الفقهاء اذ يذكر أنهم ينظرون فى الصبر والشكر بالاضافة الى صلاح الدنيا ولكن المتأمل فى الجوانب المختلفة للفقه يرى أن فى نظرة الغزالى مبالغة ، اذ أن الجانب التعبدى فى الفقه يضع نصب عينيه الاوامر الالهية ، وذلك لا للفلاح فى الدنيا فقط ، بل فى الاخرة أيضا . هذا بالنسبة لموضوع الشريعة .

أما التصوف أو علم الباطن فقد تفرعت موضوعاته وتعددت مسائله واتسع نطاقه بمرور الزمن وبفعل الفتوحات الاسلامية والتأثر بالحضارات الاجنبية من ديانة فارسية مزدكية او زرادشتيه وحكمة هندية مانوية ، ومن فلسفة يونانية اشراقية أفلاطونية أو رواقية حلولية او احدية الوجود ، وكذلك بالمتكلمين والفلاسفة ، وباتجاه الصوفيين أنفسهم . فى نظرتهم الى الغاية التى يقصدون اليها . ولا شك ان كل هذه العوامل قد وسعت دائرة موضوع التصوف .

اتسع موضوع التصوف واتسع حتى أضحى موضوع علم الظاهر جزءا يسيرا من جملة مسائله . فالصوفية قد بدأوا أول أمرهم ينظرون فى العبادات على أنها الوسيلة التى تجنبهم دخول النار وتيسر لهم دخول الجنة ، شأنهم فى ذلك شأن المشرعين ، ثم تجاوزوا ذلك وأخذوا ينظرون اليها على أنها الوسيلة التى يستطاع عن طريقها تنقية النفس من شوائب الحس وتطهير القلب من أدران المادة ، ثم تطورت وجهة نظرهم فغدوا يرون فى كل ركن من أركانها ولا سيما فى الصلاة دليلا على وجود الحقيقة الالهية ،

فكانوا يرون أن اقامة الصلاة اشارة الى اقامة ناموس الواحدية ، والطهارة بالوضوء عبارة عن ازالـــة النقائص الكونية ، وكونها مشروطة بالماء أو التراب اشارة الى أنها لا تزول الا بعد ظهور آثار الصفات الالهية التى هى حياة الوجود ، لان الماء سر الحياة والتراب أصل الخليقة ٠

ومن هنا يظهر أن الصوفية عنوا بما عنى بـه المشرعون ، ولكن بحثهم له كان بطريقتهم الخاصة ، وتاويله كان على حسب غايتهم من الحياة ٠ فاذا كان علم الحقيقة يشترك مع علم الشريعة فى ذلك الجـزء التعبدى الا أنه لا ينظر الى تلك العبادات من حيث أنها سبيل الى تحقيق الكمال الانسانى والاتصال بالعالم الروحانى ٠ فكانت العبادات عندهم عبارة عـن مجاهدات ورياضات ٠

وبالاضافة الى ذلك نرى أن أهل الباطن لم يقصروا همهم على النظر فى أمر هذه العبـادات باعتبارها محققة لغاية الفناء والاتحاد فحسب ، ولكنهم نظروا الى آثارها فى النفس الانسانية وما تمر به من أحوال ومقامات الى أن تصل الى أسمى مقام ، فقد عنى الصوفية عناية كبيرة بالاعمال الباطنة وهى الاحوال والمقامات ، ومن هنا جاءت تسمية علمهم بعلـم الباطن ٠ والاحوال والمقامات على حد تعـريف الجرجانى فى كتابه «تعريفات سيد شريف »هى :

« الحال عند أهل الحق معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب ، فاذا لزم وصار ملكا يسمى مقاما » ، فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب ، والاحوال تاتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود ٠ ونكتفى هنا بهذه اللمحة عن الاحـوال والمقامات ، والمهم هو أن نقول ان موضوع التصوف هو القلب والباطن ٠

هذا بالنسبة الى موضـوع الشريعة وموضـوع التصوف ، أما بالنسـبة الى موضوع الفلسفةفلابدمن أن يحترس الفكر حين يريد أن يحدد لها موضوعا ٠

ماهو موضــوع الفلسفة ؟ هـل يوجد للفلسفة موضوع معين تبحث فيه ؟ أو بعبارة أخرى هل توصل الفلاسفة الى تعريف جامع مانع للفلسفة ؟ ٠٠ أما التعريف الجامع المانع فشاق عسير ، بل متعـذر مستحيل فى الفلسفة ٠٠٠ فكلمة الفلسفة اختلـف معناها اختلافا بعيدا ، كما اختلف مدلولها اختلافا أبعد ، فقد كانت فى بدء حياتها أما رؤوما تضم الى صدرها أنواع المعرفة جميعا ، ولكن أخذ صغارها كلما تقادم العهد يشتد ساعدها وتزداد رشدا، حتى نمت نموا أدى بها الى اعتزال ذلك الصدر الحنون ، والاتجاه نحو الاستقلال فى البحث »

ويعرف بعضهم الفلسفة « بأنها تعرف الموجود المطلق » ، وبالطبـع انكر الماديون هذا التعـريف انكارا تاما ٠٠٠ وهكذا بقية التعريفات ٠

فالفلسفة الى الان لم تحظ بتعريف جامع مانع يحدد موضوعها ٠٠٠ على أننا نستطيع أن نستخلص أن وجهات النظر المختلفة فى الفلسفة وان تعددت فانها تتفق فى شىء واحد هو العقل ، فالعقل هو موضوع الفلسفة بلا مراء ، أى أن المشاكل الفلسفية لابد وأن يقبلها العقل بعد فحصها وتمحيصها والا فهى وهم أو حديث خرافة ٠

فاذا كان موضوع التصوف هو القلب والشعور ، فان موضوع الفلسفة هو العقل والمنطق ٠

على أن الامر ليس من البساطة الى هذا الحد ٠ فهناك مسائل فلسفية تناولها التصوف الاسلامى ولكن بأسماء أخرى ومنهج آخر ، ويكفى أن نشير الى أربع مسائل كانت ولا تزال من أهم موضوعات الفلسفة الميتافيزيقية ، وهى : مسألة الوجود ونظرية المعرفة ومركز الانسان بالنسبة الى العالم والله ، ومشكلة الاديان ونشأتها ٠

ففيما يختص بمسألة الوجود نـــرى أن الجمهـور الاعظم من الصوفية يقول بوحدة الوجود وعلى رأس هذا الفريق ابن عربى ، وقال بعضهم بالحلول وعلى راسهم الحلاج ٠ والفرق بينهما أن المذهب الاول يقول بوجود واحد وحقيقة واحدة بالرغم من تعدد مظاهرها ونواحيها ، أما المذهب الثانى فيتضمن ثنائية ، او حقيقتين تحل احدهما بالاخرى ٠

ونحب هنا أن نشير الى أن القائلين بوحدة الوجود من المسلمين ليسوا من هؤلاء الذين يـرجعون الموجودات الى حقيقة واحدة تصغيرا لفكرة الالوهية واعلاء لفكرة المادية ، شأنهم فى ذلك شأن أصحاب مذهب المادية فى الفلسفة وهم ليسوا أيضا لادينيين فهم يعتقدون بوجود الله وليس فى الوجود شىء سواه ، وانما هم من ذلك الفريق الذى يتضاءل العالم فى نظرة الى ان يكون عدما محصنا ، وهم ايضا لا يرون لله تلك الصفات التى تنسبها الاديان من أنه خالق ومريد وقوى وعالم ٠٠٠ الخ ٠

فالصوفية ينظرون الى الله والانسان لا كخالق ومخلوق ، ولكن ككل وجزء ونحب أن نشير أيضا الى أن قول الصوفية بتنزيه الله عن الصفات لا يتصل بشىء الى تنزيه المعتزلة له ، اذ أن تنزيه الصوفية يتلخص فى أنه سبحانه غير محدود ولا نهائى مطلق ، وقد يضيف الصوفية بعض صفات ، ولكن لا على نحو ما فعل الاشاعرة ، ولكنهم يرون أن سمعه هو سمع الموجودات وبصره هو بصرها جميعا ٠

وفيما يختص بالحلوليين ، فكانوا يرون الله حالا فى كل شىء ، وينظرون الى كل شىء فى هذا العالم على أنه مظهر من المظاهر التى يحاول بها الله اثبات وجوده ، ويستدلون على ذلك بالحديث القدسى « كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى »

ونكتفى هنا بهذا القدر آملين أن يتبين منه أوجه القرب والبعد بين موضوعات الشريعة والتصوف من ناحية وبين التصوف والفلسفة من ناحية أخرى ، فقد اتسع موضوع التصوف حتى كاد أن يصبح الفقه فرعا من فروعه ، وكاد من جهة أخرى أن يطاول الفلسفة ويبحث فى جميع موضوعاتها

مصر
فى رعاية آل بيت رسول الله

الأستاذ أحمد يوسف أحمد

القاهرة .. بلد الالف مئذنة .. التى تصعد الى السماء مومية ، كأنها أصابع المتشهدين .. تبتهل الى الله . وتشدو بذكر الله .. وتسبح بحمد الله .

هذه المآذن الالف التى لم تحوها مدينة فى العالم المعروف ، منذ ما انبثق الدين الاسلامى الى اليوم !

والبلد الذى يحتضن أديمه اجساد آل بيت رسول الله سيدنا « محمد » عليه صلاة الله وسلامه :

السيدة « زينب ! .و السيدة « رقية » ، ابنتى على ابن ابى طالب رضى الله عنه .. والسيدة « سكينة » بنت ابن بنت رسول الله الامام الحسين بن على رضى الله عنه – والرأس الشريف لابى الشهداء الحسين بن على .. وابن الحسين « على زين العابدين » .. والسيدة « نفيسة » بنت الحسن بن زيد ابن الحسن بن على بن ابى طالب .. والسيدة « عائشة » بنت جعفر الصادق رضى الله عنه .

ثم صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام الذين اشار المؤرخ العربى « ابن الحكم » بأن منهم من شهدوا فتح مصر من اصحاب الرسول ، من قريش وغيرهم .. ومنهم من لم يكن له برسول الله صحبة .. وذكرهم جملة فقال : « الزبير بن العوام . وسعد بن أبى وقاص .. وعمرو بن العاص ، وكان أمير القوم .. وعبد الله بن عمرو بن العاص .. وخارجه بن حذافة العدوى .. وعبد الله ابن عمر بن الخطاب . وقيس بن أبى العاص السهمى .. والمقداد بن الاسود .. وعبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى .. ونافع بن عبد قيس الفهرى . وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وابن عيذة .. وعبد الرحمن .. وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة ، مولى عمرو بن العاص ، وكان حامل لواء عمرو بن العاص .. رضى الله عنهم .

« وقد اختلف فى سعد بن أبى وقاص . فقيل : انما دخلها بعد الفتح .

« وشهد الفتح من الانصار : عبادة بن الصامت ، وقد شهد بدرا وبيعه العقبة . ومحمد بن مسلمة الانصارى ، وقد شهد بدرا ، وهو الذى أرسله عمر من الخطاب رضى الله عنه الى مصر ، فقاسم عمرو بن العاص ماله ، وهو أحق من كان صعد الحصن (بابليون) مع الزبير بن العوام ومسلمة بن مخلد الانصارى ، ويقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصارى .وأبو الدرداء عويمر بن عامر ، وقيل عويمر بن زيد

« ومن أحياء القبائل : أبو بصرة حميل بن بصرة الغفارى

« وشهد الفتح مع عمرو بن العاص هبيب بن مغفل ، واليه ينسب وادى هبيب الذى بالمغرب . وعبد الله بن الحارث بن جز الزبيدى . وكعب بن ضنه العبسى ، ويقال كعب بن يسار بن ضنه . وعقبة ابن عامر الجهنى ، وهو كان رسول عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص حين كتب اليه يأمره أن يرجع ان لم يكن دخل أرض مصر .. وأبو زمعة البلوى . وبرح بن عسكل ، ويقال برح بن عسكر ، شهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن ابى أمية الازدى وسفيان بن وهب الخولانى ، وله صحبة ومعاوية ابن خديج الكندى ، وهو كان رسول عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية ، وقد اختلف فيه ، فقال قوم له صحبة ، وقال آخرون ليست له صحبة .وعامر مولى حمل ، الذى يقال له عامر حمل ، شهد الفتح ، وهو مملوك . وعمار بن ياسر ، ولكن دخل بعد الفتح فى أيام عثمان ، وجهه اليها فى بعض أموره » ..

ويتضح من هذا الاحصاء ، أن مصر تشرفت بوجود فئة كبيرة ، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاشوا وتنقلوا على أديم أرضها . وقد يكون الكثيرون منهم فارقوا الحياة وهم فوق أرضها ، اما مستشهدين وقت الفتح . فدفنوا فى مصر .. أو مستقبلين ربهم عند انتهاء آجالهم ، ودفنوا أيضا فى ثرى مصر ..

ومن دفن منهم بمصر ، فقد شرفت بهم أرضها ، باحتوائها أجسادهم الطاهرة

هذا غير ما ضم ثرى مدينة القاهرة من رفات أئمة الدين الاسلامى العظام ، أمثال : الامام « أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى » .. والامام « الليث بن سعد » .. واليهما تنسب القرافتان بجنوب القاهرة : قرافة الامام الشافعى .. وقرافة الامام الليث .

وكذلك رفات أئمة المتصوفة ، وعلماء الدين ، أمثال : « عمر بن الفارض » .. والامام « عبد الوهاب الشعرانى » . و « أبو الفيض ذو النون المصرى » .. و « جلال الدين السيوطى » .. و « الفخر الرازى » .. و « أبو الحسن الدينورى » .. و « على الخواص » .. وغيرهم .

وتناثرت على رقعة أرض مصر ، الممتدة من الاسكندرية الى أسوان .. رفات صحابة الرسول ، والتابعين ، وأولياء الله ، والمتصوفين .. امثال ابو الدرداء عويمر بن عامر وأبو الحسن الشاذلى » .. و « أبو العباس المرسى » .. و « أبو اسحاق ابراهيم الشاطبى » .. و « ابراهيم الدسوقى » .. و « السيد أحمد البدوى » .. و « عبد

الرحيم القناوى » ٠٠ و « أبو الحجاج يوسف » ٠٠ و « أبو الحسن الصباغ » ٠ و « الامام شرف الدين البوصيرى » ٠٠٠ وغيرهم ٠٠ وغيرهم ٠٠

● ● ●

وهذا الاحصاء الذى قدمناه قليل مختصر ٠٠ فان ثرى وطننا هذا يضم المئات من اولياء الله الصالحين، والمقربين الى الله ٠٠ الذين لهم بالله جميعا قدوة حسنة ٠٠ والذين هم من خلصاء الله الابرار واصفيائه

ان رفاتهم التى اختلطت بثرى مصر كانت لمصر حصنا حصينا ، وقاها ، ويقيها باذن الله دائما ،شر الاحداث

وكيف تحوى أرضنا كل هذه الاجداث الطاهرة العلوية ٠٠ ولا نعتز بهذا الوطن ٠٠ونفنى فى حبه ، والاعتزاز به ٠

ان اليهود الذين يهاجرون من مختلف الدول الى أرض فلسطين ٠ وهم لم يدخلوها من قبل ٠٠ ولم يروها أبدا ٠٠٠ عندما تطأ أقدامهم أرضها ، ينحنون على هذه الارض ، يقبلونها ، اعتزازا بمجد سابق كان لهم منذ آلاف السنين ٠٠ وقد زال هذا المجد بجميع آثاره ، ولم يبق لهم منه غير حائط قديم ، يبكون عنده تاريخهم وذكرياتهم ٠٠

ونحن الذين نملك فى بلادنا كل مقومات المجد وشواهده ، والذين تحوى أرضنا رفات العدد العديد من بيت نبينا ، وأهل صحابته الامجاد ٠ وقادة ديننا الذى نعيش فى ظله ٠٠ كيف يستهين البعض منا بوطنه هذا ٠٠ وكيف يكفر من يكفر ٠٠ وينحرف من ينحرف ؟

● ● ●

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى يتنزه عن الخطأ . حين قال حديثه المشهور :

« مصر كنانة الله فى أرضه ٠٠ من أرادها بسوء قصمه الله » ٠

لقد قال الرسول هذا الحديث ، وهو لم يدخل مصر ٠ ولم ير مصر ، الا بنور قلبه ٠٠ بنور النبوة التى يتكشف لها كل شىء ٠

انه كان يدرك ، فى علم غيب الله ، أن الله تعالى انما أعد مصر لحماية الاسلام ، ولتكون حصنا للعروبة والاسلام ، على مدى الزمان ٠ تدرأ عن العرب والمسلمين كل شر ، وكل غدر ٠

وسواء أكان المقصود بالكنانة ما هو مكنون فى أرض مصر من ذخائر النبوة ، فى أجساد آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحابته ، وأئمة الدين وعلوم الفقه الاسلامى ، والصوفيين

أو كان المقصود من الكنانة جعبة السهام ، التى يعنى الجندى أن يربطها الى جانب قلبه ، ويحرص عليها حرصه على حياته ٠٠ لانه يحمى بها حياته ٠

سواء كان القصد هذه أو تلك ٠٠ فان الرسول عليه الصلاة والسلام ، قد أمن مصر بهذا الحديث ، وضمن به لمصر الحياة والنصر على الاحداث ، مهما كانت ضراوة هذه الاحداث

بيروسول
توزيع
الجمعية التعاونية للبترول

★ يمتاز بقدرته الفائقة فى القضاء على الحشرات المنزلية
★ يكسب الجو رائحة عطرية جميلة .
★ سهل الاستعمال .
تطلب من جميع محطات التعاون بالاضافة الى أخبار الجمهورية

قوم نوح

الهدوء الذى يسبق العاصفة !

الأستاذ محمود محمد عمارة

(أم يقولون افتراه · قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون · وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ·

واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ·

ويصنع الفلك · وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ·

حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل) ·

لم تكن هناك عداوة قائمة بين الاسلام والاغنياء : لكنه فقط يتدخل فى الوقت المناسب ·· كلما انحرفت بالثروة أهواء الناس ·· ليجعل منها دعامة وطنية ·· يستوى فى الانتفاع بها الفرد والمجموع ·

وكما أن الاغنياء لم يخلقوا الثروة ·· وكانت لديهم أمانة من لدن خالقها الحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى ·· فمن الطبيعى اذا ·· أن توضع فى مصارفها ·· وصولا الى أهداف رسمها الخالق سبحانه ·· فالغنى ·· خليفة ·· لله فى ماله · وتتقاضاه خلافته أن يكون فيها رجلا بكل ما تحمل الكلمة من مسئولية والتزام ·· وصبر ···

ومن الرجولة أن ينأى بنفسه عن الترف ·· وملاحقة لذاذات العيش فى كل مكان ··

لان ذلك فضلا عن كونه معصية للخالق ·· ظلم للنفس تتعرض به لافات الكذب ·· والنفاق ·· والجبن ·· مادام ذلك يبقى عليها والغة فى عين حمئة من لذاتها الدنيئة المنحلة !

فاذا حارب الاسلام مظاهر الترف ·· فلاجل أن يصون طاقات الانسان أن تتبدد فى غير مجالاتها ·· وفرارا بها من آفات اجتماعية وبيلة تميت الرجولة ·· فلا تجد الفرد الصالح الذى تصوغ من امثاله امة تتصدى لكل دخيل يريد استعمارها ··

وأقرأ معى قول الحق سبحانه :

(واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) ·

ان الرجل الذى يستدبر القبلة التى ارتضاها الله سبحانه ، ليولى وجهه شطر مظاهر الترف ، يتبعها ، يعبدها من دون الله ، بحيث تصبح المتعة الفردية شيطانا يتبع خطواته فى كل سبيل ، وصنما يعفر له الجبهة العالية ·

هذا الرجل الذى « يتبع » لذته ويغرق فيها ، ليرسب هناك فى القاع البعيد ، مستعد فى نفس الوقت أن يبيع وطنه ، بل وأن يتخلى عن دينه !

لانه أولا غير مستعد للتفريط فى متعته ·

وثانيا لانه من خلال أمواجها المتراكبة ، لا يرى الا هى ، وهو فى عمى عن كل دلائل اليقين التى تشده الى الله سبحانه وتعالى ·

واذا ·· فمن السهل عليه أن يكذب ، ويجحد الشمس فى رائعة النهار ، فى الوقت الذى يصف لسانه الكذب جاحدا رسالات الله · أرأيت كيف شدد الاسلام النكير ، لا على الغنى أو الاغنياء ، بل على هذه الشهوة التى تتخذ لها فى أعماق المرء متكأ ، فتسير به فى كل طريق ، الا طريق الحق ، وتتجه به نحو كل غاية ، الا غاية تقترب به من الحق سبحانه وتعالى ؟

ولقد عبد المترفون من قوم نوح ذواتهم ، وغرقوا معها فى بحر لا ساحل له ، فتخلقوا برذائل الترف ، وعلى رأسها افتراء الكذب على الله ، ورمى رسولهم الناصح الامين بما هو منه براء :

(أم يقولون افتراه • قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون) •

وسواء أكانت الاية متعلقة بنوح عليه السلام وقومه ، أو بمحمد عليه السلام وقومه ، فانها على أى حال تكشف عن طبيعة المترفين حيثما كانوا فى تصديهم للحق كلما أعوزتهم الحيل :

فكلما اشتدت قبضة الحق على الرقاب ، وحين يسقط القناع المزيف عن أنفس تعبد اللذة من دون الله •

فان الباطل الذى يفقد كل خطوط دفاعه المستميت يرمى بورقته الاخيرة فيصم بالكذب دعوة الصدق الخالص ، هكذا اجمالا ، وبدون تفصيل يعوزه الدليل •

وربما ظن أن ذلك الاجراء من شأنه خلق جو من الشك ، ان لم يصب من الدعوة مقتلا ، فانه – على الاقل – ربما زعزع أركان الايمان فى صدور بنيه •

وعندئذ يكشف الحق عن زيف التهمة ، ويتقدم بخطى الواثق ليتحمل مسئوليته ازاء الافتراء المزعوم •

وفى لحظة أخيرة يدفع الباطل بقمة الظلم ، وهو الاجرام الذى بلغ بهم ذلك الحد من العناد ، ثم يدير لهم ظهره كلية ، ليقبل بنفسه على الله سبحانه وتعالى ، معلنا أداء الامانة ، وعصيان الامة ، ليجىء نصر الله والفتح ، بالطريقة التى يشاؤها سبحانه وتعالى ، ويمتد حبل النجاة •

(وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن • فلا تبتئس بما كانوا يفعلون •

واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون) •

ان الحبل الذى مده نوح عليه السلام اليهم ، فقطعوه ، يوشك اليوم أن يطوق أعناقهم ، ثم يرسب معهم فى أحشاء المحيط •

بينما تمتد يد القدر الاعلى بحبل متين يصله بأقوى الاقوياء سبحانه • ولا بأس أن يرقص الطائر الذبيح ، لا بأس أن يهذى المحموم لحظات يعزى فيها نفسه حيال موقف تتبدى فيه علامات هدوء يسبق العاصفة الجائحة •

وعلى الرسول أن يترقب النصر القريب •

فلا يشتد عليك الحزن والبؤس واحتمال المكاره بعد اليوم بما كانوا يفعلون فى السنين الطوال من تكذيبهم وعنادهم وايذائهم لك ولمن آمن لك • اذ كنت تعرض له وتستهدف لسهامه رجاء فى ايمانهم واهتدائهم •

فأرح نفسك بعد الان من جدالهم وسماع أقوالهم • ومن اعراضهم واحتقارهم بينما تستغفر لهم •

وطالما تفننوا فى ايذائك وكنت دائما كتلك الشجرة المعطاء ، تعطر الفأس التى تحاول قطعها !

أما اليوم : فالعدل فوق الرحمة •

فاذا وقع العذاب « **ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا** » •

فلتتوقف هذه العواطف الجياشة بالحب ، والمرحمة ، ليكف النبع الصافى عن الجريان ، ولو الى حين •

الى حين ينتهى الامر ، وتصفو الحياة مع القلة المؤمنة التى تستأنف بها العيش من جديد •

وعندئذ ، فليسعهم قلبك الكبير ، وليطهرهم نبعك الرائق •

لقد كان عليه السلام رقيق الطبع •• دمث الخلق • وتصوروا معى أى كنز من الحنان كان يملكه رسول الله ، اذا كان قد عاش الف سنة الا خمسين عاما يلاقى ما يلاقى من عذاب وأسى •

لكن القلب الكبير لا يكف عن الوجيب ، والخلق الاصيل مازال خصبا يعطى الحياة من حوله ، أمنا وسلاما •

ولكن حين يصبح الامر تدليلا لاطفال ، كبروا وشبوا عن الطوق •

حين يفرغ العناد كل ما فى جعبته من سهام •

حين يتحول الامر فوضى تهدد مستقبل العقيدة ، أو الوطن بالخطر •

فان العواطف يجب أن تتخلى ، وتعطى الزمام للارادة الصلبة الحازمة ، فى محاولة لتأديب العصاة ، الذين يحاربون القانون باسم القانون !

ويشوهون معنى الحرية ، دفاعا عن الحرية ، أو هكذا يزعمون !

على ان يكون ذلك كله ، لحساب القلة المؤمنة الواعية ، التى باعت نفسها للحق ، ووقفت تشد من أزر الرسول ، ليستمر تدفق الحياة •

ويصنع الفلك ، وكلما مرعليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) •

لماذا يسخرون منه ؟

قد يدعو مصلح الى مبدأ ما ••

وقد يلجا اعداؤه الى قتله تخلصا منه ••

وحينئذ فمن الممكن أن تلتفت الجماهير الى الحدث •• فتحس بهذا الذى قتل •• ثم تبكى عليه •• وكانت قبل لا تشعر بوجوده !

وبذلك يكسب ميتا •• مالم يحققه حيا ••

من اجل ذلك •• يجرب الطغاة اسلوب السخرية بالمصلحين •• فى محاولة لهز صورته فى أذهان الناس • وينفض السامر من حوله •• ولعل هذا ما اشار اليه المستشرق زويمر حين قرر: ان افعل وسيلة لصد الناس عن دعاة الدين • هو شن حملة من السخرية عليهم لتنفير الناس منهم ••

وهى استجابة عميقة لتوجيهات الشيطان الرجيم الذى يئس ان يعبد غير الله فى الارض •• فرضى بما يحقر الناس من امور •• من بينها تلك الكلمات

الساخرة .. او النكات اللاذعة حول موقف الدين ورجاله من قضايا الحياة !

لكننا ننظر فى اعجاب الى موقف رسول الله نوح .. الذى أمده الله بروح منه فكابر وحده افواج الطغاة المتحرشة به : (فانا نسخر منكم كما تسخرون (ثم ترتفع به قوة ايمانه وثقته بربه فينظر اليهم من عل .. مهددا متوعدا : (فسوف تعلمون) وهى لحظة مباركة فى حياة المرسلين والقواد المصلحين : ان نوحا عليه السلام يقف وحده .. يواصل عمله .. وها هى ذى جموع المتآمرين والمستغلين تطوف به .. كل أبواق الدعاية بمختلف أساليبها .. تشغب عليه .. وتشوش موقفه الصريح بادعاءاتها .

لكنه ساكن سكون البنيان .. وفى قلبه ما يشبه البركان

صامت .. لكن فى تدبير .. هادىء .. ولكن فى تفكير

وحين يبلغ العناد آخر مراحله .. فان عذاب الله يأتى فى وقته المناسب يأتى عارما مدمدما . فقد ان زمن الانتقام منهم) المنار

(واصنع الفلك بأعيننا)

وحاشا لله سبحانه ان تكون له عين كأعيننا .. لكنه التعبير الحى الموحى بالطمأنينة والامن ..

واذا كان سبحانه يقول لموسى عليه السلام : « ولتصنع على عينى » فقد كان افراد العين هنا مناسبا لوضع موسى عليه السلام الذى كان بنجوة من الرقباء .. فى ستر حريز بحيث لم يكن الخوف يتناوشه من كل جانب .

اما هنا .. فالتعبير بالاعين كما جاء فى المنار : (لافادة شدة العناية بالمراقبة والحفظ) .

لقد كانت الاخطار تتهدد نوحا عليه السلام من كل جانب انه يقف على ارض مكشوفة .. وحيدا .. يصنع الفلك ولم يكن قبل على علم بها ..

ومن حوله وعلى اتساع الافق .. تترصده عيون الناس - وتسلقه السنة حداد .. والجو كله يوحى بالتربص .. والعدوان .. ومن ثم يجىء التعبير بالاعين فى الاية الكريمة ليرسم صورة لحفظ الله ورعايته ..

وكأنما الافق الممتد .. كله عيون رانية .. وسيوف مشرعة تظلل هذا الوحيد الذى يتربص به كل البشر ..

واذا الانس بالله تعالى يختلج به فؤاده .. ويمنحه طمأنينة لا حد لها .. مهما ظنت الكثرة الكاثرة بقوتها الظنون :

واذا العناية لاحظتك عيونها
نم فالمخاوف كلهن أمان

ثم يزداد احساسه عليه السلام بالامن حين يخبره الحق سبحانه بأن العذاب وشيك الوقوع ..

وعند وقوعه .. سوف يكون بيده زمام المبادرة .. وتوجيه الموقف كله .. وها هم اولاء جلادو الامس يجأرون .. وحينئذ فليغير الرسول اسلوب معاملته لهم .

فبالامس : كانت الرحمة فوق العدل .. كانوا يضربونك .

والعجيب .. ان معنى السخرية يبدو جليا حين يفور الماء من مكان لايخطر على بال

من التنور

انه الجزاء من جنس العمل :

عذاب السخرية المخزى ..

وعذاب الاستئصال ..

فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل .

رحلة بين القصر و القبر

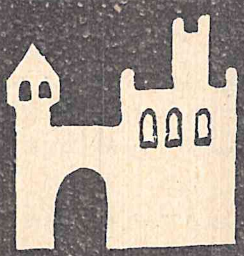

الاستاذ
عبدالسلام لشاذلى القوصى

يقول الله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون • ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين)

ويقول الفضيل بن عياض رضى الله عنه (يا ابن آدم ، انما يفضلك الغنى بيومك ، امس قد خلا وغد لم يأت ، فان صبرت يومك أحمدت أمرك وقويت غدك ، وان أعجزت يومك أذممت أمرك وضعفت عن غدك ، وان الصبر يورث البرء ، والجزع يورث السقم ، وبالسقم يكون الموت ، وبالبرء تكون الحياة) .

ويقول مالك بن دينار فى مرضه (**دعونى من طبكم ، والله انك تعلم أنى لا أريد البقاء فى الدنيا لبطنى ولا لفرجى**) •

ويقول الشبلى : « الزم الوحدة ، وامح اسمك عن القوم ، واستقبل الجدار حتى تموت » .

... هذه رحلة بين القبر والقصر ، سبقتها رحلة فى العدد الماضى بين القصر والقبر . والقبر هو البيت الوسط الذى يفصل بين حياتين ، ويقطع أمل مرحلتين .

أما الحياة الاولى : فهى الحياة الدنيا بما فيها من ملذات وسعى وعمل وكدح ، وسواء قيض الله لهذا العبد فيها سبيل رضاه ، فرضى عنه ، او تركه الله لنفس العبد فضل سعيه وخسر دنياه وأخراه .

أما الحياة الثانية : فهى البعث من القبور والنشور ، ليلقى كل مخلوق مأمور بالعبادة ، حسابه عند ربه ، ويطلق على هذه الحياة ، الحياة الاخرى ، أو يوم القيامة ، أو يومئذ الخ من الاسماء المتعددة والتى وردت فى القرآن الكريم .

أما المرحلة الاولى فهى : المرحلة التى بدأ الانسان فيها حياته فى بطن أمه ثم نزل الى الارض طفلا ثم راح الى ربه كيفما كان هذا العمر ، الموقوت فى علم الله أمره ووقته **(وما تدرى نفس بأى أرض تموت)** •

أما المرحلة الثانية فهى : المرحلة التى بدأ الانسان حياته الابدية ، من القبر حتى يقف بين يدى ربه ليمنح من فضل الله عليه من قصور الجنة وبما فيها من خيرات ، أو يحل عليه نقمة الله وغضبه فيلقى فى جهنم خالدا فيها أو لوقت محدود : يفصل بين هذا كله فى الحياتين والمرحلتين (الموت) والموت هو السلاح القاطع الذى يذهب بالجسد الى حيث أصله (التراب) ويذهب بالروح الى حيث أصلها عند ربها **(قل الروح من أمر ربى)** ، والجسد يفنى ، والروح باقية . ويعترى الانسان عند الغرغرة وخروج الروح اضطراب ، وهو من علامات سكرات الموت ، لان الانسان فى هذا الوقت العصيب الشديد يرى كل شىء مكشوفا أمامه فيتكلم بكلمة أو كلمات غالبا ما تكون هذه الكلمة هى التحليل النهائى لامل هذا الانسان فى

الحياة التى قطعها فى الدنيا . أو ربما نطق ببعضها فيفهم منها ما يدل على مركز وجوده فى الحياة الاخرى . ولنذكر من أقوال وردت عن قائليها عند الاحتضار لنقف برهة لنتفهم المعانى التى أرادها صاحبها . ولنبدأ بأقوال سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند احتضاره : **اللهم اغفر لى وارحمنى والحقنى بالرفيق الاعلى .**

لقد توفى رسول الله يوم الاثنين لثنتى عشر خلت من شهر ربيع الاول سنه احدى عشر من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة (وهى سن أبى بكر وعمر وعلى وعائشه) رضى الله عنهم . ودفن رسول الله يوم الثلاثاء حين زالت الشمس وقيل ليلة الاربعاء : روى البخارى عن انس رضى الله عنهما قال : لما ثقل بالنبى صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب ، فقالت له فاطمة الزهراء واكرب أبتاه ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : « **ليس على أبيك كرب بعد اليوم** » وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال : أجل ، انى أوعك كما يوعك رجلان منكم ، قلت ذلك ان لك أجرين ، قال : اجل ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها . قال ابن مسعود دخلنا على رسول الله فى بيت عائشة رضى الله عنها حين دنا للفراق ، فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال لنا : مرحبا بكم ، حياكم الله ، آواكم الله ، نصركم الله ، أوصيكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم ، انى لكم منه نذير مبين ، ألا تعلوا على الله فى عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى ، والكأس الاوفى ، فاقرأوا على أنفسكم ، وعلى من دخل دينكم بعدى السلام ورحمة الله . قالت أم سلمة : سمعت رسول الله فى عامة وصيته عند موته ، الصلاة ، وما ملكت أيمانكم . وقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله قبل ذلك يقول ، « **ما من نبى يموت حتى يخير** » : قالت فسمعته يقول : « **اللهم الرفيق الاعلى** » فعلمت أنه ذاهب . وهى آخر كلمة له صلى الله عليه وسلم . وكان يرجو الله ويقول « **اللهم أعنى على سكرات الموت** » . وفى قول ذكره ابن سعد أن ملك الموت صحب جبريل عليهما السلام الى رسول الله ، فاستأذن عليه فى قبض روحه أو تركها وان الله أمره بطاعته عليه الصلاة والسلام ، فقال جبريل عليه السلام : يا أحمد ان الله اشتاق لك . فقال رسول الله لملك الموت فاقبض يا ملك الموت كما أمرت به . قال جبريل : السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطىء لى للارض **فتوفى رسول الله** فجاءت التعزية يسمعون الصوت ولا يرون المتكلم .

قال المعزى : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ، ان فى الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ، فبالله ثقوا ، واياه ارجوا ، انما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وقد ذكر أن هذا المعزى هو الخضر عليه السلام . (رواه صاحب كتاب نزهة الناظرين) .

فلما توفى رسول الله وسجته الملائكة دهشت الناس ، وطاشت عقولهم ، واختلفت أحوالهم ، وخبل عمر بن الخطاب ، وأخرس عثمان بن عفان ، وبكى أبو بكر الصديق وقال ما أطيبك حيا وأطيبك ميتا يا رسول الله ، وتكلم كلاما بليغا سكن به النفوس وثبت جأشهم . قال أنس رضى الله عنه : دخل رسول الله المدينة فأضاء فيها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء .

قال ابو بكر الصديق عند احتضاره : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) . انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما ، فان الحى أحوج الى الجديد من الميت ، وتوفى رضى الله عنه يوم الاثنين لثمان وقيل لثلاث بقين من جمادى الاول سنة ثلاث عشر من الهجرة وعمره ثلاث وستون سنة .

قال الخليفة : المأمون عند احتضاره : يا من لا يموت ارحم من يموت .

قال عمر بن عبد العزيز عند احتضاره : تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا .

قال عمرو بن العاص عند احتضاره : اللهم انك أمرتنى فلم ائتمر ، وزجرتنى فلم ازدجر ، اللهم لا قوى فانتصر ، ولا برىء فاعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، لا اله الا أنت .

قال الحجاج بن يوسف الثقفى عند احتضاره : اللهم فانهم يزعمون أنك لا تغفر لى .

قال معاوية بن أبى سفيان عند احتضاره : يا ليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى ، وانى لم آل من هذا الامر شيئا .

وقال عبد الملك بن مروان عند احتضاره وقد أبصر غسالا يلوى ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة ، قال عبد الملك والله ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ولم آل من أمر الناس شيئا فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه .

وقال معاذ عند احتضاره : **اللهم انى كنت اخافك وانا اليوم أرجوك .**

وقال بلال عند احتضاره : قالت امرأته واحزناه فقال هو : بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه .

وقال المزنى دخلت على الامام الشافعى فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت له : كيف أصبحت قال أصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا ، وعلى الله واردا ، ولا أدرى

الروحى تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فأعزيها .

قال الزعيم مصطفى كامل عند احتضاره : مسكينة يا مصر .

لقد احس مصطفى كامل بقرب أجله عندما عاد الى مصر فى اكتوبر سنة ١٩٠٧ م والى الحزب الوطنى بعد عودته مباشرة وكان الضعف قد أخذ منه مأخذه ، ويقف بين اصدقائه ليقول لهم : (يخيل الى انى عما قريب سوف أفارقكم) ويجيبه الاصدقاء متساءلين .. ماذا تعنى يا باشا ؟ ويجيبهم مصطفى كامل : انى لن اعيش طويلا ، وسأموت قريبا ، فلا تضيعوا الوقت ، واسرعوا فى العمل .

لقد خطب مصطفى كامل الناس قبل هذا التاريخ بأربعة أشهر ليقول لهم (أجل يا اعداء مصر . وألف مرة أجل ، ان مصر بالغة آمالها ، ومحققة امانيها بارادتها وهمتها . اننا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا واعمارنا الى اشرف غاية اتجهت اليها الامم من ماضى الايام وحاضرها . واعلى مطلب ترمى اليه فى مستقبلها . فلا الدسائس تخيفنا ، ولا التهديدات توقفنا فى طريقنا ، ولا الشتائم تؤثر فينا ، ولا الخيانات تزعجنا ، ولا الموت نفسه يحول بيننا وبين هذه الغاية التى تصغر بجانبها كل غاية . نعم لو تخطفنا الموت من هذه الدار واحدا واحدا . لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا . كونوا أسعد حظا منا . وليبارك الله فيكم . ويجعل الفوز على أيديكم .

ويخرج من الجماهير المئات والالوف بدل الاحاد ، للمطالبة بالحق الوطنى . والحرية الاهلية ، والاستقلال المقدس . فانت انت الحياة ، ولا حياة الا بك يا مصر .

ولما اشتد به المرض وشعر بقرب الاجل اخذ يبكى ودعى اليه والدته فجلست بجواره ، واخذ يحدثها عن آماله ويشكو اليها مرضه ، فصارت تطمئنه . وتهون عليه مصابه . فالتفت الى أمه وقال : لست أبكى يا أماه على الحياة - كلا - وانما ابكى على مصر المسكينة . آه لو عشت عشرين سنة اخرى ، لمت هانىء البال ، مطمئنا على بلادى ، انها ستصبح مستقلة . نعم . وانا واثق انها ستكون مستقلة وسوف تكون سيدة العالم فى يوم من الايام .

والتفت الى شقيقه (على بك فهمى) وقال (سوف تتعب يا أخى من أجل مصر ولكن لا تحزن) ثم التفت الى صديقه امير الشعراء (شوقى بك) وقال له فى حزن : سوف ترثينى يا شوقى ، نعم أليس كذلك ؟ فبكى شوقى ثم رثاه بعد وفاته فقال :

ولقد نظرتك والردى بك محدق
والداء ملء معالم الجثمان
يبغى ويطغى والطبيب مضلل
قنط ، وساعات الرحيل دوان
ونواظر العواد عنك أمالها
دمع تعالج كتمه وتعانى
تملى وتكتب والمشاغل جمة
ويداك فى القرطاس ترتجفان
فهششت لى حتى كأنك عائدى
وأنا الذى هد السقام كيانى
ورأيت كيف تموت آساد الشرى
وعرفت كيف مصارع الشجعان
ووجدت فى ذاك الخيال عزائما
ما للمنون يدكهن يدان
وجعلت تسألنى الرثاء فهاكه
من أدمعى وسرائرى وجنانى

وفى صباح يوم الاثنين ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ م دخل عليه شقيقه (على بك فهمى) وكثرة من أصدقائه ووجدوه شاحب الوجه .. ثم اتجه الى محمد فريد وقال : تشجع يا فريد ، واستمر بعملك بحكمه ، ليسهل علينا بلوغ الامل .. ثم سكت طويلا ثم تنبه .. ليقول كلمته الخالدة : مسكينة يا مصر .

لقد صعدت روحه فى الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم وحزنت مصر لموته ، وبقى حوله رفاق الجهاد وقد ظهر على وجوههم الحزن والقلق كما هو واضح فى الصورة . واذ بمصطفى كامل يخلد ذكراه بجهاده . وينزل القبر بجسده . ويأخذ من القبر ليسير فى رحلة ممتعة بين القبر والقصر . قصر فى الجنة التى عرضها السموات والارض اعدت للمتقين والمجاهدين والصالحين (والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) صدق الله العظيم .

شركة التأمين الأهلية المصرية

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتأمين

أقدم شركات التأمين في مصر تأسست سنة ١٩٠٠
مركزها وإدارتها مصر والإسكندرية وفروعها
بجميع أنحاء جمهورية مصر العربية .

- هدية الجيل الجديد التي تقدمها شركة التأمين الأهلية المصرية لعملائها ..
- وثيقة تأمين جديدة أعدت للشباب بعد دراسة دقيقة للظروف الاقتصادية والاجتماعية والنفسية
- وثيقة تؤمن المستقبل القريب للشباب خلال السنوات العشر القادمة بقصد تقديم أكبر معاونة ممكنة عند بدء الحياة العملية الحقيقية
- وثيقة تضمن لأول مرة في تاريخ التأمين دفع نصف مبلغ التأمين في منتصف المدة دون أن يؤثر ذلك على سريان الوثيقة .

أهم مزايا وثيقة المستقبل

- في حالة وفاة المؤمن له في السنوات الخمس الأولى من التأمين يدفع مبلغ ١٠٠ جنيه .
- يزداد هذا المبلغ بواقع ثلاثة جنيهات سنويا بعد ذلك إعتبارا من السنة السادسة حتى يصل الى ١١٥ جنيه في السنة العاشرة .
- في حالة بقاء المؤمن له على قيد الحياة في نهاية العشر سنوات يدفع له ١١٥ جنيه بشرط عدم سحب أية مبالغ من الوثيقة قبل ذلك .
- لأول مرة في تاريخ التأمين من حق المؤمن عليه سحب مبلغ ٥٠ جنيها من الوثيقة بعد مرور خمسة سنوات على الوثيقة .
- يمكن الاقتراض بضمان هذه الوثيقة بعد مرور سنتين كاملتين على سريان التأمين .
- تغطى هذه الوثيقة الوفاة نتيجة أخطار الحرب المباشرة أو غير المباشرة طالما كان المؤمن عليه من المدنيين .

كل هذه المزايا السابقة مقابل قسط شهري موحد .. قدره ٩٩ قرشا شهريا وهو ما يعادل :
ثمن ٣ سجاير يوميا
أو ثمن فنجانين من القهوة أو الشاي يوميا

تهذيب اللغة للأزهري

الأستاذة نادية عبد العزيز

مؤلف هذا المعجم هو أبو منصور محمد بن أحمد ابن طلحه ، لقب بالازهرى نسبة الى جده الاعلى المسمى بازهر ، وبالهروى نسبة الى مدينة هراة التى ولد فيها ٠

وقد ولد فى سنة ٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م وطلب العلم فى مدينته وما جاورها من مدن ٠ وفى الثلاثين من عمره على وجه التقريب عزم على الحج ، فرحل الى العراق ثم الحجاز ، وفى أثناء عودته من الحج فى سنة ٣١٢ هـ - ٩٢٤ م هاجم القرامطة قافلة الحجاج وأعملوا فيها ما شاءوا من قتل وأسر ونهب ،وكان نصيب الرجل الاسر ، فعاش مع جماعة من الاعراب الفصحاء من بنى هوازن وتميم وأسد ، مدة طويلة ، فافاد منهم كثيرا من اللغة ٠

وعند ما تخلص من الاسر ، عاد الى العراق ثم موطنه ، الذى بقى فيه الى أن لحق بربه فى سنة ٣٧٠ هـ - ٩٧٩ م أو السنة التى تليها ٠

وفى كل مكان حل فيه الازهرى ، طلب العلم ، وسعى الى لقاء العلماء ، ولذلك كثر الشيوخ الذين أخذ عنهم ، وتوزعوا على اللغة والفقه والتفسير والحديث ، وذاعت شهرته فكثر تلاميذه الاخذون عنه ٠

وخلف الازهرى ثروة من الكتب ، ضاع أكثرها مما أدى الى كثير من اختلاف فى عناوينها ، وهذه قائمة بأسمائها ٠

١ - الادوات
٢ - تفسير أسماء الله عز وجل ٠
٣ - تفسير اصلاح المنطق لابن السكيت ٠
٤ - تفسير السبع الطوال ، أى المعلقات
٥ - تفسير شعر أبى تمام
٦ - تفسير شواهد غريب الحديث
٧ - التقريب فى التفسير
٨ - تهذيب اللغة
٩ - الحيض
١٠ - الرد على الليث
١١ - الروح وما جاء فيها من القرآن والسنة ٠
١٢ - الزاهر فى غرائب الفاظ الامام الشافعى ٠ وتوجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥١ لغة ، وعدة نسخ أخرى موزعة فى تركيا وبريطانيا والمانيا ٠
١٣ - علل القراءات

المعجم :

افتتح الازهرى كتابه بمقدمة طويلة قيمة ، كشفت لنا عن كثير من الامور ذات الاهمية فى تصور المعجم ، فقد أعلن فيها عن الهدف الذى وضعه نصب عينيه من وهو تخليص اللغة مما التصقت بها نتيجة جهل العلماء

وتحللهم وفساد كتبهم كمايتضح من عنوانه ـ تهذيب اللغـــة ٠

ومن أجل تحقيق هذا الهدف ، اعتمد على ثلاثة أسس :

١ ـ مشافهة الاعراب الفصحاء ، والاخذ عنهم ٠

٢ ـ الرواية من الثقات من العلماء ، وطـرح غيرهم ، وبعد رواياتهم ٠

٣ ـ النقل عن الرقيق من الكتب ، التى يتفق مافيها مع ما يعرفه هو ٠

وفى تدوين المعجم ، اتبع منهج الخليل فى كتاب العين بحذافيره ٠

وقال ، « لا يتقدم الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرايت ان أحكيه بعينه لتتأمله وتردد فكرك فيه ٠٠ ومن تم يمكن القول بأن الازهرى اتبع فى الحروف الترتيب المخرجى الدى وضعه الخليل ٠

ثم قسم الحروف الى ابواب تبعا للابنية كالخليل ، فجاءت الابواب كما يلى :

١ ـ الثنائى المضاعف
٢ ـ الثلاثى الصحيح
٣ ـ الثلاثى المعتل بحرف واحد
٤ ـ اللفيف
٥ ـ الرباعى
٦ ـ الخماسى ٠

والتزم فى هذه الابواب نظام التقاليب كما التزمه الخليل ، ونبه على المستعمل والمهمل منها كما فعل ، وحشاها بالمواد اللغوية المختلفة مثل الخليل تماما ، والحق أن التهذيب صورة مكبرة من العين فـى التنظيم ٠

طريقة استعماله :

لا خلاف اذن بين طريقة استعمال العين وطريقة استعمال التهذيب ، لان التماثل بينها اشد من التماثل بين العين والبارع واتم ٠

مميزاته :

١ ـ الاستقصاء :

حاكى الازهرى القالى فى العناية بايراد التفسيرات المتعددة للفظ الواحد ، ما اتفق منها وما اختلاف ، بل بلغ فى هذا الصدد اكثر مما بلغ القالى ، لان مصادره كانت اكثر من مصادر القالى عددا وتنوعا ، ولذلك تضخمت المادة عنده جدا ٠ وعلى الرغم أنه لا يلتزم نسبة كل قول الى صاحبه كما فعل القالى ، تكثر الاسماء عنده كثرة لافتة للنظر ٠

٢ ـ الصبغة الدينية :

لما كان الازهرى أحد رجال الفقه ، واللغة معا ، ووضع معجما للالفاظ الفقهية عند أتباع المدهب الشافعى ، تجلى أثر ذلك فى معجمه ، فقد أكثر من الاستشهاد بالايات الكريمة والاحاديث الشريفـة ، وأطال فى تفسيرها ، وعنى بايراد القـراءات المختلفة ٠

٣ ـ النوادر :

أدخل الازهرى فى معجمه كل كتاب الخليل وكثيرا من جمهرة ابن دريد ، ولكنه اغترف الى جوارهما ٠ من الرسائل اللغوية على الموضوعات اغترافا واسعا ٠ ويبدو أنه جمع عنده ثروة طائلة من هذه الرسائل ، التى يختلف منهجها عن مناهج المعاجم البحتة ٠ فتجلى اثر هذا الاغتراف الواسع فى الالفاظ التى أدخلها فى كتابه ، والطريقة التى سلكها فى ايرادها وتفسيرها ، مما قارب بينه وبين كتب النوادر اللغوية خاصة ٠ قال فى عج : « فى النوادر : عج القوم وأعجوا ، وأهجوا ، وخجوا ، وأخجوا ٠ اذا أكثروا فى فنون الركوب» ٠

٤ـ الصبغة الشخصية النقدية :

يتدخل الازهرى فى المادة اللغوية كثيرا ، فيعلق تعليقا شخصيا مجردا أو مضيفا بعض الايضاح أو مرجحا بين الاقوال المتعارضة التى أوردها أو ناقدا بعض ما لم يرض عنه من هذه الاقوال ٠ ويظهر الرجل حاد اللسان ، سريع اللجوء الى النقد ، بل أفرط فى مقدمته ووصم جماعة من كبار اللغويين بالضعف المطلق ٠ قال فى عض : « التعضوض : تمر أسود ٠٠ قلت : وقد أكلت التعضوض بالبحرين ، فما أعلمنى أكلت تمرا أحمت حلاوة منه ، ومنبته هجر وقراها » ٠

وفى ذع : « قال بعضهم : رجل مذعزع : اذا كان دعيا ٠ قلت : ولم يصح لى هذا الحرف من جهة من يرشق به ، والمعروف بهذا المعنى : رجل مدغذغ » ٠

٥ ـ المقدمة والخاتمة :

وضع الازهرى قبل المعجم مقدمة طويلة ، وبعده خاتمة تماثلها طولا وقيمة ، أورد فيها مجموعة هامة من المعارف اللغوية والصرفية التى تتصل بالمعاجم ولا يمكن وضعها فى داخلها ، لانها لا تتصل بكلمة معينة ، بل تعم المادة اللغوية ، أو بعض المسالك اللغوية أو العلماء اللغويين ، أو الاصوات المفردة ٠

العالم الانجليزي المسلم
الدكتور خالد شلدريك

الأستاذ
ابراهيم محمد الفحام

من الظواهر المشرقة ، التى تلفت الانظار ، وتستحق التأمل والتعليق ، أن نسبة كبرى ممن اهتدوا بنور الاسلام ، من الغربيين ، كانوا من اعظم مواطنيهم ثقافة وعلما .

واذا اتخذنا من انجلترا مثلا ، نجد ان من اسبق أبنائها الى اعتناق الاسلام اللورد (ستانلى أوف ألدرلى) الذى ينتمى الى احدى العائلات الانجليزية العريقة . وقد أهلته ثقافته الواسعة ، وحسن بلائه فيما تقلد من الوظائف الهامة فى بلاده ، لتولى منصب سفير بريطانيا فى تركيا . فأتاح له ذلك أن يدرس الاسلام دراسة وافية - ومن مصادره غير المغرضة - وأن يدرس كذلك أحوال المسلمين الاجتماعية والروحية عن كثب ، ومدى تأثير الدين فيهم .

وانتهت دراساته هذه الى الايمان الكامل بعظمة الاسلام ، وقدرته الفائقة على علاج مشكلات الانسانية جميعا ، وتوثيق صلة الانسان بربه ، واطلاق نوازع الخير فيه . فأشهر اسلامه فى سنة ١٨٨٠ وتسمى باسم (عبد الرحمن) .

وفى سنة ١٨٨٦ أنشأ بعض الهنود المسلمين جمعية اسلامية فى (لندن) تولى رياستها الشيخ (عبد الله سهروردى) الذى كان يجمع بين الثقافة الاسلامية ، والثقافة الاوروبية . اذ كان يحمل درجة الدكتوراه فى القانون .

وقد أعانته اجادته للغة الانجليزية ، كتابة وخطابة ، على دعوة المثقفين الانجليز الى الاسلام ، سواء بالمطبوعات التى كانت تصدرها الجمعية ، أم بالمحاضرات التى كان يلقيها فيها ، وفى غيرها من الجمعيات والمعاهد العلمية الانجليزية ، مع الرد على استفساراتهم بكل اقناع وطلاقة ، وتفنيد التهم المغرضة التى ينسبها المضللون زورا الى الاسلام ، وشرح قواعده الحقيقية ، وأهدافه السامية ، وكشف النقاب عن محاسنه وأفضاله .

وكان من اول من اسلموا فى ذلك العام من ذوى المكانة الرفيعة ، فى المجتمع الانجليزى المستر (كويليام) المحامى بمدينة (ليفربول) . وكان خطيبا مفوها ، قوى الحجة ، بالغ التأثير .

فألقى كثيرا من المحاضرات العامة ، دفاعا عن الاسلام ، وتبصرة لمواطنيه برسالته ، ومثله العليا ، بعد أن تسمى باسم (عبد الله) .

فسعى بعض علماء المسلمين الذين اعجبوا باخلاصه ، لدى السلطان عبد الحميد (خليفة المسلمين فى ذلك الوقت) ليعرب عن تشجيعه له ، فمنحه لقب (بك) واعتبره شيخا للاسلام ، واماما للمسلمين فى بريطانيا .

واستمر الشيخ (عبد الله كويليام) يؤدى رسالته فى اخلاص وحماس ، بعد أن حول جزءا من منزله الى مسجد ، أصبح ملتقى المسلمين من الانجليز والشرقيين ، ثم أصدر جريدة اسلامية اسمها (الهلال) وألف اربعة كتب باللغة الانجليزية فى أصول الاسلام ، والدعوة له .

وكان لخطبه ومقالاته ومؤلفاته أثر كبير فى انتشار الاسلام ، بين نحو خمسمائة من المثقفين الانجليز .

وفى سنة ١٩٠٣ كان احد العلماء الانجليز ، وهو الدكتور (شلدريك) الذى حصل على درجة الدكتوراه فى الاداب ، قد أشهر اسلامه ، بعد أن شرح الله صدره له ، اثر دراسات طويلة فى الاديان السماوية وغير السماوية جميعا ، قبل أن يلتقى بأى مسلم فى بلاده ، وتسمى باسم (خالد) .

وقد شرح الدكتور (خالد شلدريك) لمندوب مجلة (المصور) ـ عندما زار مصر فى سنة ١٩٣٨ ـ ظروف دراسته للاسلام، وايمانه به . نرواها المندوب فى عدد ١٨ مارس نقلا عنه قائلا :

« أما كيف أعتنق الاسلام ، فقد ذكر لنا أنه كان وهو يدرس المسيحية ، فى المدرسة يسأل كثيرا عن الاديان الاخرى ، ويتوق الى دراستها . ثم حدث ان زار احدى المكتبات التجارية ، وطلب مشاهدة ما فيها من الكتب المؤلفة عن مختلف الاديان . فعرضت عليه المكتبة كتابا فى الطعن على البوذية ، وكتابا فى الطعن على الهندوسية ، وبضعة كتب فى الطعن على الاسلام ، فلما لاحظ أن الاهتمام بمحاربة الاسلام، أشد من الاهتمام بمحاربة غيره . تاق الى دراسة هذا الدين . وأخذ يقرأ كتب الطعن فيه ، ومن العجيب أنه آمن به من هذه الكتب التى تطعن فيه . فارسل الى السلطان عبد الحميد فى تركيا ينبئه بايمانه ، ويطلب التوسع فى دراسة الاسلام . وكان جواب شيخ الاسلام التركى ان احاله على الشيخ عبد الله كويليام » .

وكما اتصل الدكتور (خالد شلدريك) بالشيخ (عبد الله كويليام) وأخذ عنه ، فقد اتصل كذلك بالشيخ الدكتور (عبد الله سهروردى) وعدد آخر من العلماء المسلمين الشرقيين والانجليز، وأسسوا جمعية اسلامية جديدة ، للدفاع عن الاسلام ، ونشر مبادئه .

وأسندت سكرتارية تلك الجمعية الى الدكتور (خالد شلدريك) ثم أصبح وكيلا لها ، ثم لم تلبث أن آلت اليه رياستها فى سنة ١٩١١ .

وكانت الجمعية تنظم الاجتماعات العامة ، التى يحضرها المئات من المفكرين والمثقفين الانجليز ، لشرح قواعد الاسلام ، وتوضيح محاسنه ، فأسلم كثير منهم ، من علم بأصوله ، وايمان بمبادئه .

وعندما غزت ايطاليا الاراضى الليبية فى سنة ١٩١١ سهمت الجمعية بنصيب وافر ، وبمعاونة المفكر والزعيم الهندى المسلم السيد (أمير على) فى انشاء (جمعيه الهلال الاحمر البريطانية) التى عملت على مد المجاهدين المسلمين فى ليبيا ، بالاموال والمتطوعين من الاطباء ، والادوية ، وأجهزه المستشفيات .

كما فعلت الجمعية مثل ذلك عندما نشبت الحرب التى خاضها المسلمون العثمانيون فى البلقان ، وانضم اليهم كثير من متطوعى البلاد الاسلامية الاخرى ، منهم نسبة كبيرة من المصريين .

وفى أواخر سنة ١٩١٢ حضر من (لاهور) بالهند الى انجلترا ، السيدان (شودارى فاتح محمد سيال) و (خوجه كمال الدين) فاشتركا فى حملات الدعوة للاسلام . وكان ممن أسلم على يديهما (اللورد هدلى) المهندس الكبير والعالم الرياضى والطبيعى المعروف .

وعندما قامت الحرب العالمية الاولى فى سنة ١٩١٤ تفرق أعضاء الجمعية ، وذهب الدكتور (خالد شلدريك) الى ميدان القتال ، فأغلقت الجمعية أبوابها .

الا انه لم تكد تضع الحرب أوزارها ، حتى عاد الى لندن ، وتعاون مع بعض العلماء المسلمين من الشرقيين والانجليز ، على انشاء جمعية جديدة باسم (الجمعية الغربية الاسلامية) فتم له ذلك فى سنة ١٩٢٠ ، واختير رئيسا لتلك الجمعية ، مدى الحياة .

وكان من أهداف تلك الجمعية ، الدعوة الى نشر الاسلام ، ومد يد العون للمعوزين من المسلمين القادمين من البلدان الاسيوية والافريقية ، ومنهم كثير من العرب والصوماليين والهنود ، الذين كانوا يعملون فى الموانىء البريطانية .

وكان من اهداف الجمعية كذلك ، انشاء المساجد والمدارس ، لتعليم أبناء المسلمين . كما أنشأت فى سنة ١٩٢٧ جمعية فرعية لدفن المسلمين الغرباء بانجلترا ، طبقا للشريعة الاسلامية ، واسندت رياستها الى نخبة من كبار القوم منهم اللورد (لامنجتون) و (نواب عمر حياة خان) . وكان الدكتور (خالد شلدريك) يتولى القيام بصلاة الجنازة .

وعندما قام السيد (محمد ماجد) بجهوده العظيمة فى نشر الاسلام بالولايات المتحدة الامريكية ، فى أواخر العشرينات ، اثر الجهود الرائعة التى قام المسلمان الامريكيان (محمد اسكندروب) ثم (لنكولن جليك) وطلب من القنصلية المصرية فى (نيويورك) مساعدته ، فى أداء رسالته ، استعانت تلك القنصلية . بالقنصلية المصرية فى (لندن) فى الاتصال بالدكتور (خالد شلدريك) ورفاقه ، وابلاغه تلك الرغبة ، فبادر بارسال النشرات والكتب الاسلامية ، المكتوبة باللغة الانجليزية .

وفى سنة ١٩٣٣ قام الدكتور (خالد شلدريك) بجولة واسعة النطاق ، فى كثير من البلاد الاسلامية ، ليعيش فى جو اسلامى خالص ، فزار الهند ، والصين ، والهند الصينية . واندونيسيا . وبعض أقطار افريقيا الشرقية ، وجزيرة العرب ، وبلاد المغرب العربى ، ثم زار مصر فى سنة ١٩٣٨ ، وغادرها الى فلسطين ، ثم غيرها من بلدان المشرق العربى .

وكان طوال رحلته هذه ، يرتدى الطربوش ، ويظهر بمظهر اسلامى خالص .

نقودنا الإسلامية المصورة

الدكتور عبد الرحمن فهمي

لم يكن للعرب قبل الاسلام نقود خاصة بهم اذ كانت المعاملات التجارية تجلب من خارج الجزيرة العربية بكل النقود المتداولة من خلال نشاط القرشيين فى رحلتين تجاريتين ، أشار اليهما القرآن الكريم في سورة قريش : (لا يلاف قريش ، ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف) رحلة صيفية الى الشام وأخرى شتوية الى اليمن ، فجرت فى أسواق مكة وغيرها دنانير الذهب البيزنطية ودراهم الفرس الساسانية ، فضلا عن نقود الفضة الحميرية اليمنية ، وقد ورد ذكر هذه النقود كلها فى كتاب الله ، فالدينار في سورة آل عمران والدراهم فى سورة يوسف وقد أطلق على الدراهم حينا اسم « الورق » اى الفضة بالنسبة لمعدنها كما فى سورة الكهف .

والدينار لفظ مشتق من اليونانية اسم وحدة نقدية رومانية تحمل فوق وجهها صور الاباطرة والشارات المسيحية تعبيرا عن عقيدة الدولة التى تضربها ، أما الدرهم فهو لفظ مشتق من الفارسية « درم » وهو عبارة عن قطعة مستديرة من صفائح الفضة تحمل فوق وجهها صور الاكاسرة من ملوك فارس مع صور لمعابد النار وكهانها ، تعبيرا عن ديانة الفرس الذرادشتية التى تؤمن بعبادة النار رمزا لاله الخير هورافردا .

وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم التعامل بهذا النوع من النقود المصورة البيزنيطة والفارسية ، فتسلم بها الزكاة والمهور والصدقات والديات كما وقعت بها الاثمان والاجور ، وأشار ابن سلام فى كتابه الاموال والى كثير من معاملات الدولة الاسلامية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده ، وهى معاملات أساسها الدنانير والدراهم المصورة . واستمر هذا الوضع قائما دون اى اعتراض بحيث أن النقود العربية التى ضربت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب تقليدا لهذه النقود غير الاسلامية ظهرت عليها هذه الصور والشارات ورموز المسيحية أو الزرادشتية فيما عدا تسجيل بعض الكتابات العربية بالخط الكوفى لتشير إلى البسملة مع التكبير أو الحمدلة .

دينار الخليفة عبد الملك بصورته وقد ضربه سنة ٧٧ هـ ويبدو على ظهر الدينار الصليب المحور الى كرة فلكية فوق مدرجات أربعة

صورة الخليفة عبد الملك بن مروان على احد دنانيره وهو يقبض على السيف علامة الجهاد عند المسلمين

والواقع أن حكمة العرب الادارية ، قد استدعت الابقاء على النقود المصورة للشعوب التى خضعت لدار الاسلام ، وذلك استجابة لحاجات شعب مزدوج من الغالبين والمغلوبين محافظة على ثروات الافراد وتذكر المراجع العربية ـ وتؤيدها المستندات الاثرية ـ ان الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان قام بتعريب النقود الاسلامية تعريبا تاما ، والحق أن عبد الملك منذ اعتلائه العرش وجد النقود الاسلامية دنانير بيزنطية مصورة ودراهم فارسية مصورة كذلك، فسار بخطوات وئيدة فى سبيل تحقيق الاستقرار النقدى للدوله العربية ، وعمل وفق خطة مرسومة لتخليص نقودنا من فلك الاقتصاد البيزنطى والفارسى فبدأ اصلاحه للدنانير باعتبارها النقود الرئيسية ، ولكنه أبقى على الصور التى تزين هذه الدنانير رغم أنها صور تمثل هرقل الامبراطور البيزنطى وولديه ، بتحوير الشارات المسيحية فاضحى الصليب كرة أو حرف التاء اللاتينى وسجل شهادة التوحيد والرسالة المحمدية بطريقة زخرفية دائرية « بسم اللهلا اله الا الله وحده محمد رسول الله » ثم مالبث أن سار خطوة اخرى اكثر جرأة بأن حذف صور العائلة الهرقلية من نقودنا واستبدل بها صورته هو تحيط به نصوص البسملة وشهادة التوحيد والرسالة المحمدية بالخط الكوفى بينما سجل على ظهر الدينار نصا آخر يشير الى تاريخ العرب يؤيدنا فى ذلك اقدم دينار اسلامى فى العالمبصورة عبدالملك يحتفظ به متحف كراتشى ، اما الصليب البيزنطى فقد أضحى فى هذا الطراز المصور مجرد عمود قائم على مدرجات أربع وفى أعلى العمود كرة فلكية ، وهذا آخر ما وصل اليه العرب من تساهل فى تقليد النقود البيزنطية غير الاسلامية .

ومما يلفت النظر فى هذا النوع من الدنانير الاسلامية ما اجترأ عليه عبد الملك من نقش صورته وقد كان هذا العمل فى ذاته كما يذكر المقريزى مثار الاعتراض من بعض ، الصحابة الذين وصلت الى ايديهم بالمدينة بعض هذه الدنانير « فلم ينكروا منها سوى نقشها فان فيها صورة » .

وقبل ان ننتقل الى مناقشة الاعتراض او الترحيب بنقودنا الاسلامية المصورة يجب أن نشير الى تلك الدراسات الفنية التى احاطت بصورة الخليفة عبد الملك على دنانيره الذهبية فبينما يرى « ووكر » ولينبول أن رأس الخليفة تغطيها كوفية تنسدل اطرافها على كتفيه نرى شتيكل ولا فوا يؤكدان ان الخليفة الاسلامى يبدو فى صورته عارى الرأس بينما ينسدل شعره المفروق

صورة الخليفة العباسى المتوكل على الله [٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ] على نقده المحفوظ بمتحف تاريخ الفنون بمدينة فينا

على كتفيه ، ومن ثم فان ما يبدو من طيات ليست أكثر من تجاعيد لشعر الخليفة · ويستند الفريق الاول من العلماء فى التدليل على رأيه الى أنه لم يكن من المألـــوف عادة ان يترك العرب رؤوسهم عـــارية وشعورهم مسدلة ، بينما يرد الفريق الثانى على ذلك بالاشارة الى صورة أحد خلفاء بنى أمية فى قرية المفجر بفسلطين وهو فيها عارى الرأس ، وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنه أن أهل الكتاب كانوا يسدلون شعورهم ·

ومهمـــا كان الامر فان صورة عبد الملك على دنانيره التى ضربت منذ سنة ٧٤ هـ و ٧٥ هـ ، ٧٧ هـ يمكن ان تتبين فى بعضها رأسه العارى كما يمكن أن تفترض وجود غطاء لرأسه اشبه « بالفتره » والعقال اليوم كتفسير لبعض الطيات البادية ، وهى أقرب الى طيات الاقمشة الرقيقة · ويتمنطق الخليفة بحزام تتدلى منه شراريب يعتقد بعض العلماء انها أطراف الدرة التى كان يحملها الخليفة معه بينما يبدو السيف معلقا فى جميلة فوق الكتف وقد أمسك به الخليفة فى وضع الاستعداد وكأنه على اهبة ان يسله من قرابه ،علامة للجهاد فى الاسلام وفوق بدن الخليفة عباءة يرى الدكتـــــور ميلز انهـــا رمـح لبردة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم وهى عباءة ليست من الحرير على أى حال لانها لا تشف عما وراءها فضلا عن طياتها الخشنة وكأنما التزم الفنان العربى وبالابتعاد عن الحرير عملا بالسنة المحمدية عند نقش هذه الردة غائرة فى قوالب الضرب حتى بدت بارزة على نقود عبد الملك المصورة ·

ولعله من الطريف أن نشير الى تلك الصعوبة التقليدية التى يصادفها الفنانون عند رسم القدمين فى مختلف العصور ولكن الفنان العربى هنا قد نقش قدمى الخليفة وفق الاسلوب الفنى الساساتى بحيث تتجه كل قدم الى الخارج لاشك ان تاثير الفنـــون السابقة على الاسلام ظل واضحا فى كل الميادين الفنية

نقد الخليفـــة العبـــاسى المقتدر بالله [٢٩٥ — ٣٢٠ هـ] محفوظ بمتحف برلين ويبدو اسم الخليفة حول صورته

درهم باسم الخليفة المقتدر بالله وصورته وهو يمتطى صهوة جواده [محفـــوظ بالمتحف العراقى ببغداد]

منذ فجر الاسلام بشكل لا يصعب على المتخصصين تحديده ·

ويستند المعترضون على القول بكراهية التصوير فى الاسلام الى النقود الاسلامية المصورة التى ضربها عبد الملك كدليل مادى على اباحة الاسلام للتصوير ولكن قد يرد ذلك بان خلفاء بنى أمية لايمكن اتخاذهم حجة فى المسائل الدينية كما يذكر الدكتور زكى حسن فى تعليقاته على كتاب التصوير عند العرب ·

غير اننا لا نستطيع التسليم بهذا الرأى حتى لا نتهم الدول الاسلامية الاخرى التى ضربت مسكوكات مصورة بالتهاون فى احكام الدين لاسيما اذا عرفنا أن الخلفاء العباسيين ايضا قد ضربوا نقودا مصورة بعضها محفوظ فى فينا والبعض الاخر بالمتحف البريطانى والمتحف العراقى ببغداد · فقد ضرب الخليفة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) نقدا عليه صورته وهو يلبس فوق رأسه تاجا أشبه بالتاج الفارسى الساسانى فيما يراه كرابتشك عقالا فوق كوفيه وفى اذنيه قرط على النحو الذى يعرف بقود الفرس وحول صورة الخليفة كتابة كوفية نصها : « بسم الله محمد رسول الله المتوكل على الله » · أما ظهر النقد فقد نقشت عيه صور لرجل يقود جملا ، وحول الرسم اطار من ثلاث دوائر وبالهامش كتابة كوفية تشير الى تاريخ الضرب « سنة احدى واربعين ومائتين » ·

وقد ضرب كذلك الخليفة المقتدر العباسى (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) نقودا مصورة على بعضها صورته وهو جالس وعلى بعضها الاخر صورته وهو يمتطى صهوة جواده وكأنه على أهبة رحلة للصيد : وعلى ظهر هذا النقد الاخير صورة ثور وحشى يركض ومن فوقه نقش كوفى يشير الى اسم المقتدر بالله ·

وبعد هذه لمحة سريعة عن نقودنا المصورة فى فجر الاسلام وربما كانت لنا عودة الى بقية المجموعات النقدية المصورة فى الدولة الاسلامية فى مختلف عصورها ·

وجه لدينار عبد الملك بن مروان بعد التعريب الكامل وعليه تاريخ سنة ٧٧هـ مع الاقتباس القرآنى من سورة الاخلاص فى مركز الدينار

بقية خطاب السيد الرئيس

أنور السادات

ترغب فى ذلك أبدا ٠٠ بلادنا لم تعش عمرها على الدم ولا تحب الدماء أبدا

لقد نشأنا كلنا هكذا وهذا مخالف لميثاقنا لان ميثاقنا يقتضى بأن نحل التناقضات سلميا وليس بالصراع الدموى ٠ وحتى فى تغيير هيكل المجتمع الكبير الذى صنعه عبد الناصر ٠٠ التغيير الضخم بقوانين ٦١ لم يرق دم عندنا ٠٠

مصر طول عمرها وسط ، لا تحب التطرف أبدا ٠ نحن عمرنا سبعة أو ثمانية آلاف سنة ، استوعبنا كل من أغاروا علينا ٠

بالنسبة للكارثة التى عشناها وهى اننا بنواجه عدوا لابد من تجهيز أنفسنا له ٠٠ والدم نفقده هناك ٠٠ ولا نريد أن نفقده هنا ٠٠ لا نريد اثارة أية أحقاد

يصعد اثنان كما رويت لكم الى الاتوبيس ويجلسوا وسط الركاب ويقولان أن الطلبة ضربوا بالامس وتوفى أحدهم ، ويهبطان بعد محطتين بعد أن يسمع الركاب ٠ من ناحية ثانية يأخذوا امهات المقبوض عليهم ويبعثوهن الى نقابات مهنية والى الجامعة لكى يقلبوا الشعور ويقلبوا المشاكل الموضوع ريحته غريبة ٠٠ ولاول مرة يحدث

ما هذا ؟ تدبير واصرار وتخطيط قلت لمدوح دى وراها حاجة لان هؤلاء اعداد قليلة فى جامعتين اثنين فقط القاهرة وعين شمس ينتظرون الطلبة بعد المحاضرة الاولى الساعة ١١ر٣٠ الجماعة اللى عاوزين يزوغوا هما الى بياخذوهم وياهم ويطلعوا ، كانوا بيعملوا المظاهرات ، هما دول طلبة مصر لا ٠٠ بقية الجامعات العليا كلها منتظمة ٠ كان فى تدبير كل الدنيا ماتهدى ٠٠ الامن المركزى الامن المركزى ده معمول عشان مظاهرات لا الشرطة تغير مفهومها من زمان الامن المركزى بالتدريب اللى هو فيه النهاردة معمول علشان أساس من أسس المقاومة الشعبية زى يوم ماتقوم المعركة ، ويتدرب زى الصاعقة فى الجيش بالضبط علشان مقاومة شعبية لحماية ظهر قواتنا المسلحة داخل الشعب مش عمليته علشان مظاهرات ايه ٠ الكلام ده كان زمان ٠

المشكلات ٠٠ وحلها

احنا كلنا فى جرح ومجروحين وكلنا بنعانى الغلاء والبيروقراطية اللى حكيت لكم عليها وتناقضات ، فيه مليون مشكلة ، تليفونات شبكتها اللى كان لازم تتغير من ٢٠ سنة فات عليها ٥٠ سنة ٠ كل شىء عندنا محمل باكثر مما يتحمل لكن بنقول بنستحمل دم كله ، نكمل معركتنا وبعدين نكمل البناء ، بنعيده كله بنبنى فى الحيز اللى بيخلى عملية البناء الاشتراكى مستمرة لكن بنكمل معركتنا وبعدين بننطلق فى البناء كله بقى ٠ علشان كل شبكاتنا ، الميه والتليفونات والمجارى كله يتغير مرة واحدة بس لما نخلص معركتنا اى انسان ممكن ينتقد النهاردة وأنا باتكلم الكلام ده للصحفيين موجودين معانا لان كان لهم موقف غريب ٠ وانتقادات بقولك المطر نزل غرق التليفونات أمال هتعملوا ايه فى المعركة ٠٠ المعركة من أول يوم فى المعركة التليفونات هتتعطل عندنا وعندهم من اول يوم فى المعركة كل شىء سيتعطل عندنا وعندهم بل هو سيضربنى وأنا سأضربه مش مشكلة دى ، الفهم الصح فى حوادث الطلبة كان موقف الصحافة غريب جدا ، وهم معانا وقاعدين معاكم ودلوقت تسمعهم مفيش صحفى واحد يدافع عن دولة المؤسسات وسيادة القانون أنا مش عاوزه يدافع عن حاجة عن السلطة زى مابيقولوا لان بس دافعوا عن دولة المؤسسات وسيادة القانون لانه بدونها مكانش حد يقدر يفتح بقه زى ما بيتكلموا دلوقت محدش أبدا أما خوفا من الطلبة أو مجاراة للطلبة وكذا أو هو ذاته مرعوب وبيقلك الدنيا راحت ليه كدة ليه ده فى الصحافة جرى حتى لدرجة أن خمسة يسيطروا على نقابة الصحفيين ويصدروا قرارات وأرسلوا ليه انذار فى بحر أسبوعين ، الجمعية العامة مجتمعة وعليك انك تعمل كذا وكذا ، الجمعية مجتمعة اسبوعين ازاى هنشوف ايه هل ستحاسبنى ٠٠ انذرات حاجة غريبة تسيب سياسى وشىء غريب ٠ مافيش اجتماع الا وحضروه معايا الصحفيين معايا هنا وعارفين الصورة كاملة ، انما بقولك الوضع مش واضح أنتم أكثر ناس بتعرفوا البرقيات وعارفين ايه اللى بيقال بره وعارفين ايه الصورة وعارفين أنه مالم نعمل معركتنا لن يحس بنا العالم اننا داخلين ومقبلين على هذا حضرتوا اجتماعاتنا كلها على مستوى المسئولية ٠

امام المدعى الاشتراكى

للاسف ضمن التسيب السياسى اللى حصل كانت النتيجة أن التآمر أخذ مداه الى أن مسكنا التآمر مفيش داعى أقول تفصيلات لانها عند المدعى الاشتراكى هو اللى يملك أنه يقول تفصيلات عن هذا الموضوع فى الوقت الذى يراه مناسب ، لكن عاوز أقولكم عملية الطلبة المنشور الاول والثانى اللى طبع اتقال عليه أنه يمثل الحركة الطلابية ، ويوزع باسم

الطلاب للشقق اللى كانت تؤجر مفروشة ، أى طالب هذا الذى يستطيع ان يؤجر شقق فى شارع الهرم علشان يأوى طلبة مطلوب القبض عليهم ويأكلهم ، أية النوع الجديد من الطلبةده احنا على أيامنا كنا غلابة ايه دخول الامهات لمدرجات الجامعة والنقابات كل هذا موجود ومسجل أيضا بأمر النيابة اتمسك التامر لكن ليس هذا ما أريد أن أتكلم عنه النهاردة معاكم ، هل فى مرحلة المواجهة الشاملة المقبلة فيه مكان لمثل هذا أن يتكرر ثانى ..

أظن زى ما خرجنا بدرس مستفاد من عملية نشاطنا الدبلوماسى ياخرج دلوقتى بدرس مستفاد مما حدث فى الجبهة الداخليةنتيجةسوء الفهم أو سوء القصد والتعمد نحو فهم دولة المؤسسات وسيادة القانون والحريات أظن نطلع بدرس مستفاد أننا فى المرحلة المقبلة مرحلة المواجهة الشاملة بل فى مرحلة السلم ايضا لا يجب ان نسمح لاحد ان ينال من المؤسسات ولامن سيادة القانون ولا من الحريات ولا يتصور أن يتخذ من هذا السبيل للتآمر على البلد لا فى الحرب ولا فى السلم .

وعلى سبيل المثال أولادنا الطلبة بيستغل أسمهم فى كل هذا وأنا باقول أنهم أبرياء من كل هذا . علشان كده بأقول وطلبت من وزيرالشباب أن يتولى الطلبة بأنفسهموضع ميثاقهم هم ، ميثاق الحركة الطلابية ويقولولى هل الحركة الطلابية حرق الاوتوبيسات واللا الحركة الطلابية تكسير المعامل اللى احنا بنشقى لاجل أن نبنيها لهم لاجل أن يتعلموا واللا ناسيين المدن الجامعية اللى بنصرف عليها ملايين من أجل القادمين من الاريافهل هذه هى الحركة الطلابية التى تعبر باسم طلابنا لا طلابنا أنا عارف أنهم أبرياء من هذا . يضعوا ميثاق الحركة الطلابية . الطلبة يلتزموا به . الكل داخل هذا الميثاق له على الدولة حق العلم وله كمواطن أن يقول رأيه كاملا بالاسلوب الديمقراطى السليم ،بعد ذلك ومن يخرج عن هذا ليس طالب ولا نعامله كطالب بمقتضى هذا الميثاق .

المسيرة لابد أن تسيرعلى طول الى الامام ان شاء الله فىالحرب أو فى السلم .

توزيع اعباء المعركة

لما نخرج من المرحلة القادمة المواجهة الشاملة وأقول ماذا ستكون ملامحها ، ملامح المرحلة الماضية قلنا اعداد عسكرى بكل طاقاتنا ، تحرك دبلوماسى كامل ومكثف كل هذا داخل البناء الاشتراكى الذى نحن نبنيه أنا بقول مسئوليات المرحلة القادمة مرحلة المواجهة الشاملة هاتكون زى ما هية .

أولا ــ اكمال البناء العسكرى لكى يتم مهمته بكل قوة وبكل ما نستطيع .

ثانيا ــ اكمال التحرك الدبلوماسى اللى أنا قلت انه قبل المعركة وخلال المعركة وبعد المعركة لن يتوقف بيزيد شىء عن مهام المرحلة عن مهام المرحلة الماضية

بنك مصر
تقاليد وخبرة العمل المصرفى على أرفع مستوى
توفير بنك مصر ذو الجوائز
جائزة أولى ١٠٠٠ جنيه
+ ١٤٤ جائزة مالية أخرى
السحب ٤ مرات سنويا
فائدة ٣٪ سنويا
الودائع المتضاعفة
تبدأ من
٥ جنيهات
الى
٢٠٠٠ جنيه
فائدة ٣٪ سنويا
يصرف ضعف المبلغ المودع
يمكن الاقتراض على قيمة الوديعة
تجمع بين مزايا الادخار والتأمين
تقبل الودائع حتى سن ٦٥ سنة وبدون كشف طبى

هى التضحيات ·· مرحلة المواجهة الشاملة بندخلها كشعب كل واحد فينا يحمل مسئوليته وقدره فى أيده لان المعركة لن تكون على الجبهة فقط ولا فى سينا فقط ، لكن المعركة ستكون على القرية وعلى المصنع وعلى المدرسة وعلى القناطر وعلى الكوبرى وعلى كل مكان ·

فى بلدنا اذن نحن كلنا فى المعركة كلنا كشعب اذن لابد أن توزع اعباء المعركة توزيعا عادلا على كل انسان ولابد ان يتحمل كل واحد فينا بقدر طاقته أعباءه فى هذه المعركة · ولكن هذا يحتاج الى تشريع ومجلس الشعب كفيل بدراسة ذلك ، أمامنا حالات مماثلة حصلت مثل معركة انجلترا والى أى مدى كان الشعب بيساهم · كل انسان بما يستطيع وبما تسمح به ، والدولة بتسخر كل الامكانيات للمعركة وأيضا فان على مجلس الشعب أن يدرس بسرعة هذا الكلام ويوزع ويعيد توزيع أعباء المعركة علينا كلنا كشعب · ولمجلس الشعب فى هذا نظرية فى أصحاب الدخول الطفيلية وفى الناس الذين ظهرت عليهم فجأة علامات جديدة ، التشريع كفيل بأن يصحح هذا مثلما فعلت قبلنا دولة مثل انجلترا وغيرها ·· ليس الحقد مثلما كان يريد المتآمرون أن يفعلوا ·· حقد أسود يصل بنا فى النهاية الى أن نبقى نسيج دم بعض وتاركين العدو على أرضنا · هناك من الواجبات الاساسية مثل قانون المدعى الاشتراكى على مجلس الشعب أنه يعيد توزيع أعباء المعركة ولا يوجد واحد على أرض هذا الوطن الا ويتحمل على قدر ما عنده ولابد أن يكون هذا واضح ·

أنا كنت زمان كنا نضحك على حكاية العشور كما كنا نترا ويقولوا دول فارضين عشور ولما بيأتى واحد رايح السوق وداخل يقوموا فارضين على المعزة مشعارف كام وعلى ده ايه وعلى ده ايه · يقولوا عليها العشور عندنا فى الفلاحين الانسان كان بيضحك ، لا النهاردة الكلام ده حقيقى · كل من عنده ميزة عن الثانى لازم تكون تضحيته أكثر ممن ليس عنده ميزة ، لازم الاعباء توزع بالتساوى عندئذ كلنا كشعب أيا كانت الصورة سنتحمل أعباء معركتنا وكذلك فى التموين أيضا · نصارح الشعب بالحقيقة كاملة المادة دى عندنا والمادة دى ليست عندنا ، وبس تتقسم بالعدل ، المسئول الكبير لا يحصل على الاكثر لا ·· بالعدل وبالتساوى ويدخل الاتحاد الاشتراكى هنا ويمسك ويضع أيدينا على الناس اللى فعلا لا تريد أن تتحمل مسئولياتها أو التى لا تستطيع أن تقدر مسئولية المرحلة التى نعيش فيها كل انسان فينا لازم يقول بشغله ويقوم بمسئوليته فى هذا اذا كان خلاصة الموقف الخارجى الذى قلت لكم عليه هو أنه لابد وأن نقول للعالم أن لنا قضية أى أن نتحمل فى هذا بتحريك الموقف عسكريا كل ما تقتضيه من تضحيات وسبق أن قلنا قبل ذلك وزى ما قلتلكم ، روسيا من أجل أن تطهر بلدها دفعت ٢ مليون فرد فى بلد واحدة لينينجراد ومليون شخص منهم نصف مليون مدفونين فى جبانة واحدة مدينة واحدة راح فيها مليون · نصف مليون فى جبانة واحدة حرروا أرضهم وبقوا قوة كبرى · المعركة معناها التضحيات زى ما قلتلكم ، خلاصة الموقف الخارجى انتم جاهزين تحملوا التضحيات وتخوضوا معركتكم وتقولوا للعالم نحن هنا ونستطيع أن نملى ارادتنا وأن نتحدى عدونا أم لا ·

مرحلة حتمية

اذا كان هذا خلاصة الموقف بعد الاتصالات الدبلوماسية ، وخلاصة الموقف الداخلى فى المرحلة ، **أنه لم يعد من سبيل أمامنا أن نؤخر المعركة على حساب ترتيب أوضاع فى الداخل ولا أن نؤخر أوضاعا فى الداخل على حساب المعركة ·**

الكل لابد أن يسير جنبا الى جنب ·· اذن مرحلة المواجهة الشاملة التى نؤمن فيها بقدرنا ولا نضن ولا نتردد ·· أصبحت مرحلة حتمية ولقد دخلناها شئنا أم لم نشأ ·· دخلناها اذن ·· فلندخلها كما يجب أن ندخلها ··

من أجل هذا وخلاف ما كنت أتمناه ورددته كثيرا وصلت الى قرار أن أتحمل قدرى بنفسى فى هذه المرحلة كما يتحمل كل انسان منكم · وأطلب من كل واحد فيكم أن يتحمل أيضا قدره بنفسه وفى يديه · هناك لحظات فى التاريخ لابد أن يتقدم الانسان ويحمل قدره ويفعل ما يريده · نحن نعيش هذه اللحظات ··

ويبقى وضع واحد حينما أتولى أنا رئاسة الوزارة اذا ما وافقتم حضراتكم على هذا أن تشكل لجنة لوضع ضوابط المساءلة الدستورية أمام مجلس الشعب من واقع دستورنا الموجود لان نظامنا رئاسى يسمح به الدستور وضمن نطاق الدستور · فقد تعلمنا من المرحلة الماضية فلنضع ضوابط لكل حركة من حركاتنا حتى لا يتكرر مرة أخرى ما تكرر من تآمر ومن مزايدات وخلافه · وأعتقد انى بهذا أعطيت الصورة كاملة وقلت لكم كل ما فى نفسى وقلت لكم الوضع ·

يبقى شىء واحد هو أنه قد يساء فهم هذه الخطوة أو فى أقل القليل المتآمرون سوف يحاولون اخراجها عن هدفها ·· **أنا أقول أمامكم أن دولة المؤسسات كمبادىء وفلسفة لابد أن تستمر ولابد أن نمنع عنها كل تآمر · سيادة القانون كمبدأ وكفلسفة أمر لا مناقشة فيه اطلاقا ·· يزيد على هذا أنه فى المرحلة المقبلة ، كل شهر ·· هذا المؤتمر المشترك سيجتمع فى المرحلة المقبلة ونستعرض كل المراحل التى نمر بها الى أن نجتاز المرحلة الحرجة القائمة ونقرر لنفسنا الاوضاع التى نريد أن نقررها انما أريد أن تتسع القيادة ويكون هذا المؤتمر المشترك كله كل شهر أو كلما دعت أو كلما جد أمر ··**

وبذلك نوسع قاعدة القرار أكثر حتى نطمئن كلنا لاننى كما قلت أننا كلنا فى المعركة نحمل قدرنا كل واحد منا يحمل قدره على يده للمرحلة المقبلة · حتى نواجه قدرنا ، واذا كان لى أن أختم فليس عندى ما أقول سوى « **ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير** » ·

والسلام عليكم ورحمته وبركاته ·

آمال الصغار نحو مستقبل أفضل
تحققها لهم ..
وثيقة تأمين
المهر ..
والتعليم
التي تضمن
الميزات الآتية :
معاشاً لمدة ثلاث سنوات
في مدة التعليم الثانوي
أو لمدة خمس سنوات
في فترة التعليم الجامعي
بالإضافة إلى :
مبلغ التأمين يدفع في نهاية مدة التعاقد
ليساعد الوالدين والابن والابنة
بعد سنوات الدراسة على مواجهة
الحياة العملية ...
الشرق
شركة الشرق للتأمين
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتأمين
المركز الرئيسي : ١٥ شارع قصر النيل
القاهرة

القصة

.. وفي عصرنا صديق : اسمه يوسف !

قصة مصرية طويلة
بقلم الاستاذ عبد المنعم الصاوي

ملخص ما نشر

.. وتمر الايام بيوسف .. وما زلنا معه نتأمل احداث محنته .. رؤياه التي قصها على أبيه [انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين] ..

نصيحة أبيه له [لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا] ..

« المؤامرات التي دبرها اخوته له ، والتي انتهت بأن رموه فى اعماق جب وسط فلاة موحشة ، ليخلص لهم حب أبيهم ..

لكن ينجو يوسف .. ويمضى مع القافلة حتى يصل الى مصر .. وقد رأى فى أبنائها روحا لم يألفها من قبل .. روحا تنتصر على اليأس وترفع دائما شعار الحب الذى يسمو فوق الاحقاد ..

.. واستقر يوسف فى قصر عزيز مصر الذى تزخر جنباته بالابهة والعظمة

.. ويندهش يوسف مما رأى من حكام الاقاليم .. وهاله ان حقائق شعب مغلوب لا تصل لمولاه .. فنصح الحاكم ، ووضع يديه على الداء .. وقدم له ارباب الحكمة ليقولوا كلمة حق ..

وهنا تعرض يوسف لمحنة جديدة .. وكانت هذه المرة مع امرأة العزيز ..!

لكن الله حماه من العار .. وسما يوسف فوق المحنة .. وهيأ نفسه ليواجه اشرارا ، او خونة ، او قتلة ، او غشاشين ، او تجارا خدعوا الناس وباعوا الوهم لهم ... !

وها نحن معه نتابع سطور القصة ..

[١١]

• • •

وبدأت يا يوسف تنسى الماضى ، أو تتناسا، لتذكر آخر فصل فى محنة سجنك .

لماذا انت هنا يا يوسف ؟

لماذا تدخل هذا السجن المظلم ؟ .

لماذا تخلو قدماك فى هذا الكهف بمصير غامض ؟ .

.. وهل تكتب لك منه نجاة ؟ هل تخرج منه سليما ومعافى ؟ أو تقضى بقية عمرك تجتر مرارة عصرك ؟ .

وهل انت على هذا تقدر ؟ امتنسى فى سجنك حتى الذكرى ؟ !

وعاودتك الرؤيا يا يوسف ، بين الظلمات نايقنت بأن الله لن يتخلى عنك ، ولن يدعك وحدك .

لكن .. وحتى يحين الحين ، ستكون هنا بين شواذ لا تعرفهم ، لتدفع ثمن مقاومتك .

.. وما كان اشق على نفسك ، ان تدفع اغراء يطفح بالشهوة ، وبالرغبة ، وبالاغراء ، وبالنزوة .

او تذكر يا يوسف ؟ .

• • •

افقد كانت تلك مؤامرة ليوقع بك ؟

ام قد لعبت فيها الصدفة دورا محبوكا لا تعرفه ؟ .

ولماذا اشتد الضغط عليك ، عقب النصح الذى قدمته ؟ وماذا فعلت ؟ لقد كانت دعوتك ، الا يرتجف الوزراء من الحرية ، وان يختاروا بين اثنين : خائف مهزوم ، ترتعد اصابعه امام القوس ، او جندى يحمى بلده ، بسياج من حرية عيشه ، وصدق لسانه ، حتى لو لم يعجب بصدقه وزيرا يحكم . افتلك جناية ؟ افتلك خيانة ؟ .

ايا كان الامر فقد اعقب هذا النصح ضغط مرسوم بتعقبك

صحيح يا يوسف ،سبقت ذلك بعض بوادر، لكن كانت مخفية ، تتستر خلف حياء الانثى ، والانثى قد تتمنع ، وهى تتمزق رغبة . اما ان ترغب انثى ، والرجل يتهرب ، فقد كانت شيئا كاللغز يحير .

دع فتيات القصر ، وظباء كالغزلان تثب عليك تغازلك ، وتروى كل كيف يسهدها حسنك .

هن غريرات يا يوسف ! .

وهن شقيات يا صديق !

اعتدن على هذا المسلك ، وقد تعنى واحدة ما تبدى ، ولا تعنى الاخرى .

اما ان تنزل سيدة القصر الى هذا الدرك من القول ، فذلك ما لم تعرف سببه .

والبلوى انك مع سيدة القصر ، لا تحجو واحدا من خدم وضعوا فى خدمتها .

واذا كان من السهل ان تتخلص من فتيات القصر ، وان تصرفهن بشكل او آخر ، فانك مع سيدة القصر ، فى وضع يختلف تماما .
سيدة القصر تأمر ،وعلى الخادم ان يصدع!
فان كان الامر غراما ، فأى غرام ذلك يا يوسف ؟ .
ايكون الحب بأمر ؟ .
ايكون العشق بأمر ؟ .
ايخفق القلب بأمر ؟ .
اترتعش الاطراف من الوجد ، بالامر ؟ .
.. اينحبس الصوت .اتذبل اجفان العاشق ايشرد مغرم عن دنياه .ايكون الهمس اواللمس .. بالامر ! .
لكن هى سيدة القصر ، تملك هذا القصر ، .. وقد تتوهم انها تملك من فيه جميعا . تحب تكره . تأخذ ، تعطى .. تجرد هذا من ثوبه ، او من جلده . هذا كله ـ فى وهم المراة حين تسود ـ تملكه !! .
يا للهول !! اتملك ايضا شهوات الانفس ؟ ! اتملك جمرات الجسم ،حين تعربد فيه النزوة؟!
واين الانسان من هذا كله ؟ .
اين مكان الرغبة ، حين تكون الرغبة حرة ؟ اين مكان الجزء الكامن فى النفس ، يستيقظ ويثور ويجلجل ، لكن من نفسه ، يبادله طرف آخر ، جمعت بينهما عاطفة ؟ .
واين رجولة رجل ، كتب عليه ان يبدا منه المسعى ، لواحدة يهواها ، وقد تقبل فتكون القسمة عادلة ، او قد ترفض ، فيظل يعانى من حرمان هائل ؟ .
هل تخضع رجولة من فى القصر ، لهوى سيدة القصر ؟ هل تصبح رجولتهم سلعة ؟ .
لا تدرى يا يوسف ، نعم لا تدرى ؟ !

● ● ●

من اول لحظة ونظرات السيدة اليك ، كانت ملتاعة . لكن حسابك ان النظرات سترتد الى الغمد ، كان حسابا خطأ .
وتحذيرات السيدة اليك ، من فتيات القصر اذن ، كانت مقصودة ، لتكون لها دون شريك فيك .
وتلميحات عن حسنك ، كانت تستهدف ايقاعك .
شغلتك شواغل اخرى اخطر واهم ، حتى كان ومضت أيامك ولياليك ، ولا تعبأ او تهتم . ما كان .
ماذا كان ؟ .
افتلك كانت نظرة ؟ ام كانت حرية ؟ .
وهذى سيدة القصر تقيسك من راسك حتى قدمك ، ثم تناديك لتطلب منك ترتيبا خاصا لشئون تعنيها ...
ولا تملك الا الطاعة .
وفى جناح متطرف من هذا القصر الواسع اخذت تتودد لك .

● ● ●

● يا يوسف .. حدثنى .
● أمرك يا مولاتى .
● حدثنى عن نفسك .
● ليس فى امرى ما أخفيه يا سيدتى .
● لكل منا جزء يخفيه ، لنفسه .
● خجلا مثلا ؟ .
● ربمــا .
● فان لم يملك شيئا يخفيه .
● يصبح اعجوبة عصره .
● ولماذا يا سيدتى ؟ .
● ألست تفكر وحدك ، فى اشياء لا تظهرها لسواك ؟ .
● ابدا ياسيدتى . فكرى كله فى ربى ، وفى عملى .
● وعواطفك الشخصية ؟
● جزء من عملى .
● وهمسات النجوى ؟
● عبــادة .
● ونبضات القلب ؟
● صــلاة .
● ورغبات الجسد الثائر ؟ .
● عمل اخدم به من آوانى .
● والمرأة ؟ .
● من نعم الله على الناس .
● والنعمة محبوبة ؟
● ككل النعم الاخرى .
● والا تتميز بحب خاص ؟
● لكل النعم مكانتها .
● لكن المرأة افضلها .
● التفضيل عسير يا سيدتى .
● الست تحب على الاطلاق ؟
● احب الناس جميعا ، واحب الاشياء وتراب الارض ونور الشمس ، ومسرى الريح
● اتحدث عن حبك للمرأة .
● ومن ذا يكرهها ؟ اليست من مخلوقات الله ؟ ..
● انت اذن تعشقها .
● اعشق فيها معنى ادركه .
● ومفاتنها ؟ .
● من روعة ما صنع الله ، الهى .
● لا تتعامل يا يوسف ، وقل الحق .
● معاذك يا سيدتى .هذا قول بالحق اعلنه
● بل وانت تراوغ .
● أراوغ ! ما هذا طبعى .
● انظر فى عينى .. وتأمل .
● مولاتى .. لا اقدر .
● لسحرهما ؟ .
● لانى عبد مخلص
● وبودى ان تصبح سيد هذا القصر .

- انا ... يا سيدتى ؟ ! .
- نعم يا يوسف .
- وكيف اسود وهذى حالى ؟ .
- حين تسود سيدة القصر ،تسود القصر .
- مولاتى .. عفوا . انا من ؟ ومن انت ؟
- انا مفتونة بك يا يوسف .
- سيدتى ... لا تحتمل قواى هذا الموقف
- ومشغوفة ايضا بجمالك .
- هذا شىء لا احتمله .
- وبودى ان اهبك نفسى .
- ومولاى .. سيد هذا القصر ومن فيه ؟
- لا دخل لك بمولاك ، وكن انت نصيبى .
- يا سيدتى ارجوك .
- بل انا ارجوك . اتبدد هذى الفرصة ؟.
- فرصة !! فرصة ماذا ؟ .
- قلت تسود هنا .
- انا اعرف نفسى . انى رهن لمشيئتك .
- اذن فتعال الى ، لتطفىء ظمأى .
- ظمأك يا سيدتى يطفئه زوجك .
- عند الرغبة ، يصبح من ترغب فيه المراة هو سيدها .
- لكن الرغبة يحكمها عقل وضمير .
- هذى فلسفة لا تجدى .
- فأن تك رغبة اى مناخسة .. هل نتركها يا سيدتى ؟ .
- الرغبة نشوة ، ولذة ، وحياة مترعـة بالاحلام .
- ونخون العهد معا ؟ .
- عهدك ام عهدى .
- عهد كلينا .
- افضل من حرمان قاس .
- ومولاى ؟ .
- هو زوجى ! افأنت اشد ولاء له .. منى؟
- فى هذا لا تفضيل ولسنا نتسابق .
- ماذا تعنى « .
- انت امراته ، لكنى ايضا مسئول عن عرضه .
- وكيف يراك .. والتدبير تد تم لنصير معا وحدينا .
- لكن الله يرانى .. يا سيدتى .
- هذا شىء مزعج .. لن تفلت منى .
- سيدتى .. انرتكب الاثم ؟ .
- ونغرق فى اللذة .
- سيدتى .. ونخون ؟ .
- واتمتع بك يا احلى من صادفته .
- سيدتى .. وسنندم .
- سأندم لو افلت من بين يدى .
- سيدتى .. يا سيدتى .

• • •

واخذت يا يوسف تلتمس الهرب ، لكن الهرب لم يكن منها سهلا . وتراجعت يا يوسف

الى وراء ، لكن لهفتها عليك كانت اسرع من خطوك .

وسمعت لها انفاسا كالريح ، وهبت زفرات منها كالنار . وامتدت اليك ذراعاها لتضماك اليها ، ومرت كالصيد المجروح ، لا تعرف كيف تفر ..

وشعرت بشفتيها فى صدرك ، تتصاعد لتتلاقى بفمك ، تمتص رحيقه .

والتف الجسم الناعم كالرقطاء ، يبحث عن ضعف فيك ، يوغر فيه السم ، لتقضى .

واذا انت محاصر بذراعين يضمانك ، وساقين يقتربان من جسمك ، وصدر يضطرب باحاسيس المراة ، فقدت فى لحظة كل توازن ، وبدا شعر اسود فاحم يغلف وجهك ليخفى عنه حقيقة هذا الجرم ، ويلفك فى ظلمات الشهوة

وشعرت بجسمك كله يهتز ، وبانفاسك تتمزق ، وبنار تحرق بدنك .

يا للهول !! .

ماذا بك يا يوسف ؟ اتراك تطاوعها ؟ اتراك تترك نفسك ، بين هدير من احمق ؟ .

وترضى يا يوسف ؟ .

وفجأة لاحت لك رؤياك ، من بين الظلمات ورايت القمر وشمسك وكواكبك جميعا ، يحنون لك القامة .

وفزعت يا يوسف للرؤيا .

.. وفى لحظة عاودتك القدرة على ان تتخطى عقبات شتى .

ودفعت المراة عنك ، لتناجى ربك .

• • •

● مولاى .. الهى .
● هذا عبدك يصدع لما تأمر .
● وهذا جسدى قد خلص اليك بكل طهارته
● مولاى .. الهى ..
● وها انذا بين يديك تعصمنى من الغدر ، والخسة ، وخيانة نفسى ، وولى الامر هنا ، ورؤياك العظمى .
● مولاى .. الهى .
● سافر بنفسى منها وسأهرب فاعنى ..

• • •

وفررت يا يوسف .

أخذت يا مسكين تجرى .

لكن المراة قد كانت فى حالة فورة ، فلم تتصور كيف تضيع من بين يديها الفرصة .

وخلفك صارت تجرى .

تلحق بك حينا ، ولكنك تفلت ، لتجرى .

وتحاورها وتحاورك . رؤياك تضىء طريقك ونزوتها تدفعها نحوك .

وتدور ، وتدور معك ، وتلف القصر ، وهى خلفك ، وتمسك بثيابك من خلف ، فيقاوم مرة ، لكن من قوة قبضتها يتمزق .

وتظل تدور هنا وهناك ، حتى تجد طريقك الى باب القصر ومدخله ، فتعدو نحوه ؟ وفى ظنك ان تخرج من هذا القصر الى النور ، ليلقى ما فى نفسك من نور ، نور الشمس ، وهو من ربك .

لكن المراة لا تتركك تفر وتفلت ، فتعدو خلفك ، لتظل أسير القصر ، بين الجدران الصماء ، فتنفرد بك ، وتقضى بك مأربها .

وفجأة ، وبينا يدك على الباب تحاول ان تفتحه ، تكون من خلف تمسك بك ، فيتسع الفتق فى ثوبك ، من خلفك .

وتفلح يا يوسف فى فتح الباب ، وهى تشدك لكن ما كان أغرب أن تجد نفسك وجها لوجه امام مولاك ! ولم يكن وحده .

ووقفت يا يوسف مشدوها بين من كان يراد لك أن تخونه ، وبين من كانت تريد أن تحملك على أن تخونه ! .

وربطت الدهشة الا لسنة جميعا .

لسانك ولسانه والحية الرقطاء .. ورابع من أهلها كان فى صحبة مولاك .

• • •

يا للفزع الاكبر ! .

وبالبحر العرق ، يلفك كالطوفان ، لتغرق !

ويا لسانك قد جف ، حتى صار العجز عن القول ، هو تعبيرك عن هذا الموقف ! .

وكدت تنادى من أعمق أعماقك ، أن ينفتح الجب ، لتلقى نفسك فيه ، ولا ترى كيف تدور الاعين حولك ! .

وأين ذهبت يا ذئب الاخوة ؟ الا تأتى الى لتأكلنى ، وتمزق احشائى ، وتنثر فوق الرمل دمائى ، فأغادر دنياى ، ولا اتلقى سهام الشك أو الريبة ؟ .

وفى لحظات دارت رأسك بين القتلة والخونة والجبناء ، والمرقة .

وكدت تنادى من قلبك ، كل لعين يرتكب خطيئة .

فى الممر ، وبين الظلمات ، وبعيدا عن اعين من يرقب ، قد يحلو اثم الاثم ، وقد يتصور أن سعادته فى اثمه .

فان طلع النور ، وانكشف المستور ، فان المجرم يواجه جرمه ، فى نظرات التحقير لفعلته ، واستنكار الخلق له ، وبراءتهم منه ، وصمت المتعالى حتى عن توجيه التهمة ! .

لكن الاثم لا يحسب هذا الموقف ، ويظن ان ذكاءه وتدبيره ، يكفل له ، ان يستمتع بلذة جرمه ويهرب من غضب الناس ! .

• • •

وتداركت يا يوسف ما كان منك ، فانكرت ان يدور بك الفكر حول أمور أنت برىء منها ، براءة ذئبك من دمك .

براءة ذئبى من دمى !!

البقية العدد القادم

الشعر

اللهم

الشاعر العوضي الوكيل

لا هم لقنى الرضاء
بالقضاء والقدر
ولقنى حسن اليقين
بأساميك [١] الغرر
واجعل فؤادى منزلا
لنورها ومستقر
ولقنى الوعى لآيات
الكتاب والسور
ولقنى نبذ التعالى
عن مساكين البشر
ولقنى حب الاباء
ان طغى طاغ اشر
وان بدا المنكر فاصرف
عنه قلبى والبصر
ولقنى الصدق وان
اصابنى منه ضرر
فى الامن ادعوك وادعوك
اذا لاح الخطر
سيان حالى فيهما :
عبد اطاع وائتمر

لا هم ادعوك وجنح
الليل حولى غاسق
وقد بدت طرائق
واشكلت طرائق
لكنما نورك فى
قلبى وضىء آلق
والقلب بالرجاء ما
بين الضلوع خافق
روحى مشوقة ونور
الله حولى شائق
هيهات ان يراه يوما
جاهل أو مارق

يابدر يا أنجم
يا رياض يا شقائق
يا غيث يا أنواء
يا رعود يا بوارق
ويا مغارب اشهدى
وأنت يا مشارق
اشهدته أن الله
لا سواه بار خالق

لاهم فاكتب لى لديك
نعمة ومرحمة
أليس قلبى مؤمنا
حقا وروحى مسلمة ؟
ألم يكن دينى ـ كما
أمرت ـ دين القيمه ؟
ألم أذد عنه باشعارى
وأحيى قيمه ؟
أمرت قلبى أن يفديه
ولو اعطى دمه
وقلت ياقلب وقاك
الله نار الحطمه [٢]

لاهم قد قامت بأرض
القدس شر شرذمه
لا تعرف الله ولا
ترعى هناك حرمه
قد حولوا ايامها
الى ليال مظلمه
وجلدوا الليل وابكو
بالدموع انجمه
فابعث عليهم صرصرا
عاتيه مهدمه !
وابعث لجند الحق من
عونك يوم الملحمة [٣]

---

[١] اساميك : اسماؤك
[٢] الحطمة : جهنم
[٣] الملحمة : المعركة

إن من الشعر لحكمة

لفضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

يا جاعلا تلك القبائل أمة
ومبدل الاوثان بالاسلام
ومطهر الاخلاق من ادرانها
ومكونا بالشرع خير نظام
ما كان مثلك أو يكون وأنت من
أحيا الورى وامام كل امام

• • •

الله أكبر أنت أعظم خلقه
وأجلهم ونتيجة الاعداد
واتمهم والله معرفة به
وأشدهم حبا وخوف معاد
ولكم على بطن عصبت حجارة
وطويت أياما لفقد الزاد
ماذاك عن فقر عراك وانما
آثرت فيها عيشة الزهاد
ليكون فيها للمقل بك اقتدا
ءلمن نصيب من الزمان عواد
ان الجبال اليك تبرا قدمت
فرفضتها يا أمجد الامجاد
ان الكفاف كفاية لمن الردى
لابد منه له بلا ميعاد
واتم خلق الله عقلا – مؤثر
ذات البقاء على التي لنفاد

ولطول ما تحيى الليالى قائما
الضر فى قدميك أصبح باد
ان قيل مه . قد نلت مغفرة تقل
انى لاشكر للشكور اياد

• • •

تعلق برب العرش واعمل بشرعه
تجد عونه فيما تحاول مسرعا
وراع محبيه ولازم مزارهم
فيافوز من زاروا ويا عز من رعا
وقل حل يارباه مشكلتى بهم
تجد حلها سهلا وجدبك ممرعا
ولا تتبع من خاب اذ ضل عنهمو
تخب وتلاق الخسر والشر اجمعا
فما اقرب المولى من الخلق كلهم
ولبى الذى لبى الاوامر مهطعا
وما عنده سيان طائع أمره
ومن فى معاصيه اخب وأوضعا
وما السر فى قرب المجيب وانما
أرى السر كل السر فى قرب من دعا

• • •

أطع الله مثل ما أمر الله
وإياك مابه النفس توحى
وادم ذكره على كل حال
انما ذكره طريق الفتوح
لذة الذكر لو وقفت عليها
قلت : من لى بها ـ باهلى وروحى
من تجلى له الاله بوصل
قال : عنى أيا دنية روحى

• • •

يارب صل على طه وشيعته
مسلما . وأنلنا منك رضوانا
واجعل خواتمنا خيرا وكلمتنا
عند الممات ـ بك اللهم ايمانا

ما أجمل القرآن

الشاعرة روحية القليني

ووهبت لى ربى حياة نادية
وخلقت لى نفسا بحكمك راضية
جنبتنى ذل السؤال ومره
الغير وجه الله اجثو داعية
انا لا الوذ بغير جاهك خالقى
بك أرفع الراس الابية عالية
وتمد لى يدك الكريمة منعما
اغنى بها عن كل ايد دانية ،
وتضيق بى الدنيا فتمسح دمعتى
وتنير لى درب الحياة الداجية
واذا الجميع جفا فظلك خالقى
أنسى به ظلم القلوب الجافية
انا من انا من غير قدرة خالقى
الا خيالات تراءت واهية
انا من انا من غير عزة خالقى
الا متاهات الحياة الفانية
هو وحده الحانى الكريم وأننى
بالله أنعم بالظلال الحانية
أن ترض عني ياالـه فانني
القى الحياة بها حياة زاهية
تتفتح الدنيا أمامى كلها
ويصافح الزهر الطيور الشادية
والصعب يسهل كله فى لحظة
والخير يغمر روضنا فى ثانية
اتلو كتابك آية فى آية
ترتاح نفسى للمعانى السامية
يتلوه قلبى بالدموع منغما
وبفيضه تروى النفوس الصادية
ويزيح عن قلبى الهموم تكاثرت
وتهدهد النجوى النفوس الشاكية
ما أجمل القرآن بلسم روحنا
يشفى جراحات النفوس الدامية
تصغى اليه عقولنا وقلوبنا
من قبل آذانى بشوق صاغية
عقلى وقلبى يؤمنان به تقى
فى ظله دنياى تغدو هانية

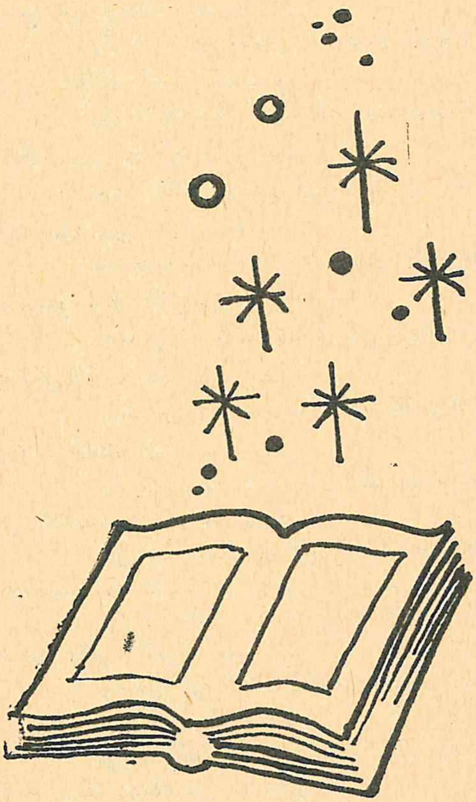

الحسين بن على

شهيد كربلاء سيد الشهداء

الشاعر محمود شاور ربيع

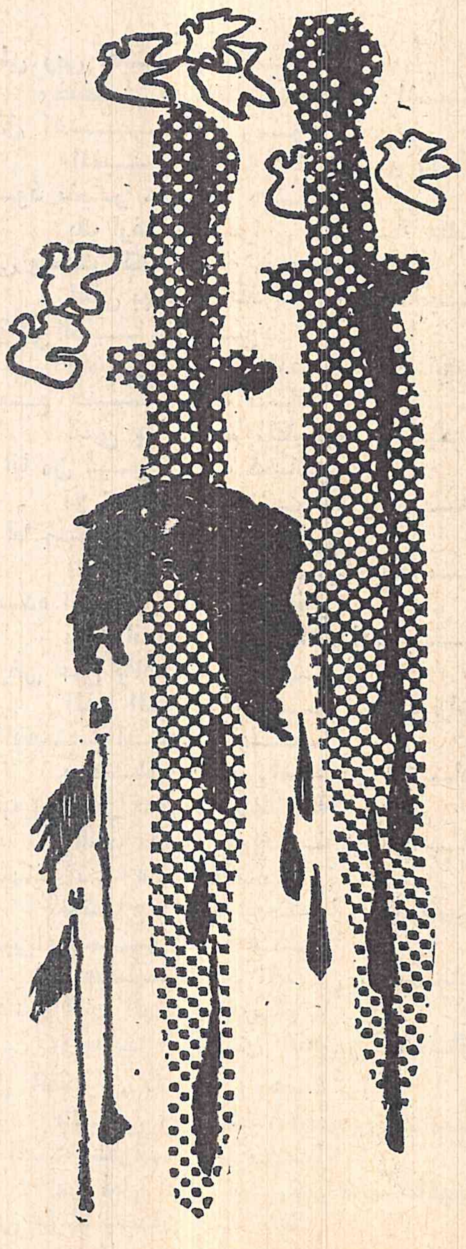

شهيد الحقَ يا ابنَ الانبيـــاء
بذلت الــروح انعم بالعطــــاء

دعـــاكَ المتعبون فجئت تســـعى
تلبى داعيـــا عنــد النــــداء

ولم تســمع لمن يزجيكَ نصـــحا
ولم تســمع سوى صــوت الرجاء

خرجت وفى ركابك كــل حـــرّ
من الابطـــال اجنـــاد الســماء

رجـــال كالاســـود اذا تـــراءت
تجيد الضرب فى يوم اللقـــــاء

وحولك نســـوة من بيت « طه »
ونســـوة « احمد » خيـــر النساء

خرجت بخيـــر اهل الارض طـــرا
بعتـــرة « هاشـــم » نبع الوفـــاء

وقفت « بكربلاء » فجـــاء جيش
مـــن الاعـــداء لف بكـــربلاء

فقلت لـــه : اليك اليـــوم عنى
ودعنى ماضـــيا دون التـــواء

والا ردنى لاعـــود اســـعى
الى بلـــدى وآلى الاقـــرباء

والا فالفضـــــاء الـــرحب اولى
وارض الله واســـعة الفضـــاء

فلم يســـمع لغير الحرب صـــوتا
وامعن فى الســـفاهة والعمـــاء

فـــلم تر من قتـــال القوم بدا
وقام الحـــق مرفـــوع اللـــواء

ومات الاســـــد دونك فى دفـــاع
وانت تصـــول تنزل كالقضـــاء

كانك يا « حسين » جيوش حـــرب
تســـوق المعتـــدين الى الفنـــاء

وخـــاف القـــوم منك وانت فـــرد
فطاروا باحثين عـــن النجـــاء

ونلت « شهادة » وعلوت تســـعى
الى الرحمـــن تشـــكو من جفـــاء

سعوا «بالراس» نحو «يزيد» سعيا
وعند « يزيد » جمع الاشـــقياء

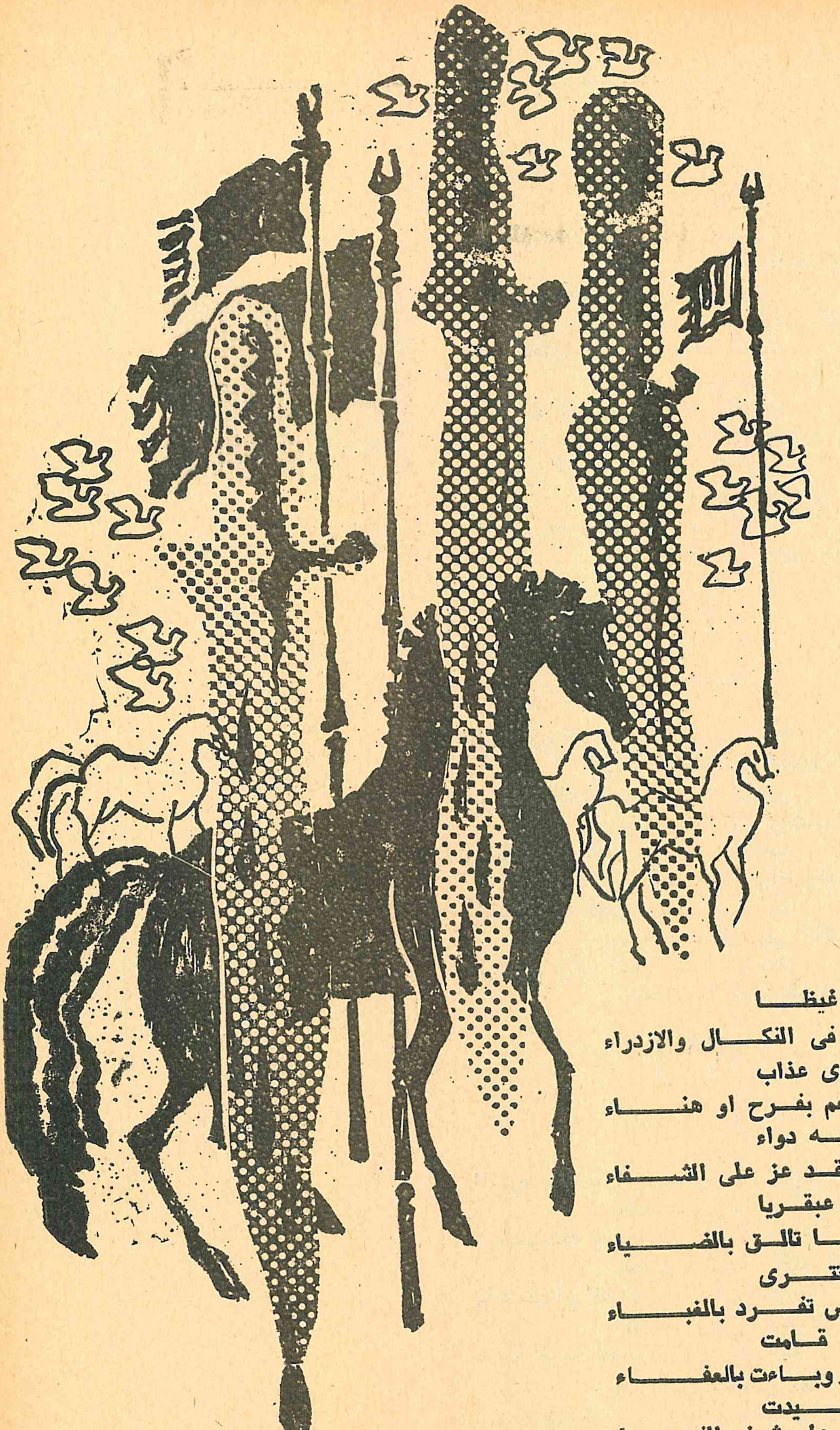

فبات يحطم الاسـنان غيظـا
ويسرف فى النكـال والازدراء
فما ازداد اللئيم سـوى عذاب
ولـم ينعم بفـرح او هنـاء
وداء الحقـد ليس لـه دواء
وداء الحقـد عز على الشـفاء
خلدت « حسـين » رمزا عبقـريا
ونبراسـا تالـق بالضـياء
وباء « يزيد » باللعنـات تتـرى
على شرس تفـرد بالغبـاء
ودالت دولـة للظـلم قـامت
على غدر وبـاءت بالعفـاء
وقامت دولـة للحـق شـيدت
دعائمهـا على شرف الفـداء
شـهيد الحق يا ابن الانبيـاء
بذلت الـروح انعـم بالعطـاء

من نعم الله

الشاعر أحمد عثمان المراغى

[١]

العلم من نعم اللـــه

سـبحان مـن قد عـلم الانسـان
اعطـاه فى هـذا الـورى تبيـانا
أوحى الى طـه النبى رسـالة
مكنـونة لتعـلم الازمـانا
وهدى العقول الى العلوم فصدقت
بوجـود رب قـادر ايمـانا
ربـاه ان العـلم أنت منحته
للنـاس يرشـد منهـم الحيرانـا
فبنعمـة العـلم الـذى الهمته
آمنـت انـك تمحـق الطغيـانا
فاجعلنى يـاربى بعـلمى نافعـا
أحمى تـراب العـرب والاوطـانا

[٢]

التوحيـــد

اللـه انى قـد عبـدتك شـاكرا
يـارب أنـت الواحـد القهـار
سـبحانك اللهـم أنـت خلقتنى
وعـرفت انـك راحـم غفـار
ورزقتنى التوحيـد حيث جعلته
ترقى بـه الارواح والاسـرار
فاملأ بـه قلبى اعيش مكرمـا
وبـه يـذل لامتى الكفـار
وارحـم تراب النيل مـن اعـدائه
واحفظ لنـا الاسلام فهـو منـار

[٣]

الصـدق

المـرء بالقـول المصدق اخـلق
فالصـدق زينة كـل فرد يصـدق
فبصـدقه يعلو الفتى فى قومـه
ولغيـره نحـو المعالى يسمق
ولحسب ان الصدق حصن فى الورى
للصـادقين وعـزة لا تخـلق
هـو آيـة للمـرء عنـد حـديثه
وطريقـه للخـير وهـو الموثق
والصـدق بلسـم كل قلب مؤمـن
وحـديقة بالفضـل دوما تعـبق

الطب والإسلام

"سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم"

صدق الله العظيم

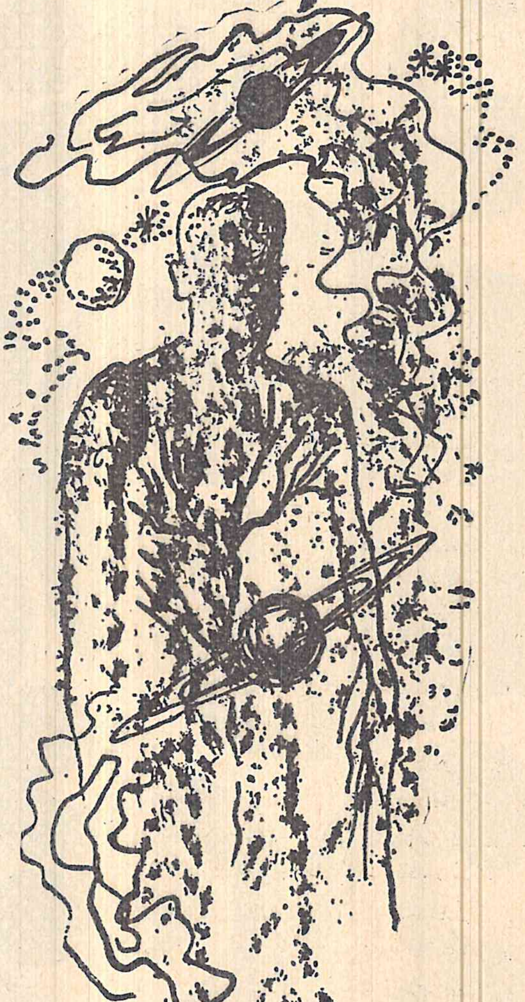

الدكتور عبد العزيز أحمد شرف

مناقشة فى نشأة الحياة :

ان هناك نظريات وافكار حديثة تتعلق بنشأة الحياة على الارض وتعتبر نظريتى أوبارين وبرنال من أحدثها : واذا تعمقنا فى كل هذه النظريات تتضح لنا قصور هذه النظريات لانها جميعا قامت على افتراضات وبعض التجارب المعملية التى لا تتفق وطبيعة الكون فى عصوره المتلاحقة كما أنها تغاضت عن النقطة الهامة فى الموضوع وهى الحياة نفسها وكيف بدأت فى الخلية وكيف خلقت وتكونت . ولكن هناك بعض حقائق لا يمكن اغفالها فى هذا الصدد وهى أن الحياة نشأت فى الماء وان حبيبات الطين هى انسب مكان لاحداث التفاعلات التى ادت الى نشأة الحياة نظرا للخواص الطبيعية والكيمائية الفائقة التى تتميز بها حبيبات الطمى ولوجود كثير من العناصر الهامة التى تدخل فى تركيب الكائنات الحية على الطمى نفسه . ثم ان الاشعاعات الشمسية والبرق من مصادر الطاقة التى ساعدت على احداث التفاعلات التى ادت الى نشأة الحياة .وان النظم الطبيعية فى الكون ونشأتها كالنظام الفلكى ونظام نشأة العناصر الكيمائية وغيرها تتركب من وحدات تتعقد فيما بينها لتكون النظام المتكامل وترتبط هذه الوحدات بقوى معينة يتماسك بها النظام كله كقوى الجاذبية فى الانظمة الفلكية والطاقة التى تترابط بها وحدات الذرة حول النواء فى النظام الكيمائى الطبيعى للعناصر . فهذه هى الصورة العامة لنظرية نشأة الحياة وقد حاول العلماء جهد الطاقة بما لديهم من اجهزة حديثة ووسائل جديدة للبحث ان يتصوروا المراحل التى تمت بها العمليات المختلفة التى أدت الى نشأة الحياة . ومن جميع هذه الدراسات تمكن العلماء من وضع الاسس العامةلنظرية نشأة الحياة وتتلخص هذه الاسس فى تكوين موادعضوية بسيطة من مواد غير عضوية وقد ثبت هذا الامر فى معامل العلماء ثم تعقيد هذه الجزيئات العضوية لتكوين مركبات أكثر تعقيدا مثل الاحماض الامينية والمواد

الكربوايدراتية والدهنيات . ثم تجمع هذه الجزئيات في نظم مفردة في البيئة المائية الاولى واكتسابها القدرة على القيام بالتفاعلات الذاتية التي أدت الى حفظ كيانها وانقسامها وتكاثرها وعلى الرغم من كل ما توصل اليه العلماء والبحاث رغم الامكانيات الضخمة والاجهزة الحديثة فلم يتوصل احد من هؤلاء العلماء حتى اليوم الى تكوين جزئيات حية او شيئا قريبا منها على الاطلاق .

يهب الله الحياة لمن يشاء :

ان البحث في أمر الحياة قد مر بمراحل كثيرة واطوار متعددة وشغل بال المفكرين والفلاسفة والعلماء على مدى قرون طويلة . ومهما يكن من شيء فان الصورة التي أصبحت عليها نظرية نشأة الحياة اليوم - رغم ما في هيكلها من ثغرات - لتعتبر متقدمة جدا عما كانت عليه في الماضي . وسواء توصل الانسان الى ذلك الامر في جيلنا المعاصر او في اجيال قادمة فانه بذلك يكون قد اماط اللثام بصورة مثالية عن جديد من القوانين والنظم الفائقة التي يسير بمقتضاها الكون والتي تدل ولا شك على عظمة ابداع الخالق سبحانه وتعالى وعلى قدرته في ان يدخل الروح في تلك المكونات الكيمائية التي تدخل في الطين الذي خلق الله منه آدم عليه السلام . والطين كما رأينا في سياق الكلام قد أثبتها العلماء ان حبيباته انسب مكان لاحداث التفاعلات التي أدت الى نشأة الحياة وبذلك يكون العلم الحديث قد حقق جانبا ضئيلا من جوانب نشأة الحياة التي هي قدرة من قدرات الله . فهو الذي يبعث الروح ويقبضها اليه فاذا ما رأينا تلك التفاعلات الكيماوية التي في تجارب العلماء وكانت ضمن افتراضاتهم وابحاثهم لتبين لنا مقدار التنسيق ومقدار القدرة ومقدار العظمة في نشأة الحياة ومقدار ابداع الخالق عندما خلق من المواد الغير عضوية من محتويات الطين آدم فقال **(فاذا سويته ونفخت فيه من روحي) وفي اشارة واضحة في ان الحياة في يد الله فبعثها في الطين فظهر آدم . وما خلق عيسى عليه السلام الا دليل آخر على هذه القدرة الفائقة في التحكم في الحياة اذ نفخ في مريم تلك الام العذراء الطاهرة العفيفة من روحه سبحانه وتعالى فجاء هذا النبي الكريم الذي يتكلم في المهد صبيا ليثبت طهارة امه وقدرة الله في خلقه .** هذا وجاءت المعجزات التي اوحى بها الله الى انبيائه ورسله دليلا آخر على وحدانية الله وقدرته في أن يهب الحياة لمن يريد ويمنعها عمن يريد فسبحان الله العلي القدير . **ان العصاة التي كانت في يد موسى عليه السلام قد جعل الله منها معجزة نبوية اذهلت الكفرة والسحرة فبعث فيها روحا فانطلقت حية تسعى تلتقت كل ما يقابلها من حيات** . وبذلك قد جعل في العصاة التي لا تحس ولا تتحرك الروح والحركة لتكون برهانا لعبدة الاصنام من اتباع فرعون . قال تعالى **(وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاى اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى)** امر الله موسى ان يلقي عصاه فألقاها فاذا هي حية تسعى . فجعل الله هذه معجزة له يقدمها لفرعون وملئه . فتقدم السحرة من أعوان فرعون والقوا بأيديهم فخيل لموسى انها حيات على الارض تسعى . ولكنه وهم تسلل الى خلجات نفسه حذرا وخوفا ولكن الله قال له **(لا تخف انك أنت الاعلى)** فهدأ موسى والقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون واذا السحرة يلمسون الحقيقة الرائعة ويتبينون الرشد من الضلال والحق من المحال . فاذا هم يخرون ساجدين . **ومثل آخر من تلك المعجزات** حين أمر الله ابراهيم عليه السلام ان يأخذ أربعة من الطير ويضمها اليه ليتعرف اجزاؤها ويتأمل خلقها ثم يجعلها اجزاء ويفرقها اشلاء ويجعل على كل جبل منهن جزءا ثم يدعوهن اليه فيأتينه سعيا باذن الله . فلما فعل صار كل جزء ينضم الى مثله وعادت الاشلاء كل في مكانه وسرعان ما سرت فيها الحياة ورجعت اليها الروح وسعيت اليه بقدرة الله وهو يرى آيات الله البينات وقدرته الباهرة التي لا يعجزها شيء في الارض ولا في السماء وبذلك اطمأن ابراهيم وامن ايمانا راسخا ببعث الروح وعودتها وبعث الموتى من مراقدها سبحانه اذا أراد شيئا فلا مرد له وهو العزيز الحكيم . **هذا وما قصه أصحاب الكهف الفتية** المؤمنين لايمانهم بالله واعتناق الدين الذي يحرم عبادة الاصنام وامرهم بأن يذهبوا على أن يأتوه في الغد لينظر في أمرهم . فتشاوروا فيما بينهم وانتهوا الى الفرار بدينهم الى ذلك الكهف من الجبل فانه قد يكون على ظلامه وضيقه افسح صدرا واطيب مكانا من هذه الارض الواسعة التي لا تستطيع أن تعبد الله فيها . واصبحوا جميعا يحملون زادهم مفارقين أوطانهم مهاجرين مدينتهم . ولحقهم كلب في الطريق فسار في اثرهم وتعلق بهم فصحبهم . ومازالوا في سيرهم حتى انتهوا الى الكهف . وهناك وجدوا ثمارا فأكلوا وماء فشربوا . ثم اضطجعوا قليلا ولكنهم ما عتموا ان احسوا اغفاءة خفيفة داعبت جفونهم ثم اسلمت رؤوسهم الى الارض في نوم عميق . وتعاقب ليل أثر نهار ومضى عام وراء عام والفتية راقدون . ثم دخلت سنة تسع وثلثمائة منذ نومهم انتبهوا بعدها وهم لا يكادون يمسكون نفوسهم من الجوع والعطش . ظانين ان الزمن لم يمض بهم . وتحيروا في مدة نومهم والله اعلم بذلك . فارسلوا واحدا منهم يلتمس الطعام وهو خائف حذر وماراعاه الا تغيير في معالمها وانقلاب في مبانيها . وهناك وجوه لم يعرفها وصور لم يألفها وتحيرت نظراته وكثرت لفتاته وظهر الاضطراب في مشيته والوجوم في حيرته . وشك الناس ثم تبينوا امره وعرفوا قصته وصحبه واخيرا ادرك الرجل حقيقة حاله وعرف تلك الفجوة من التاريخ

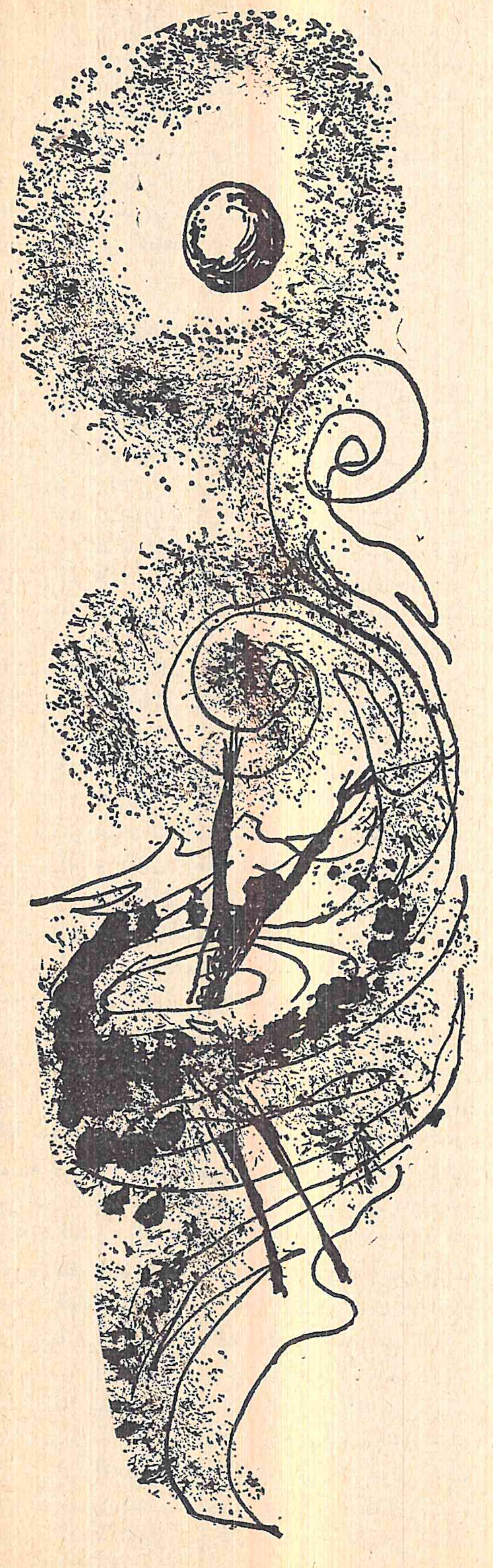

التى فصلت بينه وبين الناس فهو الآن لا يعدو أن يكون شبحا يمشي او ظلا يتحرك ثم قال : دعوني اذهب الى صحبي في الكهف واحدثهم عن شاني وشأنهم فربما يكون قد طال انتظارهم واشتد قلقهم ، وبعد أن عرف أصحاب الكهف ماحل بهم فقد كانوا نياما لا روح فيهم يرعاهم الله ويحميهم ثم وهبهم الروح والحياة ثانية ليكونوا عبرة ويكون ما حدث لهم آية من آيات الله • ولكنهم قد توجهوا اليه سبحانه وتعالى بعد أن فقدوا اهلهم وذويهم طالبين ان يختارهم لجواره وان يشملهم برحمته • وما هو الا ارتداد الطرف حتى وقعوا اجسادا لا حياة فيها • اما القوم فقالوا لعل الله اعثرنا عليهم لنعلم ان وعد الله حق والبعث صدق والساعة آتية لا ريب فيها ثم تنازعوا امرهم بينهم **(فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم • قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا)** وفي **هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة لبرهان آخر على قدرة الله في الخلق** اذ خلق العنكبوت لينسج أنسجته لتغطى باب الكهف الذى اختبأ فيه الرسول وابو بكر خوفا من بطش الكفار من أهل قريش • وكان لنسج العنكبوت وسيلة اخرى في أن جاءت الحمامة لتبيض على هذا النسيج • كل ذلك من خلق الله حتى لا يتنبه الاعداء فيصيبوا الرسول بالاذى ولله في ذلك حكمة بالغة اذ خلق العنكبوت ونسجه كما خلق الحمام وبيضه • ومن الامثلة الاخرى التى تشير على الاعجاز في القرآن من حيث القدرة الالهية على أن يهب الحياة لمن يشاء هي قصة اصحاب الفيل التى ذكرها الله في القرآن **(الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل •• وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل)** من هذا نرى ان الله ارسل لهؤلاء الطغاة من الاحباش الذين ارادوا هدم الكعبة المقدسة واعدوا لها العدة من الرجال والفيلة و السلاح ولكن الله حامى حمى الاسلام ارسل على هؤلاء طيرا ترميهم بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصف مأكول . ففى خلقه الطير واعطائه الحياةوالقدرة على حمل الحجارة لمعجزة المعجزات اذ هاجم الطير جيشا قويا جاء من اليمن بعد أن احتلها ليهدم بيت الله الذى بناه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام •

قدرة الله في الخلق :

يطلب الله من الانسان ان يفكر ويتدبر في خلق السموات والارض وما عليها من نبات وحيوان وانسان خلقها غيره واية لاولى الالباب فيقول سبحانه وتعالى **(قل انظروا ماذا في السموات والارض)** ولمعرفة النبات يقول تعالى **(انظروا الى ثمره اذا أثمر)** وفي خلق الانسان يقول سبحانه **(قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق)** ثم يقول **(وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما)** وكذا قوله

(فلينظر الانسان مما خلق) وفى تطور خلق الانسان يقول سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

جلت قدرة الله أن يخلق الانسان من طين فيقول (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) أى من التراب المخلوط بالماء وبذلك يكون التراب أصل منشأ الانسان ويتضح ذلك من قوله تعالى (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون) ونظرا لان الماء هو العنصر الاخر الذى يختلط بالتراب ليكون الطين ويلعب دوره فى نشأة الخلق فقد قال تعالى (وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) وقوله كذلك (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع . يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير) .وبذلك يكون الله قد خلق الانسان من خلاصة من الطين الذى يحتوى على معادن واملاح وماء الذى يمزجه بالتراب يبعث بالحياة بقدرة الله (وجعلنا من الماء كل شىء حى) . واذا ما قارنا بين مكونات جسم الانسان والعناصر الداخلة فيه بمكونات التراب والطين نجد تشابها كبيرا (خلق الانسان من صلصال كالفخار) وفى هذا المجال يمكن القول كذلك ان فى تكوين النباتات تشابه الى حد كبير تكوين جسم الانسان وذلك لان الانســان والنبات مخلوقات من مصدر واحد وهو الارض اى التراب والماء . وليس هذا فقط فهناك تشابه كبير بين النبات والحيوان من حيث تركيب الاعضاء ودقة الخلايا التى تبنى منها انسجة الاثنين . وهذا يدل دلالة واضحة على ان وحدة الخلق هى الطين والطين من مكونات الارض (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) اى فكروا فى قدرة الله على خلق الانسان من عناصر الارض واخرج من التربة الارضية مخلوقاته (واية لهم الارض الميتة احييناها) وفى هذا معنى لقدرة الله على تحويل مكونــات الارض ـ العضوى منها وغير العضوى الى كائنات حية كالنبات والحيوان والانسان . فى قوة الارض على نشأة الحياة بأذن الله يقول سبحانه (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت . ان الذى احياها لمحى الموتى انه على كل شىء قدير) ثم يقول سبحانه وتعالى (والله انبتكم من الارض نباتا . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) ويقول كذلك (انا خلقناهم من طين لازب) اى الطين المتماسك وهو الصلصال . ويفسر ذلك قوله (واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال .. فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) وتدل هذه الاية الكريمة ان الصلصال هو الطين الاسود الذى تعفن . وهذا يدل على أن تفاعلا كيمائيا قد نتج فى الطين وكان نتيجة ذلك التعفن وخروج الغازات وهو ما يلاحظ فى معامل الكيمياء وما نراه فى أكوام الاسمدة البلدية من تغيير فى طبيعة مكوناتها وانبعاث الرائحة منها نتيجة لما يحدث من تفاعلات وفى ذلك تشبيه بليغ ودلالة لما يحدث للجسم بعدموته اذ يتحلل الى عناصره ويتصاعد من ذلك الغازات وبعد ذلك يصير ترابا (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) . وبذلك يكون الله قد خلق خلقه من حمأ مسنون اى طين متغير متعفن ثم (خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (وخلق كل شىء فقدره تقديرا) (وصوركم فأحسن صوركم) .

وهكذا خلق الله تعالى آدم من طين وخلق فيه ذريته بعضهم من بعض وكلهم من أصل واحد وهو الطين (سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) . ومعنى ذلك ان الله خلق الازواج كلها من الانسان والحيوان والنبات اذ جعلهم من ذكر وأنثى (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (أو لم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) أى نباتات مذكرة ومؤنثة تلعب الرياح دورها فى تلقيحها كما فى قوله تعالى (وارسلنا الرياح لواقح) .وقوله تعالى (ومن انفسهم ومما لا يعلمون) فالمقصود بها قد يكون الروح التى تدب فى الجسد (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) وحقا لقد عجز العقل عن ادراك كنه الروح مع وجودها بدون أن يتصرف على كنهها (وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون) (عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) .

ومن قدرة الله فى خلقه أن قال (فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر) وقال كذلك (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم) ثم (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) وكذا (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وفى هذه الايات البينات دلالة على قيمة العظام فى تكوين الجسم واعتبرت الاصل فى الخلق وان ضعفه يضعف الجسم فقال تعالى (قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا) وفى هذا اشارة على ان ضعف العظام ووهنها تؤدى الى عدم القدرة على الانجاب ولكن الله قدير يخلق ما يريد ويهب من يشاء اناثا ويهب الذكور لمن يريد . كما أنه سبحانه وتعالى يقول (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) وكذا (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة) (وجعل لكم السمع

والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) ويقول سبحانه أيضا (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شىء) . وتدل هذه الايات الكريمة على أن الله يخلق الانسان ثم يكون السمع أول حاسة يخلقها له وبعدها البصر وتميز الاشياء واخيرا الافئدة والادراك . وفى مجال قدرته سبحانه وتعالى على الخلق وتنوعه قوله (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير) .

ومن أسرار قدرته فى خلقه قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) وقوله أيضا (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) ويقول كذلك (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) وقد يكون معنى ذلك هو خلق الانسان وزوجه من النفس البشرية ليسكن كل منهما للاخر وقد يكون معنى ذلك أيضا أن الوحدة التى يتكون منها الوجود هى جسيمات متشابهة وان منها السالب والموجب فينجذب كل منهما للاخر ليسكن اليه . ولقد أثبت العلم الحديث أن هذه الجسيمات هى البروتونات والالكترونات وهى كهارب واحدة موجبة وسالبة . وبذلك تكون النفس الواحدة والتزاوج بين الرجل والمرأة كمثل موجب وسالب يكمل كل منهما الاخر . ان فى جسم الانسان والحيوان لامثلة عديدة تشير الى وجود وظيفتين متضادتين فى الجسيمات فى عضو جسمانى واحد ولا يمكن الحياة بدون هذا الاختلاف والتضاد ومثل ذلك السالب والموجب فى الجسيمات التى تكون المعادن وخلافها . فاذا نظرنا للبنكرياس مثلا نجد أن به هرمون الانسولين الذى يخفض نسبة السكر فى الدم ويستعمل ضد مرض السكر . وفى الوقت نفسه يوجد فى البنكرياس مادة الجلوكاجون التى ترفع نسبة السكر فى الدم . ووجود هاتين المادتين فى البنكرياس ضرورى للقيام بالتوازن بحيث اذا نشط أحد هذين الهرمونين يقف ضده الهرمون الاخر حتى لا يختل الجسم ويمرض .

وهناك هرمون الادرينالين فى الجسم ويقوم بتنبيه القلب وزيادة ضرباته ورفع ضغط الدم كما يوجد فى الوقت نفسه هرمون الاستيل كولين الذى يعمل ليقلل من تاثير الادرينالين اذا زاد لدرجة الخطورة . ولذلك فوجود هذين الهرمونين المتضادين يعتبر أساسا لاستقرار القلب بحيث يعدل كل منهما الاخر حتى لا يضعف القلب . ومن أمثلة ذلك أيضا العصب السمباثاوى الذى يعمل فى الجسم مضادا للعصب الباراسمباثاوى اذا ما تنبه أحدهما تنبيها شديدا يقوم الاخر بالاقلال من هذا التنبيه حتى لا يتسبب عن ذلك الاضطراب الجسمانى مما قد يؤدى الى الوفاة .

وهذا الشرح العلمي ربما يكون هو الجانب الذي أراده الله في قوله (**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها**) .

خلق الله الانسان في أطوار :

يقول سبحانه وتعالى في تطور خلق الانسان (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين**) ويقول كذلك (**هو الذي خلقكم من تراب . ثم من نطفه . ثم من علقة . ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم . ثم لتكونوا شيوخا . ومنكم من يتوفى من قبل . ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون**) فهذه هي أطوار الحياة ذكرها الله في آياته البينات وتدل دلالة واضحة على قدرته سبحانه وتعالى ولقد جاءت العلوم الحديثة واثبتت هذه الاطوار وحققتها بالبحث والدراسة . اشارة الى عظمة الله وقدرته والى كون القران نزل ليكون مناسبا في كل الازمان والاوقات . وان اثبات عمق القرآن علميا سيجذب العلماء - ممن قد ابتعد عن الدين - الى دينهم وايمانهم بالله وقدرته .

وفي هذا المجال يقول الله تعالى (**وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون**) . ومعنى ذلك أن الله جلت قدرته قد خلق الانسان من والد ووالده بعد زواجهما وتناسلهما باعتبار أن الزوجين نفس واحد ومن جنس واحد والطفل من بويضة ملقحة واحدة . وهي نتيجة اندماج الحيوان المنوي للاب مع بويضة الام . وتفسير المعنى (**فمستقر ومستودع**) أن أحد الوالدين مستقر للنطفة التي ينشأ منها الانسان وهو الاب والاخر مستودع لها وهي الام . وبذلك يكون المعنى خلق الانسان من نفس واحدة أي من ذكر وأنثى فهما كنفس واحدة أحدهما تستقر فيه الحيوانات المنوية والاخر تستودع فيه هذه الحيوانات بتلقيحها للبويضة وتكوين البويضة الملقحة التي ينشأ منها النسل حاملا صفات ابويه الوراثية فباندماج خليتي الابوين يتم اندماج صفاتهما حاملا صفات الاب والام . وقد يكون المستقر هو كل من الانثيين - مقر خصية الاب - والمبيضين - وهما عضوا التناسل في الام . أما المستودع فقد يكون هو الرحم .

ويقول سبحانه وتعالى أيضا (**خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها . وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج . يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون**) . واستكمالا لشرح الايات السابقة نضيف معنى (في ظلمات ثلاث) فيقول بعض المفسرين ان الظلمات الثلاث هي البطن والرحم والمشيمه . وقال آخرون انها الصلب والرحم والبطن وقال الدكتور محمد وصفي أن الظلمات الثلاث هي الانثيان - أي الخصيتان - والمبيضان والرحم . ولما كانت النطفة الملقحة أو البويضة المستقبلة للنطفة لا تخرج الا من خصية واحدة أو من مبيض واحد فتكون الظلمات الثلاث هي : الخصية والمبيض والرحم . فالحيوان المنوي يكون في خصية الرجل وتعتبر الخصية ظلمة . وبويضة الانثى تنشأ في المبيض ويعتبر المبيض ظلمة . فاذا اجتمعتا ليكونا الجنين صارا الى الرحم ليتم الخلق حتى الولادة ويعتبر الرحم بذلك الظلمة الثالثة . هذا وقد يكون المقصود من الظلمات الثلاث هي الرحم وما به من أغشية تكون طبقات بها سوائل مختلفة لتحمي الجنين وتغذيه وهو في بطن أمه ثم تنساب السوائل قبيل الولادة فيترك الجنين طفلا الى الحياة فسبحان الله خالق كل شيء .

واذا كان الحيوان المنوي هو أصل نشأة الانسان لان الام بدونه لا يمكن لها أن تنجب الاطفال فقد اهتم القرآن به فيقول سبحانه وتعالى (**فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب**) فالماء الدافق هو السائل المنوي الذي يحتوي على الحيوانات المنوية الحية القادرة على الاندماج ببويضة الام . ويندفق هذا السائل وينصب في الاعضاء التناسلية الانثوية نتيجة للانقباضات العضلية بالحويصلة المنوية والقناة الناقلة (ألم يك نطفة من مني يمنى) . فيخرج هذا الماء الدافق من بين صلب الرجل وهو العمود الفقري وترائبه وهي عظام الصدر . وذلك اشارة الى أن الحيوانات المنوية تتكون في الخصية ثم تختزن في الحويصلة المنوية مع السائل المنوي . وهذه توجد داخل البطن في منطقة الانثيين ثم يتدفق وتنصب في جهاز المرأة فتدخل هذه الحيوانات مخترقة المهبل وعنق الرحم والرحم متجهة الى قنات فالوب حيث تلتقي بالبويضة ويتم الاندماج بينهما وتتكون البويضة او الخلية الملقحة التي تتجه الى الرحم فتثبت في جدرانه الى أن يتم التكوين ويخرج الجنين طفلا . وكل هذه التطورات تقع تحت تأثيرات هرمونية معينة . اذ تقوم في كل دور هرمون أو أكثر بتأثيرات خاصة ولله في ذلك حكمته اذ هيأ غدد المرأة وأعضائها وأمدها بالقدرة على افراز المواد الهرمونية لتعمل على تكوين الجنين وحمايته وولادته وبهذا يكون المقصود من الاية (**يخرج من بين الصلب والترائب**) ان السائل المنوي بما به من حيوانات منوية حية يخرج من مكان يقع بين الصلب والترائب وليس يخرج منهما .

ولاهمية تكوين المضغة في نشأة الجنين يقول تعالى (**فخلقنا العلقة مضغة**) ويقول أيضا (**يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى**) وطور المضغة في حياة الجنين هو ذلك الطور الذي فيه تتحول البويضة الملقحة التي نزلت من قناة فالوب الى حالة في الرحم تصبح فيها مكونة من ثلاث طبقات :

الطبقة الخارجية والوسطى والداخلية وتكون بذلك مخلقة لتكون هذه الطبقات الثلاث التى هى أصل تكوين الاعضاء المختلفة فى جسم الانسان وتحتوى على عناصرها وبذلك تكون نواة أنسجة الجسم واجزاء البدن التى تنمو وتتكون بالتدريج وتشبه المضغة فى هذا الطور حبة الذرة او القمح او الفول حيث توضع فى الارض الرطبة التى تحتوى على الماء حيث يخرج منها النبات بجذره وساقه وأوراقه وثماره • وتكون بذلك المضغة ابتداء ظهور الانسجة المختلفة للجسم •

وللعظام أنسجة هامة فى تكون الجسم وقد خلقها الله من المضغة فقال تعالى (**فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**) • ولقد دلت العلوم الحديثة والبحوث الطبية والمشاهدات العلمية فى علم الاجنة وخلافهما من العلوم ان العظام تنشأ بعد ظهور المضغة مباشرة اذ قد ظهر أن الحبل الظهرى الاصلى هو المحدد الاولى لعظام الجنين الذى تتكون حوله اجزاء العمود الفقرى • وتنشأ عظام الجنين فلا تلبث أن تتكون حولها اللحم والعضلات وتظهر بذلك أجزاء الجسم الجنينى شيئا فشيئا حتى تنزل فيه الروح من عند الله فى تمام الشهر الرابع فيصير خلقا آخر أو لك يصير خلقا آخر بولادته حين يترك بطن أمه ليستقبل الحياة وهو قوله تعالى (**ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك** الله أحسن الخالقين) •

ومن كل هذه المعجزات فى خلق السموات والارض وجميع الافاق ثم فى خلق الانسان واطوار خلقه ونشأته فى ظلمات ثلاث تتحقق الاية الكريمة (**سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) • ولقد تبين الحق فعلا كما رآه الخلق وأثبته العلم الحديث الذى بحث مشاكل الكون والفضاء والطب والدواء وكان كل ذلك فى عصرنا الحالى مطابقا لما جاء فى القرآن الكريم الذى نزل معجزة لمحمد النبى الامى منذ اربعة عشر قرنا من الزمان•

وهكذا يتحقق ما جاء فى القرآن تدريجيا حتى يأتى اليوم الذى فيه يكون القرآن بعظمته وعلمه مرجعا لرجال الدين والعلم على السواء •

وفى مواضيع لاحقة أرجو أن نوفق فى سرد بعض الاسرار المتعلقة بالجسم الذى وهبه الله القدرة على تخليق عناصره الدقيقة التى تتحكم فى طبائع الانسان وحياته والتى قد حققها العلم الحديث •

محلات ثابت اخوان

لخدمة واصلاح وصيانة البطاريات السائلة

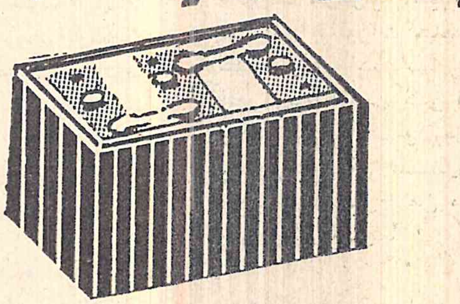

ادارة : محمد أحمد ثابت و أحمد أحمد ثابت

١٨ شارع الجيزة - محافظة الجيزة ت ٨٥٣٨٤٥

الخلفاء الراشدون وأعلام الإسلام

أقطاب الحضارة الإسلامية فى العلوم والرياضيات

من شيراز قطب الدين الشيرازى

الدكتور أحمد سعيد الدمرداش

تأريخه :

هو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسى ، قطب الدين الشيرازى ، قاض ، عالم بالعقليات ، مفسر ، ولد بشيراز ، وكان أبوه طبيبا فيها ، فقرأ عليه ، ثم قصد العالم الفلكى الكبير الخواجا نصير الدين الطوسى وقرأ عليه ، ودخل الروم فولى قضاء سيواس وملطية ، وزار الشام ، ثم سكن تبريز ، وتوفى بها .

كان مولده عام ١٢٣٦ م وكانت وفاته عام ١٣١١ م

وسنحاول هنا أن نشرح منهاجه فى الطبيعيات ، التى كانت تشمل علم الحركة أو كما نقول فى أيامنا هذه علم الميكانيكا ، كما كانت تشمل علم المناظر ، وهو الذى نسميه الان علم الضوء ، أما منهاجه فى الطب أو فى علم الكلام فسوف نرجئه الى فرصة أخرى لضيق المقال .

ومن طباعه انه كان لايغير زى الصوفية ،ولايحمل هما او قلقا،يجيد لعب الشطرنج ، ويضرب بالرباب،وهو من بحور العلم،عالما بالرياضيات، وفلكيا، وعالما بالطبيعيات ، وعنى أيضا بالطب والفلسفة ، واهتم فى أواخر حياته بعلم الكلام ، وبقى طويلا فى خدمة أيلخانين من التتار ، تكدار أحمد سلطان بن هولاكو خان الذى تولى ملك التتار بين عام (١٢٨١ ـ ١٢٨٤) ، ثم خدم من بعده ابن أخيه أرغون ، وأوفده تكدار أحمد الى قلاوون سلطان مصر ، ينبئه باعتناقه الاسلام ، وليعقد معه معاهدة صداقة وسلام ، وانتهز الشيرازى فرصة اقامته فى مصر ، وجمع فيها كثيرا من الكتب لاسيما ما يتعلق منها بالطب .

ومن المحقق أن الشيرازى قد اتصل بالوفود التى كانت ترد من اوروبا الى ايلخانات التتار ، ومن ثم نقلت اراؤه عن **قوس قزح والبصريات وغير ذلك من المخطوطات الى علماء أوروبا ، ومنهم الراهب الدومينيكى « ثيودوريق »** الذى نشر بحثا فى علم الضوء بين سنتى ١٣٠٤ ـ ١٣١١ .

مؤلفاته :

« **فتح المنان فى تفسير القرآن** ، نحو ٤٠ مجلدا ، منه الجزء الاول مخطوط « **مشكلات التفاسير** » ، « حكمة الاشراق » ، « تاج العلوم » ، « شرح كليات القانون فى الطب لابن سينا » ، « مفتاح المفتاح » فى البلاغة ، «عزة التاج» فى الحكمة ، « نهاية الادراك فى دراية الافلاك »فى علم الهيئة ، « شرح الاسرار للسهروردى » ، « رسالة فى بيان الحاجة الى الطب وآداب الاطباء ووصاياهم » ، « الانتصاف وشرح الكشاف » ، « شرح مختصر ابن الحاجب » ، « التحفة السعدية فى الطب » الذى أهداه الى محمد سعد الدين وزير تكدار أحمد السلطان ، « التبصرة » فى الهيئة ، « شرح التذكرة الناصرية » ، « رسالة فى البرص » .

ومخطوط «**نهاية الادراك فى دراية الافلاك**» موجود بدار الكتب المصرية ، وقد كتب بالموصل عام ٧٤١ هـ بالمدرسة العزيزية الاتابكية ، ويلاحظ أن الورقتين رقم ١٢٤ ، رقم ١٢٥ فى المخطوط ، بهما

وصفات كيميائية مشوشة غامضة لا علاقة لها قط بمباحث الكتاب ، وهما بخط يخالف خط الاوراق السابقة ، أما الورقة الاخيرة فهى تتضمن شيئا عن قوس قزح ، وخطها يغاير الورقتين المذكورتين ، ويرجح انها من أقوال « حسام الدين » الذى ورد اسمه فى آخرها ، وحسام الدين هذا كان من تلامذة الطوسى فى مرصد مراغة .

ويحتوى المخطوط على المقالات التالية :

المقالة الاولى فيما يحتاج الى تقديمه قبل الشروع فى المقاصد ، وتشمل المقالة على أبواب منها تعريف علم الهيئة ، وموضوعه ومبادئه ومسائله ، ومنها فى ذكر ما يحتاج الى تقديمه مما يتعلق بالهندسيات كالنقطة والطول والعرض والجسم والخط المستقيم والزاويه البسيطة والزاوية المجسمة ، والمثلثات والكرة ومركز الثقل والاسطوانة ،، والمخروط .

ثم يتكلم بعد ذلك فى الطبيعيات وهى سبع مسائل :

الخلاء مجال – لكل حركة مبدأ – والمتحرك وان لم يفرد مبدأه بالموضع قيل انه متحرك بنفسه ، وان فارقة نسب المتحرك اليه ، وكل مافيه مبدأ حركة مستديرة فهو لايقبل الحركة المستقيمة اصلا ، وبالعكس الا بالقسر ، ولا يمكن أن يكون فى متحرك بسيط مبدأ حركتين مختلفتين ، فاختلاف الحركات يقتضى اختلاف المتحركات ، ولكل مختلف فى الحركة من الفلكيات حركة من نفسه وأخرى من غيره ، والفلكيات لا تتخلخل ولا تتكاثف ولا تنمو ولا تذبل ولا تلتئم ولا تتحرك لامتناع الحركة المستقيمة عليها .

كل هذه الاراء الميتافيزيقية فى الديناميكا قد صاغها علماء أوروبا فى عصر النهضة أمثال كبلر وجاليليو واسحاق نيوتن ، فى وعاء رياضى ومعادلات جبرية وشروح هندسية لكى تصبح علما منفصلا بذاته هو علم الميكانيكا .

ثم يتناول المخطوط علم الضوء فى نهاية الباب الثالث الذى هو آخر أبواب المقالة ، فيقول :

فاعلم أنه يحدث على سطح الصقيل بين خطى الشعاع والانعكاس زاوية الشعاع والاخرى زاوية الانعكاس ، وهما متساويتان ، فزاوية السقوط فى رأى الشيرازى هى التى بين سطح الصقيل والشعاع الساقط ، وكذلك زاوية الانعكاس ، وهذا يخالف رأى العالم المصرى الحسن بن الهيثم الذى يعتبر زاوية السقوط هى التى بين الشعاع الساقط والعمود على سطح الصقيل من نقطة السقوط ، وكذلك زاوية الانعكاس .

والواقع أن الشيرازى قد ألف كتابه « نهاية الادراك » قبل أن يطلع على كتاب ابن الهيثم فى المناظر ، وقبل ان يستكمل نقص معلوماته فى الانعطاف استكمالا يخوله المقدرة على الكشف عن حقيقة الامر فى قوس قزح الذى سبقه فى هذا الصدد من الوجهة العلمية تلميذه كمال الدين الفارسى الذى يعتبر الشارح الاكبر لبحوث ابن الهيثم .

وهو يقرر بصريح القول أنه ألف هذا الكتاب قبل أن يطلع على آراء ابن الهيثم لانشغاله فى تأليف كتابه « شرح الكليات » أو « التحفة السعدية » الذى سبق ذكره .

ولقد تناول الشيرازى فى كتابه هذا كيفية الابصار جمالا مستنبطا من المفاهيم المتداولة فى عصره ، فأصحاب التعاليم يقولون بأن الابصار هو خروج شعاع من البصر الى المبصر على غرار قرون الاستشعار فى الحشرات ، والفلاسفة يذهبون الى أن الابصار هو بورود صورة المبصر أو شبحه من المبصر الى البصر ، دون أن يبينوا ماهية ذلك الشبح الوارد ، أو كيفية وروده .

ولقد حدد الشيرازى مذهبه كاصحاب التعاليم ، وهو فى هذا الصدد انما يسير على نمط أستاذه نصير الدين الطوسى فى الابصار ، ثم هو يشرح الابصار بـ « الانعكاس » ويحاول أن يبين أن السبب فى أن المبصر من وراء البخار الغليظ يرى أعظم هو أن الزاوية بين الشعاعين الخارجين من البصر « عند الاستقامة أصغر من « منعطفتى الجنيدية » بحسب تعبيره .

وفى خاتمة الباب الثانى عشر من المقالة الثانية من المخطوط موضوع « فى اختلاف نور القمر وفى الخسوف والكسوف » وموضوع خاتمته « فى فوائد متفرقه » وهو يبين فى هذه الخاتمة رأيه فى أضواء الكواكب وفى ألوانها . وفى أن جرم القمر يقبل ضوء الشمس ، ثم مسألة كان يعنى بها كثيرا فى ذلك العصر ، وتتعلق بما نسميه الان موضوع الخزانة المظلمة ذات الثقب الضيق ، ومجملها انه اذا كان كسوف الشمس غير تام ، وكان الباقى منها على صورة الهلال فضوؤها النافذ فى ثقب ضيق مستدير الى سطح أبيض مقابل للثقب يكون على شكل الهلال ، وليس كذلك ضوء القمر اذا انخسف بعضه أو كان القمر هلالا ، وهى مسألة سبق أن شرحها بالتفصيل ابن الهيثم فى مقالته عن صورة الكسوف .

ولا توجد لقطب الدين الشيرازى نصوص مطبوعة أو محققة تحقيقا كاملا ، ولا ترجمات ، ماعدا بعض قطع ذكرها فيدمان فى كثير من أعماله التى نشرها فى ارلانجن ، مثل : حول حركة الدوران ، أو فى ارشيف تاريخ العلوم الطبيعية عام ١٩١١ ، وتتحدث هذه النقول عن : قالب الارض ، وموضعها ، وحركتها ، وعن معارف الشيرازى فى البصريات .

أما التفسير الذى قدمه الشيرازى فى اصلاح التقويم الذى قام به عمر الخيام ، وألف فيه كتاب « التاريخ الجلالى » والذى يبدأ هذا التقويم فيه من ١٦ مارس سنة ١٠٧٩ ، فهو : يجعل فى كل سبعين سنة سبعة عشر يوما خارجة عن التقويم . فقد اتضح أنه غلط يوم فى كل ١٥٤ سنة تقريبا ، فى حين أن تفسير أولوغ بيك ويقدر ١٥ يوما فى كل ٦٢ سنة ، غلط يوم فى كل ٣٧٧٩ سنة تقريبا ، كما

يقول « الدوميلى، « فى كتابه » العلم عند العرب» •

تلامذة الشيرازى :

الشيرازى صاحب مدرسة ، فله تلاميذ وله مريدون ، ومن أشهر تلاميذه كمال الدين الفارسى الذى يعد بحق الشارح الاكبر لمؤلفات الحسن بن الهيثم ، ويرجع ذلك لسبب يشرحه الفارسى بلفظه :

« لما رأيت فى كلام بعض أئمة الحكمة عن غير واحد منهم ان الضوء يشرق من النير على خطوط مستقيمة ، فاذا صادفت سطحا كسطح الماء انعكست عنه على زوايا مساويات للزوايا المضادة ، ونفذت فيه على سمت الاشراق عليه ، وانعطفت فيه على سمت الانعكاس عنه ، فحدثت من ذلك اربع زوايا هى زوايا الاستقامة والانعكاس ، والنفوذ والانعطاف ، وكلها متساوية ، فتحيرت فى هذه الاحكام من أين مأخذها ، وثبت على هذه المقدمة ، وتفرغت اليها مدة ، فتفرعت عنها أحكام فى الرؤية بالانعطاف جلها تخالف المحسوس ، فزادت حيرتى ، فراجعت الحضرة (يريد حضرة قطب الدين الشيرازى) وحكيت القصة »

ويخبرنا الفارسى أنه لما استطلع رأى أستاذه فى هذا الامر تذكر الشيرازى أنه كان قد رأى فى صباه ببعض خزائن الكتب بفارس كتابا فى المناظر للعالم المصرى الحسن بن الهيثم يقع فى مجلدين كبيرين ووعد الفارسى بطلبه ، واستطاع أن يحصل عليه ، وكان بخط ابن الهيثم نفسه ، واستدعى اليه الفارسى وناوله الكتاب ، فراعه ما وجده فيه وقال بلفظه :

« فوجدت برد اليقين مما فيه ، مع ما لم أحصه من الفوائد واللطائف والغرائب ، مستندة الى تجارب صحيحة ، واعتبارات محررة بآلات هندسية ورصدية ، وقياسات مؤلفة من مقدمات صادقة ، وتحقق منه أن المقدمة المذكورة فى الانعطاف انما هى نقل منهم قد اكتسى لباس الانحراف ، لانهم لم يظفروا بالحق فيه ولم يعنوا بتحقيقها »

وعرض على أستاذه الشيرازى أن يقوم بنشر وتنقيح كتاب المناظر لابن الهيثم فكان رد الشيرازى عليه بحسب رواية الفارسى بلفظه أن قال :

« انى منذ زمان عازم على تنقيح كتاب أبولونيوس فى المخروطات ، وجمعت لذلك من التأليفات العربية والفوائد الهندسية ما عسى ألا يجتمع لاحد ، والان قد انضاف الى ذلك انبعاث الهمة على تنقيح هذا الكتاب ، ولا يسعنى التفرغ اليهما ، لاشتغالى بشرح الكليات من كتاب القانون فى الطب ، وفيه شغل عن جميع المهام لما امتدت اليه اعناق الطلب من أفاضل الانام واكابر الايام ، ولكنى ارشدك الى ذينك ارشادا تنال به قرة عينك » •

ثم يقول الفارسى « **فامتثلت المرسوم فى هذا الكتاب أولا** »

ثم بدأ بتنقيح كتاب ابن الهيثم فى المناظر فى كتاب جديد سماه « تنقيح المناظر لذوى الابصار والبصائر »

ومن هنا تتضح لنا الصلات الوثيقة التى كانت تربط التلميذ بأستاذه فى الفكر الاسلامى فى جميع المناشط العلمية •

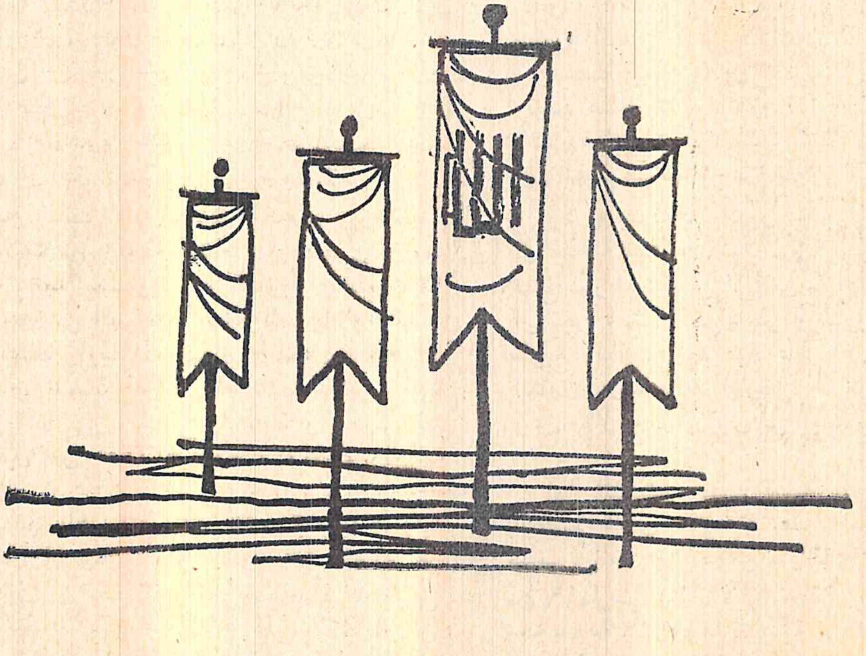

السيدة نفيسة

رضى الله عنهـا

الأستاذ توفيق أبو علم

-٣-

اسحاق المؤتمن :

وبلغت كريمة الدارين سن الزواج فرغب فيهـا شباب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى الحسن وبنى الحسين رضى الله عنهم ، كما تهافت على خطبتها الكثير من شباب أشراف قريش ، لما عرفوه من خيرها وبرها ودينها وايمانها وصلاحها وتقواها وما نشأت عليه من عبادة ربها واقبالها على طلب العلم حتى ضربت فيه بسهم وافر ، الى ما حباها به الله عزوجل من حسن بارع وجمال رائع وما امتازت به من سرى الاخلاق وكريم المناقب وحميد الشمائل ، فقد برأها الله من معدن العتق ونبيل الشيم ، فكان أبوها يأبى عليهم اجابة طلبهم ويردهم ردا جميلا ، الى أن أتاه اسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق رضى الله عنهما ، وكانت دار الحسن قبالة دار جعفر الصادق ، فخطبها من أبيها فلم يرد عليه جوابا ، فقام اسحاق من عند الحسن ، وفى نفسه ما فيها ، وذهب توا الى المسجد النبوى ودخل الحجرة الشريفة ووقف تجاه القبر فى خشوع واجلال •

فقال : يارسول الله ، انى خطبت نفيسـة بنت الحسن من أبيها فلم يرد على جوابا ، وانى لم أخطبها الا لخيرها ودينها وعبادتها •

ثم انصرف ، وقد انشرح صدره واطمأنت نفسه ، ففى تلك الليلة رأى ابوها الحسن جده المصطفى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وهو يقول له : « ياحسن زوج نفيسة من اسحاق المؤتمن » . فما أفاق من نومه حتى بعث الى اسحاق يستدعيه اليه ، فسارع اليه وما ان جلس بين يدى الحسن حتى أخبره برؤياه ، وما لبث ان عقد له على ابنته فى حفل جمع جمهرة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة من اشراف قريش ، وكان ذلك فى سنة احدى وستين ومائة ، وبعد ان جهزها أبوها وجليت لزوجها بنى عليها فى دار أبيه جعفر الصادق بالمدينة وهى الدار التى كان يسقى فيها الماء الذى تصدق به جعفر رضى الله عنه ، وكانت تلك الدار قبلا لحارثة بن النعمان الانصـارى الخزرجى ، ثم من بنى النجار ، وكان من فضلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت : من هذا ؟ فقيل : حارثة بن النعمان ، فقـال صلى الله عليه وسلم : كذلكم البر ، وكان برا بأمه ، وكان قد ذهب بصره فاتخذ خيطا فى مصلاه الى باب حجرته ، فكان اذا جاءه مسكين أخذ من مكتله شيئا ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله ، فكان أهله يقولون له نحن نكفيك ، فيقول : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مناولة المسكين تقى مصارع السوء ، وكان قبالة تلك الدار فى الغرب دار الحسن ابن زيد ، وهو أطم كان الحسن قد ابتاعه فخاصمه فيه أبو عوف النجارى فهدمه حسن فجعله دارا مشيدة البنيان عالية الاركان تحوطها الكرامة ويرفرف عليها الشرف والجلالة •

وبزواج السيد اسحاق من السيدة نفيسة اجتمع فى بيتها نوران ، نور الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة ، فالسيدة نفيسة جدها الامام الحسن والسيد اسحق جده الامام الحسين ، لان اسحق المؤتمن هو ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن ابى الشهداء الامام الحسين عليـه السلام وامه حميدة البربرية وهى أم اخوته موسى

والامام محمد وفاطمة الكبرى رضى الله عنهم • وكان اسحق من أهل الفضل والاجتهاد والورع والصلاح وروى عنه الكثير من الناس الحديث والاثار ، وكان ابن كاسب يعقوب بن حميد بن كاسب المدنى وينسب الى جده اذا ما حدث عن اسحاق فيقول : حدثنى الثقة الرضا اسحاق بن جعفر وناهيك بابن كاسب ، فقد كان محدثا ثقة مأمونا صادقا •

قال القاسم بن عبد الله بن مهدى : قلت لابى مصعب بمن توصينى بمكة وعمن أكتب ؟ فقال عليك بشيخنا أبى يوسف يعقوب بن حميد ، وانما يعرف الفضل من الناس ذووه ، وكان اسحاق وفيا لاخوته ، وكان من الفضل والورع ما لا يختلف فيه اثنان •

وفى عمدة الطالب : وأما اسحاق بن جعفر الصادق ويكنى أبا محمد ويلقب بالمؤتمن فقد ولد بالعريض ، وهو واد بالمدينة ، وكان من أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان محدثا جليلا وادعت فيه طائفة من الشيعة الامامة ، وكان سفيان بن عيينة شيخ الامام الشافعى رضى الله عنهما اذا ما روى عنه يقول : حدثنى الثقة الرضا اسحاق بن جعفر ابن محمد عى بن الحسين رضى الله عنهم • وهو أقل المعقبين من ولد جعفر الصادق عددا اذ أعقب ثلاثة رجال : محمدا والحسن والحسين وتعرف ذريته بالاسحاقيين •

ويقول المقريزى فى خططه : وتزوج بنفيسة رضى الله عنها اسحاق بن جعفر الصادق رضى الله عنهما ، وكان يقال له اسحاق المؤتمن ، وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين ، روى عنه الحديث ، وكان ابن كاسب اذا حدث عنه يقول : حدثنى الثقة الرضا اسحاق بن جعفر وكان له عقب بمصر منهم بنو الرقى وبحلب بنو زهرة •

وولدت نفيسة من اسحاق ولدين هما القاسم وأم كلثوم •

وفى تهذيب التهذيب : اسحاق بن جعفر روى عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، وعبد الله بن جعفر المخزومى ، وصالح بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وغيرهم ، وروى عنه ابراهيم بن المنذر ، ويعقوب بن حميد بن كاسب ويعقوب بن محمد الزهرى وغيرهم •

قدم مصر وهو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن الانور رضى الله عنهم ، وقد ذكر فى لسان الميزان : أنه كان يقال له الحزين لانه لم ير ضاحكا •

وفى مشتركات الطوبجى : انه الممدوح بروايته عن أبيه ، وقد مكث بعد وفاة السيدة نفيسة رضى الله عنها زمنا ليس بالكثير ، ثم توفى ودفن بمصر ، وقيل : انه رحل وولداه القاسم وام كلثوم الى المدينة وتوفى بها وهو الاصح •

نفيسة العلم :

فى بيت كريم وبين أسرة طهرها الله سبحانه وتعالى تطهيرا واذهب عنها الرجس فتحت السيدة كريمة الدارين عينيها ووعت أذنيها كتاب الله العظيم ، ولا شك أن الجو الذى كان يحيطها شجعها على ذلك ،فأب صالح وام عابدة يعبدان الله سبحانه وتعالى ليل نهار فكان طبيعيا أن تقلدهما ولعلها سمعت من ابيها تاريخ جديها الامامين الحسن والحسين وأمهما الزهراء وأبيهما امير المؤمنين وما اقتبسوا جميعا من رسول الله من أنوار ، وما أخذوا عنه من شتى الفضائل والمكرمات •

ولعل والدها تنبأ لها بانها سيكون لها شان عظيم بين الصالحين والصالحات فقد بدأت فى سن مبكرة فى تلاوة القرآن الكريم بمفردها ، ثم عملت على حفظه حتى تم لها ذلك فى خلال سنة واحدة فقط ، أما العبادات المفروضة فقد اثر عنها رضى الله عنها انها كانت تؤدى الصلوات الخمس بانتظام مع والديها فى المسجد الحرام وهى فى السادسة من عمرها .

ونشأت كذلك آية من آيات الله تعالى فى قوة الذاكرة والحافظة ، صفاء نفس ونقاء حدس فكان طبيعيا ان تتجه بكل قواها الى كتاب اللهالكريمفألمت بتفسيره وتأويله فاستجلت غوامضه وخاضت عبابه .

واخذت وهى تنمو جسما وعقلا وروحا وتقوم الليل وتصوم النهار وتمعن فى العبادة والدراسة فاتجهت بكل روحها الى دراسة حديث جدها فروت منه عن أبيها وآل بيتها وعلماء عصرها واخذت بحظ وافر من الفقه والعلم ، ومن هنا جاء اللقب الذى اشتهرت به « نفيسة العلم » •

شغفت بحديث جدها المصطفى صلى الله عليهوسلم وروت من الحديث والاثار الكثير عن أبيها وآل بيتها وعلماء عصرها ، وبخاصة الامام مالك بن أنس رضى الله عنه بالمدينة ، وكان من عادته أن يتصدر مجالس العلم وفى يمينه موطؤه وحوله العلماء وطلاب العلم وفدوا عليه من سائر الاقطار الاسلامية ، ينشر الامام مالك العلم فى أرجاء المدينة ، من أرجائها ينساب الى آفاق العالم المتعطش له ، وكانت احاديث الامام مالك علنية ، وكانت اصداءها لتصل الى السيدة نفيسة فتأخذ ما تضيفه الى ما جاءت به من مكة من سائر علوم القرآن والحديث وقد سمع عنها الحديث كثير من علماء مصر والراحلين اليهـا •

وقد كان ابن خلكان يروى ان الامام الشافعى رضى الله عنه لما دخل مصر حضر اليها وسمع عليها الحديث •

وقالت زينب بنت يحيى المتوج ، وهو أخو السيدة نفيسة رضى الله عنهم : « كانت عمتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره ، وكانت تقرأ القرآن وتبكى ، وتقول : **الهى وسيدى يسر لى زيارة خليلك ابراهيم عليه السلام ، لانها كانت تعلم أنه أبو الانبياء ،؛ أى أنه أبو أبيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم الانبياء ، وأنه له بشارة كما ورد فى الاثر واذن فهو أبوها وجدها ، وكانت تعرف أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « أنا دعوة ابراهيم عليه السلام حيث**

يقول (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم (.

وحين بلغت المزار ووقفت بين يدى جدث خليل الله قالت :

« ما أن بلغت المقام الكريم والضريح العظيم حتى أجهشت بالبكاء ، بكاء السرور لتحقيق أمنيتى فى زيارة الخليل ، ثم جلست فى خشوع اقرأ من آيات الله ما ورد فى خليل الله » .

وقرات : (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام ، رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ، ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء ، الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعـــاء ، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ، وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ، وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد ، سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ، ليجزى الله كل نفس ما كسبت أن الله سريع الحساب ، هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولو الالباب) .

وتقول السيدة كريمة الدارين : ولما كانت قراءتى فى تدبر وتفكر وخشوع وخضوع أحسست حينئذ احساسا يقرب من المادية أن الخليل أمامى وحينئذ خفق قلبى وخشع بصرى ، وقلت :

« ياجدى الاكبر جئت اليك بجسدى وروحى وقد جاءت روحى من قبلى ، فهل أحظى برضاك وصالح دعاك وتوجيهاتك الشريفة لى حتى أتعبد لاخر لحظة فى حياتى » وحينئذ سمعت صوتا مجلجلا يقول :

يا ابنتى يا نفيسة أبشرى فانك من الصـــالحات القانتات ، وانك باذن الله موفقة ، الا أننى أوصيك بأن تقرئى صورة المزمل حيث يقول الله سبحانه وتعالى (يا أيها المزمل ، قم الليل الا قليلا نصفه اوانقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ، ان ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا ، ان لك فى النهار سبحا طويلا ، واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وأصبر على ما يقولون وأهجرهم هجرا جميلا ، وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ...) الى آخر الاية الكريمة .

وتتدبرى معناها وستعلمين طرق العبادة التى لا مشقة فيها لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وأنت يا ابنتى تتعبدين الى درجة الارهاق الذى يضـنى جسدك ، ومع ذلك تتحاملين على نفسك وتغرقين فى العبادة .

يا ابنتى اقرئى قول الله تعالى لرسوله الكريم : (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار ..) الى آخر سورة المزمل .

وقد جعل الله العبادة فى الليل اختيارية بعد أن كانت اجبارية لان الله يعلم أن من عباده من يجاهد فى سبيل الله ويسعى لنيل رزقه ، ولابد له من الراحة ليقوم بعمله .

هذا والجهاد عبادة ، والسعى فى سبيل الرزق عبادة ، وادارة شئون المنازل للسيدات عبادة ، اذكرى ذلك وأرحمى نفسك وأعطيها قسطها من الراحة لتقوى على العبادة من غير ارهاق مؤلم ، وأعلمى أنك موفقة ، وأنك مباركة ، وأنك فى الصف الاول بين الصالحين والصالحات وكونى فى جميع خطواتك القدوة الحسنة لغيرك ليقتدى به من آراد الله له الخير والسعادة » .

وحينئذ قلت : يا جدى العظيم ، يا جدى الاكبر ، سأنفذ هذه التوجيهات ، وارجو من روحك الطاهرة أن تهب روحى صفاء حتى أبلغ ما أتمناه لنفسى من القربى الى الله تعالى حتى ألقاه وهـو عنى راض ، وهذه هى أمنيتى التى لا أمنية بعدها » . فقال : « يا ابنتى ابشرى فان الله قد استجاب دعواتك ، ولن أنساك حتى نلتقى فى عالم الروح ، فى عالم الخالدين ثم بين يدى الله رب العالمين يوم تجزى كل نفس ما عملت والعاقبة للمتقين » .

وحجت كريمة الدارين هى وزوجها اسحاق المؤتمن ، وزارت قبر خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ، وكما قلت حجت فى حياتها المباركة ثلاثين مرة أكثرها ماشية على قدميها ، وكان القدوة لها فى ذلك جدها الامام الحسن الذى كان يقول : « انى لاستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش الى بيته » .

يتبع

جمال الدين الأفغاني

الأستاذ عبد المنعم حمادة

مقدمة :

؟ فى صباح يوم الثلاثاء الموافق ٩ مارس عام ١٨٩٧ توفى جمال الدين الافغانى فى الاستانة ، وقد اختلفت الروايات فى حقيقة الحالة التى توفى عليها الافغانى ، فمن قائل أنه مات شبه مقتول ، ومن قائل أن الوفاة كانت طبيعية نتيجة لمرض السرطان الذى استعصى علاجه ، وفى ذلك يقول المؤرخ الكبير الاستاذ عبد الرحمن الرافعى : « تواترت الروايات بان جمال الدين مات شبه مقتول ، وتدل الملابسات والقرائن على ترجيح هذه الرواية ، فان اتهامه بالتحريض على قتل الشاه ، وتغير السلطان عبد الحميد عليه ، وحبسه فى قصره ، ووشايات أبى الهدى الصيادى ، مما يقرب الى الذهن فكرة التخلص منه بأية وسيلة ، هذا الى أن الغدر والاغتيال كانا من الامور المألوفة فى الاستانة » ..

وسواء صحت هذه الرواية أو تلك ، فقد مات جمال الدين وهو لا يزال فى التاسعة والخمسين من عمره ، حيث كانت ولادته فى عام ١٨٣٨ ، مات جمال الدين بعد أن ملا ذكره أسماع الدنيا ، وأقض مضاجع المتجبرين العتاة ، وبعد أن أنار للشرق الطريق بعد نوم طويل ، فسلام عليه فى ذكراه السادسة والسبعين .

يأتى كثير من الناس الى الدنيا ثم يرحلون عنها دون أن يشعر بهم أحد ، ومن غير أن يتركوا وراءهم أى أثر يذكر الناس بهم ، أو يجرى على الالسنة أخبارهم ، أو يملى على التاريخ ما يبقى سيرتهم حية تتناقلها الاجيال جيلا بعد جيل ، فى حين يأتى آخرون فيملاون سمع الدنيا بما أثر عنهم من أعمال ، وجهود ، وتضحيات ، وما سطروه فى سجل التاريخ من مفاخر ، وما دونوه من قصص ومآثر ، وهؤلاء يسمون بالعظماء .

وكثيرا ما يختلف الكتاب والمؤرخون فى ذكر تفاصيل حياة هؤلاء العظماء الذين ينحنى لهم التاريخ اجلالا واكبارا ، فهم قد يختلفون فى تاريخ مولدهم ، وفى البلد الذى ينتمون اليه ، وفى وقائع حياتهم الخاصة فترة طفولتهم ، ذلك لان الكتاب والمؤرخين لا يستطيعون التنبؤ بمستقبل حياة أولئك العظماء ، وهم لا يزالون فى سنواتهم الاولى ، وهم يجهلون ما يخفيه لهم القدر بين طياته من مكانة عظيمة ، ومنزلة رفيعة ، وصيت بعيد وذكر حميد ، ولذلك غالبا ما يهملون توجيه عنايتهم الى تلك السنوات الاولى وتتبع تفاصيلها ، ولا يلقون عليها منذ البداية الاضواء التى تكشف عن أسرار تلك الفترة اكتفاء بما دونوه فى أيامهم الزاهرة ، المليئة بما يحفل به التاريخ من أعمال جليلة .. ان العظماء فى سنواتهم الاولى لا يزالون فى طيات المجهول ، ولذلك يمر الكتاب والمؤرخون على تلك السنوات مرورا عابرا ، ولا يكادون يوجهون اليها أى عناية ، أو يهتمون بتدوين أخبارها الا منذ التاريخ الذى يظهر فيه العظماء على مسرح الحياة العامة ، ويضعون بصماتهم على ذلك المسرح ، ويخطون ما يستحق التقدير والاعجاب .

وليس من شك فى أن اختلاف الكتاب والمؤرخين فى ذكر تفاصيل السنوات الاولى من حياة العظماء ظاهرة واضحة فى سيرة كثير من أولئك العظماء الذين يتبوأون فى التاريخ مكانة عالية ، ويتحدث عنهم الناس فى كل جيل ، وقد تمتد هذه الظاهرة الى سنوات طويلة من أعمار العظماء ، بل وكثيرا ما تتضارب أقوالهم حولها ، حتى أن بعضهم لا يذكرونها الا بالاشارة الخفيفة ، ويمرون عليها مرورا سريعا ، ويكتفون بالحديث عن حياة العظماء بعد أن يصلوا الى ما يصلون اليه من مكانة وعلو همة .

وكان من هؤلاء العظماء الذين اختلف الكتاب والمؤرخون فى تفاصيل حياتهم الاولى السيد جمال الدين الافغانى ، وذلك على الرغم مما وصل اليه من ذكر ، وما حققه من مجد فليس من شك فى أنه : « اذا ذكر الزعماء والمصلحون فى الشرق كان هو رائدهم ، وكان فى طليعتهم ، نهض والناس نيام ، فكانت دعوته أول نداء دوى فى الافاق .. أهاب بالامم الشرقية أن تتحد وتتعاون ، وتحارب الاستعمار وتقاومه ، وتحذر أساليبه ومكايده ، وأن تتخلص من النظم الاستبدادية الداخلية التى درج عليها الملوك والرؤساء ، وتحرر العقول والعقائد من نزعات الجمود والركود ، وتنطلق الى آفاق الحرية والعلم ، واليقظة والرقى ، فكانت دعوته التى عاش عليها ومات من أجلها بداية النهضات التى شملت أقطارا عديدة جانبها ، وغرس فيها أفكاره ومبادئه ، وكانت مبعث الحركات القومية التى ظهرت فى أرجاء الشرق حينا بعد حين ، خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين .. وهو ما أشار اليه الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مقدمة كتابه جمال الدين الافغانى .

والذى لا شك فيه أن السيد جمال الدين الافغانى بلغ من علو المكانة ، ورفيع المنزلة ، وبعد الصيت ما لم يبلغه أحد من رجال الدين فى العصر الاخير ، فقد طاف فى كثير من بلاد العالم شرقيها وغربيها ، وتعرف الى كثير من أهلها تعرف الناصح الامين ، والمعلم المخلص ، والباحث المدقق ، والمضطهد المظلوم ، والثائر المظلوم ، وكان من شدة تأثيره فى النفوس ، واقبال الناس عليه ، والتفافهم حوله واصغائهم لمشورته ، واسراعهم للاستفادة منه ، ان خاف المستعمرون مما يبثه فى قلوب هؤلاء وهؤلاء من حب الحرية والدفاع عنها ، لقد كان لجمال الدين تأثير غريب فى النفوس التى تجمع أصحابها حوله ، أو اتصلوا به ، أو استمعوا اليه ، وكان هذا التأثير يرجع الى عظمة الافغانى التى تتلخص كلها فى كلمتين اثنتين ، وهما الجاذبية - أو من شاء فليسمها المغناطيسية - والشخصية ، كما يقول أستاذنا الكبير عباس محمود العقاد ، فهو يقول :

« فلولا المغناطيسية الشخصية ما كان أثر جمال الدين بالغا أشده فى فارس ، ومصر ، والهند ، وتركيا دون غيرها من البلاد الشرقية ، لانها البلدان التى عاش فيها بشخصه ، واتصل فيها بتلاميذه ..

« ولولا المغناطيسية الشخصية ما كانت قوة جمال الدين بادية كلها فيمن خلفهم من المريدين ، لا فيما خلفه من الكتب والمصنفات ..

« ولولا المغناطيسية الشخصية ما كان جمال الدين قادرا على أن يظهر فى البلد الذى ينزل به بعد أسابيع قليلة من وصوله اليه ، مع ما نعلم من العقبات الجسام التى تحول بين الرجل وبين الظهور فى بلد غريب ..

« ولولا المغناطيسية الشخصية ما كان الملوك والامراء يقبلون من جمال الدين أن يخاطبهم فى قصورهم مخاطبة الند للند والزميل للزميل ، وما عرف عن جمال الدين قط أن يخاطب خليفة آل عثمان ، ولا وريث عرش القياصرة ، ولا شاه الشواهين ، ولا أمير وادى النيل الا كما يخاطب الانداد والزملاء ..

« ولولا المغناطيسية الشخصية ما كان جمال الدين مستطيعا أن يجوب الافاق بغير مال ، لانه اذا احتاج الى المال فى رحلاته الكثيرة أمر بعض مريديه من الموسرين أن يحملوا اليه كفايته منه فلا يعصى له أمر ، ولا ترد له رغبة ..

« هذه المغناطيسية الشخصية كانت قوة جمال الدين الكبرى ، وكان قوامها الاكبر ثقة بالنفس لا تحد ، وايمانا بالحق لا يتزعزع » .

والذى يمعن النظر فى كلام الاستاذ العقاد تتضح له حقيقتان ، فأما الاولى فقوة جمال الدين التى مردها الى جاذبية الشخصية التى شجعت على التهافت عليه للاستفادة به فى كل ناحية من نواحى الحياة ، والاطمئنان اليه ، والوثوق به فى

كلّ ما ينادى به ويدعو اليه ‥ وأما الحقيقة الثانية فوضوح بعض اخلاق جمال الدين وما كان عليه فى حياته ، والافصاح عن جوانب العظمة فيه ‥ ولقد كان من نتيجة تأثيره الكبير فى النفوس ، وانجذاب الناس لاحاديثه وآرائه ، ان خاف المستعمرون ، والحكام المستبدون على أنفسهم ، ونفوذهم ،وكان من نتيجة هذا الخوف أن تعقبوا حركاته وسكناته ، ورصدوا العيون حوله أينما حل أو رحل ، وكان من أثر اعتزازه بنفسه ، محاولة قضائه على الاوضاع الفاسدة القائمة التى علاها البلى والفساد ، أن هاب بأسه أصحاب القوة والنفوذ من الرؤساء والحكام ، وكانت النتيجة الحتمية لهذا وذاك استعانة الكارهين له من أصحاب العقول المتحجرة ، والافكار البالية ، والاراء العتيقة ‥ نقول استعان عليه كل هؤلاء بالحيلة مرة ، والمكر مرات على اسكات صوته ، والتخلص منه ‥

ولقد نظر رجال الاصلاح الى جمال الدين على أنه المشعل الذى يضىء الطريق بينما يحاول المغرضون اطفاءه ، ونظروا اليه على أنه علم العزة والكرامة بينما يحاول المستبدون تنكيسه فيأبى الا أن يكون خفاقا يلهب الشعور ويثير الحمية ‥ نظر طالبو الاصلاح اليه فلم يسعهم الا أن يؤيدوا زعامته ، والا أن ينصبوه اماما لمسيرتهم ، وأن يقتفوا أثره ، ويؤمنون بدعوته ، غير أن المؤرخين برغم ما اتفقوا عليه من عظمته ، اختلفوا فى بعض أموره ، وتباينوا فى بعض نواحيه .

واذا كان رأى الكتاب والمؤرخين يجمع على أن جمال الدين ولد عام ١٢٥٤ هـ ـ ١٨٣٩ م ، ويختلف فى نواحى أخرى ،فان حقيقة الوطن الذى ولد فيه كان أول ما اختلف فيه أولئك الكتاب والمؤرخون من هذه النواحى منهم من أرجعه الى أصل ايرانى ،ومنهم من أرجعه الى أصل أفغانى، ومنهم من لم يقطع برأى فى هذا أو ذاك لانه لم يكن يعنيهم من أمر جمال الدين الا انه الرجل الذى حمل المشعل فى يده ،وأخذ يجوب به العالم شرقه وغربه ليبث الحمية فى النفوس المريضة ،وينير الطريق للتائهين فى خضم الحياة ، ويقوى المستضعفين ويشد من أزرهم ،ويرسل الرعب فى قلوب الطغاة المستبدين ‥ ولانه لم يكن يعنيهم من أمره الا أنه الرجل الذى نشأ فى أمة اسلامية ، من بيت عريق الاصل ، متواضع فى معاملة الناس ، بعيد الامال والمطامع على الرغم من بساطة الحياة التى كان يحياها ، فى نفس الوقت الذى اعتبر وجوده بسمة من بسمات الغيث لهذا العالم المتهالك على نفسه ‥ ولانه لم يكن يعنيهم من أمره الا أنه العالم الفاضل ، والثائر العظيم الذى خط لنفسه ولامم الاسلام جميعها طريق المجد ، والعزة ، والكرامة ، وأسمع العالم كله من أقصاه الى أقصاه صوت الامة العربية ‥ ذلك الصوت الذى ظل سنين طويلة حبيس الاضطهاد والظلم .

أما من قالوا بايرانيته فكثير من رجال فارس الذين رأوا فى انتساب جمال الدين لايران ذخيرة لا يجوز التفريط فيها ‥ من هؤلاء العالم الكبير الاستاذ عبد الكريم الزنجانى ، ومرزا مهدى رفيع مشكى بك الذى يحتفظ برسائل من اقارب السيد يثبتون فيها ايرانيته . ومن هؤلاء تلميذه عبد الرشيد أفندى ويقول الاستاذ محمد سلام مدكور فى ذلك : محمد جمال الدين ابن السيد صفتر ، ولد سنة ١٢٥٤ هـ ـ ١٨٣٨ م ، وقد تضاربت الروايات ،واختلف المؤرخون فى منبته ومسقط رأسه ‥

« فمن قائل أنه فارسى من ايران ولد بقرية همذان ، وانما رحل الى الافغان ، وانتسب اليها ليظهر بمظهر السنى لا الشيعى ، ويتخلص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها فى الخارج ، ولقد تمسك الايرانيون بهذا ، وحدثنى العالم الكبير الاستاذ عبد الكريم الزنجانى كبير رجال الشيعة ـ حينما زار مصر عام ١٩٣٧ ـ بهذا ، وضمنى مجلس من عليه القوم مع مرزا مهدى رفيع مشكى ، وتحدثنا عن سيرة جمال الدين ، ثم جرنا الحديث الى بلدته التى ولد فيها ، فأثبت لى أنه ايرانى من همذان ، واطلعنى على بعض رسائل من أقارب السيد يثبتون فيها أنه ايرانى .

وأما الذين نادوا بأفغانيته فكثير من الكتاب والمؤرخون كالمستر بلنت الذى يقول : « أن السيد جمال الدين الافغانى ، لم تتجاوز تجاريبه العالمية قبل حضوره الى مصر دائرة آسيا الوسطى ، وهو أفغانى المولد ، وتلقى تربيته فى بخارى .

والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ويعد من أكبر تلاميذه ، وهو يقول ان السيد : « من بيت عظيم فى بلاد الافغان ‥ وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم فى خطة كنر من أعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام » .

والدكتور تشارلز آدمس الذى يقول « ولد السيد جمال الدين الافغانى ، العامل الجوهرى الاول فى احياء حركة التجديد فى مصر عام ١٨٣٩ م فى أسعد أباد بالقرب من كابل بأفغانستان » ‥

ومن أخذوا بهذا الرأى الامير شكيب أرسلان الذى يقول فى شرح كتاب حاضر العالم الاسلامى : « لقد لقيت فى المدينة المنورة قبل الحرب العامة ـ سنة ١٩١٤ ـ بأشهر ، السيد حسينا أحد ولاة الافغانستان ومن سادات كنر المشار اليهم وأفاضلهم ، وعلمت منه أن السيد جمال الدين رحمه الله هو منهم ، كما أنى سمعت ذلك من جميع رجال الدولة الافغانية وسفرائها الذين جمعتنا بهم المقادير فى أوروبا بعد تأسيس سفاراتهم بها » .

وأما الذين لم يقطعوا برأى فى موطنه الاصلى ، ولاى من البلدين ينتسب ، فالمستر براون أحد الذين رأوا أن جمال الدين لم يصرح بحقيقة الوطن الذى ولد فيه لاسباب تتعلق بشخصه ، وكان المرحوم الاستاذ الكبير الشيخ مصطفى عبد الرازق أحد الذين لم يقطعوا كذلك برأى فى هذا الامر ، فهو يقول :

« هل هو بعد ذلك قد ولد فى أسعد اباد قرية من قرى كنر من أعمال كابل من بيت عظيم فى بلاد الافغان ، حنفى المذهب ، ينتمى نسبه الى السيد على الترمزى ‥ وفى كابل تلقى علومه ، واستكمل الغاية من دروسه ‥

« أم هو قد ولد فى أسعد أباد قرب همذان ، من أعمال فارس ، وتعلم فى مدينة قزوين ومدينة طهران ، ثم سافر الى الافغان ، وليس أفغانى الجنس كما يزعم أهل السنة والجماعة ‥

« أم أن والده من أهالى مازندران احدى ولايات ايران ، وكان ضابطا فى الجيش الايرانى أوفدته حكومته الى بلاد الافغان لمهمة فطابت له السكنى هناك ، وتزوج وولد له جمال الدين فى ايران وحمله معه صغيرا ‥

« هذا خلاف لا سبيل الى تمحيصه ، فان ما يتعلق بنشأة جمال الدين وحياته قبل اتصال الشيخ محمد عبده به سنة ١٨٧١ م هو على قلة مصادره محاط بغموض واضطراب كما قال المستر براون » .

ومن الغريب أن يختلف كل هؤلاء فى ناحية واحدة من نواحى جمال الدين كان فى استطاعتهم أن يصلوا فيها الى رأى قاطع ، فقد كان منهم من عاصره وكان فى امكانه أن يتقصى أخباره الصحيحة ، وكان فيهم من صادقه وكان فى استطاعته أن يكشف منه عن كثير مما خفى من أمره ، وكان فيهم من تتلمذ عليه وكان فى مقدوره أن يستفسر عن كل سؤال يخطر له على بال ‥ واغلب الظن أن الامال التى كان يعقدها عليه هؤلاء وهؤلاء ، والانوار المشرقة التى كانت تتراءى لهم فى وجهه كلما جلسوا اليه ، وتحلقوا حوله ، والايات البينات التى كانوا يسمعونها منه كلما أرهفوا آذانهم لسماع صوته ، والمطامع الكبيرة التى يحسون جيشانها فى صدره كلما تحدث اليهم ‥ أغلب الظن أن هذا كله لم يكن يجعلهم يفكرون فى مثل هذه الامور التى لا طائل وراءها بقدر ما كانوا يفكرون فى كيفية الاستفادة من علمه ، وفى الوصول الى الوسائل التى يحققون بها آماله ومطامعه فى نهضة الشرق واستغلاله ‥

وان مجرد الخلاف فى هذه الناحية من نواحى جمال الدين ، ذلك العملاق العربى الكبير الذى ذاع صيته فملأ الاسماع وبهر الابصار ، وكان له شأن عظيم فى كثير من أمم العالم ، ليدعونا الى البحث عن الاسباب التى أدت الى هذا الخلاف الذى كان من آثاره ما ظهر فى كتابة الكتاب والمؤرخين من التباين ، وأدى بهم الى كل هذا الحدس والتخمين ‥ وأول ما نستطيع الوقوف عليه من هذه الاسباب هو أن جمال الدين نفسه لم يصرح بحقيقة الوطن الذى ولد فيه ، ولكنه ترك الناس من حوله فى حيرة من امره ،وقد سأله محمد باشا المخزومى يوما أن يكتب شيئا فى ترجمة حياته لمحبيه الذين يرغبون فى تزيين صحفهم بأخباره ولكنه مازاد على أن تبسم وقال :

« ان العيان لا يحتاج الى ترجمان » قل لهم ما قاله فلان عنى - وكان فلان هذا قد قال عنه انه سرسرى - أى متشرد أو تائه فى الارض ، وقال المخزومي : لا ينبغى للاستاذ الحكيم أن يضن على أهل عصره بما ينفعهم ولا يضره ، وأجاب الافغانى :

« أى نفع لمن يذكر انى ولدت سنة ١٢٥٤ هـ ، وعمرت أكثر من نصف عصر ، واضطررت لترك بلادى الافغان مضطربة تتلاعب بها الاهواء والاغراض ، واكرهت على مبارحة الهند ، وأجبرت على الابتعاد عن مصر ، أو ان شئت قلت نفيت منها ، ومن الاستانة ، ومن أكثر عواصم الارض ‥ كل هذه الاحوال - خاطرات » - لا تسرنى وليس فيها أدنى فائدة للقوم ‥

« أما القول بأنها لا تسرنى - لا بمعنى انى نفيت من البلاد أو سجنت ، كلا - لانى أعتقد ان السجن لطلب الحق من الظالمين الطغاه رياضة ، والنفى فى ذلك السبيل سياحة ، والقتل شهادة ، وهى أسمى المراتب ‥

« فأنا عن نفسى غير راض ، ذلك لان الخمول قعد بى فلم يوصلنى الى أسمى مرتبة وهى مرتبة الشهادة ، وحطنى فى مصاف المنفيين من أرض الى أرض والمسجونين فيها - فما أبعدنى فى كل هذا عن أولى الهمم ، ومن قام بالاعمال الخطيرة أو المطلب الجلل » .

وأنت بعد كل هذا لن تجد فيما قاله الاستاذ الحكيم اى شبع لطالبى المعرفة ، أو المتلهفين على تعرف ما خفى من أسرار حياته ، وكان تحفظ جمال الدين فى الحديث عن نفسه ، وعدم الرغبة فى الافاضة عن بعض أحواله كافيا لاسدال الستار من الغموض على تلك الفترة الاولى من حياته .

وأما القول بأفغانيته استنادا على ما جاء فى حديثه الذى ذكره المخزومى باشا ، فقد قيل فى التعليق عليه انه انما كان يفعل ذلك تخلصا من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها فى الخارج ، أو تخليا منه عن الحماية الفارسية التى كان يشك فى قيمتها ، ويرى المستر براون أن جمال الدين لم يصرح بحقيقة الوطن الذى ولد فيه لينفى عنه مذهب الشيعة ويدخل فى عداد السنين ، لانه قدر أن اصلاح أحوال المسلمين أيسر لمن كان يدين بالمذهب الغالب على الامم الاسلامية ، ويقول المستر براون فى ذلك : أن جمال الدين أراد أن يعرف انه أفغانى ليسهل حشره فى زمرة السنيين من المسلمين ، وليتخلى عن الحماية الفارسية التى كان يشك فى قيمتها .

ويقول الاستاذ سلام مدكور ، « والرواية الفارسية تذهب الى انه ولد فى قرية بهذا الاسم - أسعد أباد - بالقرب من همذان فى ايران ، والسبب فى تفضيله الانتساب الى أفغانستان لا يمكن الخوض فيه الا بطريق الحدس » .

ولعل من الاسباب التى أدت الى هذا الخلاف فى الوطن الذى ينتسب اليه جمال الدين ، تجاور الامتين الايرانية والافغانية ، والارتباط الوثيق الذى كان بينهما ، فقد دفع هذا التجاور ، وهذا الارتباط الى أن تتبادل الامتان كثيرا من المنافع ، والى أن ترتبط الاسر فى هذه وتلك بروابط المصاهرة ، مما جعل الامر يختلط على المؤرخين والكتاب فلا يقطعون برأى حاسم فى الوطن الذى ينتسب اليه ، وهو من عرفته الافغان فى عهدى الصبا والشباب ، ثم عرفته بعد ذلك مجاهدا فى ميدان القتال ، ثم نصيرا لصاحب أفغانستان الامير محمد أعظم الذى كان يلجأ اليه فى العظائم وما دونها ، وهكذا كان اليد اليمنى للصديق الذى يدبر معه شئون الدولة بهمة واخلاص ‥

وهناك مسألة أخرى يصح أن نشير اليها ، ولا نغفل عن ذكرها ،يقول عنها أستاذنا الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد : « وهذه الرواية - أى رواية الامير شكيب أرسلان التى أشرنا اليها من قبل - ورواية السيد نفسه ، ورواية تلميذه الاكبر الشيخ محمد عبده - سند متين فى انتساب السيد جمال الدين الى بلاد الافغان ، ولا تردالشبهة عليها الا من ناحية واحدة ، وهى أن الناس يفخرون بانتساب العظماء الى أوطانهم ، فلا عجب أن يقبل الافغانيون فخرا ينالهم بانتماء عظيم كجمال الدين اليهم ، اذ ليس من السهل على الافغانى أن يجرد وطنه من فخر زعيم جليل ملا ذكره الخافقين ، فان وجب أن نلتفت الى هذه الشبهة وجب علينا أن نذكر - مع الاشارة اليها - انها شبهة ظنية لا تنهض فى وجه ذلك السند المتين » .

آراء وشبهات ومظنات كثيرة ، ما فى ذلك شك ثم ان حياة جمال الدين قبل وصوله فى مصر واتصاله بتلميذه وصديقه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، قليلة المراجع لا تكفى للوصول الى حقيقة جازمة تقضى على كل خلاف فى تحديد مسقط رأسه ، وفى ذلك يقول المستر براون :

« ان الاضطراب والغموض اللذين أحاطا بجمال الدين حالا دون معرفة أمره وما كان عليه فى حياته الخاصة والعامة قبل عام ١٨٧١ م » ، وللاستاذ العقاد رأى استنتاجى يقول فيه : « وجمال الدين الافغانى يختلف المترجمون فيه هل هو من الفرس أو من الافغان ؟ ولكن صورة من صوره التى ترسم فيها عيناه القلقتان الوامضتان ، وصدغاه الناتئان العصبيتان تفض الجدال وتقول فيه أصدق مقال : ان هذا الوجه لافغانى ولو ولد فى البلاد الفارسية ، وانه لافغانى وان نماه اليهم قوم من الفرس ونفاه عنهم قوم من الافغان » .

● ● ●

وبعد :

فهذه ناحية واحدة من نواحى الاختلاف فى أمر جمال الدين ، اردنا أن نطيل فيها الحديث لنثبت أننا متفقون مع أصحاب الرأيين ، رأى من قالوا بايرانية الافغانى ، ورأى من نادوا بأفغانيته ، لانه لا يعنينا فى الواقع من أمر جمال الدين ونسبه الى أى من البلاد ، الا أنه ظهر فى واحدة من الامم الاسلامية ، وانه رفع راس الامم الاسلامية كلها ، وعظم شأنها جميعا بأعماله وجهاده ، لانه كان يريد لها جميعا العزة والكرامة ، ولانه كان يجاهد فى كل بلد يزوره ويستقر فيه لفترة تطول أو تقصر كأنه واحد من أفراده ‥ والواقع أن جمال الدين جدير بأن ينسب الى كل بلدمن بلاد الشرق الاسلامى ، فهو الذى بنى لهذه الامة الاسلامية ، بعد عصورها الزاهرة ، مجدا خالدا على الزمن ، وهو الذى قضى على السخافات التى كانت لاصقة بالامة الاسلامية وبأذهان الغربيين عن الشرق وأهله ، وهو الذى أعلن للعالم كله ، فى العصور الحديثة ، ان الاسلام دين كامل شامل يمكن أن يكون أساسا لكل حضارة ورقى اذا غير معتنقوه ما بأنفسهم ليغير الله ما بهم ، وهو الذى اعلن الثورة على كل جمود فى الفكر ، ونادى بالانطلاق بالعقل الى الافاق العليا ، لان الله سبحانه وتعالى يدعو الى العلم ، والى أعمال الفكر والعقل ، والى البحث ‥ وجمال الدين هو الذى هاجم الاستعمارفى عقر داره ، وفى كل بلد حط فيه رحاله ، فعلم الناس وحرضهم على الانقضاض على الظلم والظالمين ، وضرورة التلخص من سلطان التحكم والجبروت ‥

يقول أستاذنا الكبير عباس محمود العقاد : « ولئن عوجل الرجل بالموت قبل أوانه ، لقد أدى الامانة كما ينبغي وفوق ما ينبغي ، وقام برسالة تنوء بها كواهل المئات من أفذاذ العظماء ، فلا نعرف فى عالم الاصلاح رجلا شرقيا أو غربيا قديما أو حديثا قام بأجل وأهول مما قام به جمال الدين في مدى هذه الفترة الوجيزة ، واى رسالة أجل وأهول من رسالة رجل فرد يرتبط تاريخه بتاريخ كل انقلاب فى مصر وفارس وتركيا والهند وأمم أخرى يتغلغل فيها أثره ولا يبرز هذا البروز ؟ فلم تنهض أمة لدفع الظلم وحماية الحق الا كانت دعوة جمال الدين فى مقدمة البواعث التى حفزتها للنهضة ، ونفخت فيها روح البأس والشجاعة ، ولا نظن أن فى مصر أو فى بلاد الشرق الاسلامى رجلا واحدا مشتغلا بالثقافة فى مناحيها المتفرقة الا وهو مدين بشىء من حريته ، أو بشىء من تفكيره لهذه القوة السماوية المفرغة فى قالب انسان » .

هذا هو جمال الدين الحسينى الافغانى الذى اختلف الكتاب والمؤرخون فى الوطن الذى ينتسب اليه ، وراحوا يناقشون قضية هذا النسب من واقع أقواله هو نفسه ، وأقوال تلاميذه وأصدقائه ، ومن واقع ما دونه أولئك الكتاب والمؤرخون ، ومع ذلك فقد اتفق جميعهمفى عظمته ، وأجمعوا على ذكائه ونبوغه ، وأشادوا بالاثر الذى تركه وراءه فى كل بلد استضافه أو وصلت اليه أخباره ‥

رحم الله جمال الدين بقدر ما بذله للاسلام والمسلمين من جهد ، ونادى به من خير .

المكتبة الاسلامية

المثل الأعلى للشباب

عرض وتحليل
فتحى الإبيارى

●●● شبابنا العربى يمر بمرحلة هامه فى تاريخه .. وفى تكوينه الفكرى والعقائدى . فما هو المثل الاعلى للشباب العربى المسلم .. الذى ينبغى أن يتمسك به ؟ ان شبابنا عليه مسئوليات جسام فى تحمل مهام الدولة فى المستقبل القريب .. لذلك ينبغى أن يكون مسلحا فكريا ، وعقائديا لمواجهة التيارات الهدامة التى تهدف الى تمييع الشباب العربى فى البلاد العربية ، والاسلامية وخاصة فى مصر . لذلك يجب ان يعرف الشباب حقيقة مثله الاعلى واخطار هذا العصر .

وقد أصدر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية دراسة قيمة للباحث الاستاذ أنور الجندى بعنوان « المثل الاعلى للشباب المسلم » ، تناول فيها كثيرا من القضايا والاراء ، والافكار التى تهم كل شاب عربى مسلم . وكذلك الخطوط الاساسية للمثل الاعلى .

■ كان « عبد الله بن عباس » ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته ذات يوم ، وكان شابا حدثا تبدو عليه ملامح النجابة والذكاء ، فأراد النبى أن يفتح له طريق التفوق ، فرسم له فى كلمات محددة الخطوط الاساسية التى تكون المثل الاعلى للشباب المسلم .

قال عليه الصلاة والسلام : يا بنى اعلمك كلمات : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، ولو اجتمعت الامة على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام ، وجفت الصحف » .

وهكذا فتح الرسول أمام الشباب طريق المثل الاعلى القائم على التحرر الكامل من المطامع والتماس جاه ذوى الجاه ، والتذلل أمام أصحاب النفوذ ، موحيا عليه السلام بأن الكفاءة وحدها هى مصدر التفوق ، على أن يرتبط العمل بالاعتماد على الله .

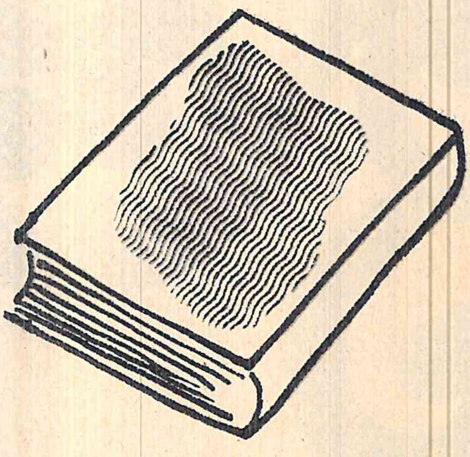

المسلم

ومن حق كل شاب ان يكون نموذجا من نماذج الايمان والكرامة والاستعلاء على الصغائر ، وحماية النفس من الانحراف ، ومن حقه ان يكون مشاركا فى بناء المجتمع ، مقدما حق المجتمع على حقه الخاص ، ليس امعة ، يشترك عقله وقلبه فى الاستهداء الى الحق .

ومن حق الشباب ان يعلم انه ولد فى عصر من عصور التحدى للأوطان العربية فى مواجهة اخطار الاستعمار والصهيونية ، ودعوات الالحاد والاباحية والمادية ، وصراع القوى الكبرى ، وان اخطر ما يتمثل ذلك انما يتمثل فى الاحتلال الصهيونى لفلسطين وما تبعه من محاولات للتوسع ، بالاضافة الى الغزو الثقافى وحملات التغريب حين يحاول الغرب فرض ثقافته على الفكر العربى الاسلامى الذى يتسم بطابعه وقيمه ومقوماته التى تختلف عن الفكر الغربى ، ولقد كان فكرنا العربى دائما قادرا على أمرين أساسيين :

الاول : ان له قاعدة اساسيه لا يفارقها ولا يخرج عنها ، ويلتقى بالنظرات والفلسفات والمذاهب المختلفة فى ضوئها فيأخذ منها ويرفض .

الثانى : انه فى ظل هذه القاعدة قادر على الانفتاح على الثقافات العالمية والإنسانية يلتقى بها ولا ينفصل عنها .

وان اول العوامل التى يحفظ للثقافة العربية طابعها الخالص الذى لا يندمج ولا ينصهر هو أنها انما تقوم على التوحيد » توحيد الله سبحانه وتعالى ونبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والايمان بالقرآن : كتاب الله المنزل الخالد والايمان بالاسلام كبناء ونظام مجتمع وحضارة .

ويقول المؤلف انه من حق كل شاب ان يعرف ان هذه المرحلة من حياة الامة العربية والعالم الاسلامى هى مرحلة خطر وتحد عاصف يواجه هذه الامة فى محاولة - للاستعمار والصهيونية والالحاد - اعادة السيطرة على هذه الامة بعد أن تحررت وانطلقت تبنى وتصنع وجودها ومستقبلها .

وان هذا الشباب مسئول عن تعمق هذه القضية لانه هو الذى سيحمل لواء المسئوليه فى قيادة بلاده فى المراحل القادمة من حياة الامة ، مما يدعوه الى أن يعد نفسه بالثقافة والايمان بالله على تحمل مسئولية ما سيوكل اليه من عمل .

●● ان ثقافتنا ليست دينية محضة ، وليس تراثنا الاسلامى له طابع اللاهوت فحسب ، وانما ثقافتنا العربية وفكرنا الاسلامى جامع شامل متكامل ، هو جماع الاقتصاد والاجتماع والسياسه والتربية والدين والاخلاق والفن والعلم ، فالفكر الاسلامى (مركب) وهذه كلها (عناصر) لا تنفك عنه وهو (كل) وكل منها (جزء) وهو فى هذا يختلف عن الفكر الغربى الذى يؤمن بالانفصال بين العلوم والقيم .

والاختلاف بين الفكر الاسلامى وبين الفكر الغربى .. هو أن الاسلام ليس دينا فحسب ، ولكنه دين وثقافة ، ومنهج حياة ، وأن الفكر الاسلامى ليس حكر مسلمين وحدهم ، ولكنه تحرك داخل اطار الاسلام ، وان لم تكن حضارة المسلمين وحدهم ، ولكنها حضارة الامم المختلفة التى عاشت وتعيش فى هذه المنطقة ، وقد انصهرت ثقافتها وفلسفاتها وقيمها الاجتماعية والفكرية فى بوتقة واحدة .. هى الفكر الاسلامى .

مهمة رسالة

●● يسأل الشباب نفسه : لماذا جاء الى هذه الدنيا وما هى رسالته ؟ هل من المعقول أن حياتنا وخلقنا ونشأتنا وموتنا جاءت اعتباطا ومصادفة دون هدف أو غرض محدد ؟

ويجيب القرآن صادقا :

« أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » .

ويقول المؤلف معلقا وشارحا اجابة هذا السؤال : هذا الانسان الذى خلقه الله تعالى فى أكرم صورة وأعطاه كل هذه الدنيا بما فيها من ثروة ونعماء ، له مهمة ورسالة ، هى أن يبنى « لبنة » واحدة فى بناء الانسانية الحق ، والذى قوامه الحق والخير والعدل .

ولابد لكل منا من هدف ورسالة ومثل أعلى ، والا فسنكون ضائعين مضيعين . ولابد أن نعرف هدفنا فى هذه الحياة ، والدور الذى سنقوم به . وأعظم رسالة لنا هو أن نخدم أمتنا ووطننا وأهلنا وأن نضيف لبنة جديدة فى بناء الانسانية الكبير .

أخطار العصر

يتناول المؤلف فى أحد فصول الكتاب أخطار العصر التى تواجه الشباب ، فيرى أن المراهقة انتقال جسدى وعاطفى وعقلى واجتماعى من الطفولة الى الشباب ، أى الى الرجولة أو الانوثة ، وهو ليس بالانتقال المفاجىء ، ولكنه انتقال طبيعى يتم على فترة واسعة . فعلى الشباب فى هذه المرحلة أن يكون مثالا

للاخوة والمحبة والصداقة والوفاء فى معاملة الناس . وقربا الى الله بالايمان والعبادة ، وتثقيفا للذات .

وحاذر من « الغرور » فهو داء العصر الوبيل .. فاذا كنت عالما فهناك من هو أعلم منك ، وهناك من يفوقك فى اى شىء تزدهى به ، الغنى ، الشباب ، الجمال ، العقل ، الاناقة ، وثق أنك لم تعلم العلم كله ، ولا ربعه ، فاذا اعتقدت أنك بلغت غاية العلم ، فذلك معناه أنك تجمدت ، فلم تزد علما . وثق أن السنبلة المليئة من سنابل القمح تنحنى ، والفارغة وحدها هى التى ترفع رأسها فى شموخ الفارغين !!!

وأبغض الترف فانه يقتل الشخصية ، ويحول صاحبه الى طابع الضعف والجمود . لقد دعا الاسلام الى البساطة مع النظافة ، والرجولة مع التواضع .

أما الاضطراب النفسى .. فراجع الى أن الانسان ... مادة وروح ، وأى صراع بينهما ، يؤدى الى أزمة . مثل أزمة الشباب . حين تتغلب المادة على الروح ، أو الروح على المادة . فالانسان لا يستطيع أن يتخلى عن جانبه الروحى ، والا عاش فى ضياع وقلق مستمر ، ولا يستطيع أيضا أن يتخلى عن الجانب المادى ، فلابد اذن من الموازنة بين الجانبين ان أمكن .

الاسـلام والشباب

ماذا يمكن ان يعطى الاسلام الشباب ؟

لقد قرر الاسلام دستور العلم . فدعا الى عدم الانخداع بالاوهام أو قبول الظن ، ولا من يقول بغير دليل ، ودعا الى أعمال العقل وسؤال أهل الذكر ، فلا يقلدون أحدا . وأن يكونوا أحرارا فى النظر لا يقيدهم من ذلك شىء . ان الاسلام دين مفتوح مريح ، ليس فيه سر ولا خفاء .

● **ولقد أظهرت الامة العربية ابطالا على مختلف العصور والازمان قاوموا الظلم وحطموا صروحه .** وحفظت امتنا الحضارة الانسانية من الفناء والضياع حين ردت الصليبيين وهزمت التتار .

ولم تستسلم الامة العربية أبدا ، وحاربت فى سبيل المحافظة على كيانها ، ولم تقبل فى سبيل حريتها مساومة ولا تسامحا ، ولم تزدهيها نشوة النصر ، كما لم تحطمها مرارة الهزيمة ، فكانت على استعداد لخوض المعركة فى سبيل حقها ، تؤمن بالنصر وسط الظلام الحالك ، وتسيطر على أعصابها فى أشد الاوقات خطرا .

ان دراسة أنور الجندى عن « المثل الاعلى للشباب المسلم » من الدراسات القيمة التى ينبغى على كل شاب أن يطلع عليها ، لتنير له الطريق .. ويجد فيها بعض الاجابات عن كثير من الاسئلة الحائرة المتصارعة داخل نفسه . وأما أجمل أن نختتم تلك السطور بدعاء النبى عليه الصلاة والسلام :

« **اللهم انى أسألك الفوز فى القضاء ، ومنزل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الاعداء** » .

شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة لمقاولات الانشاءات المدنية

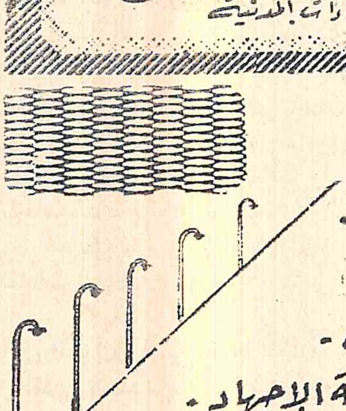

وتقوم الشركة بتنظيم وتنفيذ

● محطات القوى الكهربائية على اختلاف أنواعها .
● خطوط الكهرباء ومحطات محولات الكهربائية .
● السدود . الخزانات . الأعمال المدنية للمصانع .
● خزانات الوقود من الخرسانة المسلحة والسابقة الإجهاد .
● أعمال المواني والترسانات البحرية . الصوامع . الطرق الخرسانية .
● الأنفاق . الإنشاءات الهامة الكبرى . المستشفيات والمبانى المدنية .
● محطات المياه وخزاناتها الأرضية والعالية .

المركز الرئيسى : ٢١ - شارع ٢٦ يوليو القاهرة . - مكاتب بأنحاء الجمهورية : القاهرة - الإسكندرية - أسوان .

فروع خارجية جمهورية السودان - الجمهورية العربية الليبية - الجمهورية العراقية .

الافتاء
المرأة المسلمة
الرياضة
بريد التعارف
بريد القراء

انت تسأل ؟! والمفتي يجيب

فضيلة الامام الاكبر
الدكتور محمد محمد الفحام

س ١ : من ابراهيم مردانى من الامارات العربية ـ رأس الخيمة

ما هو رأى الدين الاسلامى فى اقامة الصلاة على الاموات غير المسلمين الذين فقدوا ارواحهم فى الدفاع عن وطنهم وسط المعركة .

الجواب

لقد نص الفقهاء أنه يشترط لصلاة الجنازة ـ وهى الصلاة على الميت ـ أن يكون مسلما فلا تصح صلاة الجنازة على غير المسلم لقول الله تعالى : « **ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** » .

س ٢ : من أمين حلمى ـ الدرب الاحمر القاهرة

هل هناك أوقات تكره فيها أداء الصلوات وما هو السبب فى ذلك ؟

الجواب : لقد قرر فقهاء الحنفية ان الاوقات التى تكره فيها الصلاة ثلاثة وهى عند طلوع الشمس أى ظهور شىء من جرمها فى الافق ما لم ترتفع الشمس قدر الرمح وعند الاستعراء أى وقت وقوف الشمس فى نصف النهار ، وعند الغروب ، أى عند أفول الشمس الى أن يغيب جرمها .

ومنع الحنفية من الصلاة المفروضة والواجبات الفائتة بأنواعها لبطلانها فى هذه الاوقات الا عصر يومه ومنعوا من التنفل فيها لكراهتها ، فلو شرع فيها صح شروعه مع الكراهية ، فان أتمها خرج من العهدة لانه أداها كماالتزمها ، وان وجب قطع النافلة والقضاء فى الوقت الكامل على الاصح .

وانما منع من الصلاة فى الاوقات المذكورة لحديث عقبة رضى الله عنه الذى يقول فيه : « **ثلاث أوقات نهانا النبى صلى الله عليه وسلم أن نصلى وأن نقبر فيها موتانا** ، **ومعنى قوله : نقبر فيها موتانا أى صلاة الجنازة ، عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند استوائها حتى تزول وحين تضيف أى تميل للغروب حتى تغرب** » والحديث مطلق .

وذهب الشافعية الى أنه لا تكره صلاة الفرائض فى هذه الاوقات أداء أو قضاء لقوله عليه الصلاة والسلام : من نام عن صلاة أو نسيها فليصليها اذا ذكرها الا ما استثنوه كصلاة العصر وقت اصفرار الشمس .

س ٣ : من سعيد بهنساوى كفر مرعى الفيوم هل يجوز نبش قبر ميت جديد لدفن غيره ؟

الجواب :

يحرم نبش قبر ميت لدفن غيره لما فيه هتك حرمة الميت ، فلا يجوز دفن ميت فى موضع ميت حتى يبلى الاول بحيث لا يبقى منه شىء من لحم أو عظم ، فاذا بلىوصا ر ترابا جاز الدفن فى موضعه اتفاقا .

س ٤ : من عزت علايلى ـ البحر الاحمر

هل هناك دليل على سؤال القبر وفتنته ؟

الجواب :

يجب الايمان بسؤال القبر وفتنته لانه جاءت به أحاديث صحيحة بلغت من الشهرة منها حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : **شهدت مع النبى**

صلى الله عليه وسلم جنازة فقال : « يأيها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق فأقعده قال : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له باب الى النار فيقول هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما اذا آمنت بربك فهذا منزلك فيفتح له باب الى الجنة فيريد أن ينهض اليه فيقول له أسكن ويفسح له فى قبره وان كان كافرا او منافقا يقول له : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فيقول لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقول هذا منزلك لو آمنت بربك فأما اذا كفرت بربك فان الله عز وجل أبدلك به هذا ويفتح له باب الى النار ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعه خلق الله كلهم غير الثقلين فقال بعض القوم : يارسول الله ما أحد يقوم عليه ملك فى يده مطراق الا هبل عند ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » . رواه الامام أحمد والرزار ورجاله رجال الصحيح .

س ٥ : من ابراهيم عثمان ـ الجيزة

يسأل عن الاتى :

توفيت والدتى ولم تكن تؤدى الصلاة فهل يمكننى أن أقوم بالصلاة نيابة عنها بمعنى أن أصلى كل يوم صلاة ليوم آخر لها ؟

الجواب :

ان العبادات اما بدنية كالصلاة والصيام أو مالية كالزكاة والصدقات ، أو بدنية ومالية كالحج ، فاذا مات الانسان ولم يكن يؤدى العبادات البدنية كالصلاة مثلا ، فلا يسقطها عنه صلاة وارث له ، وهو موضوع السؤال ، أما العبادات كالزكاة ، فانه يصح للوارث أن يقوم نيابة عن الميت بأداء زكاة لم يدفعها الميت حال حياته ، وكذلك العبادات البدنية والمالية كالحج ، فيصح أيضا أن يؤدى الوارث الحج عن مورثه الذى مات ولم يحج ، لما روى أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له يارسول الله ان ابى مات ولم يحج أفأحج عنه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « حجى عن أبيك واعتمرى » . وعلى كل حال فعليك أيها السائل أن تستغفر لامك وأن تدعو لها وتتصدق على روحها لان رحمة الله لا تحدها حد . قال الله تعالى : « ورحمتى وسعت كل شىء » ..

س ٦ : من السائلة أ ـ ع ـ ر . من القليوبية

طلقنى زوجى ويريد اخراجى من منزل الزوجية مع أن عدتى لم تنته بعد ، فما هو حكم الشريعة الاسلاميه فى ذلك ؟

الجواب :

لقد قرر الفقهاء أن العدة تعتد شرعا فى المنزل الذى كانت تقيم فيه وقت وقوع الطلاق عليها ولا يجوز للمطلق شرعا أن يخرجها من هذا المنزل ، فقد جاء فى كتاب فتح القدير فى باب الاحداد ما نصه :

« وعلى المعتدة أن تعتد فى المنزل الذى يضاف اليها بالسكنى حال وقوع الفرقة والموت » والنص عام يشمل المطلقة رجعيا أو بائنا قال الله تعالى : « يأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا » . وعلى ذلك فيكون من حق السائلة شرعا أن تقيم بمنزل الزوجية طول العدة مدة العدة ، ولا يجوز للمطلق شرعا أن يخرجها منه لان هذا الحق ثابت لها شرعا مادامت فى العدة أما اذا انقضت العدة فانه يسقط حقها فى السكنى .. والله أعلم .

س ٧: من عبد المنعم حلمى مطر ـ الدرب الاحمر ـ القاهرة :

ما حكم قراءة القرآن على الاموات وهل يصل ثوابها للميت ام لا ؟

الجواب :

ان هذا الموضوع محل نظر عند الفقهاء فقد حكى الشوكانى فى كتابه نيل الاوطار جـ ٤ اختلاف الفقهاء فى انتفاع الميت بما يتلى من القرآن ونذره له فقال : جاء فى شرح الكنز أن للانسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة كان أو صوما أو حجا أو صدقة أو قراءة قرآن أو غير ذلك من جميع أنواع البر ويصل ذلك الى الميت وينفعه عند أهل السنة . انتهى .

والمشهور من مذهب الشافعى وجماعة من أصحابه أنه لا يصل الى الميت ثواب قراءة القرآن وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعى الى أنه يصل كما ذكره النووى فى الاذكار ..

وفى شرح المنهاج لابن النحوى ، لا يصل الى الميت عندنا ثواب القراءة على المشهور والمختار الوصول اذا سأل الله ايصال ثواب قراءته وينبغى الجزم لانه دعاء فاذا جاز الدعاء للميت بما ليس للداعى فلأن يجوز بما هو له أولى .

وهذا الرأى هو الذى نختاره ونفتى به .

س ٨ : من الحاجة نعيمة يوسف عفيفى :

حينما كنا نؤدى فريضة الحج هذا العام أشار علينا بعض الناس ومنهم المطوف بذبح الاضحية قبل العيد بيوم حتى ينتفع بها ذوو الحاجة من أهل مكة نظرا لكثرة الذبائح يوم العيد مما يضطر معه المسئولون فى المملكة العربية السعودية الى حرق هذه الكثرة الكاثرة من الذبائح حتى لا تنتشر الامراض والاوبئة بسبب تعفنها وأقنعونا بأن الفائدة أعم لو ذبحت قبل العيد وفعلا تم الذبح قبل العيد ..

فهل يجزىء ذلك الذبح عن الذبح فى يوم العيد . ؟ واذا كان الجواب لا فما هو الحكم الشرعى بالنسبة لمن ذبح مثلنا « قبل العيد » .. ؟

أرجو أن تنشر الاجابة على صفحات مجلة منبر الاسلام فى عدد ربيع الاول .

الجواب :

واضح أن المراد بالاضحية الواردة فى السؤال هى الهدى الذى يقدمه الحاج قربانا لله على سبيل

الوجوب ان كان قارنا أو متمتعا، أو تطوعا أن كان مفردا بالحج اذ لا أضحية على الحاج .

ومعروف ان وقت الذبح يبدأ من يوم النحر وهو عاشر ذى الحجة بعد صلاة العيد بالنسبة لغير الحاج وهو الضحى وبعد رمى جمرة العقبة بالنسبة للحاج .

فما الحكم اذا ذبح الحاج هديه قبل يوم النحر لسبب وجيه كالوارد فى السؤال أو لغيره من الاسباب ..؟

جاء فى كتاب الام للامام الشافعى رضى الله عنه ج ٢ ص ١٨٣ طبعة الشعب ما نصه «واذا ساق المتمتع الهدى معه أو القارن لمتعة أو قرانه فلو تركه حتى ينحره يوم النحر كان أحب الى، وان قدم فنحره فى الحرم أجزأ عنه، من قبل أن على الناس فرضين، فرض فى الابدان فلا يكون الا بعد الموت وفرض فى الاموال فيكون قبل الموت».

وهكذا ان ساقه مفردا متطوعا به والاختيار اذا ساقه معتمرا أن ينحره بعد ما يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة قبل أن يحلق عند المروة .

وجاء فى كتاب فتح القدير جـ ٢ فى باب الهدى قول الكمال بن الهمام من فقهاء الحنفية «الحاصل أن دم النذر والكفارات وهدى التطوع يجوز قبل أيام النحر ولا يجوز دم المتعة والقرآن والاضحية الا فيها ..»

وقال ابن عابدين فى باب الهدى جـ ٢ :

ويتعين يوم النحر أى وقته وهو الايام الثلاثة لذبح المتعة والقران فقط ولا يتعين غيرهما فيها ومنه هدى التطوع هو الصحيح وان كان ذبحه يوم النحر أفضل كما ذكره الزيلعى خلافا للقدورى» .

ومن هذه النصوص يتضح أن ما فعلته السيدة الحاجة قد اجزاها عن الذبح يوم النحر عند الحنفية والشافعية ان كان ما قدمته هدى تطوع بأن كانت مفردة بحجتها وصحيح عند الشافعية ان كان هدى قران او تمتع .. والله يتقبل منا ومنها .

س ٩ : من عبد المنعم فتاح ـ العراق جامعة الموصل كلية الزراعة والغابات :

يقول انه قرأ لاحد الكتاب المعاصرين كتابا قسم فيه المسلمين فى صدر الاسلام الى يسار وعلى رأسه على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ويسار وسط وعلى رأسه أبو بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ويمين وعلى رأسه سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ويقول السائل ان الكاتب نسب أمورا لا تليق بسيدنا عثمان .

ويسأل عن الرأى فى مثل ما ورد فى هذا الكتاب .

الجواب :

اننا نربأ بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخلفائه الراشدين المهديين أن ترتفع الى مقامهم الرفيع مثل هذه الاقلام .

والمجتمع الاسلامى الذى يشيده رسول الله وصحابته، بناؤه الشامخ من مهاجرين تركوا الاهل والمال انتصارا لدين الله وأنصارا آثروا أخوانهم المهاجرين على ما بهم من خصاصة مجتمع اساسه الاخوة الصادقة «**انما المؤمنون اخوة**»، ومنهجه التعاون المخلص «**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**» مجتمع وضع له القرآن الكريم من المبادىء ما لم تصل اليه مذاهب اليمين واليسار فى هذا القرن ولا فيما يأتى من القرون ..

وخليفة كعثمان بن عفان الذى جهز جيش العسرة قبل أن يكون خليفة وتبرع بتجارته كلها فى سنة من مدة خلافته أصاب الناس فيها شدة وعسر واجتمع التجار ليربحوه فى تجارته الضعف أو أكثر فقال رضى الله عنه لقد اشتراها منى من يربحنى عشرة أمثالها «اشهدوا أنها لفقراء المسلمين» خليفة هذا شأنه جدير بكتابنا أن ينشروا على الناس صفحاته الناصعات هو وغيره من الصحابة الاجلاء لتضىء لشبابنا حياتهم التى أظلمتها مبادىء اليمين واليسار المستوردة من هناك وهناك وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فليتق الله كتابنا ولينزهوا أقلامهم عن أن تكون معاول هدم لدينهم وعروبتهم ولتعلموا أن الامة العربية والاسلامية لم يصبها ما أصابها من مذلة وهوان ولم تمزق شر ممزق الا يوم أن تنكبت صراطها السوى وتنكرت لكتاب ربها وأهملت أحكام دينها واتجهت نحو ما يسمونه هذه الايام باليمين أو اليسار .**

س ١٠ : من مواطن عراقى يسمى : حازم ـ بغداد

يسأل عن فوائد صندوق التوفير ويقول انه قرأ فى كتاب الفتاوى لاحد علماء العصر السابقين رأيا باباحتها لانها فى رأى فضيلته ليست ربا .

الجواب :

والجواب أننا قد تناولنا هذا الموضوع فى كثير من أعداد مجلة منبر الاسلام وفى فتاوانا التى تصدر من مكتبنا وقررنا وأكدنا أن هذه الفوائد ربا والربا محرم كله كثيره وقليله **وقد قال الله تعالى فى الايات التى نزلت فى تحريم الربا «وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون»** .

وبالنسبة للرأى المخالف الذى يرى حل هذه الفوائد والذى ينسب لاحد علماء عصرنا السابقين فان مبلغ علمنا أن فضيلته رجع فى آخر حياته عن رأيه الجديد الى رأيه القديم القائل بحرمة هذه الفوائد وانها من المال الخبيث وطلب من المحيطين به أن ينصوا على ذلك حين اعادة طبع كتبه . والله المسئول أن يرينا الحق حقا فنتبعه وان يرينا الباطل باطلا فنتجنبه .

س ١١ : من أ . ى ١٠ من كفر الشيخ

توفيت عمتى وتركت اخا وابناء اخ فهل يرث أبناء الاخ مع وجود أخيها واذا كان لهم الحق فى الميراث فما نصيب كل منهم ..؟

الجواب :

لم يبين السؤال صفة الاخ هل هو أخ شقيق أو لأب او لام وكذلك الحال فى أبناء الاخ ومع ذلك فاذا كان الاخ شقيقا او لاب فان الميراث كله له تعصيبا ولاشىء لابناء الاخ واما اذا كان الاخ اخا لام وكان ابناء الاخ أبناء أخ شقيق أو لاب فان للاخ لام السدس فرضا والباقى لابناء الاخ تعصيبا بالتساوى بينهم فان كانوا

أبناء أخ لام فان الميراث كله للاخ لام – السدس منه فرضا والباقى ردا ولا شىء لابناء الاخ لام لانهم من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام مع وجود أحد من أصحاب الفروض أو العصبات وهذا كله ما لم يكن للمتوفاة وارث اخر سوى من ذكر فى السؤال ..
والله أعلم .

س ١٢ : من محمد عبد الله اسكندر – العراق – أربيل :

يريد معرفة سنن الصلاة المؤكدة .

الجواب :

السنه المؤكدة هى ركعتان قبل الفجر وأربع قبل الظهر وقيل ركعتان فقط وركعتان بعده وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء لما روى عن أم حبيبة وعائشة وأبى هريرة وأبى موسى الاشعرى وابن عمر رضى الله عنهم قالوا : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابر على ثنتى عشرة ركعةفى اليوم والليله بنى الله له بيتا فى الجنة : ركعتين فى الفجر وأربع قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء » . ويسن للجمعة أربع قبلها وأربع بعدها وعند الشافعية ركعتان قبلها وركعتان بعدها أما الوتر فهو واجب عند الحنفية وسنة مؤكدة عند الشافعية والمالكية بل المالكية يعتبرونه اكد السنة بعد ركعتى الطواف وعند المالكية سنة مؤكدة سواء غير انهم يطلقون على نوافل الصلاة رواتب وغير رواتب والراتبة عند المالكية مندوبة ندبا أكيداوهى : أربع قبل صلاة الظهر وأربع بعدها وأربع قبل صلاة العصر وست بعد صلاة المغرب وغير الرواتب عندهم هى صلاة الفجر وهى ركعتان قبل الفجر وحكمها انها رغيبه والرغيبة ما كان فوق المستحب ودون السنةفى التاكيد ومن غيرالرواتب عندهم الشفع وأقله ركعتان وأكثره لا حد له ويكون بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الوتر وحكم الشفع الندب .

س ١٣ : من نفس السائل :

أرى فى بعض ايات القرآن حروفا تكتب عليها مثل (لا) و (م) و (صلى) و (قلى) و (ج) .

الجواب :

هذهالحروف لها دلالة خاصة بها ويجد القارىء شرحها فى آخر المصحف فمثلا الحرف (لا) علامة على الوقف الممنوع – فقوله تعالى « **الذين تتوفاهم الملائكه طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة** » فالوقف ممنوع على كلمة طيبين « لا » وكلمة عليكم « لا » والحرف « م » علامة على الوقف اللازم كمافى قوله تعالى : « **انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله** » فالوقف لازم على كلمة يسمعون « هـ » .

والحروف « صلى »معناها جواز الوقف والوصل أفضل كما فى قوله تعالى « **وأن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وأن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير** » .

والحروف « قلى » علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى كما فى قوله تعالى « **قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم** » فالوقف جائز عند كلمة « قليل » .

والحرف « ج » معناه جواز الوقف والوصل والامران مستويان كقوله تعالى « **نحن نقص عليك نبأهم بالحق** » « **انهم فتية آمنوا بربهم** » .

وهكذا كل حرف أو علامة مكتوبة فوق آية من الايات له دلالة خاصة به ويعرف معناها من الدليل المسجل فى نهاية المصحف .

س ١٤ : من نفس السائل :

ارجو ان تذكروا لى بعض الايات التى أستطيع أن أتلوها لتفرج كربى وتبعد عنى وسوسة الشيطان .

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** » فآيات القرآن الكريم كلها نور يضىء حياة المسلم ويهديه صراطا مستقيما : «**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » .

فاقرأ يا أخى السائل ما استطعت من كتاب الله وتدبر معانيه بقدر ما تستطيع فبتلاوته تنفرج الكروب وبتدبره تنفطر القلوب « **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** » واذا استطعت ان تداوم على تلاوة سورة «يس» والواقعة وتبارك وسورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب واول وأخر سورة البقرة وآية الكرسى فسيفرج الله كربك ويزيل همك ويبعد عنك وساوس الشيطان . واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وكرر دائما قوله تعالى « **وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** » . نفعنا الله واياك بقرآنه الكريم ووفق المسلمين جميعا الى حفظ كتاب ربهم والتمكين له والعمل بأحكامه ليمكن الله لهم فى الارض كما مكن لاسلافهم السابقين ..

س ١٥ : من ش أحماد عفيج عبد العزيز الاسلمى العراق :

يقول الله تعالى فى سورة (ن) (عتل بعد ذلك زنيم) فما معنى زنيم ومن هو الذى قيلت فيه الايه .. ؟

الجواب :

جاء فى غريب القرآن للامام أبى بكر محمد السجستانى قوله : « زنيم »اى معلق بالقوم وليس منهم ،وفى تفسير الكشاف للزمخشرى – الزنيم – الدعى (اى ولد الزنا) .

قال حسان :

وانت زنيم نيط فى آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر :

زنيم ليس يعرف من أبوه
بغى الام ذو حسب لئيم

وفى القاموس الزنيم المستلحق فى قوم ليس منهم والدعى واللئيم المعروف بلؤمه أو شره ، وجمهور المفسرين على أن هذه الايات والايات قبلها

من قوله تعالى « ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » نزلت فى الوليد بن المغيرة قالوا وكان الوليد دعيا فى قريش ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده . وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية . وعن ابن عباس أنه أبو جهل وقيل غير ذلك .

س ١٦ : من محمد الفاضل بن ميلاد ـ من نهج العزاقين بتونس

يسأل عما اذا كان يجوز له الادخار بالبنك على ان لا يتسلم الفائدة المعلومة أو أن يتصدق بها .

الجواب :

لا مانع اطلاقا من الادخار بالبنوك أو صناديق التوفير على ان لا يتسلم المدخر الفائدة وهو بذلك ، وفضلا عن حفظ ماله من أن تمسه الضياع والتلف ، فانه يكون مسهما بماله لمدخر فى المشروعات الوطنية التى تقام بهذه المدخرات ويكون محققا لمبدأ اسلامى هو أساس المجتمع الاسلامى ، ذلكم هو التعاون الذى حث عليه القرآن الكريم . قال تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » ثم ان هذه المشروعات التى أسهم فى اقامتها ستعود عليه وعلى أولاده ومواطنيه بالخير العميم .

أما الادخار على قبول الفائدة بنية التصدق بها فذلك غير مقبول شرعا لانه بموافقته على أخذ الفائدة قد قبل من حيث المبدأ أكل مال الربا .

س ١٧ : من السيد محمد عاص نبروه دقهلية

هل تشييع الجنازة بالنسبة للسيدات جائز أم مكروه أم حرام ؟

الجواب :

يكره للنساء ان يغشن الجنائز الا اذا خيف منهن الفتنة أو قمن بعمل منهى عنه كالنواح وغيره ، فيكون تشييعهن حينئذ حراما ، وقد ورد زجره صلى الله عليه وسلم لهن بقوله : « **ارجعن مأزورات غير مأجورات !** »

وقال المالكية : اذا كانت المرأة مسنة جاز لها أن تشيع الجنازة وتكون فى سيرها متأخرة عنها وعن الرجال ، وان كانت شابة لا يخشى عليها الفتنة جاز خروجها لجنازة من يعز عليها كأن يكون ولدا أو زوجا أو أخا ، وتكون فى سيرها متأخرة كما قلنا . واما من يخشى من خروجها الفتنة فلا يجوز خروجها مطلقا .

وقال الحنفية تشييع النساء للجنازة محرم تحريما مطلقا .

س ١٨ : هل الافضل للرجل الذى يشيع الجنازة أن يسير أمام الجنازة أم يسير خلفها ؟ وما الذى يتبع فى تشييعها ؟

الجواب :

يقول الحنفية : المشى خلف الجنازة أفضل من المشى أمامها ويجوز المشى أمامها الا اذا أبعده ذلك عن الجنازة او تقدم على جميع الناس فيكون المشى امامها حينئذ مكروها ، والمشى عن يمينها أو عن يسارها خلاف الاول ما لم يكن خلف الجنازة نساء يخشى الاختلاط بهن أو كان فيهن نائحة ، فان المشى أمامها حينئذ يكون افضل ..

ويسن أن يسير المشيعون سكوتا ويكره لهم رفع الصوت ولو بالذكر وقراءة القرآن وقراءة البردة أو دلائل الخيرات ونحوها . ومن أراد منهم أن يذكر الله فليذكره سرا ويكره أن تتبع الجنائز بالمباخر والشموع بما روى « **لا تتبعوا الجنازة بصوت ولا نار** » واذا صاحب الجنازة منكر « كالموسيقى والنائحة » فعلى المشيعين أن يجتهدوا فى منعه ، فان لم يستطيعوا فلا يرجعوا عن تشييع الجنازة .

وقال الحنابلة اذا كان مع الجنازة منكر وعجز المشيع عن ازالته ، حرم عليه ان يتبعها لما فيه من اقرار المعصية .

والافضل أن يسير المشيع الى القبر وينتظر الى تمام الدفن ، ولكن لا كراهة فى الرجوع سواء رجع قبل الصلاة أو بعدها .

وقال المالكية والحنفية : يكره الرجوع قبل الصلاة مطلقا ، وأما بعد الصلاة ، فلا يكره أن أذن به أهل الميت . وزاد المالكية أنه لا يكره الرجوع اذا طالت المسافة ولو بغير اذن .

س ١٩ : هل ينتفع الميت بما يقيمه أهله من السرادقات وتلاوة القرآن الكريم فيها وما حكم الجلوس لتقبل العزاء ؟

الجواب :

قال الفقهاء : يباح لاهل المصيبة أن يجلسوا فى المنزل لقبول العزاء ثلاثة أيام ، أما الجلوس على قارعة الطريق وفرش البسط ونحوها مما اعتاد الناس فعله ، فهو بدعة منهى عنها .

وقال الحنفية ان الجلوس للتعزية خلاف الاولى . والاولى أن يتفرق الناس بعد المدفن والميت لا ينتفع بشىء من ذلك .

أما تلاوة القرآن فان كانت بالطريقة الصحيحة الشرعية ، ولم يكتنفها شىء لا يتفق مع آداب التلاوة وآداب الاستماع وقصد بالتلاوة أن يكون ثوابها للميت ، فان الميت فى هذه الحالة ينتفع بها ان شاء الله تعالى ـ والله أعلم .

س ٢٠ : من المواطن السيد نبيل قبيص ـ محكمة مصر

توفيت سيدة بتاريخ أغسطس ولها تركة تورث عنها وورثتها هم :

١ ـ بنت متزوجة وعلى قيد الحياة .

٢ ـ أولاد بنت أخرى توفيت منذ عامين .

٣ ـ عم لها من الاب على قيد الحياة ..

والمطلوب معرفة الانصبة الشرعية للورثة المذكورين .

الجواب :

اذا كان الامر كما ورد فى السؤال ولم تترك المتوفاة سوى من ذكر ، فان لاولاد البنت المتوفاة قبل وفاة أمها ثلث التركة وهو نصيب أمهم لو كانت حية حين وفاة أمها المورثة يأخذونه وصية واجبة اذا توفرت شروطها طبقا لقانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ ويوزع بينهم توزيع الميراث للذكر ضعف نصيب

الانثى طبقا للمادة ٧٦ من القانون المذكور . والباقى بعد نصيب أصحاب الوصية الواجبة يعتبر تركة مستقلة يقسم بين البنت والعم للبنت النصف فرضا والباقى للعم تعصيبا ـ والله أعلم .

س ٢١ من عبد الباسط عبد المعطى محمد من قفط بالقعة وجه قبلى

يقول : انه قرأ فى احد اعداد مجلة منبر الاسلام ان الشافعية يقرأون البسملة فى الصلاة لانها عندهم آية من القرآن وان المالكية لا يقرأونها فى الصلاة وانه مالكى ويخشى ان قرأ البسملة ان تكون صلاته مكروهة وان لم يقرأها تكون ناقصة ويسأل ماذا يفعل ؟

الجواب :

قد بينا آراء العلماء فى كون البسملة آية من القرآن أو ليست آية منه فى الاجابة عن السؤال السابع من هذا العدد وبسطنا القول فى مذهب المالكية فى القراءة بالبسملة أو عدم القراءة بها فى الصلاة المكتوبة أو النافلة . وانت أيها السائل فى حل من الاخذ برأى أى امام من الائمة الاربعة وصلاتك صحيحة ولا نقص فيها ان شاء الله تعالى ـ والله الموفق .

س ٢٢ : من الشاذلى سعيد ـ من الوردانيين ولاية سوسة ـ تونس

يسأل عن رأى الدين فيمن وجبت له زكاة الفطر اذا اجتمع لديه من الزكاة ما اصبح به غنيا وقادرا على دفع الزكاة هل يجب عليه دفع الزكاة هو الاخر ؟

الجواب :

نعم اذا اصبح الفقير غنيا باموال الزكاة التى جمعها وجبت عليه دفع الزكاة عن نفسه وعن غيره ممن تجب عليه دفع زكاة الفطر عنهم وهذا لون من التكافل الاجتماعى الذى نادت به الشريعة الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . فالمجتمع الاسلامى اراده الله سبحانه مجتمعا متعاونا متكافلا يمد القوى فيه يده الى الضعيف يساعده ويسانده . وعلى الاخص فى يوم كيوم العيد تتلاقى فيه القلوب وتتصافح فيه الايدى وتتعاطف الافئدة حتى قال بعض الفقهاء ان على الفقير نفسه ان يعطى غيره من الفقراء ليشعر الكل بأن هذا اليوم عيد .. قال تعالى **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)** .

س ٢٣ : ومن السائل نفسه يقول :

مرضت والدته من اول ايام شهر رمضان الماضى وتوفيت قبل نهايته بأسبوع ويسأل عما يجب ان يعمله حيالها بعد ان لقيت ربها .. أيصوم عوضا عنها ام يفدى .. ام ماذا يعمل ؟

الجواب :

من المبادىء الاساسية التى ينبغى ان يعرفها كل مسلم ان الصوم كالصلاة كلاهما عبادة بدنية شخصية لا تجب الا على الشخص نفسه ولا يجوز ان يؤديها شخص عن غيره وهكذا كل عبادة بدنية الا الحج فانه العبادة الوحيدة التى استثنيت من القاعدة العامة بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاءت احدى النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له ان امى قد ماتت ولم تحج افاحج عنها فقال صلى الله عليه وسلم : (**ارأيت لو ان على امك دين اكنت تؤديه عنها قالت : نعم . قال فدين الله احق بالاداء**). هذا خاص بالحج اما الصلاة والصوم فلا يؤديهما احد عن غيره فلا يجوز للسائل ان يصوم عن امه .

والسؤال واضح منه ان الام توفيت وهى مريضة اى ان مرضها الذى اعجزها عن الصوم اتصل بالموت فلم يمر بها وقت تستطيع فيه الصوم كما لم ينقض رمضان وهى صحيحة تستطيع القضاء ومادامت قد توفيت فى الوقت الذى اعفاها الله فيه من وجوب اداء صوم رمضان وقبل ان يأتى زمن القضاء فلا شىء عليها ـ فيما أرى ـ ولا على ولدها ، قال تعالى « **فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر** »ولم تأت الايام الاخر التى يلزمها فيها القضاء . فالذى اراه ان هذه الام لا قضاء عليها ، ثم انه لافدية عليها الا اذا كانت قد بلغت قبل المرض الذى ماتت به فى رمضان سن الشيخوخة الفانية واعجزتها هذه الشيخوخة عن الصوم فان عليها الفدية وهى نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو شعير عن صوم كل يوم والصاع قد حان وثلث . فاذا ماتت ولم تفد فان على ابنها ان يخرج هذه الفدية من مالها ان كان لها مال أو يتطوع باخراجها من ماله ان اراد .

س ٢٤ : من يوسف شومان من منشاة شومان ـ بلقاس

يقول : انه ادى فريضة الحج فى العام السابق . فهل يلزمه الذبح يوم عرفة كل عام وهل الذبح فريضة أو سنة واذا كان لابد منها فهل يمكن الاستعاضة عنها بما يعادلها من أى شىء وهل يمكن الاشتراك فى ذبيح واحد ؟

الجواب :

لا ذبح يوم عرفة هديا كان المذبوح أو ضحية انما

الذبح يكون يوم النحر وهو يوم العاشر من ذى الحجة بعد صلاة عيد الاضحى لغير الحجيج وبعد رمى جمرة العقبة وهى الجمرة الاولى لحجاج بيت الله الحرام وهى بالنسبة للحجيج هدى وبالنسبة لغيرهم ضحية ويجوز تأخير الذبح ليوم من أيام التشريق وهى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة والضحية ليست فريضة على المسلم بل هى سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى الحنفية انها واجبة على القادر عليها ولا يمكن الاستعاضة عنها بأى شىء سواها ومثلها فى ذلك الهدى للحجيج لان الواجب فيها هو التقرب الى الله باراقة الدماء والهدى والضحية تجوز المشاركة فيهما اذا كانت الذبيحة من البقر أو الابل فقد اجمع الفقهاء على ان البقرة تجزىء عن سبعة والجاموس كالبقر ومثلها البدنة وهى الواحدة من الابل بشروط منصوص عليها فى كتب الفقه اما الشاة من الضأن أو المعز فلا تجزىء الاعن واحد فقط بشروطها المنصوص عليها ـ والله تعالى أعلم .

س ٢٥ : من مصطفى على احمد

يسأل عن القول الصحيح فى ارباح صندوق التوفير والبنوك حيث يقرأ فى احد اعداد مجلة منبر الاسلام انها حرام وكان قد سمع من بعض علماء العصر السابقين انها حلال ؟

الجواب :

الذى اراه وافتى به فى ارباح صندوق التوفير وارباح الاموال المودعة فى البنوك أنها ربا ـ والربا حرام بصريح القرآن الكريم ـ وهذا فيما اراه وهو الصحيح لانه ايداع للمال وليس استثمارا له اذ لوكان استثمارا لتحمل فى الخسارة كما يشارك فى الربح وحسب المودع ان صندوق التوفير أو البنك يحفظ له وديعته ويصونها بعيدة عن ايدى المعتدين او العابثين ثم انه يتنازله عن الربح يكون مسهما بأمواله المودعة فى المشروعات التى تعود بالنفع عليه وعلى ابنائه واخوته المواطنين فيكون بذلك متعاونا فى مجتمع اسلامى تسوده روح التكافل والتعاون قال تعالى

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

فاذا اخذ المودع ارباح ودائعه وجب عليه التخلص منها بالتصدق بها لانها أموال حرام والمال الحرام سبيله الصدقة ولاينتظر اجرامن الله على ذلك والله طيب لا يقبل الا طيبا والله اعلم .

شركة اسطوانات صوت القاهرة تهنئ العالم الإسلامى
بمناسبة مولد الرسول الكريم
وتقدم فى هذه المناسبة الكريمة
مجموعة كبيرة من اسطوانات
القرآن المجود
لأعذب الأصوات التى تسبح بآيات الله البينات
الشيخ محمد رفعت • الشيخ محمود خليل الحصرى
الشيخ محمد صديق المنشاوى • الشيخ محمد النادى
• الشيخ عبد العزيز على فرج
أشرطة كاسيت
لقصار السور وسورة يس

المصحف المجود
مسجل على اسطوانات ٣٣ ١/٣ لفة
بصوت الشيخ
عبد الباسط عبد الصمد
يباع كاملا أو فى مجموعات وبخصم كبير
أسماء الله الحسنى
أداء / النقشبندى / الفيومى
وموشحات دينية
أرقى الابتهالات وأعذب الأغانى الدينية

تباع بفروع شركة اسطوانات صوت القاهرة وجميع محلات بيع الاسطوانات

المرأة في الإسلام

الدكتورة ليلى صقر

وصلنا فى حديثنا السابق الى دور المرأة من الصلاة ولم تكن الصلاة هى كل ما يشترك فيه النساء مع الرجال فى مكان واحد وانما كن يشتركن والرجال فى الحج وهو مايستلزم السفر والانتقال لبضعة اسابيع ان لم يكن أشهر كاملة حيث لم يكن سبيل للمواصلات غير الجمال • وكان وما يزال الحج اعظم مجال لاختلاط الرجال بالنساء حيث يجتمع ألوف وعشرات الالوف من الرجال والنساء فى مكان واحد بحيث يختلط الحابل بالنابل على أوسع نطاق يمكن تصوره يأتى بنا الحديث الان الى

دور المرأة من الجيش :

لقد اثبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فى جل أمور الحياة الا انها اسقطت عن النساء وجوب القتال بالفعل ، وكانت النساء تصحب الجيوش الى ميادين القتال وتقوم بكل ما تقوم به النساء فى الجيوش الحديثة من الاعمال المكملة والمساعدة فلا تقتصر مهمتهن على اسعاف الجرحى ومداواة المرضى وانما كن يسرن بين الجنود يسقين العطشى ويجهزن الطعام ليطعم الجنود ويدفن الموتى وينقلن الجرحى الى ما وراء خطوط القتال وهن فى أثناء ذلك كله يحرضن على القتال • وقد ثبت فى الصحيحين بأن عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحمل قرب الماء هى وأم سليم وغيرها الى الجرحى فى غزوة أحد يسقينهم ويغسلن جراحهم ولما جرح رسول الله صلوات الله عليه وسلامه تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده • وقالت الربيع بنت معوذ رضى الله عنها « كنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة » وقالت أم عطية الانوارية « غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم فاصنع لهم طعام وأداوى جرحى وأقوم على المرضى » •

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى للنساء من الغنيمة مقابل كدهن ونشاطهن فى ميدان القتال وجدير بنا هنا ذكر قول ابن عباس فى رده على احد الخوارج حينما سأله فى هذا الموضوع " تسألنى هل كان رسول الله يغزو بالنساء • وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويجزين من الغنيمة : وقد حدث أن جاءت امرأة ابى ذر الغفارى الى رسول الله صلوات الله عليه وسألته فى نسوة من بنى غفار فقلن يارسول الله فقد أردنا أن نخرج معك ، وكان الرسول يتأهب لغزوة خيبر ، نداوى الجرحى ونعين المسلمين بما نستطيع فقال عليه الصلاة والسلام « على بركة الله » وخرجن معه ولما انتهت الغزوة اعطاهن الرسول من الغنيمة وزاد رسول الله صلوات الله عليه وسلامه فى تكريم امرأة ابى ذر بأن اعطاها قلادة وضعها بيده الشريفة حول عنقها تكريما لموقفها وبلائها فكان هذا أول وسام لامرأة مجاهدة فى الاسلام •

وفى ذلك لدليل على ماكان للمرأة من مكانة فقد قامت بنصيبهاكاملا تؤدى ما وكل اليها بامانة واخلاص

وجد ونشاط وهذه الخدمات التي كانت تقوم بها المرأة لها قيمتها فى الحروب وأثرها فى النصر ومن هنا وجدنا النبى صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يأخذ معه بعضا من النساء فى الغزوات ليقمن بواجبهن أثناء المعركة ·

هذا وللمرأة احيانا ان تحمل السلاح فى وقائع الحروب ولا ينكر عليها الاسلام ذلك وقد ورد فى خبر الرميضاء زوج ابى طلحة فى صحيح مسلم انها اتخذت خنجرا يوم حنين فلما سألها زوجها عنه قالت « تخذته ان دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه ا·

وهذه أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو تخرج فى خلافة أبى بكر فى حروب الردة فتباشر القتال بنفسها حتى يقتل مسيلمه الكذاب وتعود وبها عشر جراح بين طعنة وضربة ··

هذا هو ماورد بشأن المرأة للقتال ولم يصل الامر الى حد قيادتها للجيوش وقيامها على تدبير المعارك ووضع الخطط فكل ما للمرأة فى الحرب هو قيامها بدور التمريض والاسعاف ولا بأس ايضا من أن تحمل السلاح اذا اقتضى الامر ·

المرأة والتعليم :

لا شك وأن من أكبر الميادين التى صالت المرأة فيها وجالت ونافست فيه الرجل ولم يحمل بينها حائل هو ميدان العلم وموطن العلم ذلك الموطن الذى فرضه الاسلام على المرأة كما فرضه على الرجل فما كان للمرأة المسلمة أن تخدم دينها الا اذا تعلمت ونضجت ولذلك فقد اجتمعت الاراء على ان الحديث القائل « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل فى مدلوله كل مسلمة ، وبذلك نرى ان الاسلام اول من قرر تعميم التعليم بين الجنسين على السواء وكان التعليم قبله محصورا فى طبقة الاغنياء المستبدين بالشعوب ولم تجعل الشريعة له حدا فللمرأة أن تبلغ منه الحد الذى تريده وقد وصل بعض النساء الى أعلى الدرجات فيه فهو لا يقصرها على لون منه دون لون · ولذلك فقد تهافت النساء على طلب العلم والتثقيف بثقافة الاسلام فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء وكبار الصحابة والعلماء من بعده · وقد كان على نساء النبى أن يتلقين العلم عن الرسول ليعلمنه للناس من بعده وفى ذلك يقول الله عز وجل « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » · وقد قامت نساء النبى بعد وفاته بما عهد به اليهن فنقل عنهن المسلمون الاحاديث ومختلف الاراء والاحكام واستفتوهن فى أمور الدين والدنيا ·

على أن السيدة عائشة كانت صاحبة النصيب الاوفر والاكمل فى هذا الباب فقد بلغت فى العلم أعلى مكانة بمالا مطمع بعده لمستزيد حتى كان شيخه الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان يسألونها فى بعض ما يعرض لهم من المشاكل وكانوا يسألونها بصفة خاصة فى علم الفرائض وهو من أدق علوم الفقه واعصاها على اذكى الناس الى هذا الوقت الحاضر وقد حدثنا بذلك ابن سعد فى طبقاته عمن كان كفتى فى المدينة بعد وفاة الرسول فقال : « وكانت عائشة تفتى فى عهد عمر وعثمان رضى الله عنهما الى أن ماتت يرحمها الله وكان الاكابر من صحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يرسلون فيسألونها عن السنن »··

ولم يكن علم السيدة عائشة محدودا بحدود الفقه والدين بل كانت من أعلم الناس كذلك بسائر فروع العلم والمعرفة السائدة فى ذلك العصر وهى الشعر والادب والطب فقد حدثنا هشام بن عروه عن ابيه قال : « ما رأيت احدا اعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة » ولم تكن السيدة عائشة هى الوحيدة الفذه فى ذلك المضمار فأمهات المؤمنين كن يحذين حذوها على اختلاف فى قدرة كل منهن · وعن عائشة رضى الله عنها « نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » وقد سجل التاريخ فيما سجل السيدة سكينة بنت الحسين بن على التى كانت سيدة نساء عصرها أدبا وعلما وكمالا واشتهارا بالنقد الادبى · والسيدة نفيسة التى قيل عنها أن الامام الشافعى قد سمع منها الحديث وكانت هى التى صلت عليه لما مات · وهناك غير ذلك عشرات الاسماء من النساء الاعلام اللواتى حضرن فى المساجد فى الفقه والتاريخ والادب وضربن بسهم وافر فى عالم التصوف والطريق كرابعة العدوية والشيخة شهدة المقبة فخر النساء التى كانت تحاضر فى القرن الخامس الهجرى بجامع بغداد وفضل الشاعرة زينب أم المؤيد وغيرهن : ولا يمكن للتاريخ أن يحصى شهيرات النساء جميعا فى مضمار العلم لان التاريخ ان ذكر واحدة فقد أغفل العشرات لاسباب مختلفة ··

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ينصح قادة الشباب

الأستاذ ناصف سليم

شباب الاسلام الذى تعلم من القرآن الكريم الدرس الالهى الخالد : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » هو خير الشباب .. فلم نعرف امة من الامم قديما او حديثا استطاعت ان تعد شبابها ذلك الاعداد الذى أعدت به الامة الاسلامية شبابها ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده .. ذلك الاعداد التربوى الذى اثمر فى وقت قصير شبابا كان يتسابق الى الميدان يريد أن يضحى بنفسه فى سبيل عقيدة اعتنقها ومبدأ آمن به .

وعندما نقرأ فى كتب السيرة النبوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد فى طريقه يوم بدر عددا من الشباب صغير السن يريدون أن يؤدوا فريضة الجهاد نعلم الى أى مدى أثر فيهم المنهج الاسلامى فى الاعداد والتربية الدينية الحقة .

وتمضى غزوة بدر وتاتى غزوة أحد فيجد الرسول فى طريقه الى المعركة .. عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، والبراء بن عازب ، وأسيد بن حضير ، وعرابة بن اوس ، وزيد بن الارقم وابا سعيد الخدرى .. ويحدثهم الرسول فيما هم ذاهبون اليه : فيجدهم « كذلك » مصممون على خوض المعركة ولكنه عليه الصلاة والسلام يردهم .. فيعودون مع الذين ليس عليهم حرج .

ولقد قيل .. ان قيادة محمد عليه الصلاة والسلام هى التى أثرت فيهم .. فى حياته حتى اذا ما لحق محمد بالرفيق الاعلى ، فلا شباب ولا منهاج .. والذين يقفون بتربية الشباب عند هذا الحد .. او تلك الفترة الزمنية التى عاشها الرسول ينسون قوله تعالى على لسان محمد :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ينسون ان منهج الرسول فى اعداد الشباب لم يكن خاصا به ولا موقوتا بحياته ، بل هو منهاج صالح لكل وقت ، لا يلزمه الا قائد تربى فى مدرسة محمد تتوفر فيه شروط القيادة والريادة يطبق النهج تطبيقا صادقا لا يحيد به عن الطريق السليم .. كما طبقه أبو بكر قيادة الشباب بعينهم .. فيها كل شىء يهم رجال الجند :

ولقد وقفت أمام فقرات من كلام أبى بكر فى المواقف العصيبة مشدوها .. وسعيدا فى نفس الوقت ، ان أبا بكر سبق كل علماء التربية والعلوم النفسية فى وضع القواعد الصحيحة لقيادة الشباب .

وكنت ومازلت آخذ على المربين والعلماء وقوفهم عند نص واحد معين من خطب أبى بكر ، يقال فى مناسبات الحديث عن الديمقراطية ونظام الحكم ، ذلك الذى يبدأ بقوله : « أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم الخ » .

بينما هناك نصوص هى منهج محمد واسلوبه فى قيادة الشباب بعينهما .. فيها كل شىء يهم رجال التربية .. واقرأوا معى هذا النص الذى جاء كنصيحة وجهها الخليفة .. الاول لرسول الله الى بعض رؤساء الجند اولئك الذين يقودون الشباب فى أهم المعارك الاسلامية وأخطرها .. يقول أبو بكر :

١ ـ « عليك بتقوى الله ، فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك » .

٢ - « واذا قدمت على جند فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه » .

٣ - « واذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا » .

٤ - « وأصلح نفسك يصلح لك الناس » .

٥ - « واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة » .

٦ - « وجالس أهل الصدق والوفاء » .

ست نصائح جمعت كل الشروط الواجب توافرها فيمن يقود الشباب .. يجب أن تكون فى كل انسان يتصدى لهذه المهمة الصعبة ، فى المواقف الدقيقة .. وهل هناك أشق واخطر من مهمة قائد فى معركة .. يوجه فيها الجند الذين حملوا ارواحهم على أكفهم فى سبيل الله ..

وتعالوا معى لتحليل سريع .. لهذه الكلمات الموجزة :

● **النصيحة الاولى : تقوى الله** .. وهى كلمة مجملة وافية .. لجمع كل النصائح .. وكثيرا ما حث أبو بكر جنده بها ، او بما من شأنه ان يكون نابعا منها كقوله لقائد من قواده : وباعد عنك الظلم والجور ، فانه ما أفلح قوم ظلموا ، ولا ينصرو على عدوهم !!

ومن شأن التقى ان يكون عادلا ، ومنصفا ومتعففا ، ومضحيا بنفسه الى آخر صفات المؤمنين الاتقياء .. ولا ننسى **هنا أن ابا بكر يكل كل قائد الى ضميره .. لا رقيب عليه الا الله ، هو الذى يرى من « باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك »** اقوى من المخابرات ومن المفتشين ، فالحرب فى صحراء والحاكم قد يكون فى المدينة .. والله وحده .. هوالموجود فى كل مكان !!

● **النصيحة الثانية : « اذا قدمت على جند فأحسن صحبتهم »** ذلك لان الراحة النفسية تذكى فى النفس روح الشجاعة ، لا ضغائن ، لا أحقاد ، بل حسن صحبة ومعاشرة ، وتفاؤل باستمرار يبدو من قول أبى بكر « وابدأهم بالخير .. وعدهم اياه » ..

● **النصيحة الثالثة : «واذا وعظتهم فأوجز الخ** .. هذا أجدى وانفع لان الموقف ليس موقف حديث ، واستعراض فى اللباقة ، ومحاضرات تتلوها محاضرات.. المهم فى هذا الموقف ، كلمات تفيد ، يتبعها تطبيق عملى على أرض الواقع ، وكثرة الكلام تدعو الى التكرار ، وليس مطلوبا الحفظ ، بل المطلوب هوالايمان .. لا جدل ، لا مناقشات ، لان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا .. والعبرة بالقول المفيد ، والعمل الملموس من القائد .

● **النصيحة الرابعة : « وأصلح نفسك يصلح لك الناس »** .. ذلك لان الناس لا يسمعون فقط .. بل لهم عيون ترى .. واذا لم تر من المصلح او القائد تطبيقا عمليا لما يقول وما ينادى به من مبادىء ، فسوف ينطق لسان حالهم بقول أبى الاسود الدؤلى :

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدا .. وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم !

وعندئذ فلن تكون لنصائحه آثار تحمد ، ولا لقيادته تأثير فى المقودين ، وسوف يكون موقفهم هو موقف من قيل فيه :

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا
فشيمة اهل البيت كلهم الرقص

● **النصيحة الخامسة : « واذا استشرت ، فاصدق الحديث تصدق المشوره »** .. وهنا يكمن عنصر هام من العناصر التى يجب ان تتوفر فيمن يتولى القيادة ، تلك هى الخبرة والدراية والحكمة ، فلن يستشيره أحد الا اذا كان ذا علم .. لديه ما يقوله من رأى سديد وهو الذى يملك حلا لمعضلات المشاكل !

وكثيرون يعتقدون أن هذا يكفى ، لكن نصيحة أبى بكر لا تقف عند هذا الحد ، بل : لابد من الصدق .. من الامانة .. من اسداء النصيحة الصادقة ، لا خداع ولا نفاق ، ولا مصلحة شخصية تختفى وراء رأى يقال !!

● **النصيحة السادسة : « وجالس أهل الصدق والوفاء »** نعم .. فالذى يتولى عملا قياديا ، يجب أن يتجنب الشبهات .. لا يجالس الكذابين الغشاشين ، واذا كان لا يجالسهم ، فمن باب أولى لا يصادقهم .. ولا يتعامل معهم .. !!

وقد يقال : تلك مسألة شكلية مظهرية ، وأن الانسان مادام قوى الشخصية ، فسوف لا يتأثر بهم ، وأنا أقول .. مهما يكن ، فأبو بكر لم يلق بتلك النصيحة اعتباطا ، وهو التلميذ الاول فى مدرسة محمد .. ومحمد هو الذى لا ينطق عن الهوى .. ولنفترض أن قائد الشباب جالس « أهل الكذب والغدر » وعصم نفسه من شرورهم ، لكن من الذى يمنع الوسواس أن تتسرب الى نفوس الباقين ممن يتولى قيادتهم .. ان مجالسة الفاسدين تفت فى عضد الصالحين .. على أننا لا يصح أن نتنازل أو نتغاضى عن المبدأ القائل :

لا تسل عن المرء وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى !

لا نريد من قائد الشباب أن يكون كنافخ الكير .. ان لم يحرق ثوبك آذاك برائحته .

تلك نصائح أبى بكر لمن يقود الشباب فى أى موقع .. ما أعظمها ، وما أنسبها من كلمات تلقى على مسامع العاملين فى قطاعات الرياضة والشباب فى عصرنا هذا .. وما أقواها حجة ندفع بها فى وجوه الذين يظنون أن مناهج الشباب يجب أن تكون مستوردة .. هذا الغنى فى القواعد التربوية .. والثراء فى مادتها .. ولكنها « بكل أسف » كنوز مدفونة !!

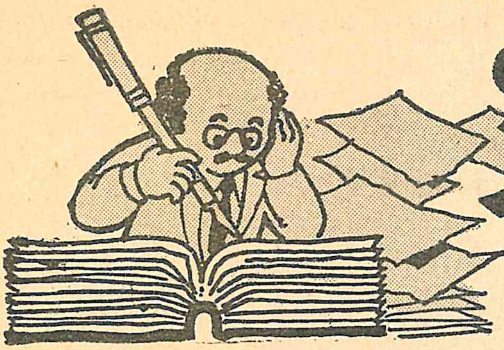

مع القراء

إعداد: فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

كلمة ازجيها الى الامة الاسلامية فى ذكرى مولد باعث مولدها ومقيم دعائمها ومخلد ذكراها سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه :

ان شرف الانتساب الى الامة المحمدية يفرض علينا التمسك بالقيم والمبادىء المحمدية التى تتطلب منا أدب السلوك والمعاملة والارتفاع الى مستوى القدرة مع الالتزام فى اقتناع بالنهج المحمدى القويم الذى بفضله **استطاع سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وصحبه الكرام ان يقدموا للانسانية نموذجا خالدا للامة الصالحة القادرة على تقديم الخير والحب والسلام والامان فى عزة وكرامة ، وفى اسلوب تعجز وتتصاغر أمامه أرقى ألوان الفكر الدستورى والقانون الوضعى .. بل ان هذا التشريع الالهى والتطبيق المحمدى** أخذ بألباب المفكرين والدارسين والباحثين على اختلاف مللهم ونحلهم حتى انهم لم يجدوا مناصا من الاعتراف به صراحة او الاقتباس منه خفية ، لما لمسوه من آثار واقعة وقدرة خارقة استطاعت ان تخلق من شتات القبائل المتنافرة والمتناحرة – **أمة مؤمنة قادرة بفضل ايمانها الصادق على قهر قوى الشر والطغيان ودحرها وتطهيرها من براثن الفساد واقامة حضارة سامقة ضمت فى رحابها الفكر الخالص والعلم النافع فكانت قمة الاعجاز فى جميع ألوان الفنون والاداب والعلوم ..**

فهى كلمة الحق تتطلب منا القدرة على التضحية بالنفس والمال ، بالولد والسلطان من اجل عزتنا وكرامتنا **وان يكون سبيلنا للتضحية فكر ثاقب هادىء وتطبيق علمى صادق وقول هادف واضح ، وعمل انسانى شامل ، وسلوك ملتزم ومتفاعل ، وجهاد خالص ، مبرأ من كل الوان الانانية ، وصدق الله العظيم اذ يقول « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور » .**

رسالة الموصل

يبعث بها الاديب محمد شريف الملا – موصل العراق ويستهلها بقوله :

ان مجلتكم الاسلامية التى تحمل الينا الكثير من النصائح الدينية الاسلامية السمحاء هى المجلة التى تغذى النفس المسلمة على اساس من الاصول الاسلامية وتقود الانسان الى الايمان والتقوى وعمل الخير .. ان افضل مجلة عندنا هى منبر الاسلام .. وفى الايام الاولى من كل شهر عربى نبحث عنها فى مكتبات مدينتنا .

وارجو العمل على توافرها فى الاسواق حيث لايصلنا كل شهرين او ثلاثة الا عدد واحد من المجلة مع انها تصدر فى كل شهر هذا مع العلم بأن مدينتنا هى ثانى مدينة فى العراق فنرجو من سيادتكم بحث هذا الموضوع حتى تعم المجلة مدينتنا التواقة الى الاطلاع عليها ..

نشكر للاخ الاديب نزعته الاسلامية الخالصة ورغبته الكريمة الطيبة وان ادارة المجلة سوف تعمل على تحقيق ما جاء برسالته

● ● ●

رسالة المعهد الاسلامى بسامراء

للاديب اسماعيل البدرى

يرجو فى رسالته نشر نبذ وتعاريف بالشخصيات الاسلامية المعاصرة من علماء ورجال صوفية وادباء وذلك بذكر أعمالهم التى يقومون بها لخدمة المسلمين ويرجو ان يكتب بالمجلة اعترافات الاجانب من نصارى او يهود بفضل ما جاء به القرآن وماحققه نبى الاسلام فى سيرته لان هذا مما يزيد ايمان المسلم وليكون لنا حجة عليهم .

والمجلة يسرها ان تلفت نظر الاخ الاديب الى باب من اعلام الاسلام اما بخصوص الادباء المعاصرين فنرجو ان نحقق ذلك قريبا وبخصوص آراء المعتدلة من المستشرقين فيمكنك أن تقرأ شهريا بعض الموضوعات حول هذا الموضوع وعلى سبيل المثال تقرأ فى هدية المجلة كتاب المولد النبوى الشريف

« تحت عنوان شهادة وشهادة » وغيره كثير.

أما بخصوص أسئلة المفتى فسوف تقرأ الاجابة عنها فى العدد القادم ان شاء الله .

● ● ●

رسالة بيروت

يبعث بهـا الاديب سامى قدورة

أنا شاب من قراء منبر الاسلام الجدد واسمحوا لى ان ابعث لكم بتقديرى الكامل لكم .. وانوه بأن هذه المجلة الوحيدة التى تعطى قبل وبدون ان تأخذ

وبالمناسبة اود ان ابعث باقتراح ربما يساعد على العطاء الاكثر وهذا معنى الرسالة الاسلامية التى تقدمونها ..

واقتراحى ان تخصصوا ابوابا ثابتـة تتنـاول بالدراسة والتحليل : الشيوعية ــ الصهيونية ــ الرأسمالية .

أتمنى لكم التوفيق كما أتمنى لمجلتنـا أن تبقى وتعمل لبقائها الواجهة والمتصدرة لكل ما نقـرأ .. ونستلهم منه افكارنا وحياتنا ..

والمجلة يسرها ان تقدم الدراسة التحليلية حول المواضيع المشار اليها .. كما ان ادارة المجلة ترى فى بقاء المجلة مصدر توجيه والهام لافكارنا وحياتنا يستحق منا كل تضحية وعطاء وهو ما عقـدنا العزم عليـه والله الموفق والمستعان ..

● ● ●

رسالة صفاقس
بالجمهورية التونسية

يبعث بها الاخوة محمد المنصف الملولى وعمار بن صالح والسنوسى الرويسى ..

« تحيـة وسلاما واحتراما الى مجلتنا العربية الغراء « منبر الاسلام » اما بعد ..

فيعجز القلم ان يسطر ما نكنه من محبة وشوق الى مجلتنا العزيزة علينا كما نشكر جميع المحررين وعلى رأسهم رئيس التحرير على المجهودات التى تخدم الاسلام وتبين حقائقه وخفاياه فتهدى النفوس الحائرة والتائهة ..

والمجلة اذ تشكر للاخـوة الادباء هـذا التصور النابع من قلوب مؤمنة وافكار انار الله بصيرتها يسرها ان تجيب على ماجاء برسالة الاخوة :

اما بخصوص شكل الايات القرآنية التى ترد بالمجلة فان المجلة التى تبذل قصارى جهدها من اجل تبليغ الرسالة مكتملة الوضوح فكرا وموضوعا واخراجا فى اجمل صورة واكمل شكل كان يهمها ذلك ولكن بعد ان تضاعف عدد النسخ المطبوعة عشرات المرات حتى بلغت مئة الف نسخة شهريا وبعد أن ازداد حجمها لتـلاحق تغذية الفكر الاسلامى بشتى ألوان الثقافة الاسلامية من دراسات وابحاث ترتفع الى مستوى خاص من الرفعة كما وكيفا فضلا عن الهدايا الدائمة والمرتبطة بالمناسبات مما يضطر ادارة المجلة الى الاستعانة بأحدث ما وصلت اليه فنون الطباعة من الجمع الالكترونى وطباعة الروتاتيف مما لم يستطع ان يعطى الشكل المطلوب ويحتم علينـا الاكتفاء بالدقة والسرعة دون الشكل .

ولعلنى قد اسهبت بعض الشىء فى الرد لكننى وجدت نفسى مضطرا لذلك تجاوبا مع الروح الاسلامية التى ترى الشكل من الضروريات ولعل الاخوة القراء عموما اذا ما وجدوا ان هدية المنتخب من السنة النبوية الشريفة قد التزم الشكل وذلك للقيام بطبعه « بالمونوتيب » لوجود المادة العلمية سلفا وطبعها سلفا ايضا ..

اما بخصوص الاسئلة الموجهـة الى فضيلة المفتى فسوف تنشر بعدد ربيع الاخر القادم ان شاء الله ..

وسوف تقوم ادارة المجلة بارسال خطاب به موافقة ادارة المجلة على اشتراك الاخوة علما بأن ذلك لا يحتاج الى موافقة ويكفى ان يرسل السادة القراء حوالة بريدية بما يوازى قيمة الاشتراك بالعملة المصرية باسم السيد رئيس تحرير مجلة منبر الاسلام ..

واخيرا اشكر للاخوة الاصدقاء الفضلاء هذا الاهتمام البالغ ويسر المجلة ان تكون عند حسن ظن القراء بها ..

● ● ●

رسالة الخرطوم

يبعث بها الطالب ابو بكر عمر الحميدى ــ فندق اكسلسيور الخرطوم ويضمن سيادته رسالته « ابتهالات » يسر المجلة ان تنشر بعضا منها :

ــ الهى ــ

هب لى علما وتفقها فى الدين
والحقنى بالصالحين
واجعل لى لسان صدق فى الاخرين
واجعلنى من ورثة جنة النعيم
ولا تخزنى يوم يبعثون
يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من أتى الله بقلب سليم
آمين .. آمين .. يا رب العالمين .

● ● ●

الاشتراك بالمجلة

حول قيمة الاشتراك بالمجلة ترد خطابات كثيرة للسؤال عن كيفية وقيمـة الاشتراك خاصـة من الاشقاء العرب بتونس والعراق والسودان وبيروت وقد اخذنا منها على سبيل المثال رسالة **الاخ الاديب العالم طه محمد أحمد الجبورى بالصف الثالث قسم الكيمياء كليه العلوم محافظة وبائى ــ قضـاء المتداوية معرض الجبورى ..**

وبناء عليه ابتداء من الشهر القادم ستقوم المجلة بنشر قيمة الاشتراك فى كل بلد من البلدان العربية والاسلامية والذى سيرسل باسم السيد رئيس التحرير ويسر المجلة ان تنشر صورة الصديق الجبورى بباب التعارف عند ارسال الصورة .

وشكرا والى اللقـاء مع اطيب التمنيات بالتوفيق والسداد .

الاسم : عبد المجيد الجعبيرى
البلد : الجمهورية التونسية
السن : ١٩ عاما .
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع وتبادل الاراء
العنوان : ١٢ نهج القصبة — تونس

الاسم : باى كمال
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٨ عاما .
المهنة : طالب .
الهواية : المراسلة وجمع المناظر الطبيعية والمطالعة
العنوان : حى العناصر ـ عمارة [س] رقم [٣] درج ٣ القبة الجزائر

الاسم : طه محمد أحمد الجبورى
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ٢٠ عاما
المهنة : طالب بكلية العلوم
الهواية : المراسلة وقراءة الكتب الدينية
العنوان : محافظة ديالى المقداوية معرض الجبورى

الاسم : الحبيب محمد
البلد : الجمهورية التونسية
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب بمدرسة ترشيح المعلمين
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع
العنوان : رقم ٣٠٠ قاعة المراجعة ٣٤ مدرسة ترشيح المعلمين بالمرسى

الاسم : شفيق عبد العاطى منصور
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٢٤ عاما
المهنة : طالب بكلية التكنولوجيا والتربية بالقاهرة
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة
العنوان : ٤١ ش السيد محمد — ترعة السواحل بامبابة

الاسم : ساعد حشفة
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ٢١ عاما
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة وتبادل الاراء ومطالعة الكتب الدينية
العنوان : حى بوروجار عمارة ب — س رقم ١٢٨ المدينة الجزائرية

الاسم : عبد الرازق محمد السردى
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ٢٢ عاما
المهنة : طالب بكلية العلوم . جامعة البصرة
الهواية : المراسلة وتبادل الطوابع والمناظر الطبيعية
العنوان : محافظة البصرة ــ القبليةشارع البنهانى

الاسم : فوزى محمد عمارة
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع والمناظر والقراءة الحرة
العنوان : طنطا مدرسة الاقباط الثانوية ٢ ــ ٥ ع

الاسم : رمضان محمد على
البلد : الجمهورية العربية الليبية
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب
الهواية : مراسلة شباب العالم الاسلامىوتبادل الاراء والافكار
العنوان : ص ب ٨١٥٨طرابلس ج ٠ ع ٠ ل

الاسم : سعد علبوة حجازى
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٣٣ عاما
المهنة : أخصائى تنظيموادارة
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع والرحلات
العنوان : ١٧ شارع أرض الحرمين بالظاهر القاهرة

الاسم : أحمد عبد السلام محمد عامر
البلد : جمهورية مصرالعربية
السن : ٢١ عاما
المهنة : مقاتل فى القوات المسلحة
الهواية : المراسلة وتبادل الطوابع
العنوان : ١٨ شارع هارون الرشيد شقة ٦ مصر الجديدة

الاسم : أبراهيم توفيق عقل
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٨ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وجمعالمناظر الطبيعية وتبادلالاراء
العنوان : محافظة كفر الشيخ دسوق ص ٠ ب ١٣

الاسم : القاسمى محمد
البلد : المملكة المغربية
السن : ٢٤ عاما
المهنة : معلم
الهواية : تبادلالصور والطوابع البريدية وتبادلالاراء والافكار
العنوان : ألزنقة ٧٦ رقم الدار ١٢ حومة صحراوة سيدى قاسم

الاسم : ناجى حامد السنجرى
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٢٤ عاما
المهنة : موظف
الهواية : الاطلاع والخطابة والمراسلة
العنوان : تليفزيون ج م ع ــ قسم الصوت استديو ٣

اقرأ في هذا العدد

■ معالم الطريق

العنوان	الكاتب	الصفحة
☐ نص البيان الذى القاه السيد الرئيس محمد انور السادات فى الاجتماع المشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية فى ٢١ صفر ١٣٩٣ هـ ـ ٢٦ مارس ١٩٧٣ م		٣
☐ نص البيان الذى وجهه السيد الرئيس محمد انور السادات الى الامة من اذاعة القاهرة عقب انتهاء الاجتماع المشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية فى ٢١ صفر ١٣٩٣ هـ ـ ٢٦ مارس ١٩٧٣ م		١٢
☐ المقربون [اهل القرآن]	فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود	١٤

■ فقه وتشريع

العنوان	الكاتب	الصفحة
تفسير سورة الذاريات	الاستاذ احمد حسين	١٨
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى	٢٨
الغيب	الاستاذ فتحى رضوان	٣٢
لماذا عدد النبى زوجاته ؟	الدكتور احمد الحوفى	٣٧
من معانى القراءات وأسرارها	فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى	٣٩
مدة الرضا المحرم	فضيلة الدكتور محمد سعاد جلال	٤١
العدل من صفات الله	الاستاذ عبد المنعم مغربى	٤٣
من قصص السنة : حق المال	فضيلة الشيخ محمود احمد هاشم	٤٥
من الفقه المقارن : نواقض الوضوء	الدكتور محمد عبد المنعم القيعى	٤٧
الدعوة الى الله تعالى	فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت	٤٩
الحضانة فى الفقه والقانون	الدكتور احمد فراج حسين	٥١
اضواء من كتاب الله	فضيلة الشيخ حسن صالح	٥٣
الاجتهاد بالرأى فى الاسلام	الدكتور محمد عبد الستار نصار	٥٥
التفسير النفسى للقرآن الكريم	فضيلة الدكتور عبد الغنى الراجحى	٥٨
الاخلاق فى ضوء القرآن والسنة	فضيلة الشيخ مبارك حسن حسين	٦٠
قضايا الخطبة بين احكام الشريعة الاسلامية واحكام القانون المصرى	الاستاذ اسماعيل الخطيب	٦٢
فلسفة العقوبة فى الشريعة والقانون	الدكتور فكرى احمد عكاز	٦٥
من اخلاق القرآن [التعوذ]	الدكتور احمد الشرباصى	٦٩
الرحمة شعار الاسلام	فضيلة الشيخ عبد الاله عبد اللطيف الخضيرى	٧٢
السيرة فى ضوء القرآن الكريم	الاستاذ محمد شديد	٧٥
صانعو الموت ٠٠ وصانعو الحياة	الدكتور محمد محمد خليفة	٧٨
من تعاليم الاسلام العامة	سماحة الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	٨٠
فى القرآن والعربية : الصراع بين القراء والنحاة	الدكتور احمد علم الدين الجندى	٨٢
الصوفية فى الهامهم [لله الخلق والامر]	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	٨٥
من حياة الانبياء والرسل [ابراهيم عليه السلام]	الاستاذ ابراهيم الابيارى	٨٨

■ العلم والايمان

العنوان	الكاتب	الصفحة
عناصر القوة فى الاسلام	فضيلة الشيخ محمد عبد العزيز البهنسى	٩٢
الطريق الى الايمان	الدكتور عبد الحليم كامل	٩٤
الامم الصالحة للبقاء هى التى صلحت اخلاق بنيها	فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور	٩٧
التامين وموقف الشريعة الاسلامية منه	الدكتور محمد الدسوقى	٩٨

	العوالم الغيبية [الايمان بالله]	الاستاذ على عبد العظيم	١٠٢
	عالمية الاسلام [بناء الانسان المسلم]	الاستاذ انور الجندى	١٠٥
	من اعلام الطريق الى الايمان	الاستاذ مصطفى عبد الحليم الجندى	١٠٧
	الشريعة الاسلامية والتطور	الاستاذ محمد المتولى النظامى	١١١
■ فكر وفن	افريقية قبل الاسلام	الدكتور احمد شلبى	١١٦
	ماساة المسلمين فى الفيلبين	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	١١٨
	السياسة بين الفلاسفة والفقهاء فى التقاليد الاسلامية	الدكتور حامد ربيع	١٢٠
	الكرامة .. موعد مع نهاية الاسطورة	الاستاذ محمد دياب	١٢٤
	فضل العرب على الحضارة	الدكتور محمد عبد الحميد عنبر	١٢٦
	مواقف خالدة لابى بكر وعمر رضى الله عنهما	المستشار عبد الستار آدم	١٢٨
	بين الفلسفة والتصوف والتشريع الاسلامى	الاستاذ سعيد زايد	١٣١
	كنانة الله فى أرضه .. مصر فى رعاية آل بيت رسول الله	الاستاذ احمد يوسف احمد	١٣٣
	قوم نوح [الهدوء الذى يسبق العاصفة]	الاستاذ محمود محمد عماره	١٣٥
	رحلة بين القصر والقبر	الاستاذ عبد السلام الشاذلى التوصى	١٣٨
	تهذيب اللغة للازهرى	الاستاذة نادية عبد العزيز	١٤٢
	لماذا اسلمت ؟ العالم الانجليزى الدكتور خالد شلدريك	الاستاذ ابراهيم محمد الفحام	١٤٤
	نقودنا الاسلامية المصورة	الدكتور عبد الرحمن فهمى	١٤٧
■ القصة	..وفى عصرنا صديق : اسمه يوسف !!	الاستاذ عبد المنعم الصاوى	١٥٦
■ الشعر	اللهم	الشاعر العوضى الوكيل	١٦٢
	أن من الشعر لحكمة	فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب	١٦٣
	ما اجمل القرآن	الشاعرة روحية القلينى	١٦٥
	الحسين بن على	الشاعر محمود شاور ربيع	١٦٦
	من نعم الله	الشاعر احمد عثمان المراغى	١٦٨
■ الطب	« سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم »	الدكتور عبد العزيز شرف	١٧٠
■ الاعلام	اعلام الحضارة الاسلامية فى العلوم والرياضيات من شيراز [قطب الدين الشيرازى]	الدكتور احمد سعيد الدمرداش	١٧٨
	السيدة نفيسة رضى الله عنها	الاستاذ توفيق ابو علم	١٨١
	جمال الدين الافغانى	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٨٤
■ المكتبة	المثل الاعلى للشباب المسلم	عرض وتحليل فتحى الابيارى	١٨٨
■ الافتاء ـ المرأة المسلمة الرياضة ـ القراء ـ التعارف	انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الدكتور محمد محمد الفحام	١٩٢
	المرأة فى الاسلام	الدكتورة ليلى صقر	١٩٩
	أبو بكر الصديق رضى الله عنه ينصح قادة الشباب	الاستاذ ناصف سليم	٢٠١
	مع القراء	اعداد : فؤاد هيبة	٢٠٣
	بريد التعارف		٢٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يقدم للعالم الإسلامي

المصحف المجود

" ١٢٠ اسطوانة "

لأول مرة يتم تسجيل القرآن الكريم مجودا بأصوات كبار القراء

كل جزء من القرآن الكريم على أربعة اسطوانات طويلة المدى تجويد القراء الأربعة سرعة ٣٣ ١/٣ لفة

" مع كل اسطوانة غلاف فاخر "

سعر بيع الاسطوانة الواحدة ٦٤ قرشا

البيع نقدا وبالتقسيط لموظفى الحكومة والقطاع العام

المصحف المعلم

٧٥ أسطوانة لتعليم القراءة والنطق الصحيح لآيات القرآن الكريم

كل جزأين على ٥ أسطوانات

الثمن للجزأين ٢/١٨٢ جـ ملم

البيع نقدا وبالتقسيط لموظفى الحكومة والقطاع العام

أسطوانات القرآن المرتل

"رواية حفص عن عاصم" ملم جنيه

٤٤ أسطوانة مع كتيب بالآيات القرآنية وغلاف فاخر ٢٣,٨٢٦

٤٤ أسطوانة مع غلاف عادى ١٩,٣٥٢

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة ملم جنيه ٢٩,٩٠٩

سرعة ٣٣ ١/٣ لفة فى الدقيقة

مخازن البيع

القاهرة :

مخازن القرآن المرتل :

٧٦ شارع الجمهورية : الدور الثالث

الاسكندرية :

فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٤٢ شارع سعد زغلول - الدور الرابع

أسطوانات تعليم الصلاة والأذان والوضوء

٧ اسطوانات داخل كتيب مشروحة بالكلمة والصورة

باللغات : العربية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الألمانية

واللغات الآسيوية : الاندونيسية ، الأوردية

واللغات الإفريقية : السواحلية ، الهولانية

ولغات أمريكا اللاتينية : الأسبانية ، البرتغالية

سعر البيع للكتيب الواحد ٥٠ قرشا